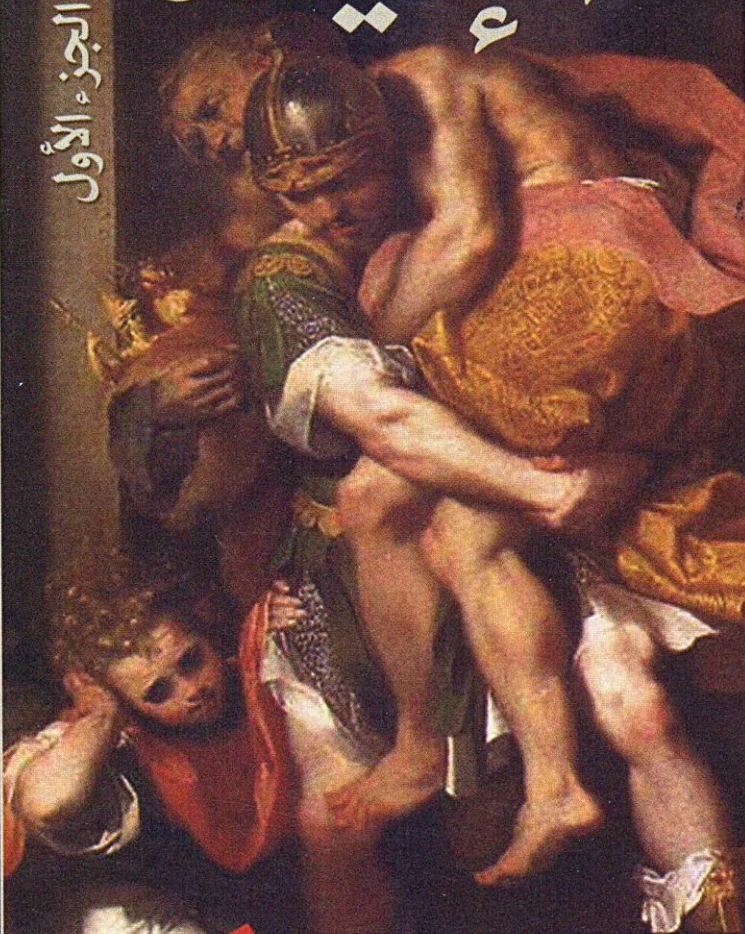


المركز القومي للترجمة

قر جيلوس

الإنبياء

الجزء الأول



ميراث الترجمة

ترجمة: نخبة

مراجعة وتقديم: عبد المعطي شعراوي

1743



المركز القومي للترجمة

الإنبياء

(الجزء الأول)

المركز القومي للترجمة
تأسس في أكتوبر سنة ٢٠٠٦ بإشراف: جابر عصفور

إشراف: فيصل يونس

سلسلة ميراث الترجمة
المشرف على السلسلة: مصطفى لبيب

- العدد: 1743
- الإثيابة (الجزء الأول)
- فرجيليوس
- كمال ممدوح حمدي، وعبد المعطى شعراوى، وفاروق فريد،
ومحمد حمدي إبراهيم، عبد الله المسلمي، وأحمد عثمان
- عبد المعطى شعراوى
- 2011

هذه ترجمة كتاب:
Aeneis
Publius Virgilius Maro

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة.
شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com

Tel: 27354524- 27354526

Fax: 27354554

الإنبياء

(الجزء الأول)

تأليف : فرجيليوس

ترجمة

عبد المعطى شعراوى

كمال ممدوح حمدى

محمد حمدى إبراهيم

فاروق فريد

أحمد عثمان

عبد الله المسلمى

مراجعة وتقديم : عبد المعطى شعراوى



2011

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

فرجيل، يوليوس، فرجيليوس يارو، ٧٠-١٩ ق.م
الإنبيادة (الجزء الأول) فرجيليوس/ ترجمة: كمال ممنوح حمدي،
عبد المعطى الشعراوى، فاروق فريد، محمد حمدي إبراهيم، عبد الله
المسلمي، أحمد عثمان، مراجعة وتقديم: عبد المعطى شعراوى
القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١١
٣٤٨ ص، ٢٤ سم

٢- للقصص اللاتينية

(أ) شعراوى، عبد المعطى	(١- الإنبيادة)
(ب) حمدي، كمال ممنوح	(٢- للقصص اللاتينية)
(ج) فريد، فاروق	(مترجم ومراجع ومقدم)
(د) إبراهيم، محمد حمدي	(مترجم)
(هـ) المسلمي، عبد الله	(مترجم مشترك)
(و) عثمان، أحمد	(مترجم مشترك)
(ز) العنوان	(مترجم مشترك)

٨٧٣

رقم الإيداع ٤٨٨٣ / ٢٠١١

الترقيم الدولى : 978-977-704-474-5

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب
الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى
اجتهادات أصحابها فى ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

مقدمة الطبعة الثانية

فى شهر يوليو من عام ١٩٦٧ عاد كاتب هذه المقدمة من الخارج بعد أن قضى أكثر من ستة أعوام دارسا فى الجامعات اليونانية والبريطانية وحصل فى نهاية المطاف على درجة الدكتوراه فى الفلسفة فى مجال الدراسات اليونانية واللاتينية. حينئذ كان وطننا العزيز يعانى من نتائج أحداث الخامس من يونيو. لكن بعد مرور حوالى عامين بدأت الروح تعود إلى كيان الحياة الثقافية فى مصر. على الفور اجتمع مجموعة من الشبان المتخصصين حديثى التخرج وناقشوا فكرة إصدار سلسلة من الترجمات العربية لأعمال الأدبية اليونانية واللاتينية. وتحت إشراف كاتب هذه المقدمة وبتشجيع منقطع النظر من أساتذة الجيل وكل جيل الأساتذة الدكتوراة سهير القلماوى - التى كانت تشغل فى ذلك الوقت منصب رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب - صدر فى عام ١٩٧١ العدد الأول من سلسلة أكاديمية متخصصة تحمل عنوان "دراسات يونانية ولاتينية". شمل العدد الأول على ترجمة الجزء الأول من ملحمة الإنيادة للشاعر الرومانى فرجيليوس. تنقسم هذه الملحمة إلى إثنى عشر كتابا. اشترك فى ترجمة الكتب الستة الأولى ست شبان متخصصين فى الدراسات اليونانية واللاتينية أحدهم كاتب هذه المقدمة والذى قام أيضا بمراجعة الترجمة كلها وإعدادها للنشر وكتابة دراسة وتقديم للملحمة ككل. لكن سرعان ما تفرق أفراد المجموعة فى الخارج والداخل لمواصلة دراساتهم الأكاديمية، فتوقف إصدار السلسلة لمدة تزيد على خمسة أعوام. ثم صدر العدد الثانى من السلسلة فى عام ١٩٧٧ حيث اشترك ثلاثة مترجمين فقط أحدهم كاتب هذه المقدمة والذى قام أيضا بمراجعة الكتب الستة الباقية. ثم صدر العدد

الثالث من السلسلة فى عام ١٩٧٨ حيث شمل على ترجمة عربية لتراجيديا الفرس للشاعر التراجيدى الإغريقى أيسخولوس. ثم توقف صدور السلسلة بعد ذلك.

وبقدر علم كاتب هذه المقدمة فإن هذه الترجمة هى الترجمة العربية الأولى، كما أنها ما زالت حتى كتابة هذه السطور - بقدر علم كاتب هذه المقدمة أيضا - الترجمة العربية الوحيدة للملحمة. واليوم وبعد مرور أكثر من ثلاثين عاما وبتشجيع أيضا من القائمين على المجلس القومى للترجمة تصدر اليوم الطبعة الثانية لترجمة الإنيادا، مع رجاء من الله عز وجل أن تلقى هذه الطبعة نفس الترحيب الذى لقيته الطبعة الأولى فور صدورها من قبل.

ومنذ صدور الطبعة الأولى فى عام ١٩٧١ (الجزء الأول) و١٩٧٧ (الجزء الثانى) أصدرت دور النشر الأجنبية ترجمات عديدة ودراسات متنوعة للملحمة. ولزيادة الفائدة المرجوة من الطبعة الثانية فقد روى من الضرورى عرض بعض ما جاء فى هذه الدراسات، والإشارة إلى بعض المراجع .

بعد حصار دام عشرة أعوام سقطت مدينة طروادة فى أيدي الإغريق. فرّ آينياس هاربا مع جماعة من زملائه الطرواديين. شقت سفنهم القليلة عباب البحر الأبيض المتوسط متجهة نحو شبه الجزيرة الإيطالية حيث شاعت الأقدار أن ينشئ آينياس لنفسه ولزملائه الفارين وطنا جديدا فى إيطاليا. ما كادت السفن الطروادية تقترب من شواطئ إيطاليا حتى هبت عاصفة هوجاء أطاحت بالسفن وقذفت بها على الساحل الشمالى لقارة أفريقيا حيث توجد مملكة قرطاجة. رحبت ديدو ملكة طروادة ومؤسستها بأينياس. يروى آينياس للملكة ديدو ما عاناه من متاعب وصعوبات أثناء رحلته الطويلة الشاقة. ظل الإغريق يحاصرون طروادة لمدة عشرة أعوام، وأخيرا سقطت المدينة بالخديعة لا بالقتال. خدع الفتى الإغريقى

سينون الطرواديين، إدعى أن الإغريق تركوه وحيدا وفرّوا هاربين إلى بلادهم. أخبرهم كذبا أنهم ننزروا هيكلا خشبيا ضخما فى هيئة حصان إلى الرية مينيرفا كى تساعدهم أثناء عودتهم إلى أوطانهم وتضمن لهم سلامة الوصول. صدق الطرواديون رواية الفتى الكاذب، عملوا بنصيحته. سحبوا الحصان الخشبى إلى داخل أسوار المدينة، أقاموا احتفالا رائعا، استمروا يشربون نخب انتصارهم ويرقصون حول الحصان الخشبى. أدركهم التعب راحوا فى سبات عميق. خرج رجال مسلّحون من داخل بطن الحصان الخشبى، فتحوا بوابات المدينة. على الفور عاد الإغريق المختبئون فى الغابات المجاورة. اقتحموا البوابات. سقطت طروادة. أحرق الإغريق المدينة. فرّ آينياس هاربا ومعه والده أنخيسيس وولده أسكانيوس وتماثيل آلهة الأجداد. حاول آينياس مرتين أن يؤسس وطنا جديدا لكنه فشل فى المرتين. قابلته صعوبات جمّة وأهوال عديدة. فقد والده. وأخيرا وصل إلى مملكة قرطاجة.

استمعت الملكة ديدو إلى رواية آينياس. أسفقت عليه. رحبت به فى مملكتها. أعادت روايته إلى ذاكرتها ذكريات ماضيها الحزين حيث قتل أخوها زوجها الملك واستولى على عرشه. وفرت الأرملة ديدو هاربة وأسست لنفسها فيما بعد وطنا جديدا. تحوّلت شفقة ديدو نحو آينياس إلى حب جارف. قضى معها فترة من الزمن. لكن فجأة نكرته الآلهة بقدره المحتوم الذى من أجله فرّ من طروادة. قرر الرحيل. حزنت ديدو لفراقه حزنا شديدا. انتحرت بسيف آينياس الذى تركه قبل الرحيل. أطاحت العواصف بالسفن الطروادية إلى جزيرة صقلية، هناك أقام الطرواديون مهرجانا رياضيا تكريما لروح والد آينياس. ثم يستولى اليأس لفترة ما على رفاق آينياس. لكن يظهر أنخيسيس لولده أثناء نومه، ينصحه بمواصله السير نحو إيطاليا. ثم يهبط آينياس إلى العالم السفلى تحت قيادة حورية كوماى. هناك

يشاهد عرضا - لأبطال روما فى الماضى وما سوف يحدث فى المستقبل من أحداث مشرقة - يدفعه إلى مواصلة السير نحو إقليم لاتيوم.

فى لاتيوم يرحب ملكها لاتينوس بأينياس. يرى فيه زوجا مناسباً لابنته لافينيا. لكن زوجته أماتا كانت ترغب فى تزويج ابنتهما إلى أحد الجيران الإيطاليين وهو تورنوس ملك الروتوليين. لذلك تشعل أماتا وتورنوس نار الفتنة والعداوة بين أهل لاتيوم والطرواديين. عندئذ تقوم حرب شعواء بين تورنوس وأينياس. لذلك يتجه أينياس نحو شمال نهر التيبر ليجت من معونات عسكرية من القبائل المجاورة. أثناء رحلته تمذه والدته الربة فينوس بحلة عسكرية جديدة. يعود أينياس فيجد زملاءه الطرواديين عرضة لهجوم عسكرى شنه الملك تورنوس. تشتد وطأة الصراع العسكرى بين تورنوس وأينياس. وأخيرا يتوصل الجانبان المتقاتلان إلى عقد هدنة مؤقتة لإتاحة الفرصة للجانبين للقيام بدفن قتلى المعركة. ثم يتفق الطرفان على أن يتقابل تورنوس وأينياس فى نزال فردى. لكن ما أن يبدأ النزال بينهما حتى يهبط رفاق كل منهما فى مواصلة القتال. وتقوم معركة فاصلة بين الفريقين يكاد أينياس أثناءها أن يلقى حتفه لولا دفاع والدته فينوس عنه. يشتد فى النهاية عزم أينياس ويصرع تورنوس. وينجح أينياس فى إتمام المهمة التى فرضت الآلهة عليه أن يقوم بها.

كان ذلك عرضا موجزا لأهم أحداث ملحمة الإنيادة. أما الفكرة الرئيسية فى الملحمة فهى الصراع. يظهر الصراع الرئيسى فى شخصية أينياس الذى يتحرك طبقا لمشينة كبير الآلهة جوبيتر وولده الإله أبوللون وابنته الربة فينوس. فى هذا الصراع يرمز أينياس إلى التقوى pietas فى مقابل تورنوس الذى يسلك طبقا لمشينة الربة جونو والذى يرمز إلى الجنون المطلق furor. كما يرمز أيضا الملكة ديدو إلى الجنون المطلق، وذلك بالرغم من أن جنونها يقف فى صراع مع

تقوى آينياس. فى الملحمة صراعات أخرى متعددة: صراع المشيئة الإلهية ضد السلوك البشرى، صراع الرجل ضد المرأة، صراع روما ضد قرطاجة. كما أن شخصية آينياس فى النصف الأول من الإنيادة تشبه شخصية أوديسيوس فى 'وديسية هوميروس، بينما فى النصف الثانى من الملحمة تشبه شخصيته شخصية أخيليلوس فى إلياذة هوميروس. إن التقوى pietas تمثل ركنا أساسيا فى شخصية المواطن الرومانى. إنها تعنى واجبات متعددة: طاعة الآلهة، حب الوطن، الإخلاص نحو الأصدقاء، الارتباط العائلى وخاصة نحو الوالد. لذا من الملاحظ أن الملحمة تؤكد ضرورة وجود العلاقة الودية بين الآباء والأبناء: بين آينياس ووالده أنخيسيس، بين أسكانيوس ووالده آينياس، بين إفاندر وولده باللاس. قد يكون المقصود من وراء ذلك رسم قدوة يحتذى بها الشباب الرومانى. إن فرجيليوس يؤكد فى ملحمة أن مشيئة الآلهة تتحقق من خلال إنجازات أفراد البشر. ولعله يشير بطريقة غير مباشرة - وإن كانت واضحة المعانى - إلى أن آينياس هو الإمبراطور أوغسطس. فلقد أسس آينياس روما فى الماضى وبقود أوغسطس روما فى عصر فرجيليوس.

ملحمة الإنيادة غنية بشخصياتها المتعددة والمتنوعة. يمكن تقسيم هذه الشخصيات إلى ثلاث مجموعات: شخصيات مقدسة، وشخصيات بشرية، وشخصيات هوميرية (أى وردت فى ملحمتى الإلياذة والأديسة لهوميروس).
من الشخصيات المقدسة :

جونو: زوجة كبير الآلهة جوبيتر وشقيقته، وملكة الآلهة جميعا، وابنة الإله ساتورنوس. تعرف بين الإغريق باسم هيرا. تكره جونو الطروديين لأن الأمير الطروادى باريس حجب عنها الجائزة أثناء المنافسة بين الربات الثلاث:

جونو وفينوس ومينيرفا. هى راعية مدينة قرطاجة وتعلم مقدما أن الرومان من سلالة آينياس قد قتر لهم أن يدمروا قرطاجة. تشعر بالغضب الشديد نحو آينياس الطروادى أثناء كل أحداث الملحمة. يجعلها غضبها الشديد كما لو كانت العدو الإلهى الأوحى لآينياس.

فينوس: ربة الحب والجمال، والدة البطل آينياس. تعرف بين الإغريق باسم أفروديتى. تقف دائما فى جانب الطرواديين. تخف لمساعدة ولدها آينياس عندما تشعر بأن جونو تتوى أن تؤذيه. تثير الفتنة والصراع بين الآلهة. يطلق عليها لقب الكثيرية نسبة إلى جزيرة كيثيريا مسقط رأسها ومقام معبدها الشهير.

جوبيتر: كبير الآلهة، زوج الربة جونو، والد الربة فينوس، ابن الإله ساتورنوس. يعرف باسم زيوس بين الإغريق. يفرض جوبيتر مشيئته ويحقق إرادته مهما اختلفت رغبات كل الآلهة ومهما حاول كل منهم أن يفرض إرادته على الآخر. فرغبة جوبيتر هى القدر بعينه. هو الذى يوجه أقدار آينياس، مؤكدا أن آينياس لن تستطيع أية قوة - مهما علا قدرها - أن تمنعه من مواصلة السير فى طريقه نحو إيطاليا. تتصف سلوكيات كبير الآلهة جوبيتر بالاتزان والحصافة إذا ما قورنت بالسلوكيات الطائشة لكل من جونو وفينوس.

نبتونوس: إله البحار، يقف دائما فى جانب فينوس وولدها آينياس. يعرف باسم بوسيدون بين الإغريق. يهدئ أمواج البحار الهادرة، ويخضع العواصف الهوجاء، ويقود آينياس أثناء رحلته حتى يصل إلى غايته سالما غانما.

مركوريوس: رسول الآلهة، يرسله الآلهة الأخرى أحيانا ليحمل رسائلهم الشفهية إلى لآينياس. يعرف باسم هرميس بين الإغريق.

أيولوس: إله الرياح. يساعد الربة جونو فى معاكسة الطرواديين حيث يثير العواصف العاتية، ويخلق طقسا سيئا بعرقل مساعدتهم.

كيوبيدوس: ابن الربة فينوس، هو إله الحب. يعرف باسم إروس بين الإغريق. يتكرر في هيئة الفتى أسكانيوس ابن البطل آينياس، ويحاول أن يوقع الملكة ديدو في حب آينياس، وينجح كعادته في ذلك.

ألكتو: إحدى ربات الغضب اللاتي ينتقمن ممن يرتكبون الآثام. ترسلهن الربة جونو لإثارة غضب شعب مملكة لاتيوم وشن الحرب ضد الطرواديين.

فولكاتوس: إله النار والحدادة، زوج الربة فينوس. يعرف باسم هيفايستوس بين الإغريق. تطلب منه الربة فينوس أن يصنع لولدها آينياس حلة عسكرية فاخرة، حيث يكون لها أثر بالغ الأهمية أثناء معركته ضد تورنوس.

تيبيرينوس: إله النهر، يرتبط دائما بنهر التيبر الذي سوف تقام على ضفافه مدينة روما فيما بعد. بناء على نصائح تيبيرينوس يتجه آينياس نحو شمال النهر ليعقد حلفا مع الأركاديين.

ساتورنوس: والد الآلهة. يعرف باسم كرونوس بين الإغريق. ظل يحكم مملكة الأولومبوس حتى تغلب عليه ولده جوبيتر وعزله وحل محله.

مينيرفا: ربة الحكمة، ابنة كبير الآلهة جوبيتر. تقف في جانب الإغريق أثناء حروبهم ضد الطرواديين. تعرف باسم باللاس أثينة بين الإغريق. مثلها مثل الربة جونو تقف مينيرفا ضد الطرواديين بسبب عدم منح الأمير الطروادي باريس الجائزة لها ومنح إياها إلى الربة فينوس أثناء المنافسة بين الربات الثلاث.

أبوللون: إله الشمس، ابن كبير الآلهة جوبيتر. مسقط رأسه جزيرة ديلوس حيث يقدم المعونة إلى الطرواديين أثناء رحلتهم البحرية ورسو سفنهم بالقرب من شواطئها. يارع في استخدام القوس والسهم، لذلك فإن شخصيات كثيرة في الملحمة يتوجهون إليه بالدعاء قبل أن يقذفوا بسهامهم أثناء القتال.

من الشخصيات البشرية :

آينياس: بطل ملحمة الإنيادة. أحد الطرواديين القليلين الذين ظلوا على قيد الحياة بعد تدمير مدينة طروادة على أيدي الغزاة الإغريق. أشهر صفاته الشخصية الورع واحترام رغبات الآلهة. محارب مغوار، وقائد قادر على إثارة همم رجاله في مواجهة كل أنواع الصعاب. رجل قادر على تحمل كل أنواع الهموم والآلام. قدره المحتوم هو " زرع جذور" الجنس الروماني في التربة الإيطالية، لذلك فإنه يوجه كل اهتماماته لتحقيق هذه المهمة المقدسة. تدور أحداث الملحمة حول رحلته من طروادة إلى إيطاليا، تلك الرحلة الطويلة الشاقة التي تتحقق في نهايتها مشيئة القدر الإلهي.

ديدو: ملكة مدينة قرطاجة الواقعة على الشاطئ الشمالي لقارة أفريقيا، والتي تعرف الآن بالجمهورية التونسية. كانت ديدو ملكة وزوجة لملك مدينة صور الذي قتله أخوها بيجمالين. عندئذ هجرت وطنها مدينة صور واستقرت في قرطاجة حيث أصبحت ملكة قوية تحكم مدينة فائقة القوة. عندما وصل آينياس إلى قرطاجة وقعت ديدو في حبه. أصبحت ضحية بائسة للصراع الدائم بين الآلهة حول مستقبل آينياس. كان حبها الزائد لآينياس سببا رئيسيا في هلاكها. طعنت نفسها بسيف حبيبها الذي تركه خلفه، ولقيت حتفها.

تورنوس: حاكم مملكة الروتوليين في إيطاليا. المنافس الأكبر بين الشخصيات البشرية للبطل آينياس. أكبر الطامعين في حب لافينيا ابنة الملك لاتينوس حتى وصول آينياس، عندئذ تنشأ منافسة بينه وبين آينياس تدفعه إلى إعلان الحرب على الطرواديين. ذلك بالرغم من أن الملك لاتينوس كان راغبا في السماح للطرواديين بالاستقرار في منطقة لاتيوم، وأن تورنوس كان مدركا تمام الإدراك أنه لن يستطيع أن يتحدى القدر. كان تورنوس جنديا قويا متهورا مندفعًا، لكنه كان يفضل كرامته على حياته.

أسكانيوس: ابن البطل آينياس من زوجته الأولى كريوسا. يلقب أحيانا باسم يولوس. تكمن أهمية شخصيته فى أنها ترمز إلى قدر آينياس المحتوم، وهو "زرع جنور" الجنس الرومانى فى التربة الإيطالية. بالرغم من أنه صبى صغير إلا أنه يبدى شجاعة فائقة ونزعة قيادية خلال أحداث الملحمة. فهو يقود موكبا من الصبية فوق ظهور الخيل أثناء الألعاب الرياضية، ويشارك فى الدفاع عن المعسكر الطروادى أثناء غياب والده آينياس ضد هجوم الملك تورنوس.

أنخيسيس: والد البطل آينياس، ترمز شخصيته إلى الإرث الطروادى الذى ورثه آينياس. يموت أنخيسيس أثناء رحلة آينياس من طروادة إلى إيطاليا. وبالرغم من ذلك فإن روحه تظل تَمَدَّ آينياس بالعزم والمثابرة من أجل تحقيق الغرض المقدس من الرحلة. يبدو ذلك واضحا فى أماكن كثيرة من الملحمة وخاصة عندما تقود روحه آينياس فى عالم الموتى وتكشف له عما تخفيه الأقدار لأحفاده وأبناء جلدته.

كريوسا: زوجة آينياس الطروادية ووالدة أسكانيوس. تلقى حتفها أثناء محاولة أسرتها الفرار من طروادة بعد تدميرها، ولكنها تتنبأ لآينياس بأنه سوف يعثر على زوجة جديدة فى وطن جديد.

سينون: شاب إغريقى بارع فى الكذب والتضليل. يدعى أن الإغريق تركوه وحيدا وعادوا إلى بلادهم فرارا من مواصلة القتال ضد طروادة. يحث الطرواديين على سحب الحصان الخشبى إلى داخل أسوار مدينتهم. يقنعهم ببراعة نادرة بصدق روايته. عندئذ يخرج الإغريق المسلحون من بطن الحصان الخشبى، ويفتحون بوابات المدينة على مصاريعها أمام القوات الإغريقية المختبئة فى الغابات خارج أسوار المدينة.

لاتينوس: ملك اللاتين، وهم أفراد الشعب الذى يسكن الآن فى وسط شبه الجزيرة الإيطالية حول نهر التيبر. يستقبل لاتينوس آينياس فى مملكته ويشجعه

على أن يخطب وّد ابنته لافينيا. يتسبب ذلك فى إشعال ثورة غضب عاتية ثم قيام حروب طاحنة ضد أفراد شعبه. يحترم لاتينوس الآلهة والأقدار، ولكنه لا يسيطر سيطرة كاملة على أفراد شعبه.

لافينيا: ابنة الملك لاتينوس. ترمز شخصيتها إلى منطقة لاتيوم بوجه عام. لا تتطور شخصيتها ولا تتغير مشاعرها خلال أحداث الملحمة، لكنها دائما موضوع الصراع بين اللاتين والطرواديين. مَنْ الذى سوف يتزوج لافينيا؟ تورنوس أم آينياس؟ إن هذا السؤال هو الذى يمهّد الطريق نحو مستقبل العلاقات بين اللاتين والطرواديين، وبالتالي فهو الذى يحدد الفكرة التاريخية الرئيسية فى ملحمة الإنيادة.

أماتا: ملكة لاورنتم، وهو إقليم فى منطقة لاتيوم الواقعة فى وسط شبه الجزيرة الإيطالية. زوجة الملك لاتينوس. تعارض أماتا فى زواج ابنتها لافينيا من آينياس، وتظل مؤيدة على الدوام لتورنوس العاشق الأول لابنتها لافينيا. فى النهاية تتحرر لافينيا بعدما تتأكد من فوز آينياس فى منافسته لتورنوس من أجل الزواج من لافينيا.

إفاندر: ملك بالانتيوم، وهو إقليم فى منطقة أركاديا الواقعة فى شبه الجزيرة الإيطالية. هو العدو اللدود للشعب اللاتينى، لذلك يصادقه آينياس، ويضمن إفاندر المساعدة لآينياس فى صراعه العسكرى ضد تورنوس.

باللاس: ابن الملك إفاندر ملك بالانتيوم. يسلمه والده إلى آينياس ليهتم به ويدربه على القتال. يلقى باللاس حتفه على يد تورنوس أثناء إحدى المعارك العسكرية. يسبب موته حزنا شديدا لكل من آينياس وإفاندر. ينتقم آينياس لموته بأن يقتل تورنوس دون أن يصغى إلى توسلاته.

دراشيس: قائد لاتينى يرغب فى إنهاء الصراع بين اللاتين والطرواديين.
أثناء أحد الاجتماعات التى يعقدها الشعب اللاتينى يطالب دراشيس تورنوس بأن
يكشف عن حقيقة مشاعره نحو آينياس، لكن ذلك يغضب تورنوس غضبا شديدا.

كاميللا: قائدة الفولسكيات وهن مجموعة من العذارى المحاربات. ربما
تكون كاميللا الشخصية النسائية الوحيدة بين الشخصيات البشرية فى الملحمة التى
تتصف بالقوة والشجاعة.

يوتورنا: شقيقة تورنوس. تدفعها الربة جونو كي تنقمص شخصية قائد
عسكرى، وتحرّض اللاتين على القتال بعد أن كانوا قد وقّعوا هدنة بين الأطراف
المتحاربة.

من الشخصيات الهوميرية:

يوليسيس: بطل ملحمة الأوديسية لهوميروس، وأحد القادة الإغريق الذين
حاصروا طروادة، وصاحب فكرة الحصان الخشبى. يعرف باسم أودوسىوس بين
الإغريق. فُرض عليه - كما فُرض على آينياس بعده - الترحال ومقابلة متاعب
وصعاب لا حصر لها قبل عودته إلى وطنه. تساعد الإشارات المتعددة فى الملحمة
إلى جولاته ورحلاته على إيجاد علاقة وطيدة بينه وبين آينياس فى ذهن قارئ
الإنيادة.

أخيليس: أعظم المحاربين الإغريق. صرع البطل الطروادى هيكتور
أثناء القتال. هو البطل التراجيدى فى إلياذة هوميروس. يعرف باسم أخيلليوس بين
الإغريق.

هيكتور: أعظم المحاربين الطرواديين. ابن الملك الطروادى الشيخ
برياموس. لقى حتفه فى ميدان القتال دفاعا عن وطنه. ربما يقف هيكتور فى

الإلياذة معادلا موضوعيا لتورنوس فى الإنيادة والذى يلقى حتفه أيضا فى ميدان القتال دفاعا عن وطنه .

أندروماخى: زوجة القائد الطروادى هيكتور. تظل على قيد الحياة بعد سقوط طروادة. تقابل أندروماخى البطل آينياس أثناء نجواله، وتروى عليه مأساتها، وتتصح به بالذهاب إلى إيطاليا.

باريس: أمير طروادى، ابن ملك طروادة برياموس من زوجته هيكابى. هو شقيق البطل الطروادى هيكتور. أكثر الشباب الطروادى رشاقة ووسامة، طلب منه أن يحكم بين الربات الثلاث جونو وفينوس ومينيرفا، وأن يقرر من منهن أكثر جمالا ورقة وجاذبية. وعدته الربة فينوس أن تمنحه أجمل نساء العالم زوجة له. حكم لصالحها. تتسبب حكمه فى غضب الربة جونو من الطرواديين إلى الأبد. خطف باريس أجمل نساء العالم - هيلينى زوجة الملك الإغريقى منيلاوس - حملها معه إلى وطنه طروادة. تزوجها هناك. تسبب ذلك فى إشعال نيران حرب شعواء بين الإغريق والطرواديين.

هيلينى: أجمل امرأة فى العالم، وزوجة الملك الإغريقى منيلاوس. كان اختطافها سببا فى قيام الحروب الطروادية.

منيلاوس: أحد الملوك الإغريق. تزوج هيلينى. أخذ والدها عهدا على بقية الملوك الإغريق - الذين كانوا يرغبون فى الزواج منها - أن يببوا لنجدتها إن أصابها مكروه. عندما اختطفها باريس أوفى الملوك الإغريق بعهدهم وقامت الحروب الطروادية.

أجاممنون: ملك أرجوس، إحدى المدن الإغريقية، والقائد الأعلى للقوات الإغريقية أثناء حصار طروادة. قرر عودته إلى وطنه ظافرا بعد سقوط طروادة

استقبلته زوجته كلوتمسترا بموجة مزيفة من الترحاب، وقتلته بمساعدة عشيقها أيجيسثوس.

برياموس: ملك طروادة أثناء حصار القوات الإغريقية للمدينة. أثناء اقتحام المدينة لقي حتفه أمام عيني ولده آينياس.

بيروس: ابن القائد الإغريقي أخيلليوس. يعرف أيضا باسم نيوبتوليموس. يروى آينياس أن بيروس هو الذى قتل بوحشية والد آينياس برياموس وأبنائه (أشقاء آينياس) أثناء اقتحام طروادة.

فيما يلي قائمة ببعض الدراسات الأجنبية التي ظهرت بعد صدور الطبعة الأولى.

Adler (Eve) , *Virgil's Empire* , Rowman & Littlefield 2003 .

Cairns (Francis) , *Virgil's Augustan Epic* ,New York , Cambridge University Press 1989 .

Camps (W.A.) , *An Introduction to Virgil's Aeneid* , New York , Oxford University Press 1968 .

Commager (Steele) , *A Collection Of Critical Essays* , Englewood Cliffs , New Jersey 1966 .

Conte (Gian Biagio) ,*The Poetry Of Pathos: Studies In Virgilian Epic* ,Oxford 2007 .

Fratantuono (Lee) , *Madness Unchained: A Reading Of Virgil's Aeneid* , Lexington Books 2007 .

Gransden (Karl) ,*Virgil's Iliad* ,Cambridge 1984 .

Heinze (Richard) , *Virgil's Epic Technique* , University of California Press , Berkeley 1993 .

Jenkyns (Richard) , *Virgil's Experience* , Oxford 1998 .

Johnson (W.R.) , *Darkness Visible: A Study Of Virgil's Aeneid* , University Of California Press , Berkeley 1979 .

• Knox (Bernard), *Introduction , The Aeneid* , Robert Fagies (trans.), New York , Penguin 2006 .

McCrorie (Edward) . *Virgil , The Aeneid* , Filiquarian Publishing LLC 2007 .

Otis (Brooks) ,*Virgil: A Study in Civilized Poetry* , Oxford 1964 .

Putnam (Michael) , *Virgil's Aeneid: Interpretation And Influence* , University of North Carolina Press 1995 .

Quinn (Kenneh) , *Virgil's Aeneid: A Critical Description* , London Routledge & Kegan Paul 1968 .

Reed (Joseph) , *Virgil's Gaze* , Princeton 2007 .

Ross (David) , *Virgil's Aeneid: A Reader's Guide* , Blackwell 2007 .

Sisson (Charles Hubert) , *Virgil , Aeneid* ,Carcanet and Mid Northumberland Arts Group 1986 .

Slavitt (David) , *Virgil* , New Haven , Yale University Press 1991.

Virgil , *Aeneid Books 7-12 ,Appendix Vergiliana* ,edited by Fairclough H.R. and Goold G.P. , Loeb Classical Library ,Cambridge Mass, Harvard University Press 2001 .

Virgil , *Eclogues , Georgic , Aeneid 1-6* ,edited by Fairclough H.R. and Goold G.P. , Loeb Classical Library ,Cambridge Mass ,

Harvard University press 2001 .

Virgil , *The Aeneid* , translated by Frederick (A. W.) , Oxford
University Press 2000 .

والله ولي التوفيق
دكتور عبد المعطى شعراوى
القاهرة مايو ٢٠١٠

« أي فرجيليوس ؛ أنت قائدي ،
أنت سيدي ، أنت مولاي »

« دانتي ، الكوميديا الإلهية »
« الجحيم » ، ك ٢ ، ص ١٤٠ »

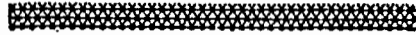
TU DUCA, TU SEGNORE. E TU MAESTRO

(Dante, Inf. II, 140)

المحتويات

الموضوع	صفحة
مقدمة	١١
فرجيليوس وعصره	١١
العصر الأوغسطي	١٤
حياة فرجيليوس	١٩
أعمال فرجيليوس	٣٤
الرعويات	٣٤
الفرجيليانا	٣٨
الزراعات	٤٢
الأييدة	٤٦
مكانة فرجيليوس أثناء العصور القديمة والحديثة	٥٧
مكانة الأييدة بين الملاحم القديمة والحديثة	٦٣
الكتاب الأول	٨١
الكتاب الثاني	١١٩
الكتاب الثالث	١٦٥
الكتاب الرابع	٢٠١
الكتاب الخامس	٢٣٥
الكتاب السادس	٢٧٧

اشترك في ترجمة هذا المجلد



- الكتاب الأول : كمال ممدوح حملى
- » الثانى : الدكتور عبد المعطى شعراوى
- » الثالث : فاروق فريد سعيد
- » الرابع : محمد حملى ابراهيم
- » الخامس : الدكتور عبد الله المسلمى
- » السادس : أحمد عثمان

مقدمة

فرجيلوس وعصره :

نقرأ في سجلات التاريخ بعض العبارات مثل : عصر هارون الرشيد ؛ العصر الاليزابيثي ، عصر لويس الرابع عشر ، عصر نابليون ، العصر الفيكتوري . فالحاكم قد يفرض اسمه على العصر الذي عاش فيه ، وإن كان هذا في أغلب الأحيان لا يعنى بالضرورة أنه استطاع أن يفرض آراءه ومعتقداته . لكننا غالباً ما نلاحظ أن مفكراً أو كاتباً أو فنانياً يفرض اسمه وشخصيته وآراءه على العصر الذي يعيش فيه ، فيؤثر فيه ويتأثر به ، ويعكس حاضره ويشكل مستقبله . فإننا مازلنا نطالع في سجلات التاريخ عبارات مثل عصر أفلاطون (٤٢٩ - ٣٤٧ ق . م .) في تاريخ الاغريق ، عصر شيشرون (١٠٦ - ٤٣ ق . م .) في تاريخ الرومان ، عصر توماس الأكوينى Thomas Aquinas (١٢٢٥ - ١٢٧٤ م) ، عصر دانتي Alighieri Dante (١٢٦٥ - ١٣٢١ م) ، عصر بترارك Francesco Petrarca (١٣٠٤ - ١٣٧٤ م) في تاريخ إيطاليا أثناء العصور الوسطى ، عصر زافايل Raffaello Sanzio (١٤٨٣ - ١٥٢٠ م) ، وميشيل أنجلو Michelangelo Buonarroti (١٤٧٥ - ١٥٦٤ م) في تاريخ إيطاليا أثناء عصر النهضة المتأخرة ؛ عصر شكسبير William Shakespeare (١٥٦٤ - ١٦١٦ م) ، عصر ميلتون John Milton (١٦٠٨ - ١٦٧٤ م) ، عصر نيوتون Sir Isaac Newton (١٦٤٢ - ١٧٢٧ م) ، وعصر داروين Charles Robert Darwin (١٨٠٩ - ١٨٨٢ م) في تاريخ إنجلترا . بل هناك من يفضل مثلاً تسمية

العصر الاليزابيثى بعصر شكسبير والعصر الفيكتورى بعصر تينسون Tennyson
(١٨٠٧ - ١٨٩٨ م) .

هكذا تتوالى العصور فى تاريخ كل أمة ، كل منها يختلف عن الآخر
فى مدى أهميته وازدهاره ، وفى مدى تأثيره بالعصور السابقة وتأثيره
فى القرون اللاحقة . والتاريخ الرومانى ، الذى يمتد فترة تبلغ ستة قرون
أو سبعة ، يحتوى على بضعة عصور ذات أهمية بالغة . لكن أهم تلك العصور
وأجدها هو ذلك العصر الذى شهد تفويض أركان الحكم الجمهورى ووضع
أساس الحكم الامبراطورى الرومانى . فى ذلك العصر وضعت النظم السياسية
والمدينة التى ظل العالم الأوروبى يتبعها لفترة تربو على الألف عام ، كما اعتمدت
عليها التطورات التى حدثت بعد نهاية تلك الفترة اعتماداً كبيراً . وفى ذلك العصر
واجه الإنسان لأول مرة فى تاريخ البشرية مشكلة الامبراطورية الشاسعة
القائمة على سيادة القانون وكفالة الحريات وتوطيد دعائم السلام ، وأوجد لها
حلاً مؤقتاً . وفى ذلك العصر أيضاً بلغت عبقرية الخنفس اللاتينى الذروة
مُمثلة فى أعمال أعظم المؤرخين والخطباء والشعراء الرومان ، واتخذت
اللغة اللاتينية أشكالاً جديدة أصبحت منذ ذلك الوقت حتى اليوم إراثاً عاماً
للجنس البشرى وأنموذجاً أدبياً يُحتذى .

وعلى الرغم من صعوبة تحديد بداية ذلك العصر ونهايته ، فإنه من الممكن
القول بشئ من اليقين انه امتد إلى فترة تراوح بين خمسين وستين عاماً
أثناء القرن الأول قبل ميلاد المسيح ، وهى الفترة التى عاش فيها الشاعر
فرجيليوس على وجه التقريب . ولكى نفهم فرجيليوس ونندوق أعماله
لا يكفى أن نعرف تمام المعرفة أنه كان فناً عظيماً فقط ، بل من الضرورى
أيضاً أن نكون على دراية حقيقية بالعلاقة التى قامت بينه وبين عصره ،
ذلك العصر الذى يمثل فى الحقيقة نقطة من نقط التحول الهامة فى تاريخ
البشرية جمعاء . فلم يكن فرجيليوس رائداً لمجموعة من الأدباء البارزين

الذين بلغت اللغة اللاتينية على أيديهم ذروة مراحل ازدهارها فحسب ، بل كان أيضاً يجمع في أعماق ذاته - بصورة فريدة وإلى حد منقطع النظير - بين كل من العناصر الذاتية والعناصر الثقافية التي تكونت منها الحضارة اللاتينية . كان فرجيليوس أعظم من قاموا بتوضيح أهداف عصره والتعبير عن مثله العليا في سبيل تحقيق الرقي والسيادة للجنس البشري . كان - مثله في ذلك مثل أفراد قليابين جداً - يتأمل عالم الماضي وعالم المستقبل في آن واحد ، وأثناء وقفته بين هذين العالمين فإنه قد عبرَ تعبيراً صادقاً عن ماضى أمته وأبناء جنسه ، بل شارك في خلق مستقبلهم . ففضله أصبحت إيطاليا Italia وروما Roma لهما هبة وجلال ، وعلى يديه صار اسم فرجيليوس Vergilius مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بهما .

كان فرجيليوس منذ البداية مبشراً بقدوم الامبراطورية الرومانية . ثم أصبح فيما بعد - بشهادة الجميع (١) - رسولاً ونبياً للمدينة روما - الأم الروحية - التي بها تتحقق المشيئة الإلهية وبها يبدو النظام الإلهي واضحاً أمام العالم . فهو الذي رسم حدود الخيال للجنس الروماني وللشعوب الخاضعة له أو المتحالفة معه ، ووضع أصول الفكر التي التزم بها الشعب الروماني فيما بعد . ولم يكذ ينتهى من أداء رسالته حتى كان الوقت قد حان لظهور السيد المسيح ، ولم يكن توطيد أسس السلام في ظل امبراطورية عالمية إلا تمهيداً لظهور « أمير السلام » . لقد قام مؤرخو العصر الأوغسطيني وشعراؤه - وعلى رأسهم فرجيليوس - بتسجيل ذلك كله وتمجيده . وإن شهرة فرجيليوس الواسعة وتأثيره القوي ومجهوراته الرائعة قد جعلت منه شخصية عملاقة حجبت خلفها كثيراً من الشخصيات المعاصرة له ، وأظهرت البقية القليلة منها أقزماً من حوله ، حتى إنه من الممكن تسمية العصر الأوغسطيني

(١) راجع ص ٥٧ وما بعده .

بالعصر الفرجيلي (١) . لذلك كان من الضروري التعرض للعصر الذي عاش فيه فرجيليوس حتى نستطيع أن نفهم عملاً ما من أعماله الخالدة .

العصر الأوغسطي :

لم تكن الامبراطورية الرومانية في الأصل سوى مدينة صغيرة ذات حكومة مستقلة ، معظم سكانها من المزارعين والتجار الذين يسكنون منطقة لا تتعدى مساحتها بضعة أميال مربعة ، واقعة في المنطقة القريبة من نهر الـ Tiberis . ولقد أبدى سكانها منذ اللحظات الأولى لإنشاء مدينتهم شجاعة مذهلة واستعداداً رائعاً نحو القتال ، وعبقورية فذة في النظم المدنية والاقتصادية . ولم يحل القرن الثالث قبل الميلاد حتى كانت هذه « المدينة - الدولة » قد احتلت مكاناً بارزاً بين الشعوب الفاطنة في وسط شبه الجزيرة الإيطالية . وبتهور سلطان الحلف الأتروسكي ، الذي كان يحتل مكانة كبيرة بين شعوب المناطق المجاورة ، أصبحت لروما علاقة مباشرة بالشعوب الكلتية التي كانت تحتل حينئذ وادي نهر البو Po وسهل اللومباردو Lombardo . كما نشأت أيضاً علاقات بينها وبين الإغريق والدويلات نصف الإغريقية التي كانت تسكن الجزء الجنوبي من شبه جزيرة إيطاليا وجزيرة صقلية (٢) . وتطورت هذه العلاقات السياسية والتجارية بين روما وجيرانها من الشعوب المختلفة ، فقد كانت جزيرة صقلية تمثل مركزاً استراتيجياً بالنسبة للمنطقة الغربية من البحر المتوسط التي كانت حينئذ واقعة تحت سيطرة كل من الإغريق والقرطاجيين . وكان الاستيلاء عليها ضرورياً بالنسبة لأية حكومة ترغب في توسيع نطاق

(١) راجع J.W. Mackail, Virgil and his Meaning to the World of To-day, Harrap Ltd., (London 1935), pp. 11-14 الذي اعتمدنا عليه في كتابة الصفحات التالية اعتماداً ملحوظاً .

(٢) كان الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة وجزيرة صقلية المواجهة له يسمى Magna Graecia أي بلاد الإغريق الكبرى . إذ أن سكانها كانوا إغريقين الأصل ثم انقطعت صلتهم بعد ذلك بوطهم الأم . من هنا أطلق عليهم أحياناً اسم «الدويلات النصف الإغريقية» .

سلطتها على هذه المناطق البحرية ، أو فرض نفوذها على المناطق المجاورة
مثل إيطاليا أو جنوب بلاد الغال أو إسبانيا أو شمال أفريقيا (١) .

اشتد التنافس بين روما وقرطاجة من أجل السيطرة على تلك المنطقة
الاستراتيجية ، ولأهميتها السياسية والاقتصادية أيضاً . وامتدت فترة الصراع
العسكري بينهما أكثر من مائة عام ، ولم تنتهِ إلا بتدمير قرطاجة تدميراً
شاملاً بواسطة الجيوش الرومانية في عام ١٤٦ ق م . وخضوعها للحكومة
الرومانية . ويعرف ذلك الصراع العسكري الذي قام بين روما وقرطاجة
بالحروب البونية ، وينقسم إلى ثلاث مراحل . الحرب البونية الأولى (٢٦٤ -
٢٤١ ق م .) وهي حرب إنهاك للطرفين لم تسفر عن نصر حاسم لأي منهما .
الحرب البونية الثانية (٢١٨ - ٢٠١ ق م .) وهي حرب ضروس انتهت
بزوال سيادة قرطاجة على المناطق المجاورة ، وانتقال هذه السيادة إلى
روما مع احتفاظ قرطاجة باستقلال ذاتي لا تُحسد عليه . والحرب
البونية الثالثة (١٤٩ - ١٤٦ ق م .) وهي حرب وقائية من جانب روما
التي كانت قد أصبحت سيدة العالم القديم لكنها كانت تخشى نهضة قرطاجة
من كبوتها ، فانتهزت الفرصة للقضاء عليها قضاءً مبرماً وجعلت أرضها
جزءاً من الإقليم الإفريقي الخاضع للحكومة الرومانية . وأهم مرحلة من هذه
المراحل الثلاث وأخطرها بالنسبة إلى روما هي المرحلة الثانية . هي المرحلة
التي شهدت قتالاً مبريراً استمر سبعة عشر عاماً وصلت روما أثناءها إلى حافة
الهاوية بسبب البراعة العسكرية ، والحرارة المتناهية التي اتصف بها القائد
القرطاجي هانيبال Hannibal . فلقد تركت هذه الحرب آثاراً واضحة
في تفكير الرومان لا يقل بأي حال من الأحوال عن الآثار التي تركتها
الصراعات المتعددة التي تعرضت لها روما فيما بعد . إذ خرجت روما من هذه
الحرب سيدة على إيطاليا وقوة عالمية لا يستهان بها ، لكنها كانت في الوقت
نفسه قد فقدت صفات لم تستطع استردادها بعد ذلك . لقد أنت الحروب

(١) Mackail, op. cit., pp. 15 sqq.

على أغلب تقاليدھا العتيقة النبيلة من البساطة والتفانى من أجل الوطن والتمسك بمبادئ الشرف وكل ما كانت تعنيه كلمة *virtus* عند الرومان . فلقد تفتّش بين طبقات المجتمع الرومانى جميعه أمراض اجتماعية فتناكة مثل البحث عن الثراء بجميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة ، والسعى من أجل استغلال المناطق الخاضعة دون النظر إلى المصلحة العامة ، والجرى وراء وسائل التسلية والترفيه والحياة الحضرية الناعمة - ولقد تميزت فترة المائة عام التى مرّت بين تدمير قرطاجة واستيلاء يوليوس قيصر على السلطة (١٤٦ - ٤٥ ق . م .) بانتشار المادية المروعة والتوسع الإقليمى وظهور الحكومات القاصرة ونشوب الخلافات الداخلية والحروب الأهلية الدامية . كانت الإمارات التى كونها قادة الاسكندر الأكبر فى مناطق الشرق الأدنى تنهاوى وتتحطم وتقع الواحدة بعد الأخرى تحت النفوذ الرومانى . فلقد أصبحت كل من مقدونيا وآسيا الصغرى ، وسوريا ، أقاليم خاضعة لسلطان روما ، وتحول البحر المتوسط فأصبح بحيرة رومانية . كانت الأقاليم الشرقية تفوق فى ثرائها الأقاليم الغربية ، تلك الأقاليم الشرقية التى امتازت أيضاً بغزارة سكانها ورفى حضاراتها . وبدأ « سحر الشرق » يحدث تأثيره المعروف . ظل شبح إمبراطورية الاسكندر الأكبر - التى كانت فى يومٍ ما تمتد من البحر الأدرياتيكى غرباً إلى بلاد الهند شرقاً ، ومن مناطق باكستريا Bactria شمالاً حتى السودان جنوباً - يداعب خيال الغرب ويترأى أمامهم فى أحلامهم . وكانت سياسة روما تجاه المناطق الآسيوية متقلبة غير مستقرة على الدوام . فمثلاً ، بينما كان شاعرنا فرجيليوس يمر بالعام السابع عشر من عمره انطلق جيش رومانى ضخم وعبر نهر الفرات فى مغامرة جنوبية ليفرض سلطان روما بالقوة ولينهب كنوز الشرق ، لكنه سرعان ما اندحرت قواته وانكسرت شوكته أمام قوات البارثين فى الصحراء الواقعة فى بلاد ما بين النهرين . كانت الأمور تسير فى داخل روما - أثناء ذلك - من سىء إلى أسوأ . كانت روما قد بدأت تُشدد قبضتها على شبه الجزيرة الإيطالية . كان الحكام

الرومان يعاملون حلفاءهم معاملة قاسية كما لو كانوا يعاملون شعباً ذليلة خاضعة لسلطانهم . كانوا يتبعون في ذلك نظاماً عسكرياً دقيقاً ووسائل دفاعية محكمة . وبالرغم من ذلك فقد نشأ الشعور بالقومية الإيطالية الموحدة . ظهر ذلك في روما نفسها على هيئة حركة تطالب بضم إيطاليا كلها تحت لواء الجمهورية الرومانية ، وظهر أيضاً في جميع المناطق الإيطالية على هيئة حركة تطالب بالتخلص من نير السلطان الروماني وخلق أمة إيطالية عن طريق توحيد القبائل المتفرقة والمجتمعات والإمارات المتعددة التي تنتشر في شبه الجزيرة الإيطالية . وظلت هذه الرغبة كامنة في صدور الرومان والإيطاليين على السواء ، مثل دخان مضغوط ليس في استطاعته الانطلاق حتى وافته الفرصة ، فانطلقت الشرارة الأولى عندما قُتل أحد الترابنة الرومان (١) حين قدم بعض مشروعات بقوانين لتعديل الدستور الروماني ولمنح حلفاء الرومان حقوق المواطنة الرومانية *civitas* . واشتعلت نيران الصراع الاجتماعي ، وتكونت حكومة رومانية جديدة، وأنشئت عاصمة جديدة وسط شبه الجزيرة. وفشلت الثورة بصورة مبدئية ، إذ انتصرت القوات الرومانية بعد قتال مرير دام ثلاث سنوات . لكن بعد انتهاء الحرب تقرر منح جميع الشعوب المتحالفة مع روما والقاطنة في المناطق الواقعة جنوب نهر البو حقوق المواطنة الرومانية بينما ظلت مشكلة أهل الشمال معلقة حتى قيام معركة فيليببي Philippi عام ٤٢ ق . م . فلم تعد كيسالبينا *Cisalpine* — المنطقة الواقعة بين جبال الألب والأبنين — تعتبر إقليماً رومانياً . في هذه المنطقة بالذات ولد المؤرخ الروماني المعروف تيتوس ليفيوس *Titus Livius* (٥٩ ق . م . - ١٣ م) ، كما ولد أيضاً شاعرنا فرجيليوس .

(١) التربيون *tribunus* (جمعها : ترابنة *tribuni*) : كانت طبقة العامة تنتخب عدداً من الترابنة في كل عام للدفاع عن مصالحها . كان عدد هؤلاء اثنين ثم أخذ في الزيادة حتى وصل إلى عشرة . وكان من حق التربيون تعديل القوانين القائمة أو التقدم بقوانين جديدة .

وما كاد يتم تأمين شبه الجزيرة الإيطالية حتى كانت الصراعات الداخلية قد وصلت إلى أقصى مراحلها داخل الحكومة الرومانية نفسها . فلقد انتشرت الثورات المتعددة على مدى نصف قرن من الزمان ، وصدرت أوامر النفي والقتل ومصادرة الأملاك باختلاف صورها ، ونشبت الحروب الأهلية الدامية ، حتى كاد ذلك كله يودي بالدولة الرومانية وبالحضارة الأوربية جمعاء إلى الدمار والفناء . وتوالى الأحداث سراعاً ، فسيطر الجنون على عقول الجميع ، ومادت الأرض بمن عليها فلم يعد أحد يعرف مكانه بين الجموع ، ولم يعد أحد يطمئن على مستقبله أو يضمن حاضره . انبثقت التشريعات الثورية المعروفة في عام ٨٨ ق . م . تحرك سولا Sulla نحو روما واستولت الجيوش الرومانية لأول مرة في التاريخ ثروماني على مدينة روما نفسها . ساد الفزع والرعب أثناء حكم ماريوس Marius . عادت الفرق الآسيوية وقامت المعركة المعروفة باسم معركة «بوابة كولينوس» . عاد سولا وفرض سلطانه بالقوة ، وأقام المذابح البشرية ، وأراق الدماء . انتشرت الحروب الأهلية في الأقاليم واندلعت نيران الثورة في إسبانيا . امتلأ البحر المتوسط بأساطيل القراصنة . قام كاتيلينا Catilina بمؤامراته الشهيرة . وفشلت الحكومة فشلاً ذريعاً في تصريف شئون الدولة وتم اختيار المجلس الثلاثي triumviri الأول . ولكن المجلس الثلاثي الأول فشل ، وهبط يوليوس قيصر بجيوشه من الشمال واحتل إيطاليا . شبت الحرب الأهلية الشاملة التي استمرت حوالي خمسة أعوام (٤٩ - ٤٥ ق . م .) ، وانتهت بفوز يوليوس قيصر وتولييه زمام الحكم . ثم قُتل يوليوس قيصر ، وسادت الفوضى وانتشر الفساد بين ربوع الدولة المفككة . وقامت حروب أهلية شديدة اشتركت فيها قوات ضخمة وجيوش جرارة . فتكوّن المجلس الثلاثي الثاني ، وتم القضاء نهائياً على سلطة السناتو . وانقسمت الدولة الرومانية إلى شرقية وغربية ، ونشأ صراع مرير بين أكتافيوس وأنطونيوس من أجل السلطة ، انتهى بمعركة أكتيوم البحرية . وهكذا كانت الحال أثناء نصف

قرن من الزمان لم تَرَ روما مثله في جميع مراحل تاريخها المختلفة .

بعد كل هذه التقلبات المريعة والتحويلات الرهيبة جاءت فترة حكم أوغسطس التي استمرت خمسة وأربعين عاماً (٣١ ق . م . - ١٤ م) . أصبح شعار الحكومة الرومانية أثناء تلك الفترة « الامبراطورية هي السلام » فبدأت روما - في ثبات وتأن - في استعادة النظام ، وتصفية الديون ، وإقامة حدود ثابتة والتصميم على الدفاع عنها ، وإحياء الزراعة ، وتنظيم الإدارة ، وبث التقوى في النفوس من جديد ، ووضع مبادئ الأخلاق . كان العالم الروماني قد أصيب في كيانه وأثخن بالجراح ، وأصبح على وشك الفناء ، كانت الشهامة الرومانية والنبيل الروماني في طريقهما للاندثار ، كانت المادية قد انتشرت انتشاراً واسعاً ، والأخلاق قد أفلست ووصلت إلى حد الانهيار . ووجه العصر الأوغسطي جُلَّ اهتمامه لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، ولم يتطرق اليأس إلى النفوس على الإطلاق ؛ وبدأ جيل جديد في الظهور ، وانبثقت الحيوية والقوة والعبقرية من جديد بعد طول الركود ، وكان الرجال على استعداد تام لنسيان الماضي الرهيب بمفاسده وموبقاته ، وكانوا على استعداد تام أيضاً لبذل كل قطرة من العرق ، واستغلال كل ضربة من السواعد الفتية في إعادة البناء لاستقبال السلام الأوغسطي Pax Augusta - لاستقبال فجر عصر جديد ذاخر بالبهجة مليء بالفخار (١) ، ولم يكن شاعرنا فرجيلوس حينئذ مجرد واحد من بين هؤلاء الرجال ، بل كان رائداً يفتح الطريق أمامهم ، ونبيّاً يرشدهم إلى سواء السبيل ، ومُبشراً يبعث في نفوسهم الأمل العريض ، ونذيراً يحذرهم من عاقبة الزهو والغرور ، ومغبرة التسرع والانفعال .

حياة فرجيليوس :

ولد بوبليوس فرجيليوس مارو Publius Vergilius Maro (٢) ، في اليوم الخامس عشر من شهر أكتوبر في العام الرابع والثمانين بعد المائة منذ إنشاء

(١) Mackail, op. cit., p. 21.

(٢) اسم فرجيليوس كايرو بالانجليزية هو Virgil (ونادراً Vergil و بالفرنسية Virgile =

مدينة روما (١) ، أى قبل مولد المسيح بسبعين عاماً ، في قرية أنديس Andes ،
التي قال عنها دوناتوس Donatus إنها لم تكن تبعد كثيراً عن مقاطعة
مانتوا Mantua والتي حدّد بروبوس Probus المسافة بينهما بثلاثة
أميال (٢) . وموقع أنديس غير معروف لنا الآن على وجه التحديد ،
وإن كانت بعض المصادر ترجح أنه قريب من قرية بيتولا Pietola الحديثة (٣) .

انحدر فرجيليوس - فيما يبدو - من أسرة غير عريقة لكنها كانت ذات
مكانة لا بأس بها (٤) . فكان والده في الأصل يعمل في خدمة بعض الأثرياء
وكان مخلصاً مثابراً نشيطاً كافح حتى حصل على ثقة مخدومه فأتيحت له الفرصة -
كما أتيحت لوالد الشاعر الإنجليزي كيتس Keats بعد ذلك - ليتزوج
من ابنة مخدومه ووريثته الوحيدة . ثم قضى حياته بعد ذلك يعمل بالزراعة
وقطع الأخشاب وتربية النحل . أما والدته فرجيليوس فإننا لا نعرف عنها
شيئاً أكثر من أنها كانت تدعى ماجيا بولا Magia Polla (٥) . ويقال إنها
قد أصيبت بعد ذلك ببلوثة أو مسستها قوة إلهية فأصبحت تمارس السحر .

= وبالألمانية Vergil (ونادراً Virgil) . أما الهجاء الصحيح باللغة اللاتينية فهو Vergilius
وليس Virgilius . حدث هذا الخلط بين حرف الـ e والـ d منذ العصور القديمة فأصبح خطأ
شائعاً لم يحاول الكتاب الأوروبيون الأوائل تصحيحه . وربما كان مصدر الخطأ رواية قديمة وردت
عند دوناتوس (حياة فرجيليوس ، ٢٥) مؤداها أن ساقاً جافة من سيقان الغاب (Virga) غرست
على قبر فرجيليوس بمناسبة ذكرى مولده فتمت نمواً منقطع النظير ووصلت إلى ارتفاع شاقق .
راجع H.J. Rose, History of Greek Literature (Methuen 1954), p. 236, no. 5.
(١) اعتاد القدماء تأريخ أحداثهم بالنسبة لحادثة هامة . بدأ الرومان قبل ظهور المسيحية
في تأريخ أحداثهم بالعام الذي أنشئت فيه مدينة روما . من هنا نجد في المصادر القديمة أن فرجيليوس
ولد بعد إنشاء مدينة روما بـ ٦٨٤ عاماً . ولما كانت مدينة روما قد أنشئت عام ٧٥٣ ق.م.
فيكون مولد فرجيليوس هو عام ٧٠ ق.م.

(٢) دوناتوس ، حياة فرجيليوس ، ٢ ، بروبوس ، المقدمة .

(٣) H.J. Rose, Eclogues of Vergil (Berkeley 1942), pp. 45-68, 228-233. قارن

(٤) M.L. Gordon, Journal of Roman Studies (1934), pp. 1-12.

(٥) Gordon, op. cit., p. 7.

وتركت هذه الرواية أثرها على فرجيليوس نفسه . إذ قيل — فيما بعد — إن فرجيليوس إنما تأثر بالسحر الذى كانت تمارسه والدته فأصبح هو نفسه ساحراً ومشعوذاً ، وإنه استخدم السحر والشعوذة فى توطيد العلاقة بينه وبين الامبراطور أوغسطس — كما استعمل مرلين Merlin فيما بعد السحر فى علاقته بآرثر Arthur (١) .

ولا نستطيع القول بأن فرجيليوس قد ولد مواطناً رومانياً ، لكن من المرجح أن يكون والده قد حصل على الجنسية الرومانية قبل مولد فرجيليوس . بعد أن أثبت كفاءة وأظهر نشاطاً وطنياً أهله لأن يشغل بعض المناصب الرسمية فى الدولة الرومانية . وعلى أى حال ، فلقد أصبح كل سكان منطقة كيسالينا — كما ذكرنا من قبل (٢) — يتمتعون بالجنسية الرومانية فى عهد يوليوس قيصر . وتروى بعض المصادر القديمة (٣) أن والد فرجيليوس قابل يوليوس قيصر مقابلبة شخصية فى منطقة كيسالينا حيث كان الأخير يباشر سلطته ، وأن الفرصة قد أتحت لفرجيليوس نفسه لمقابلبة يوليوس قيصر أيضاً فى مانتوا أو فى كريمونا Cremona — حيث كان الأول يتلقى دراسته أثناء الأعوام الأولى من حياته — أو فى ميلانو — حيث كان يستكمل دراسته أثناء نضجه . وتروى مصادر أخرى أن صداقة نشأت — أثناء إحدى تلك المقابلات —

(١) Mackail, op. cit., pp. 29-31.

(٢) راجع ص ١٦ .

(٣) أغلب معلوماتنا عن حياة فرجيليوس مستمدة من المصادر القديمة التى تعرضت لترجمة حياته بالتفصيل . وقد جمعها فى عام ١٩١١ العالم الألمانى لايتزمان Lietzmann فى سلسلة Kleine Texte تحت رقم ٧٢ الصادرة من دار بون فاير Bonn, Weber للنشر . رقت هذه الأعمال حسب مؤلفيها : دوناتوس Donatus ، فوكاس Focas ، سرفريوس Servius ، بروبوس Probus ، فيلارجيريوس Filargyrius ؛ ثم ثلاثة مراجع لم يعرف مؤلفوها هى : مجموعة برنيسيس Bernesis ، مجموعة موناكنسيس Monacensis ، مجموعة نوريكنيسيس Noricensis . وقد اعتمدت أغلب هذه المصادر القديمة على ما جاء عند سويتونيوس Suetonius (٧٠ - ١١٠ م) .

بين فرجيليوس وصبي يصغره بحوالى سبع سنوات كان منذ طفولته قد تبناه يوليوس قيصر، وأن ذلك الصبي أصبح فيما بعد يُعرف بالامبراطور أوغسطس. ورواية أخرى تقول إن فرجيليوس قد تعرّف في صباه على الشاعر الغنائى المعروف كاتوللوس Catullus - (٨٤ - ٥٤ ق. م) الذى كان موطنه مدينة فيرونا Verona ولم تكن تبعد كثيراً عن موطن فرجيليوس . وإن تأثير كاتوللوس لبدو واضحاً وقوياً في أعمال فرجيليوس . ولم يَفُتْ تلك الروايات القديمة أن تربط بين الشاعر الكبير اوكريتيوس Lucretius (٩٤ - ٥٥ ق.م) وشاعرنا فرجيليوس ؛ فقد روى أغلبها أن الأول توفى في يوم ١٥ أكتوبر عام ٥٥ ق . م . وهو نفس اليوم الذى احتفل فيه فرجيليوس ببلوغه سن الخامسة عشرة وارتدائه التوجا فيريليس toga virilis (١) .

وقد اختلفت الآراء حول أصل فرجيليوس . كانت مانتوا إحدى المدن الرئيسية في الحلف الأتروسكى القديم ، وكانت الدماء الأتروسكية مازال تجرى في عروق سكانها وسكان المناطق المجاورة . ولقد اهتم فرجيليوس اهتماماً بالغاً بدراسة الحضارة والعقيدة الأتروسكيتين اللتين كانتا تشكلان عاملين مهمين أثناء العصور الأولى للجمهورية الرومانية . إن فرجيليوس يؤكد دائماً الأصل الأتروسكى لمدينة مانتوا ، ويتكرر ذلك في أشعاره بصورة ملفتة للنظر . فإن تلك الفقرة الواردة في الكتاب العاشر من الأينيدة لمثال واضح على ذلك حيث يقول : (٢)

« مانتوا، غنية بأجدادها وأسلافها ، لكنهم ليسوا جميعاً من أصل واحد .

(١) toga virilis : كلمة toga تمنى عباءة ، وهى الرداء الرومانى الأصيل ، وكلمة virilis صفة مشتقة من كلمة vir (ومناها رجل) . اعتاد الرومان الاحتفال بالصبي الذين يبلغون سن الخامسة عشرة ، فكانوا يلبسونهم أثناء الاحتفال عباءة من نوع خاص - توجا فيريليس - ترمز إلى نمو الصبي وبلوغه مرحلة الشباب .

(٢) الأينيدة ، الكتاب العاشر ، سطور ٢٠٠ - ٢٠٣ ؛ راجع الفقرة بأكملها من سطور ١٦٣ إلى سطر ٢١٤ .

يتكون سكانها من ثلاثة أجناس ، يسكن كل جنس أربع مدن . وترأس
مانتوا هذه المدن ، لكنها تستمد قوتها من الدماء الأتروسكية . »

إنه — كما يبدو — يفخر بها مسقطاً لرأسه ، ويباهى بانتمائه إلى شعب
عريق ذي ماضٍ عظيم مُشترَف . وعلى كلٍّ فإن الشعوب التي كانت تسكن
منطقة كيسالينا كانت شعوباً كلتية *Celtae* كما أن اسم القبيلة *Publius*
واسم العائلة *Maro* في اسم فرجيليوس قد يشيران إلى أصل كلتي (١) .
أضيف إلى ذلك أن بعض النقاد يرون أن مزاج فرجيليوس ، الذي يظهر
بوضوح في كتاباته ويُفهم مما ورد في المصادر القديمة ، يرجع أن الدماء
الكلتية كانت تجرى في عروقه .

إلى جانب ذلك كله ، فما زال هناك بعض الآراء التي يجدر الإشارة إليها في
هذا الصدد. ففي القرن الرابع الميلادي كتب الفيلسوف ماكروبيوس *Macrobius*
محاوَرته المعروفة ساتورناليا *Saturnalia* حيث يتحدث عن فرجيليوس
كما لو كان من أصل فينيي *Venetus* (٢) . لكن من المؤكد أن مانتوا
لم تكن في وقت من الاوقات تابعة لمنطقة فينيتيا *Venetia* بالرغم من أنها
لم تكن تبعد كثيراً عن حدودها الغربية . وقد يبعث ما جاء عن ماكروبيوس
إلى الاعتقاد بأن أسرة فرجيليوس إنما تمتد أصلها البعيد إلى الجنس الفييني الذي
ربما كان قد انحدر أفرادهم بدورهم من سلالة إلابرية لها علاقة وثيقة بالجنس
السلافي (٣) .

(١) يتكون اسم الشخص عند الرومان من ثلاثة أجزاء : اسم الشخص نفسه ويعرف
بال *nomen* ، واسم القبيلة التي ينتسب إليها الشخص ويعرف بال *praenomen* ويوضع
قبل اسم الشخص نفسه ، ثم اسم الأسرة ويعرف بال *cognomen* ويوضع بعد اسم الشخص نفسه .
راجع Mackail, op. cit., p. 32.

(٢) أي من منطقة فينيتيا *Venetia* التي كانت تقع في شمال إيطاليا بالقرب من فينيتيا
الحالية تقريباً . راجع Macrobius, *Saturnalia*, v. 2.

(٣) Mackail, op. cit., pp. 31 sqq.

وهكذا يبدو من الصعب تحديد أصل فرجيليوس ، لكن علينا أن نلاحظ بأن فرجيليوس كان ولا بد من أصل مختلط . وقد يساعد هذا الاعتقاد في تحليل اهتمام فرجيليوس الملحوظ بخلق وحدة إيطالية وسعيه من أجل تحقيق هذه الوحدة حتى أصبحت حقيقة واقعة في عصره بعد أن كانت مجرد نظرية سياسية أو أملاً يداعب كلاً من الإيطاليين والرومان من قبله على السواء .

بعد أن تلقى فرجيليوس دراسة في مدارس كرىمونا وميلانو ، انتقل وهو في الثامنة عشرة من عمره إلى روما (١) . فقد كانت في ذلك الوقت مركزاً للدراسات المتقدمة بالنسبة لجميع المناطق الناطقة باللغة اللاتينية ، كما كانت مهداً نشأ فيه وترعرع مجموعة من الشعراء الشبان الذين حصل بعضهم على شهرة واسعة . من بين هؤلاء الشعراء كان آميليوس ماكر Aemilius Macer الذى ينتمى أصلاً إلى مدينة فيرونا وكوينكتيليوس فاروس Quinctilius Varrus الذى ينتمى إلى كرىمونا ، كلاهما جاء من مناطق مجاورة لمسقط رأس فرجيليوس ، وكانت بينهما صداقة متينة . كما كان فرجيليوس صديقاً حميماً أيضاً لكورنيليوس جالوس Cornelius Gallus (٦٩ - ٢٦ ق . م .) الذى كان ينتمى في الأصل إلى منطقة واقعة في بلاد الغال الواقعة تحت الحكم الرومانى . كان كورنيليوس جالوس شخصية جذابة وشاعراً عبقرياً . وكان هو وفرجيليوس متساويين في العمر وعضوين بارزين في جمعية أدبية معروفة أثناء الحروب الأهلية . فكانا يدرسان سوياً ، ويؤلفان سوياً أيضاً .

واصل فرجيليوس دراسته في روما بشغف واهتمام لفترة طويلة من الزمن . بدأ دراسة الريطوريكا والطب والفلك ، لكنه سرعان ما تحول إلى دراسة الفلسفة الإغريقية (٢) . فتلقى دروسه على يدى العالم الأبيقورى سيرو

(١) Rose, Latin Literature, p. 237.

(٢) دوناتوس ، حياة فرجيليوس ، ٢٧ .

Siro (١) ، ولعله أثناء ذلك تعرّف لأول مرة على أشعار لوكريتيوس - الذى استفاد فرجيليوس منه الكثير . ثم تلقى دروسه فى الريطوريقا على يدى أستاذ الريطوريقا إبيديوس Epidius ، ولعله أثناء ذلك تعرّف على زميل له فى الدراسة كان يصغره فى السن ويدعى اكتافيوس ، وهو الذى أصبح فيما بعد الامبراطور أوغسطس . لقد حاول فرجيليوس أثناء فترة دراسته ممارسة الخطابة ، لكنه لم يستمر فى ذلك طويلاً . وللأسف فإننا لا نعرف الكثير من المعلومات عن هذه الفترة من حياة فرجيليوس ، إلا أنها كانت فترة نضج بطيء لعبقريته وفترة دراسة اتصفت بالشغف والتلهف وسط جماعة من الأفراد مختلفى الصفات . أثناء هذه الفترة أيضاً توفى والده وتزوجت والدته مرة أخرى . وليس لدينا ما يشير إلى أنه كان على صلة بمسقط رأسه ومهد صباه . فقد كان يرى فى كل بلد يدرس فيه موطناله . كان مشغولاً بدراسته ، مهتماً بالأسفار والترحال ، واهباً نفسه تماماً للآداب والدراسات الفلسفية والتاريخية . ولم يجرؤ فرجيليوس - مثلما جرؤ الكثير غيره من أعضاء جمعيته - على محاولة الاشتراك فى النشاطات المدنية أو الإدارية أو السياسية أو العسكرية . ويرجع ذلك إلى عدة أسباب : خجله الشديد ، وسلوكه الرقيق الذى ظل يتصف به طيلة حياته ، وضعف بنيته ، وصحته العامة فقد كانت متدهورة على الدوام .

عندما ناهز فرجيليوس الثلاثين من عمره أتى تيار الأحداث العامة فى الدولة نهائياً على ثروته ، ثم أعادها إليه مرة أخرى . فى عام ٤٢ ق . م . هزم أنطونيوس قوات بروتوس Brutus وكاسيوس Cassius عند مدينة فيليبى Philippi . وطبقاً لما ورد عند دوناتوس فإن أول عمل قام به أنطونيوس وزميلاه أعضاء المحاسن الثلاثى بعد معركة فيليبى هوتسريح أفراد

(١) فوكاس ، ٦٣ (راجع حاشية رقم ٣٠ ، ص ٢١) .

القوات العسكرية الهائلة التي حاربت تحت قيادته ومنحهم الاستقرار (١) . لذلك قام أعضاء المجلس بمصادرة الأراضي والممتلكات في كرىمونا بحجة أن أهلها لم ينفقوا بجانب أعضاء المجلس أثناء الحرب الأهلية (٢) . ثم منحوا هذه الأراضي والممتلكات لبعض أفراد القوات بعد تسريحهم . ولما لم تستطع أراضي كرىمونا أن تفي باحتياجات جميع الأفراد ، فما كان من أعضاء المجلس إلا أن صادروا جزءاً كبيراً من أراضي منطقة مانتوا المجاورة لكرىمونا . كانت ممتلكات فرجيليوس ضمن الأراضي التي صودرت في مانتوا . لكن فرجيليوس كان له أصدقاء ذوو نفوذ وساطان (٣) . فبالإضافة إلى جالوس وفاروس - اللذين كانا قد وصلا في ذلك الوقت إلى مكانة مرموقة في الدولة - كان بوليو Pollio الرئيس الإداري المباشر للمنطقة من بين أصدقاء فرجيليوس . ونتيجة لتدخل هؤلاء الأصدقاء فقد تمّ تعويض فرجيليوس عما لحقه من خسارة بأن منحته الدولة ضيعة صغيرة في كمانيا Campania . بل أكثر من ذلك أتاحت له الفرصة لينال ثقة مجموعة أخرى من الأشخاص أصبحت تُعرف فيما بعد « ببلاط الامبراطور » . وهكذا أصبح الثراء والغنى من نصيب فرجيليوس طيلة البقية الباقية من حياته .

لم يمض على ذلك زمن طويل حتى قام فرجيليوس في عام ٣٧ ق . م . بنشر مجموعة أشعاره المسماة بالأشعار المختارة Eclogae أو الرعويات Bucolica . وسرعان ما نال شاعرنا شهرة كبيرة ، وانتشرت أشعاره ،

(١) دونانوس ١٩ . أما مؤلف مجموعة برنيس فإنه يرى أن ذلك حدث بعد معركة بيروسي Perusia عام ٤١ ق . م . التي انتصر فيها اكتافيوس على أنطونيوس . أما باقي المعلقين القدماء فيذكرون في هذا الصدد معركة أكتيوم عام ٣١ ق . م . التي قضى فيها اكتافيوس أيضاً على قوات أنطونيوس . ولعل هناك احتمالاً واحداً من بين الاحتمالين الأول والثاني ، أما الثالث فإنه مستحيل من الوجهة التاريخية .

(٢) Rose, op. cit., p. 238.

(٣) استقيناً هذه المعلومات من القصيدة الأولى والتاسعة من مجموعة قصائد فرجيليوس الرعويات . راجع أيضاً مقدمة المجلد الثالث من أعمال فرجيليوس .

وأصبحت تُقرأ في المسارح والأماكن العامة. وهكذا توقع الجميع لفرجيليوس العظمة والمجد ورأوا فيه أعظم شعراء الحكومة الجديدة مستقبلاً. كان پولليو في ذلك الوقت قد أتاح لفرجيليوس فرصة المشول بين يدي مايكيناَس Maecenas ، الذى كان حينئذٍ مستشاراً لأوغسطس وصديقاً حميماً له. وفي الكتاب الأول من المسجانيات Satirae يروى هوراتيوس Horatius (٦٥ - ٨ ق. م.) كيف ذهب هو وفرجيليوس وفاريوس Varius وتوكّا Tucca من روما إلى برنديزى Brundisium في صحبة مايكيناَس أثناء قيامه بمهمة سياسية خطيرة (١).

بعد ظهور الرعويات نشر فرجيليوس مجموعة أخرى من الأشعار بعنوان الفلاحة أو الزراعيات. ومن المؤكد أنه نظمها ، بناء على أوامر صدرت إليه من مايكيناَس. لكن هذا لا يعنى أنه كان ينفذ أوامر الحكام دون تفكير أو روية. فلقد ذكر دوناتوس أن فرجيليوس ظل مدة سبع سنوات (٢) - قضى أغلبها في ضيعته الجديدة في كمانيا - يفكر ويكتب ويتنقح حتى ظهرت هذه المجموعة من الأشعار. كان لفرجيليوس قصر في مدينة روما يقع في الحى الأسكويلينى ، لكنه نادراً ما كان يذهب إليه ، وحتى حين كان يذهب إليه فإنه لم يكن ليملك فيه فترة طويلة (٣). كان يقضى الشتاء في كل عام على الشاطئ القريب من مدينة نابلى، بينما كان يقضى الصيف في ضيعته الواقعة على ربوة غير مرتفعة تحيط بها المزارع والحقول من جميع الجهات. لكنه غالباً ما كان يذهب إلى المناطق الجنوبية القريبة من تارنتم Tarentum وإلى جزيرة صقلية فيقضى فيها فترات غير قصيرة.

(١) هوراتيوس ، المسجانيات ١ ، ٥٠ .

(٢) دوناتوس ، حياة فرجيليوس ، ٢٥ :

Bucolica triennio, Georgica VII, Aeneida XI perfecti annis.

« أكل الرعويات في ثلاث سنوات ، والزراعات في سبع ، والأيندة في إحدى عشرة »

(٣) دوناتوس ، حياة فرجيليوس ، ١٤ .

كما أن بعض فقرات من الزراعيات والأينيدة تشير إلى أنه كان على معرفة تامة واتصال شخصي بالمناطق الواقعة في وسط إيطاليا .

انتهى فرجيليوس من نظم الزراعيات في عام ٢٩ ق . م . ففي ذلك العام كان أوكتافيوس قد عاد من رحلة إلى الأقاليم الشرقية ، وعند وصوله إلى إيطاليا قرأ عليه فرجيليوس هذه المجموعة من الأشعار (١) . ونُشرت الزراعيات بعد ذلك مباشرة ، فداعت شهرتها ، وأصبح فرجيليوس حينئذٍ أعظم شعراء اللاتين - السابقين منهم والمعاصرين - وأشهرهم دون منازع . كان فرجيليوس في ذلك الوقت قد ناهز الأربعين من عمره . كان منذ سنواته الأولى حتى ذلك الوقت يفكر في نظم ماحمة إيطالية . لم يكن ينقطع لحظة واحدة عن التفكير في ذلك ، وغالباً ما كان يقتطع جزءاً من وقته ليخطط لذلك العمل الضخم ويرسم خطوطه العريضة . وبدأ وهو في سن الأربعين في تحقيق حلمه الذي ظل يداعبه سنين عدة ، وقضى بقية حياته كي يخرج ذلك العمل إلى الوجود ؛ ولم يكن ذلك العمل سوى الأينيدة . لقد شجّعه على ذلك إلحاح البلاط، الامبراطوري ورغبات الجماهير والآمال التي كانت تجيش في صدورهم كما شجّعه على المضي في طريقه أن القيام بمثل ذلك العمل الضخم قد يتيح له فرصة التعبير عن جميع الأحاسيس التي كانت تدور في خلده كشاعر ، والتي كان يتحين الفرصة للتعبير عنها . ومنذ ذلك الوقت اعتكف فرجيليوس عن المجتمعات القليلة التي كان يرتادها ، وكرّس كل جهده ووقته لتحقيق أمله العريض . لم تصلنا سوى معلومات ضئيلة عن حياته أثناء هذه الفترة أيضاً . وحتى ذلك القدر الضئيل الذي وصلنا ليس فيه شيء يستحق الذكر سوى قدر يسير . ففي عام ٢٦ ق . م . انتحر صديقه الحميم جالتوس ، فكان لتلك الكارثة وقع خطير على فرجيليوس وتأثير بالغ على نفسه . كان جالتوس قد لاقى نجاحاً باهراً في الميدان السياسي ووصل إلى أسمى المناصب ، وسرعان

(١) Charles L. Durham (in his introduction to : J.W. Mackail, Virgil's Works, Modern Library, New York 1934), p. X.

ما تغيرت أقداره وأصابه فشل ذريع دفعه إلى التخلص من الحياة . لقد حزن فرجيليوس على صديقه حزناً شديداً ، ولم يستطع أن يتخلص منه طيلة حياته . كما أن نظراته إلى النجاح والفشل وعلاقتهم بالحد والنشاط قد تغيرت ، فلقد أصبح ينظر إلى الحياة نظرة مابئة بالحد والصرامة . ولعل ذلك من الأسباب التي من أجلها انطبعت أشعاره فيما بعد بطابع الحزن والكآبة (١) .

قضى فرجيليوس سنوات عديدة في نظام الأبنيدة (٢) . ففي عام ٢٥ ق.م كتب الامبراطور أوغسطس من إسبانيا يسأل فرجيليوس عما تم في مشروعه الضخم . في الحقيقة لم يكن الامبراطور وحده هو الذي ينتظر بفارغ الصبر ظهور الأبنيدة ، بل كان العالم الإيطالي بأسره يحس شوقاً جارفاً نحو سماع خبر الانتهاء من نظمها . ولعل ما قاله الشاعر الغنائي بروبرتيوس Propertius (٥٠ - ١٦ ق.م) - الذي عاصر فرجيليوس وكان يصغره بنحو إلى عشرين عاماً - يعبر عن ذلك الترقب خير تعبير ؛ إذ يقول بروبرتيوس في إحدى قصائده بعد ما سمع بعض فقرات من الأبنيدة (٣) :

« إنه (فرجيليوس) الآن يبعث الحياة من جديد في قوات آينياس الطروادية ، وفي أسوار المدن التي أقامها على شواطئ لافينيوم . فانتستسلموا أيها الكتّاب الرومان ، ولتستسلموا أيها الكتّاب الاغريق ، فإن شيئاً أضخم من الإلياذة على وشك أن يولد . »

بعد ذلك بثلاثة أعوام على الأقل قرأ فرجيليوس ثلاثة كتب كاملة من الأبنيدة على الامبراطور أوغسطس وشقيقته أكتافيا - وهم الكتاب الثاني والرابع والسادس . وفي الكتاب الأخير تعرض فرجيليوس لموت الصبي

(١) راجع ص ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) أنظر حاشية رقم ٢ ص ٢٧ .

(٣) Propertius, II, 34, 63-66.

ماركيلوس Marcellus ، ابن أوكتافيا الوحيد والوارث الوحيد للامبراطورية (١). لقد عبر فرجيليوس في إحدى فقرات ذلك الكتاب عن الحزن الدفين من أجل موت ذلك الصبي حتى أن أكتافيا تأثرت تأثراً شديداً وسيطر عليها الحزن فطفقت تذرف الدمع ولم تستطع مواصلة الاستماع . ثم واصل فرجيليوس عمله في شغل بالغ عبر السنين ، وأخذ العمل بدوره ينمو ويكبر ويصبح على وشك الانتهاء ، حتى جاء عام ١٩ ق . م . في ذلك العام انتهى فرجيليوس بصورة مبدئية من تأليف الأنييدة ، لكنه كان يرى أنه ما زال أمامه ثلاثة أعوام أخرى ، عليه أن يقضيها في مراجعة النص وتنقيحه وإدخال ما قد يلزم من تعديلات قبل أن يصل إلى أيدي الجماهير الإيطالية . وفي صيف العام نفسه أحس فرجيليوس برغبة في القيام بجولة في بلاد الإغريق وشواطئ بحر إيجة والجزر الواقعة فيه ، عسى أن يكون في ذلك تجديد لنشاطه الذهني وصقل لأحاسيسه . لكنها كانت رحلة مشثومة لم يكن فرجيليوس في ذلك الوقت يحتمل الترحال والأسفار ، ثم إنه لم يكن يكتفى بالزيارات القليلة ، بل ظل ينتقل بسرعة من مكان إلى مكان ، ومن قرية إلى قرية ، ومن مدينة إلى مدينة ، يصعد من سهل إلى ربوة ، ويهبط من تل إلى شاطئ ، ثم يبحر من جزيرة إلى جزيرة حتى وصل إلى أثينا . وهناك قابله الامبراطور أوغسطس أثناء عودته إلى إيطاليا ، بعد جولة قام بها في الأقاليم الشرقية . ولعل تلك المقابلة المفاجئة أتاحت لفرجيليوس فرصة التفكير في مدى قدرته على مواصلة رحلته الطويلة الشاقة . وبالحاح من الامبراطور إقنت فرجيليوس بضرورة عودته إلى إيطاليا بمصاحبة الامبراطور . لكن يبدو أنه كان قد اتخذ قراراً بعد فوات الأوان — ف عندما كان يزور ميجارا وأثناء استعداده للبحار نحو إيطاليا أصيب بالمalaria . وبالرغم من أن إصابته لم تكن شديدة إلا أن بنيته الضعيفة لم تستطع المقاومة . وساءت حالته واشتدت الحمى أثناء الرحلة البحرية إلى إيطاليا ،

(١) راجع الكتاب السادس من الأنييدة ، سطور ٨٦٠-٨٨٦ .

فتوقف في برنديزي حيث توفي بعد بضعة أيام ؛ وكان ذلك في اليوم الحادى والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٩ ق . م . ولم يكن قد أكل عامه الحادى والخمسين (١) .

بينما كان فرجيليوس على فراش الموت طلب من مرافقيه عدم نشر الأبيدة وأمرهم بإحراقها إذا ما حدث له أى مكروه ، فلم يكن فرجيليوس يرغب في أن تنشر أشعاره دون مراجعة أوتنقيح . لكن أصدقاءه الذين كانوا حوله رفضوا ذلك في رفق . ومحاولة منهم لإرضائه فقد وعدوه بحرق المخطوط في المستقبل . وبعد موته أصدر أوغسطس أوامر مُشددة إلى القائمين على نشر أعماله - وهما فاريوس وتوكتا - بنشر الأبيدة كما تركها مؤلفها . فلولا أوامر الامبراطور أوغسطس لاندثر أعظم الأعمال اللاتينية التى وصلتنا والتى أثرت تأثيراً بالغاً - كما سنرى فيما بعد - في الأدب العالمى في جميع أنحاء العالم وعلى مدى العصور . مات فرجيليوس في برنديزي بين أهل كالابريا Calabria ، ونُقل رفاة إلى نابلى ودفن بالقرب من قصره الذى يقع بالقرب من الساحل في بوسيليبو Posilipo (٢) ، حيث أقيمت له مقبرة ضخمة نقش عليها بيتان من الشعر قيل إنه نظمهما بنفسه قبل موته (٣) :

« مانتوا أنجبني ، كالابريا انتزعني ، واليوم تحتويني
بارثينوني (نابولى) ، أنا ، مَنْ تَغَنَّيْتُ بالمراعى ، بالحقول ، وبالقادة »
رغم ضآلة المعلومات التى وصلتنا عن حياة فرجيليوس ، فما زالت هناك بعض المعلومات التى قد تساعد معرفتها على التعرف على شخصية الشاعر . لم يتزوج فرجيليوس - مثله في ذلك مثل صديقه هوراتيوس . لذلك فقد آل جزء كبير من ثروته بعد وفاته إلى أخيه لأمه ماجيا بعد زواجها الثانى .

(١) Mackail, op. cit., pp. 33-42.

(٢) تارن : Norman De Witt, « Virgil at Naples », Classical Philology, XVII (1922), pp. 104-110.

(٣) Charles L. Durham, op. cit., p. VII.

فلم يكن يوجد من أفراد عائلة فرجيليوس عند موته سوى ذلك الشقيق . أما الجزء الباقي من ثروة فرجيليوس فقد وزّع على بعض أصدقائه . وهناك روايات لا حصر لها انتشرت حول حياته الخاصة . قيل إنه كان منظوياً على نفسه ، غير مغرم بارتياح الأماكن العامة . لم يكن يقبل على الأنشطة العامة في الدولة ، ولم يكن له نشاط رياضي ، إذ لم تكن لديه القدرة على بذل أى مجهود عضلي . ويرجع ذلك إلى ضعف بنيته وعدم لياقته البدنية . كان حاد المزاج ، ريفياً في مظهره ، خشناً في سلوكه ، متمسكاً بعادات الريف وتقاليده . وما قيل عنه أيضاً أنه كان يتمتع بطريقة أداء رائعة تطرب السامعين ، فقد عرّضته الطبيعة عن ضعف بنيته قوة في صوته وعذوبة في نبراته وبراعة في إخراج الكلمات وهي صفات لا يتصف بها أغلب الشعراء في معظم العصور . فيما يتعلق بأوصافه لم يحفظ لنا الزمن شيئاً على الإطلاق من التماثيل النصفية العديدة التي أقيمت له في الأماكن المتفرقة . وحتى التماثيل التي عثر عليها في العصور التالية ووُجد اسم فرجيليوس منقوشاً عليها ثبت أنها تماثيل زائفة لا تمثل ملامحه الشخصية حقاً . وقد حاول أكثر من فنان عالمي أن يتخيل فرجيليوس ، وأقيمت له تماثيل عديدة بواسطة فنانيين معروفين مثل بوتيشيلي Botticelli (١٤٤٥ - ١٥١٠ م) ، ورافاييل Raphael (١٤٨٣ - ١٥٢٠ م) ، وبلوك Blake (١٧٥٧ - ١٨٢٧ م) ، وبن جونس Burne-Jones (١٨٣٣ - ١٨٩٣ م) . وفي عام ١٨٩٦ م عثر أثناء القيام ببعض الحفريات في مدينة سوس Sousse بتونس على لوحة رائعة من المزايكو يبدو أنها كانت جزءاً من أرضية قاعة أحد القصور الرومانية . من بين المناظر المنقوشة على هذا الأثر منظر لفرجيليوس وهو يجلس بين إثنين من ربات الفنون ، ويضع على ركبته قرطاساً يحوى ملحمة الأينيدة وقد ظهر على إحدى صفحاته هذه الكلمات (١) :

Musa mihi causas memora

(١) «قصي على ، يا ربة الشعر» . الأينيدة ، الكتاب الأول ، سطر ٨ .

فرجيليوس يجلس بين
 كليو - ربة التاريخ -
 على يمينه وملبوميني
 - ربة التراجيديا -
 على يساره ، يضع
 على ركبتيه قرطاسا
 يحوى ملحمة الإينيد
 وقد ظهر على إحدى
 صفحاته بيت من
 الأبيات الأولى منها .
 صورة موجودة على
 لوحة من المزايكو
 ومحفوطة الآن في متحف
 باردو .



يرى علماء الآثار أن هذه اللوحة لا يرجع تاريخها إلى أكثر من مائة عام
 بعد وفاة فرجيليوس . ومن المحتمل أن الفنان الذى صنعها نقل مادته عن الصور
 التى كانت قد نقلت بدورها عن تماثيل أقيمت لفرجيليوس أثناء حياته . وتتفق
 أوصاف فرجيليوس التى نشاهدها فى هذه اللوحة مع ما كُتب عنه فى المصادر
 القديمة ومع ما أمكن لنا أن نستشفه أو نتخيله من واقع أعماله ومن الروايات
 المختلفة التى تناولته (١) . ويمكن ذكر هذه الأوصاف بإيجاز فيما يلى : الوجه
 نحيف يبدو عليه الإنهاك ، لون البشرة شاحب ، الملامح دقيقة تُسم عن ضعف
 جثمانى عام ، الشعر أسود فاحم يتخلله بعض شعيرات رمادية ، الجبهة مستوية ،
 القم رقيق دقيق ، العينان واسعتان غائرتان لامعتان .

هذا هو تقريباً كل ما استطاع جيلنا أن يتزعه من برائن الزمن فيما يتعلق
 بفرجيليوس مؤلف الأينيد ..

ظلت مقدرة فرجيلوس على نظم الشعر تتقدم تقدماً بطيئاً . كان يكتب على مهل بشيء من التردد ، كان دائماً غير راضٍ رضاً تاماً عما يكتبه (١) . ظل عدة سنوات يظلم أعمالاً بدت تجريبية واتصفت بعدم النضج التام وأظهرت عدم السيطرة التامة من الناحية الفنية . وبالرغم من ذلك كله فقد أثبتت أعماله منذ اللحظة الأولى أنها من إنشاء شاعر ملهم وفنان موهوب تنقصه الخبرة والحكمة والثقة في النفس ثقة تامة ، وأشارت إلى ما كان ينتظر صاحبنا من مستقبل مشرق . كانت الثقافة العالية تسيطر على الشعر اللاتيني في أوائل عهد فرجيلوس ، وكان النقاد في ذلك الوقت يؤكدون ضرورة الثقافة والعلم وأهميتها بالنسبة للشاعر . كان الاهتمام منصباً بصورة عامة على الشكل دون الجوهر وعلى الزخرف اللفظي دون البناء الفني . وظل الفن في ذلك الوقت يتطور رويداً رويداً حتى أصبح يعتمد على الصيغة اعتياداً كلياً . حدث ذلك نتيجة تأثير الكتاب الرومان بالشعر الهلينستي الذي وضعت أسسه مدرسة الاسكندرية . كان شعراء الاسكندرية — فوق كل شيء — علماء أكاديميين مثقفين وفنانين ذوي خبرة ودراية . ومن أهم الشعراء السكندريين الذين أعجب بهم شعراء روما وحاولوا تقليدهم الشاعر يوفوريون Euphorion (٢٧٦ — ١٨٧ ق . م . تقريباً) الذي كان رئيساً لأمناء مكتبة الاسكندرية في عصر دولة سليوكوس — كما كان كاليمachus (٣٠٥ — ٢٤٠ ق . م . تقريباً) من قبل رئيساً لأمناء المكتبة نفسها في عصر دولة البطالمة . فلم يكن الشاعر في ذلك الوقت أميناً لمكتبة بالمعنى المعروف لنا اليوم فحسب ، بل كان مديراً للجامعة . ومن هنا اتصفت الأشعار التي نظمها هذان الشاعران بالطابع السامي ، وبالثقافة الواسعة ، وبالتأرجح بين الصلابة الجافة والعاطفية المتبعة .

ووجدت مساوىء هذه الأشعار — أكثر مما وجدت محاسنها — إستجابة لدى النوق الرومانى . ولعلنا نلاحظ بعضاً من ذلك التأثير فى أشعار كاتوللوس ، بينما نلاحظه كاملاً فى أعمال من جاء بعده من الشعراء .

فى هذه الفترة بالذات من تاريخ الشعر اللاتينى ظهرت المجموعة الأولى من أشعار فرجيليوس التى وصلتنا ، وهى الرعويات ، تعلن عن بدء مرحلة جديدة من مراحل الشعر ، وتُسبِىء بنهوض الشعر اللاتينى بعد كبوته ، وتبشر بصحوة بعد طول نعاس . وبالرغم مما اتصفت به هذه المجموعة الأولى من قصور فى نسبى وعدم اكتمال فيها امتيازات بعدوبة وحلاوة ورقة لم يكن يتصف بها الشعر اللاتينى من قبل . وبذا يكون فرجيليوس قد أخرج للرومان شعراً جديداً لفت إليه الأنظار . ولقد اعتاد النقاد ومؤرخو الأدب القول بأن الرعويات كانت أول مجموعة قصائد تنشر لفرجيليوس . ومع ذلك فليس من الخطأ القول بأنها أيضاً لم تكن المجموعة الوحيدة التى كان الشاعر قد نظمها حتى ذلك الوقت . كان فرجيليوس — كما سبق أن ذكرنا — متردداً لا يسمح بنشر أشعاره قبل أن يراجعها ويُنقَحُهَا ويتأكد من أنها تستحق النشر فعلاً . إنه يقول لنا بنفسه إن فكرة إنشاء ملحمة كان يراوده منذ شبابه لذلك فليس من المستبعد أن يكون قد نظم أشعاراً أخرى قبل الرعويات ، ولم يشأ أن ينشرها حتى ذلك الوقت . فلقد كان فرجيليوس يقضى الساعات الطويلة فى نظم بيت شعر واحد ، يدقق فى اختيار الألفاظ ، ويغير ويبدل من ترتيب الكلمات . ثم إنه كان ينقد أشعاره بنفسه نقداً قاسياً عنيفاً ، فإذا لم يرض عنها حرقها أو حجبتها عن الناشرين لفترة ما حتى تحين له فرصة لمراجعتها . ولقد نجح فرجيليوس بلا شك فى القضاء على مجموعات ضخمة من الأشعار التى انتهى من نظمها ، ولم يجد لديه الجرأة لنشرها ظناً منه أنها لا ترقى إلى مستوى النشر . لهذا السبب فقد وصلنا — ضمن مجموعات متنوعة لأعمال شعراء لاتين منغورين تم جمعها فى عصور متأخرة — عدد لا بأس

به من الأشعار المنسوبة إلى فرجيليوس مع الإشارة إلى أنه قد نظمها في صدر شبابه (١) . ومن المرجح أن بعضاً منها فقط هو الذي يرقى إلى مستوى عبقرية فرجيليوس . ومع ذلك فإن ذلك البعض يشير إلى مرحلة مبكرة في حياة فرجيليوس الأدبية — مرحلة تمرين ودراسة وعدم نضج تام ، كما سنرى ذلك فيما بعد (٢) .

ومن الواضح أيضاً أن فرجيليوس وافق على نشر الرعويات بعد تردد غير قليل . لعل ذلك يذكرنا بالشاعر الانجليزي ميلتون (١٦٠٨ - ١٦٧٤ م) ، الذي لم يكن راضياً تماماً عن نشر إحدى قصائده بعنوان Ludlow Masque ، إذ أنه كان يفكر في إخراج عمل ضخم يحجب وراءه جميع الأعمال الأخرى التي كان ينظمها بين الحين والحين (٣) . ولعل البيت الذي اختاره ميلتون من رعويات فرجيليوس ليقدم به ذلك العمل للقراء يشير بطريقة غير مباشرة إلى أن ميلتون كان يحس بعدم اكتمال ذلك العمل — تماماً كما أحس فرجيليوس من قبل عندما وافق على نشر الرعويات (٤) . لكن المقارنة بين ميلتون وفرجيليوس لا تستمر أكثر من ذلك . فالشاعر الروماني لم يتنازل إطلائاً عن تواضعه ، ولم يفارقه تردده حتى عندما كان ينظم قصيدته الملحمية الخالدة ، إذ أننا نقرأ في الكتاب التاسع من الأينيدة هذه السطور (٥) :

« أيتها الصديقان المباركان — إن كانت أشعاري هذه قادرة على أن تحق شيئاً —

فلسوف لا تنتزعكما الأجيال المتعاقبة من ذاكرة الزمن ، مادامت سلالة آينياس تسكن منطقة الكابيتول الضمخية ، والحاكم الروماني يباشر سلطانه هناك » .

(١) Tenny Frank, Vergil, A Biography (New York 1922), pp. 68 sq.

(٢) راجع ص ٣٩ وما بعده

(٣) Mackail, op. cit., p. 49.

(٤) الرعويات ، القصيدة الثانية ، سطر ٥٨ .

(٥) الأينيدة ، الكتاب التاسع ، سطور ٤٤٦-٤٤٩ .

إن ذلك بالطبع — يختلف عن الكبرياء الرائع الذى كان على الدوام يمثل
عنصرأهاماً من العناصر المكوّنة لمزاج ميلتون — فكل من الشاعرين كان يرى
أن من الصعب الوصول إلى حد الكمال ، لكن تردد فرجيليوس قبل نشر
أشعاره كان تواضعاً حقيقياً يفوق الحد ، بينما كان تردد ميلتون كبرياءً ضخمة
. جاءت نتيجة لإحساسه بأن ما كتبه — مهما وصل إليه من جودة — ليس جيداً
بدرجة تجعله يستحق أن يحمل اسم ميلتون .

كان ظهور رعويات فرجيليوس — كما ذكرنا — ينبىء بمولد نوع جديد
من الشعر ، كما أنها استقبلت كرمز وبشير لعهد جديد . إن رعويات فرجيليوس
— مثلها في ذلك مثل تقويم الرعاة *Shepherds Calender* للشاعر الإنجليزى
سبنسر *Spenser* (١٥٥٢ - ١٥٩٩ م) — أشارت إلى عصر بأمله ،
بل وساهمت مساهمة فعالة في خلقه ، فكل من هذين المجلدين الصغيرين
ضئيل في محتوياته ، غير ناضج في صياغته ، ذاخر بما هو غير أصيل ،
وملء بما هو مناهض للتقاليد البالية . كلاهما أيضاً يحتوى على بعض فقرات
ردئة . ومع ذلك فقد كان كلاهما يبشر بنغمة جديدة ذاخرة بالحياة .
أولهما كان ينبىء ويرحب بمفاصل العصر الأوغسطى ، والثانى بمفاصل العصر
الايزابيى . وكلاهما تم الاعتراف به — منذ اللحظة الأولى لظهوره —
كمحور تتجمع حوله جميع فنون الأدب القومى ، وإن كان الفرق بينهما
هو أن لرعويات فرجيليوس تأثيراً كبيراً ليس على الشعر اللاتينى في العصر
الأوغسطى فحسب ، بل على الشعر اللاتينى في العصور التالية ، وعلى الشعر
في أغلب اللغات الأخرى أيضاً .

ولسنا الآن بصدد تقديم دراسة وافية عن رعويات فرجيليوس أو ماوصلنا
من أعماله الأخرى — فيما عدا الأبيدة — ، فمثل هذه الدراسة سوف يجدها
القارئ في مكان آخر (١) . لكن تكفى الإشارة هنا إلى أن فرجيليوس —

(١) راجع مقدمة المجلد الثالث من أعمال فرجيليوس البرعزيات والزراعات ..

بنشر هذه المجموعة من الأشعار الرعوية — أدخل نوعاً جديداً من أنواع الشعر إلى غرب أوروبا ، فجعل الشعر الرعوى نمطاً من الأنماط الشعرية في أوروبا . حقيقة إن الشعر الرعوى ترجع أصوله الأولى إلى جزيرة صقلية ، وليس إلى بلاد الإغريق ، لكنه ظل بدايئاً حتى جاء ثيوكريتوس (عاش في القرن الثالث قبل الميلاد) في العصر السكندري فأدخل عليه كثيراً من التعديلات ، وارتقى به حتى أصبح يضارع الأنواع الأخرى من الشعر الأغريقى ، وحتى أصبح اسم ثيوكريتوس مرتبطاً بظهور الشعر الرعوى . وإن ما فعله فرجيليوس ليس مجرد تعريف الشعب الرومانى بالشعر الرعوى وتثبيت أركانه كفن خالد في إيطاليا ، لكنه فعل أكثر من ذلك (١) . جعل فرجيليوس لهذا النوع من الشعر هدفاً جديداً ، وضمنه تضمينات مختلفة . أصبح الشعر الرعوى بفضل أكثر رصانة وأشد تعقيداً ، أصبح يعبر عن الطبيعة بالرمز والألفاظ الغامضة ، بعد أن كانت تعبيراته مباشرة طابعها البساطة والوضوح .

(ب) الفرجيليانا :

قبل التعرض للمجموعة الثانية من أشعار فرجيليوس ، تجدر بنا الإشارة إلى ثلاث قصائد اعتاد بعض القدماء أن ينسبوا إلى فرجيليوس بينما أنكر البعض الآخر نسبتها إليه دون أن يتمكنوا في الوقت نفسه من التوصل إلى معرفة المؤلف الحقيقي لهذه القصائد (٢) . وقد دأب النقاد والشرّاح منذ القدم على تسمية هذه القصائد الفرجيليانا Vergiliana ، أى القصائد المسوبة إلى فرجيليوس (٣) والثابت — أساساً — أن هذه القصائد قد نُظمت في عصر

(١) Charles L. Durham, op. cit., p. X.

(٢) Ibid., p. X.

(٣) بالإضافة إلى هذه القصائد الثلاثة ورد في المصادر القديمة ذكر عدد آخر من القصائد منسوبة إلى فرجيليوس وهى : كانالبتون Catalepton (مجموعة مكونة من أربع عشرة قصيدة قصيرة) ، كوبا Copa ، أيتنا Aetna . وقد اكتفينا هنا بالإشارة إلى الثلاث قصائد التي يمتد أغلب النقاد في صحة نسبتها إلى فرجيليوس .

فرجيليوس ، كما أنه من المؤكد أيضاً أنها من إنتاج شعراء ينتمون إلى الجمعية الأدبية التي كان ينتمى إليها فرجيليوس . لكن ليس هناك ما يؤكد بصورة قاطعة أنها من نظم فرجيليوس نفسه .

القصيدة الأولى من هذه القصائد بعنوان كيريس Ciris . إنها أروع القصائد وأهمها ؛ فهي تلمح ضوئاً على ما كان عليه منهج الشعر الفرجيلي أثناء مراحل المبكرة وعلى الطريقة التي كان يتبعها فرجيليوس نفسه في صياغة أشعاره (١) . إنها قصيدة رعوية روما نتيكية ، يتراوح عدد أبياتها بين خمسمائة وستمائة بيت من الشعر ، عامرة بالإيقاعات الرائعة والألفاظ السلسة ، وإن كانت مليئة في الوقت نفسه بمواطن الضعف والسخف (٢) . ظلت هذه القصيدة تمثل لغزاً بالنسبة للنقاد المحدثين حتى جاء العالم الألماني ف. سكوتش F. Skutsch وتناول القصيدة بالتحليل الدقيق وقارنها بأشعار فرجيليوس الأخرى وأشعار الشعراء المعاصرين له وذلك في كتابه Aus Vergils Frühzeit الذي صيّر في عام ١٩٠١ م ثم واصل دراسة الموضوع ذاته في كتابه جالوس وفرجيليوس Gallus und Vergil الذي صدر في عام ١٩٠٦ م . اكتشف سكوتش أن هذه القصيدة تشبه إلى حد كبير الأشعار التي كان ينظمها جالوس وهو في مقتبل عمره ، عندما كان هو وفرجيليوس يعملان سوياً في نظم الشعر . وبالتالي فإن بروفسور سكوتش يعتبر هذه القصيدة عملاً اشترك في نظمه كل من جالوس وفرجيليوس . ولعل ما يلفت النظر — وهو ما قد يؤيد نظرية سكوتش إلى حد كبير — هو أن القصيدتين السادسة والعاشرة من الرعويات قد ضمّنها فرجيليوس عمداً بعض أبيات قليلة متفرقة كان قد نظمها صديقه جالوس . كما نلاحظ أيضاً أن أبياتاً كاملة بل وفقرات بأ كلها من قصيدة كيريس يتكرر ورودها في بعض قصائد من الرعويات والزراعات بل في الأبنيدة أيضاً . لكن — من ناحية أخرى — ليس من السهل التمييز بين ما كتبه فرجيليوس

Rose, op. cit., pp. 260-262.

(١)

Mackail, op. cit., pp. 54 sqq.

(٢)

وما نقله عن غيره . فقد كان فرجيليوس شاعراً يقف بفنّه في مفترق الطرق بين القديم والحديث ، لا يألو جهداً في محاولة المزج بين المذاهب المختلفة وخاتمتي تألف بين القديم والحديث . هذا فضلاً عما كانت تجود به قريحته وما يبتكره خياله الخصب وما يتوصل إليه عقله المفكر . وهنا يكمن سرُّ روعة أشعار فرجيليوس ؛ فأشعاره مزيج متألف يصعب الفصل بين عناصره المختلفة والتوصل إلى كنه كل عنصر على حدة .

أما القصيدتان الأخريان فهما أكثر نضجاً وأقرب إلى الكمال الفني . ومن المرجح أن تاريخ نظمهما يرجع إلى عصر متأخر قليلاً . كما أنه ليس من السهل تمييزهما عن أشعار فرجيليوس الأخرى . وبالرغم من ذلك فليس في مقدورنا أن نؤكد نسبتهما إلى فرجيليوس بالرغم من التشابه الشديد الواضح بينهما وبين أشعاره الأخرى التي وصلتنا .

أولى القصيدتين بعنوان موريتيم Moretum (١) ، وهي أقصر من القصيدة الأخرى وأكثر اكتمالاً من ناحية الأسلوب (٢) . إنها تتناول الحياة في الريف ، وقيل إنها نُظمت على نمط قصيدة إغريقية لم يصلنا نصها . قد يثبت تحليل هذه القصيدة ودراستها دراسة نقدية فاحصة ، أنها فعلاً من نظم فرجيليوس ، ويؤكد الاحتمال البائل بأن نظمها ربما كان محاولة أولى أو تمريناً واختباراً لمقدرة فرجيليوس الفنية قبل أن يقدم على نظم المجموعة الثانية من أشعاره التي وصلتنا والتي تدور عن الفلاحة والحياة في الريف . لكن - من ناحية أخرى - هناك ما قد يزعزع ثقتنا بهذه النظرية ويجعلنا نردد بعض الشيء في قبول نسبة هذه القصيدة إلى فرجيليوس . إذ أقدم مصدر ينسب هذه القصيدة إلى فرجيليوس يرجع تاريخه إلى القرن السادس الميلادي .

(١) تعني الكلمة اللاتينية Moretum نوعاً من أنواع «الصلطة» كانت تصنع من الجبن وبعض النباتات الخضراء .

Rose, op. cit., p. 265. (٢)

من هنا ينشأ سؤال بسيط : إذا كان فرجيليوس قد نظم فعلاً هذه القصيدة الرائعة ، فلماذا تجاهلتها جميع المصادر الأدبية والتاريخية منذ عصر فرجيليوس في القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي ؟ - لماذا تجاهلتها تلك المصادر التي لاحصر لها والتي تناولت تاريخ حياة فرجيليوس بالتفصيل وناقشت أعماله ، بل واهتمت بذكر تفاهات وسخافات عديدة عن حياته الخاصة والتي يوجد من بينها مصادر موثوق بها ومشهود لها بالدقة . إن استحالة وجود إجابة مقنعة لهذا السؤال هي فقط التي تجعلنا لا نستطيع أن نؤكد أن قصيدة موريتيم من نظم شاعرنا فرجيليوس .

أما القصيدة الثالثة والأخيرة التي عنوانها كيولييكس Culex (١) . فمن المؤكد أن فرجيليوس نظم قصيدة بهذا العنوان ؛ فلقد ورد هذا العنوان مراراً في مصادر موثوق بها يرجع تاريخها إلى القرن الأول الميلادي (٢) من بين هذه المصادر ما كتبه الشاعر ستاتيوس Statius (٤٥ - ٩٦ م) الذي لا يمكن أن يداخلنا الشك فيما كتبه عن فرجيليوس . إذ أن ستاتيوس كان شاعراً موهوباً وباحثاً أكاديمياً في نفس الوقت ، لما كان مغرمًا لحد يفوق الوصف بفن فرجيليوس ومعجباً به أتما إعجاب . بل وأكثر من ذلك فقد عكف ذلك الشاعر الناقد فترة غير قصيرة على دراسة أعمال فرجيليوس دراسة عميقة . من هنا تبرز ثلاثة احتمالات . الأول هو أن يكون فرجيليوس قد نظم قصيدة بعنوان كيولييكس لكن النص الذي وصلنا ليس النص الأصلي بل نصاً آخر يحمل نفس العنوان . والثاني هو أن القصيدة ليست من نظم فرجيليوس نفسه بل من نظم شاعر مغمور معاصر له ، ينتمي إلى الجمعية الأدبية التي كان

(١) تعني الكلمة اللاتينية Culex بعوضة . والقصيدة تروى قصة بعوضة لدغت أحد الرعاة أثناء نومه ، فقام الراعي مفزوعاً وقتل البعوضة . لكنه اكتشف بعد ذلك أن ثمنانا كان على وشك أن يلدغه أثناء نومه لولا أن أيقظته البعوضة التي قتلها . لهذا يأسف الراعي ويقيم للبعوضة تبراً يكون موضع تكريم على الدوام .

(٢) Rose, op. cit., pp. 258-9 sqq.

ينتمى لإيها فريجيليوس ، درس منهج فريجيليوس في صياغة الشعر دراسة عميقة ونجح نجاحاً باهراً في تقليد أسلوبه واختيار عباراته وصياغة إيقاعاته للدرجة أنه أصبح من الصعب التمييز بين العمل الذي قام به الشاعر والمغمور وأعمال فريجيليوس المعروفة لنا . أما الاحتمال الثالث والأخير فهو أن يكون فريجيليوس قد نظم هذه القصيدة فعلاً ، لكنه لم يرض عنها ولم يوافق على نشرها فور الانتهاء من نظمها كعادته ، وبالرغم من ذلك فقد تداولها النقاد والشعراء المعاصرون له فيما بينهم ، حتى وصلت إلى العصور التالية بطريقة ما غير رسمية ، وظلت متداولة بنفس الطريقة إلى أن وصلت إلى أيدي النقاد المحدثين فاسترعت انتباههم وأثارت مناقشة حادة بينهم على مدى الأجيال . وكما يبدو واضحاً الآن ، فإن الاحتمالات الثلاثة قائمة ، وليس من السهل ترجيح أحدها . وبالرغم من ذلك فهناك من يستبعد الاحتمال الأول كلية ، ويرجح الاحتمال الثالث ، وإن كان لا يستند في ذلك على براهين مقنعة (١) .

(ج) الزراعيات :

المجموعة الثانية من القصائد التي نشرها فريجيليوس هي بعنوان الجيورجيك *Georgica* ، الفلاحة أو الزراعيات . وكما يفهم من إحدى فقرات الكتاب الثالث من هذه القصائد فإن هناك احتمالاً كبيراً في أن فريجيليوس قد نظمها بناء على أوامر من مايكيناس والبلاط الامبراطوري (٢) ومن المؤكد أن الشعب الروماني والحكومة الرومانية على السواء كانوا في أمس الحاجة إلى ظهور مثل هذه المجموعة من القصائد . فقد ظل الشعب الروماني — كما رأينا — قرناً كاملاً من الزمان يقاسى أزمات عسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية ، ووقع تحت وطأة حروب داخلية وخارجية . وكان لذلك كله أثر خطير على الزراعة . فالزراعة والمحاصيل الزراعية والصناعات القائمة عليها كانت

(١) راجع: W.A. Bachrens, *Philologus*, LXXXI, p. 364 sqq.

D.L. Drew, *Culex* (Oxford, Blackwell, 1925), pp. 4 sqq.

(٢) فريجيليوس ، الزراعيات ، الكتاب الثالث ، سطر ٤٠ وما بعده .

مصدراً رئيسياً للثروة . وعندما انتشرت الصراعات والمنازعات داخل البلاد وخارجها اتجه الأفراد نحو العمل السبائى والانخراط فى السلك العسكرى . وعندما اتسمت رقعة الامبراطورية الرومانية بدأ أفراد الشعب الرومانى يهجرون المزارع والحقول ويفضلون الحياة الحضرية ، ينفقون فى بذخ ويرفلون فى ألوان النعيم . لكن بعد أن انتصرت جيوش أوغسطس واستتب الأمن فى ربوع البلاد ، ولما لم تعد الدولة فى حاجة إلى تلك الأعداد الضخمة من الجنود ، أرادت الحكومة مكافأتهم على ما قدموه لوطنهم من خدمات وتضحيات فمنحتهم الأراضى الزراعية المصادرة أو التى كان أصحابها قد هجروها أثناء الحرب . عندئذ أحست الدولة بضرورة عودة أفراد الشعب إلى العمل فى الحقول والمزارع ، والاهتمام بالزراعة من جديد ، والسعى من أجل رقى الصناعات الريفية وتطورها . من هنا كان على الحكومة نفسها أن تولي اهتماماً كبيراً للزراعة (١) . فبدأت تباشر النشاط الزراعى فى اهتمام بالغ ، وتقيم المشروعات الزراعية ، وتشجع الأبحاث العلمية المتعلقة بالزراعة والمحاصيل الزراعية ، وتساهم فى إقامة المزارع الفردية ومساعدة القائمين عليها مساعدات فنية وعلمية ومادية . ولعل ذلك يعلل ظهور الأعمال العلمية والأدبية التى تتناول الزراعة والفلاحة . فقد نُشرت مقالة فارو Varro (١١٦ - ٢٧ ق . م .) بعنوان عن الفلاحة De Re Rustica فى نفس الوقت الذى نُشرت فيه مجموعة قصائد الزراعيات لفرجيليوس تقريباً . كما نشر العديد من المقالات التى تناولت الحياة فى الريف ، وتضمنت إرشادات زراعية ، ولفتت أنظار أفراد الشعب إلى ضرورة الاهتمام بالزراعة ، بل كان الهدف منها أيضاً ترغيب أفراد الطبقة المثقفة فى الاتجاه نحو الزراعة ، وذلك بعد أن كان أفراد هذه الطبقة قد ابتعدوا عن الزراعة تماماً وأصبحوا يعتبرون الفلاحة مهنة لا تليق بالمتقنين ، وعملاً لا يتلاءم مع ثقافتهم الرفيعة . وبالطبع لم تنس الدولة أثناء تلك الحقبة ما للشعر من تأثير قوى وأهمية بالغة ،

وبخاصة أنها كانت تعلم علم اليقين أن بين صفوفها شاعراً وطنياً مخلصاً هو فرجيليوس (١) .

لم يكن من الغريب إذن أن تصدر الأوامر إلى فرجيليوس بنظم مجموعة قصائد عن الفلاحة وطرق الزراعة . ولم يكن من الغريب أيضاً أن يسارع فرجيليوس في الاستجابة لهذه الرغبة الامبراطورية ، وأن يتنازل - مؤقتاً - وإلى حد ما - عن ترده المعهود ويعمل على سرعة نشر تلك المجموعة لتكون الفائدة أعم والأثر أبلغ . أضف إلى ذلك أن موضوع الزراعات وجد هوى شديداً في نفس فرجيليوس واتفق اتفاقاً مع طبيعته الريفية ونشأته الأولى . كان فرجيليوس محباً للطبيعة مغرمًا بها . كانت الفلاحة والحياة الريفية مألوفاً له منذ طفولته ، كما كانت دراسته المستمرة وخبرته الطويلة قدمكنتاه من السيطرة على فن صياغة الشعر . وفضلاً عن ذلك فقد هداه عقله المفكر وثقافته الواسعة إلى فكرة رائعة ، هي أن يتكرر نوعاً من أنواع الشعر لم يسبقه إليه الاغريق أو الرومان ، أن ينظم قصائد تتناول الفلاحة والحياة الريفية بشرط أن تتصف بالطابع القومي الصرف وأن تكون عامرة بالأحاسيس الإنسانية . هكذا جاءت زراعات فرجيليوس تتسم بالطابع الرومانتيكي ، وترهبه بالزخرف اللفظي ، وتسمو بالدوافع التاريخية والوطنية ، وتتضمن في أساليب رائعة معتقدات الشاعر الدينية وأفكاره الفلسفية وتأملاته لحياة جميع أفراد البشر على السواء ، وتمييز برقة جادة اتصف بها فرجيليوس في جميع مراحل حياته الأدبية .

وعلى الرغم من أن المجال قد لا يسمح بأن نطيل وقفتنا عند زراعات فرجيليوس فإنه لا بأس من أن نضيف بعض المعلومات التي قد تلي بعض الضوء على شخصية فرجيليوس نفسه بقدر ما تلقى من ضوء على الزراعات . فالزراعات عبارة عن مجموعة من القصائد لا يتعدى عدد أبياتها الألفين

(١) Mackail, op. cit., pp. 60 sqq.

إلا قليلاً . ومع ذلك فقد قضى فرجيليوس سبعة أعوام كاملة في إعدادها ومراجعتها وتنقيحها وحذف فقرات منها أو إضافة فقرات أخرى إليها حتى أحس أخيراً بالرضى ورأى فيها عملاً يستحق أن يُنشر على الجمهور الإيطالي . ولقد سبق أن أشرنا إلى الصداقة المتينة التي كانت تربط بين فرجيليوس وجالتوس ، كما أشرنا أيضاً إلى المصير المشؤم الذي انتهى إليه جالتوس وأثر ذلك في نفس فرجيليوس . كان فرجيليوس - كما اعتقد بعض النقاد - قد اختتم زراعياته بفقرة امتدح فيها صديقه جالتوس . كان ذلك الصديق - أثناء الفترة ما بين ظهور الرعويات والزراعيات - يتقدم بسرعة مذهلة ، ويحرز في حياته نصراً بعد نصر ، حتى أصبح واحداً من القادة الذين اشتركوا في معركة أكتيوم . لقد أبلى بلاءً حسناً في الدفاع عن أفريقيا ضد قوات أنطونيوس وكليوباترة ، ولعب دوراً هاماً في تحقيق النصر لحوش اكتافيوس . وبالتالي فقد كان أول حاكم على مصر من قبل اكتافيوس ، حيث قام مرتين بالقضاء على الشعب الذي كان يقوم به حلفاء أنطونيوس . ثم تقدم بقواته حتى وصل إلى منطقة الشلال ، كما عقد أيضاً معاهدة مع ملك إثيوبيا . وسرعان ما أسكرته نشوة الانتصار وأطاحت بلُبه فرحة النجاح ، فطغى وحاد عن الطريق القويم . عندئذٍ استدعى جالتوس إلى روما ، وصودرت أملاكه ، وقُدِّم للمحاكمة ، وصدر الحكم بنفيه . لكنه أراد أن ينقاد سمعته ويكفر عن خطيئته فأنكفأ على سيفه - على عادة الرومان - وفارق الحياة في الحال . حدث ذلك بعد بضع سنوات من تاريخ نشر الزراعات ، فأصبحت خاتمتها - أو هكذا رأى بعض النقاد - غير مناسبة أو غير مرضية بالنسبة للإمبراطور . لذلك يرى بعض النقاد أن الفقرة الأخيرة التي خصصها فرجيليوس للمدح جالتوس قد جُذِّفت وأعيدت كتابة خاتمة أخرى . فإن كان ذلك قد حدث فعلاً ، فإن الخاتمة الأصلية للزراعيات لم تصلنا ، ولا نعلم حتى الآن ما الذي كانت تحتويه على وجه التحديد . لكن هناك من يرى أن فرجيليوس ربما يكون قد حاول الاستفادة بمادتها فيما بعد في الكتاب

الثامن من الأبنيدة إن لم يكن قد فعل ذلك أيضاً في بعض أعماله الأخرى .
لكن هذا التغير - إذا صح أنه قد حدث حقاً تغير - لم يقلل من المستوى
الفنى للزراعات ولم يذهب بروعتها وبهائها ، بل أضاف مادة جديدة إلى مادتها
وزادها روعة وبهاءً .

كان اهتمام فرجيليوس البالغ بمراجعة وتنقيح الزراعات قبل نشرها
سبباً في ظهورها في صورة مُشرّفة جعلت جميع النقاد ومؤرخى الأدب
يمتدحونها ، كما جعل منها أنموذجاً يحتذيه الشعراء والأدباء الذين جاءوا
من بعده - قال درايدن Dryden (١٦٣١ - ١٧٠٠ م) - مثلاً -
عن فرجيليوس إنه « يقول أشياء كثيرة في كلمات قليلة ، وغالباً ما يقولها
في صمت » ، كما قال أيضاً في مقدمته لترجمة الزراعات « إنها أحسن عمل
لأحسن شاعر » . ثم وصفها بعد ذلك أديسون Addison (١٦٧٢ - ١٧١٩ م)
بأنها « عمل أكثر اكتمالاً ، أكثر إتقاناً ، وأكثر روعة من جميع الأعمال
القديمة » .

(د) الأبنيدة :

يقول فرجيليوس في الكتاب الثالث من الزراعات (١) :
« بل إنى سوف أكون مستعداً في القريب العاجل للتحدث
عن المعارك الحامية التى خاضها قيصر ولتخليد اسمه عبر
السنين العديدة التى تفصل بين قيصر ومولد تيشونوس » .

يلاحظ أغلب النقاد أن هذه السطور غير مترابطة مع بقية النص الواردة
فيه ، سواء من ناحية الإيقاع العام أو البناء الفنى ، لذلك فإنهم يعتقدون أنها
ربما قد أضيفت إلى نص الزراعات فيما بعد . يضاف إلى ذلك أنه يمكن حذف
هذه السطور من النص دون حدوث خلل في البناء الفنى أو انقطاع في تسلسل

(١) الزراعات ، ، الكتاب الثالث ، سطور ٤٦-٤٨ . راجع أيضاً دوناتوس ،
حياة فرجيليوس ، ١٩ .

المعاني . وليس من المستبعد أن هذه الظاهرة تؤكد رغبة فرجيليوس في نظم ملحمة وطنية أثناء الفترة التي نُشرت فيها الزراعيات ، أو قد تعبر عن استجابته إلى رغبة الرومان ، إذ يبدو في هذه الفقرة وكأنه يتعهد أمام الرومان بالعمل على تحقيق رغبتهم في القريب العاجل . ولقد سبق أن أشرنا إلى أن فرجيليوس ظل منذ بداية حياته يفكر في إنتاج عمل ضخم يذخر بذكر الحروب وتصوير المعارك الحربية ، ويتغنى بمآثر الرومان وما أحرزوه من انتصارات ، ويخلد فيه الشخصية الرومانية وتجعل منها أنموذجاً بشرياً خالداً تحذيه الشعوب الأخرى على مدى الأجيال (١) . ولعل ما كان يفكر فيه فرجيليوس كان يجد هوى في نفوس قادة الرومان أيضاً . بل إنهم — فيما يبدو — كانوا يحثونه دائماً على متابعة السير قدماً في تنفيذ فكرته ، ويطلبون منه أن يتنازل عن ترده المعهود (٢) .

لم يكن فرجيليوس أول من حاول نظم أشعار ملحمة ذات طابع قومي (٣) . حاول إننيوس Ennius (٢٣٩ — ١٦٩ ق . م .) ذلك من قبل عندما نظم الحوليات Annales ونجح في ذلك إلى حد ما ، وإن ظهرت أشعاره في هيئة تأريخ للأحداث أكثر منها موضوعاً شعرياً ملحيمياً . كانت أشعار إننيوس ذائعة الصيت في عهد فرجيليوس ، بل إنها كانت قد أصبحت ضمن التراث القومي ، وكانت أيضاً تدرس في المدارس وقاعات العلم كتحفة أدبية . لذلك كان على فرجيليوس أن ينتج عملاً أضخم وأعظم وأن يكون عمله أكثر اكتمالاً وأصلب عوداً (٤) .

جمع فرجيليوس مادة ملحمة من مصدرين أساسيين . أولهما تازيخ روما المعاصر وبخاصة العصر الذي توطدت فيه أركان السلام الروماني

Rose, op. cit., p. 247. (١)

C.M. Bowra, from Virgil to Milton (Macmillan 1963), p. 38. (٢)

Ibid., p. 34. (٣)

Mackail, op. cit., pp. 37 sqq. (٤)

وثبتت جنود الامبراطورية الرومانية على يد الامبراطور أوغسطس .
 وثانيهما الروايات التي تدور حول نشأة مدينة روما والأساطير التي تروى
 كيف انحدر الشعب الروماني - وبخاصة عائلة يوليوس - من أصل طروادى .
 لم تكن مادة المصدر الأول - بالطبع - مجهولة بالنسبة للرومان ، بينما لم تكن
 مادة المصدر الثانى أيضاً بغريبة فى عصر فرجيليوس . فمنذ عصر تأسيس
 المستعمرات الإغريقية فى الغرب نشأت رواية تقول : إن جماعة من الطرواديين
 وعلى رأسهم آينياس هاجروا إلى إيطاليا . ثم انتشرت هذه الرواية انتشاراً
 واسعاً بعد أن أصبحت روما إحدى القوى المسيطرة على حوض البحر المتوسط .
 وظلت الأجيال المتعاقبة تضيف تفاصيل جديدة إلى الرواية : نفسها جيلاً
 بعد جيل . وقد نالت هذه الرواية شهرة واسعة بين سكان روما بعدما نظم
 نايثيوس Naevius (ولد حوالى عام ٢٧٠ ق . م .) ملحمة التاريخية
 التي تناولت تاريخ الحرب البونية الأولى (١) . وربما كان نايثيوس أول
 من جعل آينياس يزور قرطاجة ، وذلك استناداً إلى ما جاء عن بعض المؤرخين
 الاغريق الذين كانوا قد رأوا أن كلاً من مدينة روما وقرطاجة تم تأسيسهما
 فى عصر واحد (٢) . كما أن أعظم الكتاب الرومان الذين عاشوا فى القرن
 الأول قبل الميلاد - فارو Varro - قد تناول ذلك الموضوع قبل فرجيليوس .
 أما قصة حب الملكة ديدو ، ونهايتها المفجعة فإن معظم الدلائل الأدبية
 تؤكد أنها من ابتكار فرجيليوس .

يقول دوناتوس إن فرجيليوس وضع خطة عامة للأبيدة ، وإن هذه
 الخطة كتبها ثراً وقسمها إلى إثني عشر جزءاً أو كتاباً (٣) . احتفظ
 فرجيليوس بهذه الخطة حتى يستطيع بسهولة أن ينظم أى جزء من الأجزاء
 الإثنا عشر من الملحمة فى أى وقت من الأوقات دون التقيد بترتيب الأجزاء .

(١) Rose, op. cit., p. 26.

(٢) Rose, op. cit., p. 251, no. 64.

(٣) دوناتوس ، حياة فرجيليوس ، ٢٣ .

وإن ما جاء عند دوناتوس يتفق اتفاقاً تاماً والاستنتاجات التي توصل إليها العلماء والنقاد بعد دراسة تحليلية لنص الملحمة . من أهم هذه الاستنتاجات أن فرجيليوس لم يكن يعمل بانتظام في نظم الملحمة ، كما أنه لم ينظم أجزاءها المختلفة بالترتيب الذي توجد به في النص الذي بين أيدينا اليوم — بمعنى أن أجزاء قد نُظمت أولاً لكنها تأتي في النص بعد أجزاء كانت قد نُظمت قبلها . كما أن تفاصيل الأحداث التي وردت في الحطة الثرية تعرضت فيما بعد لعدد غير قليل من التغييرات والتعديلات . من أهم هذه الاستنتاجات أيضاً أن النص الذي يوجد بين أيدينا اليوم لا يمثل النص الذي أراد فرجيليوس إخراجه ، إذ أن الموت — كما ذكرنا — أدرك فرجيليوس فجأة قبل مراجعته وتنقيحه . ولقد بذل الناشرون ، الذين أخذوا على عاتقهم تقديم النص إلى القارئ الروماني بعد موت فرجيليوس ، قصارى جهدهم كي يخرج النص في صورة أقرب ما تكون إلى الكمال ، لكنهم لم ينجحوا في إنجاز ما لم يستطع فرجيليوس أن ينجزه بسبب موته المفاجيء . وبالرغم من أن هؤلاء الناشرين لم يفصحوا عن مدى ما أدخلوه من تعديلات ، إلا أننا نستطيع أن نلمح بعضاً منه فيما جاء عند سرفيوس (١) . يقرر سرفيوس أنهم قد حذفوا ما رأوا من الواجب حذفه ، لكنهم لم يضيفوا شيئاً . والأبيدة — كما حصل عليها هؤلاء الناشرون بعد موت فرجيليوس ، وكما تركوها لنا بعد نشرها — لا تخلو من المتناقضات والتكرارات ومواطن الضعف وعدم الاستقرار سواء من ناحية اللغة أو أوزان الشعر أو الأبيات الناقصة التي لا تستقيم معانيها . وهناك عدد من الفقرات كان فرجيليوس قد سطرها على هوامش المخطوط الأصلي بصفة مبدئية ولم يكن قد قرر بعد إدخالها في النص أو الاستفادة بمادتها . وقد استبعد الناشرون — طبقاً للروايات القديمة — تلك الفقرات إلا أربعاً فقط .

لقد تناول النقاد والشرح والمعلقون على مدى الأجيال ملحمة فرجيليوس بالنقد والشرح والتحليل ، وحاولوا التوصل إلى معرفة تاريخ نظم بعض

(١) سرفيوس ، حياة فرجيليوس ، ٣ .

فقرات معينة منها أو معرفة مواطن الحذف أو الإضافة في بعض الأحداث أو الأجزاء . ولا تخلو مثل هذه المحاولات من المخاطر بقدر ما هي زاهرة بعناصر الإثارة والإغراء . فالكتاب الثالث - على سبيل المثال - يختلف في أسلوبه وفي بنائه عن جميع الكتب الأخرى من الملحمة (١) . فهو يصف ما قام به آينياس من مغامرات ، منذ رحيله عن طروادة حتى وصوله إلى جزيرة صقلية ، يرويها آينياس بنفسه على ديدو ملكة قرطاجة . وواضح جداً في هذا الكتاب أن بناءه يؤكد أنه وصل إلينا في صورة غير نهائية وأن فرجيليوس نظم في فترة مبكرة . بل إنه يحتوى أيضاً على بعض فقرات يوحى تركيبتها الفني وأسلوبها وألفاظها بأن أشعار ذلك الكتاب ربما يكون فرجيليوس قد نظمها قبل أن ينظم الزراعيات . بل أكثر من ذلك فإنه يحتوى على فقرات أخرى يمكن حذفها دون حدوث خلل في تسلسل الأحداث أو اختلال في الإيقاع العام (٢) . كما يحتوى على فقرات لا تتفق اتفاقاً تاماً مع الأحداث الواردة في الكتاب الثاني ، وفقرات غيرها متناقضة معها مثلما يحدث - على سبيل المثال - عندما يتنبأ هيلينوس لآينياس بأن سيبولاً سوف تقول له أشياء ثم يتضح بعد ذلك أن هذه الأشياء نفسها قد قيلت له بواسطة شبح والده .

وقد حاول النقاد تحليل وجود مثل هذا العدد غير القليل من المتناقضات في الكتاب الثالث بالذات . وجدير بالذكر في هذا الصدد أن لدينا معلومات تقول إن فرجيليوس قصد في الخطة الثرية للأينيدة أن يكون الكتاب الثالث ترتيبه الأول بين الكتب الإثني عشر وأن تكون الرواية فيه مباشرة ، كما تشير أيضاً نفس المعلومات إلى أن تغيير الخطة العامة للأينيدة الذي تم فيما بعد وما تبعه من تغييرات داخلية في كل كتاب على حدة ربما حدث قبل موت فرجيليوس بأربعة أعوام ، وأن ذلك لم يؤثر في التعديل الذي طرأ على الكتاب

Rose, op. cit., p. 248.

(١)

(٢) راجع الفقرات : ٤١٤-٤٢٨ ، ٤٤٥-٤٥٢ ، ٥٧٥-٥٨٢ ، ٥٨٨-٦٥٤

من الكتاب الثالث .

الثالث . ولعلنا نلاحظ بوضوح كيف أن رغبة ديدو التي ينتهى بها الكتاب الأول قد تحققت فى الكتاب الثانى ، وكيف أن الأحداث تتوالى بسرعة فى الكتاب الرابع بعد ذلك لتكمل ما جاء فى الكتاب الثانى . وبالرغم من ذلك الاتصال المباشر بين الكتاب الثانى والرابع فإن فرجيليوس كان على صواب فعلاً عندما أدخل محتويات الكتاب الثالث وسط هذين الكتابين . ولقد كان فرجيليوس قد ارتكب خطأً فنياً شنيعاً إن هو استخدم فى افتتاحية الملحمة معلومات تمهيدية محضة ولم يفسح المجال من أول لحظة للحدث الرئيسى . وربما كان بجانب الصواب أو كان قد وضع أحداث الكتاب الثانى والرابع — التى تتميز جميعها بالتوتر الشديد — معاً دون أن يفصل بينها ببعض المواقف الهادئة مثل تلك التى يحتوى عليها الكتاب الثالث (١) .

وبذل فرجيليوس تصارى جهده فى الدراسة والبحث حتى يستطيع أن يخرج للعالم عملاً يستحق الخلود . فلدينا شئرة باقية من إحدى الرسائل المتبادلة بين فرجيليوس والامبراطور أوغسطس يقول فيها الأول عن الأبنيدة .

« يضاف إلى ذلك ، أنى — كما تعلم — مازلت أضيف إليها

حصيلة أخرى من الدراسات العميقة ... »

لقد ظل فرجيليوس يتعمق فى دراسة العادات القومية ، فقرأ بإمعان ونهّم مجلدات عديدة فى الشعر الاغريقى والرومانى القديم ، بل فى التاريخ والآثار والعلوم أيضاً . كما درس بتوسع الديانة الإيطالية والمعتقدات الإغريقية وظل يقوم برحلات متعددة إلى مناطق وسط وجنوب إيطاليا ، لدراسة مظاهرها الطبيعية وجمع القصص المحلية ، والتعرف على الخصائص المختلفة لكل جنس وقبيلة على حدة . بل إنه عندما تقدمت به السن — اهتم اهتماماً بالغاً بالفلسفة والبحث فى كُنه العالم ، وفى فكرة الاعتقاد فى حياة أخرى بعد الموت . لقد ظل طيلة سنوات عمره الطويلة يصب فى الأبنيدة حصيلة

دراسته أولاً بأول ، ويضع فيها خلاصة دراساته العميقة ، فجعل منها دستوراً اهتدى به أبناؤه وأحفاده من الرومان ، وظلت الإنسانية جمعاء تنهل منه فيما بعد .

لم يكن فرجيليوس - كما ذكرنا - أول شاعر ملحمي ، ولم تكن الأينيدة أول ملحمة ظهرت في العالم القديم . كان هوميروس قبل فرجيليوس بعدة قرون قد وضع مواصفات البناء الملحمي . فالإلياذة بأبياتها البالغ عددها حوالي خمسة عشر ألفاً والأوديسا البالغ عدد أبياتها حوالي إثني عشر ألفاً كأننا قد وضعنا تقليداً ثابتاً التزم به كتاب الملحمة فيما بعد وهو أن تكون القصيدة الملحمة ذات طول خاص بحيث تستوعب بحجمها معالجة مستفيضة لموضوع واحد ، وإن كان ذلك الحجم في نفس الوقت قد أتاح فرصة مواتية لخلق بعض الأحداث الجانبية التي تسير موازية للحدث الرئيسي . لكن من المرجح أن فرجيليوس قصد أن لا يزيد عدد أبيات ملحمة عن العشرة آلاف ، وذلك حتى لا يضطر إلى تكرار بعض الفقرات واستخدام بعض المواد أكثر من مرة في الملحمة . هكذا جاء عدد أبيات الأينيدة ٩٨٩٦ بيتاً فقط . ولعلنا لا نتفق مع الرأي القائل بأن هذا العدد كان من الممكن أن يزداد زيادة كبيرة لو أن الموت أتاح فرصة لفرجيليوس كي يراجع الملحمة وينقحها . فالحالة التي وصلنا إليها النص توحى بأن الشاعر كان قد استنفد كل التفاصيل التي كان ينوي وضعها في ملحمة ، وأنه - أو أتاحت له فرصة للمراجعة - كان سوف يُغيّر في الأسلوب أو ترتيب السطور دون أن يحدث تغييراً ملحوظاً في عددها الإجمالي .

هناك ظاهرة جديرة بالنظر في هذا المجال . فأغلب شعراء الملاحم - الذين جاءوا بعد فرجيليوس لم ينظموا ملاحم يزيد عدد أبيات كل منها على عدد أبيات الأينيدة (١) . فملحمة لوكانوس Lucanus (٣٩ - ٦٥ م) -

فرساليا Pharsalia ، إلى تناول الحروب الأهلية بين بومبي ويوليوس قيصر — بلغ عدد أبياتها ثمانية آلاف ، وملحمة ستاتيوس Statius (٣٥-٦٩م) — قصة أبناء طيبة Thebais ، التي تناول قصة الصراع بين ولدي أوديب يواونيكيس وإتيوكليس من أجل عرش طيبة — يقرب عدد أبياتها من عدد أبيات الأينيدة . وحتى بعد ذلك أيضاً ، عندما بدأ الأدب يستعيد نشاطه بعد فترة ركود طويلة أثناء العصور المظلمة ، فإننا نلاحظ استمرار وجود هذه الظاهرة ، فعدد أبيات أنشودة رولان Chanson de Roland — واحدة من بين مجموعة الملاحم الفرنسية التي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر الميلادي والمعروفة بأناشيد الأعمال البطولية Chansons de geste — لا يتعدى أربعة آلاف بيت .

أما ملحمة تسيدا Teseida — التي تناول فيها بوكاشيو Boccaccio (١٣١٣ - ١٣٧٥ م) جزءاً من قصة البطل الإغريقي ثيسوس — فلا يقل عدد أبياتها عن عدد أبيات الأينيدة إلا بيت واحد فقط . من ناحية أخرى ، إن الأشعار الرومانسية في العصور الوسطى والملاحم الرومانسية في أواخر عصر النهضة لم يتقيد مؤلفوها بعدد معين من الأبيات . فرومانسية رومان دي لاروز Rose Roman — التي اشترك في نظمها كل من جويلوم دي لوريس Guillaume de Lorris وجان دي مونج Jean de Meung إبان القرن الثالث عشر الميلادي — تتكون من حوالي ٢٣ ألف بيت ، بينما تتكون رومانسية أورلاندو إناموراتو Orlando Innamorato — التي تركها بوياردو Boiardo (١٤٤١ - ١٤٩٤ م) غير مكتملة — من أكثر من ٣٥ ألف بيت ، ورومانسية أورلاندو فيوريوزو Orlando Furioso — التي نظمها أريوستو Ariosto (١٤٧٤ - ١٥٣٣ م) تكملة لقصة حب أورلاندو وأنجليكا التي بدأها بوياردو — من حوالي ٤٠ ألف بيت . أما تحرير بيت المقدس Gierusalemme Libertata فإن تاسو Tasso (١٥٤٤ - ١٥٩٥ م) نظمها فيما لا يزيد عن ١٥ ألف بيت ، بينما التزم ميلتون Milton (١٦٠٨ - ١٦٧٤ م) بالحدود التقليدية عندما نظم الفردوس المفقود Paradise

Lost فجاءت في ١٥٥٠ بيت فقط ، وكذلك فعل ويليام موريس William Morris (١٨٣٤ - ١٨٩٦ م) أيضاً عندما نظم أعظم ملحمة إنجليزية ظهرت في العصر الفيكتوري وهي سيجورد فولسونج Sigurd The Volsung فجاء عدد أبياتها مثل عدد أبيات الفردوس المفقود تقريباً . أما إذا ما التفتنا إلى الوراثة حيث الصفحات الأولى في سجل التاريخ فلسوف نلاحظ أن شعراء الاسكندرية لم يكونوا مغرمين بنظم ملاحم طويلة . فلمحمة الأرجونوتيكا Argonautica - حيث يتناول أبوناويزوس الرودسي Apollonius Rhodius (ولد عام ٢٩٥ ق . م) قصة السفينة أرجو والبحث عن الجزيرة الذهبية ، والتي درسها فرجيليوس دراسة مستفيضة وتأثر بها تأثراً بالغاً - فلا يصل عدد أبياتها إلى ستة آلاف (١) .

تنقسم كل من الإلياذة والأوديسا إلى أربع وعشرين أنشودة أو كتاباً . ولم يكن هذا التقسيم قائماً في النص الأصلي ، بل وُجد بعد هوميروس بعدة قرون . والغرض من هذا التقسيم هو تسهيل عملية الرجوع إلى النص أو تسهيل عملية الإنشاد . ولا يستند هذا التقسيم إلى أسباب فنية أو أدبية أرادها المؤلف نفسه ، بل ربما فعل النقاد ذلك لأنه كان من السهل عليهم تقسيم كل ملحمة إلى أربعة وعشرين جزءاً ، وتسمية كل جزء منها بحرف من الحروف الأبجدية الاغريقية التي كان عددها أربعة وعشرين حرفاً أيضاً . أما الأينيدة فإنها مقسمة إلى اثني عشر جزءاً أو كتاباً . قام فرجيليوس نفسه بتقسيمها قبل أن يبدأ في نظم الملحمة شعراً ، أي عندما أعد الخطة الثرية للموضوع . ويقوم التقسيم في الأينيدة على أسس فنية وأدبية . فالحدث الرئيسي في الملحمة يمتد من لحظة سقوط طروادة حتى انتشار السلام بصورة نهائية في شبه الجزيرة الإيطالية . يشبه الجزء الأول منها - إلى حد ما - موضوع الأوديسا ، ويأتي في صورة قصة يرويها البطل آينياس نفسه على ديدو ملكة قرطاجة .

(١) يستطيع القارئ الرجوع إلى كتاب H.A. Guerber, The Book of the Epic, Harrap London 1930 حيث يجد عرضاً موجزاً لأغلب الملاحم الرومانسيات المشار إليها على هذه الصفحات .

هذه الوسيلة البارة استطاع فرجيليوس أن يبدأ ملحمة بداية مثيرة بدلاً من أن يبدأها بتلخيص أو سرد سريع لما تعرض له آينياس من مناعب . وهكذا تبدأ الملحمة بهذه القصة الدرامية المثيرة التي تصور العاصفة التي تعرض لها أسطول آينياس في البحر ثم وصوله إلى مدينة قرطاجة فور انتهاء ديدو من تأسيسها .

يتناول الكتاب الأول من الأبيدة قصة آينياس أثناء تلك الرحلة المثيرة (١) . إن موضوعه محدد من أول لحظة مكان الحدث ، ويقدم إلى القارئ الشخصية المحورية . ويثير الاهتمام على الفور بما فيه من تنابع سريع لأحداث حية مثيرة ، كما أنه - بسبب تدخل الآلهة من وقت لآخر - يساهم في إبراز القضايا الهامة التي سوف يثيرها الشاعر وعن غايات القدر . وينتهي الكتاب الأول بوصف المأدبة التي أقامتها الملكة ديدو في القصر الملكي تكرماً لآينياس ورفاقه . ويتناول الكتاب الثاني « مصير طروادة المشؤم » كما يرويها آينياس ، وهذا الجزء مليء بالانفعال النفسي الصادق ، إذ أن الراوي ليس المؤلف ، بل هو واحد من الأشخاص الذين اشتركوا فعلياً في الأحداث ، وأصابهم ضرر كبير أثناءها . في هذا الكتاب يستهل آينياس حديثه بقوله (٢) :

« لقد رأيت بعيني رأسي تلك المصائب كلها ونالني منها قدر عظيم »
ويواصل آينياس في الكتاب الثالث روايته ، فيتحدث عن مغامراته التي قام بها منذ سقوط طروادة حتى وصوله إلى قرطاجة . لكن - كما سبق القول - تعرضت فقرات هذا الكتاب إلى تعديلات جوهرية ، وأدرك الموت فرجيليوس قبل أن يراجع مراجعة دقيقة ، لذلك يصل إلينا في صورة مرضية . ويتعرض الكتاب الرابع لقصة الملكة ديدو : غرامها ويأسها بعد

(١) لم نشأ أن نورد في مقدمتنا تلخيصاً وافياً للأبيدة أو نقاش موضوعها بالتفصيل رغبة في تشويق القارئ إلى قراءة النص الكامل لها .

(٢) الكتاب الثاني ، سطور ٦-٥ .

هجر آينياس لما ، وانتحارها بعد تصميم آينياس على الرحيل عن قرطاجنة .
فقد تركت هذه القصة أثراً كبيراً في نفوس أغلب أدباء العالم فيما بعد . ثم يصل
آينياس إلى جزيرة صقلية مع بداية الكتاب الخامس ، وهناك يقيم الألعاب
الطروادية والاحتفالات تكريماً لرفاة والده أنخيس . ويتنهي هذا الكتاب
بإبحار آينياس فجأة وسقوط بالينوروس صريعاً في البحر فداءً للأسطول
الطروادي . وليست هذه الكتب الخمسة سوى مقدمات : قصة آينياس
وسقوط طروادة ، ثم قصة آينياس والمملكة ديدو ، ثم قصة آينياس وجزيرة
صقلية . بعد ذلك ينتقل فرجيليوس من المقدمات إلى جوهر الموضوع .
لكنه قبل أن يفعل ذلك يري أن عليه أن يوجد فترة انتقال بين الجزئين ..
إن فترة الانتقال هذه هي ما يدور من أحداث في الكتاب السادس ، إنه يهبط
بالقارئ إلى العالم الآخر ، ويتخطى حدود الزمان والمكان ، ويستحضر صوراً
لما كان وما سيكون .

وإن ما يأتي به فرجيليوس بعد ذلك هو الموضوع الرئيسي للملحمة (١) .
في هذا الجزء ينتقل مسرح الأحداث إلى إيطاليا ، ويتغير مجرى الحديث فيدور
حول الشعب الإيطالي . ففي الكتاب السابع يتحدث فرجيليوس عن استقرار
الطرواديين في وادي نهر التير ، واحتكاكهم بالملك لاتينوس . ثم يتحدث
في الكتاب الثامن عن البعثة التي أرسلها الطرواديون إلى الملك إفاندر في المنطقة
الريفية حيث أقيمت مدينة روما فيما بعد ، وعن التحالف بينه وبين الأتروسكيين
ثم الاستعداد للحرب . أما الكتاب التاسع فموضوعه يدور حول الهجوم
على المعسكر الطروادي بواسطة القوات الإيطالية المتحالفة تحت قيادة تورنوس .
لكن آينياس ينقذ المعسكر في الكتاب العاشر ، وتلوز معارك طاحنة تنتهي
بانتصار القوات الطروادية . . عندئذ تزدحم الأحداث وتتوالى سريعة
بعد ذلك في الكتاب الحادي عشر . وتظل الأمور تسير في سرعة مذهلة حتى
نصل إلى الكتاب الثاني عشر والأخير حيث تُعقدُ المعاهدات وتظهر في

الأفق تبشير السلام ، لكنها سرعان ما تخفى بتأثير غضب الإلهة جونو التي مازالت تلاحق الطرواديين حيثما ذهبوا . في هذا الجزء الأخير من الملحمة يدور صراع بين الإله والإنسان ، وبأى الإنسان - ممثلاً في شخص تورنوس - حفته جزاء ما قدمت يده . عندئذ يرضى الإله عن البشر ، فيصبح من الممكن أن يبدأ عالم جديد ينمو ويكبر ويزدهر في ظل سلام دائم .

مكانة فرجيليوس أثناء العصور القديمة والحديثة :

علمنا أن فرجيليوس كان يتمتع بشهرة واسعة وشعبية كبيرة أثناء حياته ، وأن أشعاره لم يكن يتألفها القراء فور صدورها فحسب ، بل كانوا ينتظرون صدورها بفارغ الصبر . كان لهذه الظاهرة أثر ملحوظ على مكانة الأبيدة في العصور القديمة والعصور الوسطى على السواء . لكن هذا لا يعنى أن فرجيليوس كان محبوباً لدى الجميع أو أن أحداً لم يتعرض لأعماله بالنقد على الإطلاق . فمن الصعب - بل من المستحيل - على الكاتب مهما كان مجيداً أن يرضى الجميع . ولدينا فقرة وردت عند دوناتوس تشير إلى أن مجموعة من النقاد لم يكونوا راضين عن أعمال فرجيليوس وأن أسكونيوس بديانوس Asconius Pedianus (٩ ق.م. - ٧٦ م.) تصدى لؤلاء النقاد ودافع عن أعمال فرجيليوس وذلك في كتاب عنوانه *Contra Obtretractores Vergilii* « دفاع ضد المستهزئين بفرجيليوس » (١) . لكن خجل فرجيليوس وانطوائيته جعلاه يظل بعيداً عن المتندبات الأدبية وعن المناقشات . كان يهوى وقته في العمل والدراسة ، وكان في الوقت نفسه يتمتع بحماية أغاب الشخصيات البارزة ، وكان مرضياً عنه من كبار رجال السياسة وهواة الآداب والفنون . من هنا ذاع صيت أعماله وجاءت شهرته وشعبيته . فقد كانت أشعاره الحيدة تشق طريقها بنفسها ، لذلك فإننا نلاحظ أن الأبيدة أصبحت - فور صدورها - معرونة ومتداولة في أيدي عدد هائل من القراء ، بل صارت كتاباً مدرسياً

(١) دوناتوس ، حياة فرجيليوس ، ٤٦ .

بالنسبة للعالم القديم (١) وُجِدت فقرات منها منقوشة على جدران الحمامات العامة في روما ومكتوبة على طبقات الملاط التي كانت تغطي الجدران في شوارع مدينة بومبيء Pompeii . أما عن الرعويات والزراعات فقد أصبحت ضمن الكتب المدرسية أثناء حياة فرجيليوس نفسه . يقول سويتونيوس Suetonius (٧٠ - ١٦٠ م) إن ذلك قد حدث في مدرسة ثانوية للبنين تأسست في روما عام ٢٦ ق. م . تقريباً على يد شخص يدعى كوينتوس كايكيلوريوس Quintus Caecilius وهو رجل إغريقي ، إلبروسي المولد (أى من منطقة إلبروس Epirus) ، عتيق أتيكوس رجل المال المعروف وصديق شيشرون (٢) . ولدينا أيضاً بيت من أبيات اشاعر جوفيناليس Juvenalis (ولد حوالي ٥٠ م) يصف فيه كيف كان الثلاثة يتداولون أشعار فرجيليوس ، وكيف كانت صورة فرجيليوس نفسه تنصدر تلك الأشعار (٣) . لكن أشعار فرجيليوس تعرضت للمصادرة في بعض العصور . فتحزن نعلم أن الامبراطور كاليجولا (١٢ - ٤١ م) قرر استبعاد أعمال فرجيليوس من جميع المكتبات العامة ، لكن ذلك لا يعدو أن يكون تصرفاً غير حكيم صدر عن شخص معزوم— كما هو معروف عن الامبراطور كاليجولا . ثم تزعم الامبراطور هادريانوس (١١٧ - ١٣٨ م) بعد ذلك حركة كانت تنادى بإحياء الملاحمة القديمة وتفضيل إنيوس وغيره من الشعراء القدامى ، لكن هذه الحركة لم تُعمر طويلاً (٤) . أضف إلى ذلك أن فرجيليوس قاسى من جماهير النحاة والمعلقين والشراح الذين كانت لهم الحرية المطابقة في تناول أشعاره بالنقد . فلقد توالى سلسلة طويلة من هؤلاء عبر الأجيال حتى العصور المظلمة . وبالرغم من ذلك فإن مكانة فرجيليوس وسلطانه وسيطرته على الأئندة

Quintilianus, Inst. Or., I. 8. 5.

(١)

Suetonius, De Illustribus Grammaticis, 16.

(٢)

Juvinal, VII. 225-227 ; Cf. Martialis, XIV, 186-2.

(٣)

Mackail, op. cit., pp. 120 sqq.

(٤)

لم تتضاءل . فكل الأدب اللاتيني بعد فرجيليوس - سواء أكان شعراً أم نثراً - مليء بالعبارات الفرجلية المقتبسة أو بفقرات محورة أو بإشارات لأعماله - تماماً كما نرى في الأدب الانجليزي - مثلاً - خلال الثلاثة قرون الماضية بالنسبة لأعمال شكسبير ، وربما أكثر من ذلك .

تمتعت أشعار فرجيليوس - وخاصة الأينية - في العصور القديمة بمكانة تشبه مكانة الإنجيل فيما بعد . إذ أصبحت مصدراً لإلهام قدسي ، وربما ظل ذلك الاعتقاد سائداً حتى القرن السابع عشر الميلادي . كان الأوريون يأخذون فأنهم بعد مطالعة بعض فقرات من الأينية في المعابد . وبذلك تكون الأينية قد احتلت مكانة الكتب السيولية التي كانت مصدر النبوءات أثناء العصور السابقة لعصر فرجيليوس (١) . فتروى بعض الروايات أن هادريانوس عرف طالعه واطمأن على مستقبله بعد استشارته للأينية وللاكتب السيولية (٢) . كما أخذ كلوديوس ألبينوس Clodius Albinus نأله بمطالعة بيتين من أشعار فرجيليوس في معبد أبولاون في كوماي ، بينما أخذ الكسندر سفروس Alexander Severus فأله أيضاً بنفس الطريقة في معبد فورتونا Fortuna في براينيسى .

كان الرومان ينظرون إلى فرجيليوس بعد موته نظرة فيها نوع من التقدیس؛ إذ كانوا يعتقدون أن لديه القدرة وهو في العالم الآخر على أن يسيطر على شئون البشر وأن يحدد مصائرهم أثناء حياتهم الأولى . وقد سجل الرومان يوم مولده مثله في ذلك مثل يوم مولد الامبراطور أوغسطس - في التقويم الروماني ضمن الأيام المقدسة . وكان الشعراء - مثل ستاتيوس Statius وسيلديوس إيتاليكوس

(١) كان لدى الرومان مجموعة من الكتب اعتقدوا أنها مقدسة ونسبوا إليها العرافة سيولا (راجع الحاشية رقم (٨١) ص ٢٧٤ ، « ٣ » ص ٣١٣) ، وكانوا منذ فجر التاريخ يأخذون فأنهم عن طريق مطالعة هذه الكتب التي كانوا يحفظونها في معابدهم . انظر أيضاً ك ص ٢٧٨ وما بعده .

Silius Italicus (١) — يحجون إلى قبره ويؤدون فروض الولاء كما لو كانوا يحجون إلى مكان مقدس (٢). ووضع الكسندر سفروس تمثالا نصفيا لفرجيليوس في اللاراريوم Lararium — محراب العائلة — داخل القصر الامبراطوري ؛ حيث كانت تقدم له فروض الولاء . ومن المحتمل أن ذلك النوع من التقديس قد توقف عندما تدهورت الوثنية . ثم ظهر من جديد في عصر الكنيسة المسيحية . فقد اعتبر علماء المسيحيين القصيدة الرابعة من الرعويات نبوءة مباشرة نشر بمولد السيد المسيح (٣) عتبر عن هذه الفكرة الامبراطور قسطنطين Constantinus (٢٧٤ — ٣٣٧ م .) — في خطاب وجهه إلى جميع أفراد الشعب المسيحي في الامبراطورية — بعد ما أصدر قراره بالاعتراف بالمسيحية كدين رسمي في الدولة الرومانية (٤) . بعد ذلك انتشرت هذه الفكرة انتشارا واسعا بين المسيحيين (٥) . فالقديس أوغسطين لم يصدقها فحسب ، بل إنه يستشهد بحديث فرجيليوس عن نبوءات سيبو لا الكومية — في القصيدة الرابعة من الرعويات — كدليل على أصالة تلك النبوءات التي انتشرت قبل ظهور المسيحية وفعاليتها . أضف إلى ذلك أن الأشعار الفرجيلية تعرضت لبعض التحوير أو التعديل الطفيف الذي قام به المسيحيون لإعدادها كي تقرب أو تنشأ أثناء الاحتفالات الدينية المسيحية داخل الكنيسة أو خارجها . ولم تقف أهمية فرجيليوس عند هذا الحد ، بل ازداد تقديس المسيحيين له ، أو هكذا تشير الروايات التي بين أيدينا . فإدينا رواية تقول إن القديس بواس

(١) سيليوس إيتاليكوس (توفي عام ١٠١ م) هو مؤلف أطول ملحمة لاتينية بعنوان الحروب البونية Bella Punica . تناولت هذه الملحمة الحرب البونية الثانية . ترك فرجيليوس أثرا واضحا في أعمال إيتاليكوس . راجع Charles L. Durham, op. cit., p. VIII.

(٢) Plin., Epp., III. 7. 8.

(٣) Rose, op. cit., p. 242 ; Charles L. Durham, op. cit., p. X.

(٤) Constantine, Oratio de Sanctos, 19-21.

(٥) W.G. De Burgh, The Legacy of the Ancient World, (Penguin 1953),

زار قبر فرجيليوس وهو في طريقه من بوتولي Puteoli إلى روما ،
 وإنه بكى وهو يتذكر أن فرجيليوس مات قبل أن يرى « النور » (يقصد
 بذلك نور المسيحية) وقد أضاء العالم . ولقد أضيفت هذه القصة فيما بعد إلى
 مادة الاحتفال الذي كن يقام بمناسبة يوم القديس بولس في مانتوا . وكان بعض
 الرومان أثناء احتفالات أعياد الميلاد يطلقون أحياناً على فرجيليوس لقب
 « بنى » الوثنيين . ثم تمادت الشعوب الأوربية في تخيلاتها وغات في تصوراتها .
 فتحول فرجيليوس « النبي » إلى فرجيليوس « الساحر » ، ونُسجت حوله
 قصص خيالية ربما نشأت أصلاً في نابلي ثم انتشرت في جميع أنحاء العالم
 الأوربي . وإن أغلب هذه القصص ضمتها كتاب عنوانه أبحار الرومان
 Gesta Romanorum وهو من المجلدات التي امتازت بشعبية ضخمة أثناء
 العصور الوسطى . وكانت هذه القصص نواة لعدد ضخم من انرومانسيات
 الشعرية والنثرية التي بدأت في الظهور منذ القرن الثاني عشر الميلادي .

وهكذا نلاحظ أن فرجيليوس - الإنسان والشاعر - حاز إعجاب الجميع
 منذ بدأ حياته الأدبية ، فقد أعجب به جميع الكتاب القدامى منذ برونوس
 Petronius (القرن الأول الميلادي تقريباً) حتى القديس أوغسطين (٣٥٤ -
 ٤٣٠ م) . ثم تجاوزت شهرته فترة ظهور المسيحية كما تجاوزت فترة سقوط
 روما (١) . فبالنسبة للقديس أوغسطين - على سبيل المثال - كان فرجيليوس
 « الشاعر الذي فاق الجميع في شهرته Poeta ille clarissimus » . وحتى أثناء
 القرون المظلمة الأوربية فقد عكف على دراسته أغاب الدارسين مثل بيدى
 Bede (٦٧٣ - ٧٣٥ م) وألكوين Alcuin (٧٣٥ - ٨٠٤ م) .
 وأنسيلم Anselm (١٠٣٣ - ١١٠٩ م) (٢) . وإذا كنا نسكتم بأن
 دانتي Dante كان أعظم شخصية في العصور الوسطى وأنه أيضاً خالق الأدب

Charles L. Durham, op. cit., p. IX.

(١)

Bowra, op. cit., p. 33.

(٢)

الحديث ، فإن ذلك يوضح إلى أى حد وصلت إليه مكانة فرجيليوس بين الأدباء أثناء العصور الوسطى . فقد كان فرجيليوس - بشهادة دانتى نفسه - معلماً لدانتى يشعر نحوه بالعرفان بالجميل ، ويكنّ له كل احترام وتبجيل . فبفضل إرشادات فرجيليوس توصل دانتى إلى رؤية عوالم العقاب ومجتمعات التطهّر . فى الجزء الأول من الكوميديا الإلهية *Divina Commedia* - *Inferno* - مخاطب دانتى فرجيليوس قائلاً : (١) .
أنت قائدى ، أنت سيدى ، أنت مولائى .

إن دانتى مخلص على فرجيليوس جميع ألقاب المديح مثل : المرشد الحكيم *Savio duca* ، الوالد العزيز : *dolce padre* ، المعلم الرائع *alto dottore* ، القائد العظيم *gran maliscalco* ، الكثر الأبدى *pregio eterno* ، الفضيلة السامية *virtù somma* ، الرفيق المخلص *scorta fida* ، محيط ذاخر بالحكمة *mar di tutto il senno* . هذه هى بعض الألقاب التى كان دانتى يخلعها على أستاذه وسيده فرجيليوس أو يناديه بها ، وإن كان فى أغلب الأحيان يشير إليه فى بساطة بكلمة « الشاعر » *il poeta* ، وهو يرى فى ذلك الكفاية ، ولا يجد ضرورة لإضافة صفة أو كنية . ومن فرجيليوس ودانتى نهل بعد ذلك كل من بترارك *Petrarca* وبوكاشيو *Boccaccio* وأريوستو *Ariosto* وتاسو *Tasso* وليوباردى *Leopardi* وكاردوشى *Carducci* . كما نهل منهما أيضاً شعراء مختلفو الجنسية ، وحمل مشاعل ربّات الفنون من بعدهم مجموعة أخرى من بينهم تشوسر *Chaucer* وسبنسر *Spenser* وميلتون *Milton* ووبرنزويرث *Wordsworth* وشيلي *Shelley* وكيثس *Keats* وغيرهم . فلم يكن فرجيليوس مجرد رائد للشعر والشعراء ، بل كان وما يزال منذ القرن الرابع عشر حتى القرن الحالى نبأ متدفقاً ، ومورداً لا ينتضب لجميع الشعراء على حد سواء . لقد كان فرجيليوس - وسوف يظل ما بقيت الإنسانية - معلماً وأ نموذجاً وإلهاماً .

مكانة الأينيدة بين الملاحم القديمة والحديثة :

والآن لنا أن نسأل ماذا فعل ثرجيلدوس ليجعل من الأينيدة نموذجاً يحتذى به ، ولماذا فضل أغلب شعراء الملاحم اتباع متوجهه على متوجه من سبقه من الشعراء .

هناك من يقسم الملحمة إلى نوعين : ملحمة حقيقية أو أصيلة authentic وملحمة أدبية literary . وقد تبعت هذه التسمية على تفضيل النوع الأول على النوع الثاني ، بل وعلى الإعجاب بالنوع الأول واحتقار النوع الثاني . لكن س . م . باورا C.M. Bowra لا يرى ذلك صحيحاً على الإطلاق (١) . إذ يرى أن هذه التسمية قد أطلقها بعض النقاد لمجرد التمييز بين فرعين للشعر الملحمي . فهناك فرعان فعلاً للشعر الملحمي ، وهناك فروق بين خصائص كل منهما . هناك بالأكيد فرق بين بيوولف Beowulf (٢) وأنشودة رولان Song of Roland من ناحية والأينيدة والفردوس المفقود Paradise Lost (٣) من ناحية أخرى . لكن هذا الفرق ليس أصلاً في نوعية الشعر . فإذا كانت الأينيدة لا تعرض شيئاً صلباً وسامياً للغاية مثل رفض رولان أن يتفخ في بوقه فإن أنشودة رولان لا تحتوى على شيء قايٍ وأساوى للغاية مثل اللحظات الأخيرة في حياة ديدو وبخاصة لحظة موتها . فإكل من

(١) راجع Bowra, op. cit., pp. 1 sqq. الذى اعتمدنا عليه في كتابة الصفحات التالية اعتماداً ملحوظاً .

(٢) قصيدة من الأدب الإنجليزي القديم يبلغ عدد أبياتها ٣٢٠٠ ، من أقدم القصائد التى وصلتنا بلغة من اللغات الحديثة . موضوعها هو منامرات بيوولف ، ويبدو أنها تشير إلى بعض أحداث وقتت بالفعل في القرن السادس الميلادى . يرجع تاريخ نظم هذه القصيدة إلى القرن الثامن الميلادى ، من أجود الطبقات التى ظهرت فيها هذه القصيدة الطيبة التى نشرها كليبر F. Kleiber عام ١٩٢٢ ، ومن أروع الترجمات التى ظهرت حتى الآن ترجمة وليام موريس William Morris . ا.ج. يات A.J. Wyatt فى عام ١٨٩٢ .

(٣) هى ملحمة ميلتون الرائعة التى تنقسم إلى اثني عشر كتاباً أو جزءاً ، والتى نشرت لأول مرة عام ١٦٦٧ م .

الملحمتين طريقتها الخاصة ، وكل طريقة على حدة تسهم اسهاماً من نوع خاص في تصور الحياة وفهمها . وليس لنا أن نقرر أيهما أفضل ، بل ليس علينا سوى أن نوضح الفرق بينهما ، وأن نحس بالبهجة التي تبعثها كل منهما في النفس . لكن الاعتراف بوجود فرق بين كل منهما لا يبرر تسمية النقاد للأول « حقيقياً » والآخر « أدبياً » . كما أنه ليس من الصواب أن نُحتمل هذا الاختلاف في التسمية أكثر مما يعنى في الواقع .

وإذا ما تعرضنا — على سبيل المثال — للمقارنة بين بيوولف والفر دوس المفقود فسوف نجد أن الأولى بعيدة كل البعد عن الثانية . فإن الفرق بينهما هو الفرق بين الملحمة « الشفهية » والملاحمة « التحريرية » ، بين ملحمة تُنظم لتُسمع وملحمة تُنظم لتُقرأ ، بين ملحمة تُنشد أمام مستمعين وملحمة تُنشر في كتاب . والملاحمة الشفهية صورة ناضجة من روايات مرتجلة كمثل الروايات التي مازالت باقية حتى الآن في يوغوسلافيا والتي انتشرت في الأزمان الغابرة في عدد من مناطق العالم المختلفة . ففي تلك المناطق كان الراوى — مثل ديمودوكوس عند هوميروس (١) — ينشئ أشعاره في نفس اللحظة التي يقوم فيها بالإنشاد . يعنى أنه يرتجل أشعاره ، لذلك فإن فنه كان يحتاج إلى مران طويل شاق . ولكي يروى روايته كان من الواجب أن يكون لديه مقدماً في ذهنه عدد من الحمل والأبيات الكاملة التي تتفق مع أى موقف من المواقف التي يتناولها في القصة التي يرويها . قد يكون في ذهنه بعض الفقرات الكاملة التي تناسب الموضوعات التي يتناولها مثل استخدام الأسلحة وإنزال قارب إلى البحر وقدم الصباح أو المساء ، إلى آخر مستلزمات رواية القصة . وكان لابد له أيضاً من أن يكون لديه حصيلة ضخمة من القصص ، فقد يطالب المستمعون منه قصة معينة ، كما كان من الضروري له أن يكون قادراً على السيطرة

(١) عاش في كل قصر من قصور الأمراء الاغريق منشد كان ينشد أمجاد الأجداد ويقوم بالترفيه عن الأمير وضيوفه . ومن أشهر هؤلاء المنشدين ديمودوكوس Demodocus الذي عاش في قصر ألكينوس Alcino والذي ذكره هوميروس في الكتاب الثامن من الأوديسا .

على لغة تقليدية قد لا ترتبط كثيراً بلذته المحلية بل تكون قد تكونت على أيدي أجيال متتالية من الرواة مثل لغة الشعر . من هنا كانت قوة الذاكرة شيئاً ضرورياً بالنسبة للراوى . إذ أنه إذا لم يكن مسيطراً على فنه ، وإذا لم يكن قادراً على التغلب فى الحال على أى عقبة تعترضه أثناء روايته فإنه يتلعثم ويبلو عليه التردد ويفشل فى الإنشاد . إن كل همّة ينحصر فى استخدام التعبيرات والأبيات الكاملة التى تعلمها أثناء فترة تدريبه استخداماً سليماً يتناسب مع المواقف التى يتناولها فى روايته .

وفىما يتعلق بهذا الفن - فن الإنشاد - فإن هوميروس يقف عملاقاً لا يغيب عن الأنظار ، ومن المستحيل الاعتقاد أن الإلياذة والأوديسا - كما نعرفهما الآن - كانتا أشعاراً مرتجلة ، لكن تركيبهما الفنى يوحى بأنهما كانتا كذلك ، وأنهما انحدرتا من أشعار مرتجلة . فالنوع الثابتة المعروفة ، والأبيات ، ومجموعات الأبيات المكررة ، والعدد الهائل من المترادفات والتركيبات اللفظية التبادلية ، كل ذلك يشير إلى عنصر الارتجال فى الإلياذة والأوديسا . إن هوميروس يمارس على نطاق واسع طريقة شفوية انحدرت من أشعار مرتجلة ، وإن طريقته فى كثير من النواحي الفنية هى الطريقة المتبعة فى نظم بيولوف وأنشودة رولان . فلقد خلقت ظروف الارتجال والإنشاد نوعاً من الشعر يمكن التعرف عليه باستخدامه للألفاظ والأبيات المكررة والتركيبات الثابتة . وهذا النوع من الشعر بعيد كل البعد عن أشعار فرجيليوس وميلتون . فإذا كانت أشعار فرجيليوس وميلتون يظهر فيها تأثير هوميروس ، فإن ذلك يرجع إلى أن كلا من فرجيليوس وميلتون يتبعان هوميروس لاقتناع شخص بأن عليهما أن يفعلا ذلك ، وليس لأن ظروفهما أرغمتهما على استخدام وسائل لا يمكن الاستغناء عنها فى نظم الشعر الشفوى .

واختلاف ظروف النظم يؤدى بدوره إلى اختلاف فى طبيعة الشعر . فلأن هوميروس نظم أشعاراً بقصد الإنشاد فإن أشعاره تتصف فى بعض النواحي بأنها أقل التزاماً وأكثر تفككاً من أعمال فرجيليوس وإن كلا من ملحمتي

هومبروس ذو خطة عظيمة ، وكلاهما ممر من مشكلة إلى خاتمة . لكنهما أقل تماسكاً إذا ما قورنتا بالأينيدة . فالأحداث في كل منهما يمكن فصلها عن الكل بسهولة أكثر ، كما يمكن التمتع بهذه الأحداث كأشعار مستقلة . ولقد كان في مقدور الشاعر الاغريق أن يصوغ حدثاً متكاملًا متماسكاً ، لكنه لم يتوقع أن ينشد ملحمة كاملة في مناسبة واحدة وأمام نفس الجمهور . ولذا عليه أن يكون مستعداً لاختيار جزء منها لينشده بشرط أن يكون ذلك الجزء مكتملاً نسبياً في حد ذاته ، وأن لا يحتاج إلى شروح كثيرة من أجل فهمه وتذوقه . لهذا فإن طبيعة شعر هومبروس — وبخاصة الإلياذة — قد أسىء فهمها ، فظهرت آراء تنادى بأن أشعاره لم تكن في الأصل سوى مجموعة من الأشعار المستقلة ثم تمّ جمعها على شكل ملحمتين كاملتين . وهكذا يبدو أن التفكك الظاهر في بناء الإلياذة كان وليد الظروف التي أحاطت بمؤلفها ، وحتى الإهمال الظاهر في التفاصيل فهو جزء من فنه الشفهي .

إن الفرق شاسع بين فن هومبروس الشفهي وفن فرجيليوس التحريري . فالشاعر الذي يكتب للقراء يكون استخدامه للعبارات والصيغ أقل من استخدامه للمفردات . إنه يصوغ الجمل بحرص وعلى حدة ، كذلك يحرص على تفادي الاسقاطات والتناقضات وعلى خلق توافق بين التفاصيل الدقيقة للموضوع وعلى تحقيق وحدة متماسكة للفكرة بأكملها . وحتى عندما يتأثر فرجيليوس بهومبروس في استخدام الطريقة الشفهية في تكرار النعوت أو الجمل أو التركيبات فإن فرجيليوس يسلك سبيله الخاص ويدخل في كل مرة تعديلات على الصورة التي يستخدمها . إنه مغرم بالتكرار ، لكنه يُغير دائماً من استخدامه للعبارات ، فهو يعبر عن الشيء الواحد بعبارات مختلفة تترد في أماكن متفرقة في ملحمة . لذلك نلاحظ أن فرجيليوس يفضل تكرار المعاني على تكرار الألفاظ أو العبارات . إنه يكسب أكبر قدر من المعاني في البيت الواحد ، ويدقق في اختيار الكلمة التي توحى بأكثر من معنى ، ويحاول أن يستحوذ على أكبر قدر من انتباه القارئ . فإن كانت جودة الملحمة الشفهية تعتمد

على بساطتها وقوتها ومعانيها المباشرة فإن جودة الملحمة التحريرية تعتمد على نسيجها الشعرى واختيارها الموفق أو المناسب أو المؤثر للكلمات والمعنى المتدفق الذى تنقله العبارات والأبيات . وهو ميروس وفرجيليوس فإنه يمتاز بتركيباته الخريثة ، لكن الاختلاف بينهما قائم وموجود . إنه اختلاف إنشائى ، اختلاف فى ، وهذا هو ما يحدد الفرق بين نوعى الشعر الملحمى ، اللذين هما فى الحقيقة ليسا نوعين — الأول « حقيقى » والثانى « أدبى » — بقدر ما هما فرعان لنوع واحد — فرع « شفهى » وآخر « تحريرى » .

تؤدى بنا معرفة هذا الفرق على حقيقته إلى ما هو أكثر من مقارنة بين هو ميروس وفرجيليوس فقط . إنها تمكننا من التمييز بين نوع من الملحمة يتضمن الإلياذة والأوديسا وبيوولف وأنشودة رولان ومجموعة ضخمة من الروايات اليوغوسلافية ونوع آخر يتضمن الأينيدة وأبناء لوسوس (البر تغاليون) Os Lusitadas وتحرير بيت المقدس Gerusalemme Libertata والفردوس المفقود : فإن أطلقنا على النوع الأول اسم الملحمة « الشفهية » فليس هناك ما يمنع من تسمية النوع الثانى بالملحمة « التحريرية » — بشرط أن نثبت فى أذهاننا أن كلمة « أدبية » تعنى « مكتوبة » أو « تحريرية » وتوحي بأن أشعار ذلك النوع من الملحمة ليست من الأشعار التى تُنظم لتُنشد بل من الأشعار التى تُكتب لتُقرأ . عندئذ يكون التمييز مجرد تمييز بين أصل وطبيعة كل من النوعين وليس بين مادة وقيمة كل منهما . وبالطبع عندما ينقسم نوع من أنواع الشعر إلى نوعين فرعيين فإن كلا من هذين النوعين الفرعيين يكون له شعراؤه المجددون ، ويكون من المستحيل أن تقر من منهم على صواب ومن منهم على خطأ (١) : إذ أن لشعراء كل مجموعة

من المجموعتين أساليهما الخاصة التي تتبعها وأهدافها التي تحققها .
يُصاحب اختلاف المناهج في نظم الشعر الملحمي اختلافاً اجتماعياً أو روحياً (١) . فأغلب الملاحم الشفهية تصوّر ما يُعرف بالروح البطولية ، وتنشأ في مجتمعات تتمسك بمقاييس بطولية للسلوك .. لكن الملاحم الأدبية — بالرغم من أن لها « أبطالها » — فلها مفهوم آخر للبطولة وللعظمة البشرية ، لأنها وليدة مجتمعات لا يمكن تسميتها في الواقع مجتمعات بطولية . فالعالم البطولي لا يتمسك بشيء بقدر ما يتمسك ببسالة البطل الفرد وسمعته . إذ أن الرجل الفرد أخيليلوس أو بيوولف أو رولان يفوق الرجال الآخرين في القوة والشجاعة . إن هدفه الرئيسي — بل هدفه الأوحد — هو أن ينال الشرف والشهرة من خلال أعماله الجليلة التي يؤديها ، وأن ترتبط ذكره بتلك الأعمال بعد موته . إنه لا يعبأ عن حوله ، وحتى الأخلاق فإنها ليست شغله الشاغل ، إذ أنه يعيش في عالم لا يهتم بالأخلاق بقدر ما يهتم بالكرامة . ويبدو من الناحية التاريخية أن مثل هذه الشخصية قد نشأت في ظروف بدائية صعبة . كان على الإنسان في مثل تلك الظروف أن يمتاز ببسالة وجرأة حتى يستطيع أن يتغلب على الجميع ، فإن نجح في ذلك أصبح شبيهاً بالآلهة . ويمكننا مقارنة تلك الظروف بالظروف التي كانت تحيط بالاغريق أثناء عصور ما قبل التاريخ أو بالانجليز الأصلاء Angles (هم أفراد قبيلة ألمانية هي أصل الانجليز) والساكسونيين عندما جاءوا لأول مرة من أوطانهم الأصلية في القارة الأوروبية إلى إنجلترا . ففي تلك العصور كان البطل — أو السوبرمان — هو القائد الذي يستطيع أن يُلهم الآخرين ويدفعهم في الأعمال العسكرية التي تسبق إقامة نظام جديد . فلم يكن هدف أخيليلوس الراحة والتعميل المحذ والعظمة ، وهما يتطلبان سلوكاً معيناً . لذلك فالبطل يضحي بحياته من أجل تحقيق المجد لنفسه . وبالمثل ، فإن رولان — الذي يبدو في الظاهر أنه يحارب من أجل شارلمان Charlemagne ومن أجل الدولة المسيحية — يلتقي مصيراً بطولياً

لسبب بسيط وهو أن كرامته قد خدشت فأراد الدفاع عنها . والواقع أن الاهتمام الكامل لا يكون في هذه الحالة منصباً على مدى قدرة هؤلاء الرجال على التدمير بل على مدى استعدادهم للموت .

إن الشخصية البطولية الحقة والسلوك البطولي ليس لهما وجود بالنسبة لشعراء الملحمة الأدبية . وبالرغم من أن فرجيليوس كان تلميذاً مخاصماً لهوميروس ويدين بالفضل العظيم له ، فإن نظرة الأول لقيمة الإنسان تختلف عن نظرة الثاني، كما أن الأول عاش في مجتمع بعيد كل البعد وغريب كل الغرابة عن المجتمع الذي عاش فيه أبطال هوميروس . وعندما استخدم فرجيليوس الصورة التقليدية للملحمة فإنه وجد نفسه مضطراً إلى إدخال تعديلات عليها تتفق وظروف عصره . فهناك مراحل تاريخية بعيدة تفصل فرجيليوس عن النماذج البطولية التي يتناولها . فلقد انجبه فرجيليوس نحو الماضي بحثاً عن الإلهام ، لكن الحاضر هو الذي شكّل إنتاجه . وهنا يختلف فرجيليوس عن هوميروس في نقطتين أساسيتين على الأقل . النقطة الأولى هي منهجه في التأليف ، والثانية نظرة إلى المستوى البطولي . فالزواج العام للأنييدة يختلف كل الاختلاف عنه للإلياذة . فقد ابتكر فرجيليوس نوعاً من الشعر هو شعر ملحمي في مظهره العام وفي نبلة وإحساسه بالقيمة البشرية ، لكنه لا يشبه أى شعر ملحمي كان قد ظهر من قبل . ولقد نجح فرجيليوس في محاولته نجاحاً باهراً دفع شعراء آخرين إلى الاقتداء به ، فأنتجوا ملاحم سُمّيت بالملاحم الأدبية .

إن ما كتبه كاموس Camoes البرتغالي وتاسو Tasso الإيطالي وميلتون Milton الانجليزي يتبع في نوعه ما كتبه فرجيليوس . بل إن نظرية الشعر الملحمي بوجه عام في عصر النهضة اعتمدت على ما جاء عند فرجيليوس . لكن بالرغم من أن شعراء عصر النهضة ساروا على المنهج الفرجيلي ، فإنهم جاولوا منافسة فرجيليوس نفسه ، وهكذا أصبح هؤلاء الشعراء تلاميذ لفرجيليوس ومنافسين له في الوقت نفسه . والملحمة الأدبية هي إنتاج طبقة من الشعراء

يشبه كل منهم الآخرين في الهدف والنظرة العامة ، وهى طبقة منفصلة انفصالاً تاماً عن طبقة شعراء الملحمة البطولية سواء القديمة منها أو الحديثة .

ويكمن الفرق الجوهرى بين الملحمة الأدبية والملحمة الشفهية فى ظروف النشأة . فشعراء النوع الأول عاشوا فى مجتمعات منظمة تنظيماً دقيقاً حيث لا يوجد مكان للفردية المطلقة . عاش فرجيليوس تحت تأثير الامبراطور أوغسطس وعاش كاموس تحت الحكم الكاثوليكي المطلق فى البرتغال ، وعاش تاسو فى فترة عصيبة كان فيها الإصلاح يسير مندفعاً قوياً ، كما عاش ميلتون فى ظل حكم كرومويل وجماعة المتطهرين . لذلك لم يكن لأى منهم أن يتغنى بمآثر شخصية أجنبية نبيلة . وحتى سادتهم وحكامهم أنفسهم فإنهم لم يدعوا لأنفسهم البطولة بالمعنى القديم . أراد أوغسطس أن يبدو أمام الجميع فى صورة المواطن الأول فى روما ، وأن يبدو أمامهم ملتزماً بجميع قواعد الأخلاق المتوارثة : كما كان أصحاب الصولة والمطارنة فى عصور النهضة وعصر الإصلاح حكماً مسيحيين ، كانوا يعتقدون على الأقل - أنهم خاضعون لرحمة الله . كان الانسان فى ذلك الوقت قد غير مكانه فى العالم . لم تعد حياته بعد بقعة ضئيلة من الضوء وسط ظلام شاسع ، ولم يعد واجبه قاصراً نحو نفسه فقط . لم يصبح من واجبه تحقيق العظمة والمجد لنفسه فحسب بل للدولة أو الكنيسة التى يتبعها . لذلك كان من المستحيل أن يتناول الشاعر الملحمى موضوعه بنفس الأسلوب القديم . أما إذا أراد تصوير موضوع بطولى فقد كان عليه أن يتكرر نمطاً جديداً للبطل وأنموذجاً جديداً للبطولة .

بدأ شعراء الملحمة الأدبية فى البحث عن صفات جديدة للبطل الملحمى . إذ كان بطل الملحمة الشفهية - مثل أخيلئوس وأورولان - يقع تحت تأثير دافعين قوين من دوافع النفس البشرية ، هما حب المجد واحترام التضحية . والأول يتحقق عن طريق الثانى ، فالبطل يضحي بحياته فيحقق لنفسه مجداً خالداً . لكن فرجيليوس اكتشف ميداناً جديداً للمجد والتضحية . فالدافع الذى يستحق المجد ويدفع إلى التضحية ليس بسالة فردية مثالية بل خدمة روما . إن روما هى التى تمنح المجد لأبنائها ، وإن روما هى التى تستحق أن يضحي

أبناؤها من أجلها ليس بحياتهم فحسب بل أيضاً بهنائهم وطموحهم الشخصي وبكل ما اعتبرته الشخصية البطولية القديمة حقاً لها . لهذا السبب دمج فرجيليوس فكرة رغبة البطل في الحصول على المجد لنفسه واستبد لها بفكرة رغبته في تحقيق المجد لأُمته . وهكذا وضع النظرة القديمة لكرامة الإنسان داخل إطار من الأخلاقيات حيث تحدت الواجبات في وضوح وأصبح من الواجب انقيام بها في حدود رغبة الآفة . وهكذا أصبحت الملحمة لأول مرة على يد فرجيليوس عملاً قومياً . وفضلاً عن ذلك فقد أضاف إليها بعض الموضوعات التي لم يطرقها الشعراء الذين جاءوا قبله ، فجعلها تحتوي على فلسفة الحياة والموت ، وهي مشكلة كان الإنسان يهتم بها اهتماماً بالغاً . ومع ذلك فقد ظلت أشعار فرجيليوس تُعرف بالأشعار الملحمية ، لأنها تتناول ما هو أعظم وأنبّل في حياة الإنسان ، لكنها في الحقيقة كانت نوعاً جديداً ، إذ أن تلك العظمة وذلك النبيل كانا جديدين في حد ذاتهما .

سار شعراء النهضة على نهج فرجيليوس لأكثر من سبب : لشهرة أشعاره التي يرجع سببها إلى اللغة والأسلوب اللذين جعلوا الأجيال التالية تنظر إليه نظرة تقدير . فلقد اعتبر فيدا Vida (١) فرجيليوس أعظم الشعراء ، كما اهتمت المدارس بتدريس أشعاره . وكان شعراء عصر النهضة الذين يستخدمون اللغة اللاتينية في كتاباتهم يتخذونه أنموذجاً لهم . من هنا جاء إعجاب الشعراء الآخرين اللذين تأثروا بذلك الجليل الأخير من الشعراء . هذا بالإضافة إلى أن فرجيليوس قد تناول نواحي من الحياة البشرية اهتم بها أيضاً شعراء النهضة كما اهتم بها شعراء العصور الوسطى من قبل . أضيف إلى ذلك أن احتواء أشعار فرجيليوس على كثير من الموضوعات الفلسفية والتاريخية والدينية جعل الشعراء الذين جاءوا بعده يبذلون محاولات جادة لتناول هذه الموضوعات المتعددة بطريقتهم الخاصة وحسب مفهومهم الخاص .

(١) في كتاب فن الشعر Ars Poetica الذي نشر في كريمونا Cremona

Bowra, op. cit., p. 89.

عام ١٥٢٧ م . راجع

ولما كان فرجيليوس يرغب في أن يتخطى في أشعاره حدود شخصية الفرد فإنه فكر في أن يربط بين الماضي والحاضر في دائرة متكاملة وأن يمنح روما وحدةً ميثاقية عن طريق عرض الإمكانات التي جعلتها عظيمة أثناء عصره والتي لازمتها منذ نشأتها . لذلك نلاحظ أنه يربط بين بطله الأسطوري آينياس ومولاه الحقيقي أوغسطس . كان هدفه من ذلك الثناء على الحاضر . لكن الحاضر حقيقة واقعة ، ومعقد للغاية ، ومألوف جداً للدرجة أنه ليس بقادر على أن يمدّ فرجيليوس بمادة لأشعاره . لذلك فقد ربطه فرجيليوس بالماضي ومجّده على أنه جاء نتيجة لمسيرة طويلة مقدسة أراحتها الأقدار . إن أوغسطس يحرز المجد لارتباطه بآينياس ، وروما تصل إلى أوج عظمتها لارتباطها بأصلها المتواضع . كانت فكرة فرجيليوس جريئة ، لكنها لم تكن مستحيلة .

أراد كاموس وتاسو وميلتون — مثلما أراد فرجيليوس من قبلهم — أن يمجّدوا الأحداث العظيمة والخبرات القادرة التي وجدت في عصورهم . لكن ما من واحد منهم وجد موضوعاً مستقلاً مناسباً لتحقيق رغباته . لم يجد كاموس سوى فاسكو داجاما Vasco da Gama الذي لا يمثل سوى بعض القيم فقط التي ساهمت في خلق البرتغال . بالرغم من ذلك فإن موضوع ملحمة كاموس هو البرتغال ، تماماً كما أن موضوع الأبيدة هو روما . وتأثر تاسو أيضاً بفكرة معاصرة وهي ضرورة التحلي بأخلاق الفرسان والشهامة أثناء الصراع مع الكافرين ، فتناول شخصية مولاه ألفونسو الثاني Alfonso II لكن الصفات التي وجدها في تلك الشخصية لم تكن في نظره كافية لتكون موضوعاً ملحماً . لذلك فقد تناولها بطريقة مثالية ضمن قصة تدور حول الحروب الصليبية الأولى حيث جعل أجداد ألفونسو يظهرون القيم التي توارثوها عن آبائهم وجعل محاربين آخرين يكملون دائرة الشرف العسكري والمجد الفروسي . أما ميلتون فكان محس — وهو في ربيع عمره — باهتمام بالغ نحو كرومويل والانتصارات التي حققها البريطانيون للدولة الكومنولث ، فعبّر في مقطوعات غنائية قصيرة sonata عن إكباره للقادة العظام . لكنه أحس

أن ما فعله لم يكن كافياً . لذلك فقد نظم الفردوس المفقود وربط فيها بين الإنسان الأول والرجل البريطاني . وهكذا نلاحظ أن بجميع هؤلاء الشعراء ربطوا بين الماضي والحاضر - مثلهم في ذلك مثل فرجيليوس - وإن كان كل منهم قد فعل ذلك بطريقة الخاصة .

وقد أدت عملية الربط هذه إلى نتيجة هامة . فإن الملاحم الأدبية لم تصور - كما صورت ملحمتا هوميروس - مجرد أفراد عاديين . إنها تصور أشياء تشبه الرموز أو المثل العليا ، تصور أشخاصاً يصورون بدورهم أشياء أخرى بخلاف شخصياتهم . فأيناس عند فرجيليوس يمثل روما ، وفاسكو داجاما عند كاموس يمثل البرتغال ، وجوفريدو Goffredo عند تاسو يمثل الشهامة المسيحية ، وآدم عند ميلتون يمثل البشرية . معنى هذا أن الشاعر يعالج قضايا هامة ، ويبدل جهده كي يتناول كل ما على الإنسان من واجبات وكل ما يحيط به من ظروف . وبالتالي فإن أشعاره أشعار تعليمية ، وهو ما لم تكن عليه أشعار هوميروس . فأبطال شعراء الملحمة الأدبية أنماط بشرية . والهدف التعليمي ليس خافياً في هذه الملاحم ، بالرغم من أنه ليس من الضروري أن تكون له دلالة مباشرة أو معاصرة . فبينما أراد كاموس وتاسو أن تواصل أوروبا حروبها الصليبية ضد المسلمين أراد فرجيليوس أن يكشف التقاب عن أقدار روما ، وأراد ميلتون أن يشير إلى ما تفعله العناية الإلهية . وليس من الضروري أيضاً أن يكون الغرض التعليمي ظاهراً . فقد يستطيع الشاعر أن يحقق غرضه بوسائل غير مباشرة ، بأن يتجه نحو قلوب القراء أو ياجأ لخيالهم أو ضمائرهم . هكذا أراد شعراء الملحمة الأدبية أن تكون أشعارهم مصدر إلهام وتثقيف وتعليم . لم يقتنعوا بالفكرة التي سادت لفترة طويلة أن هدف الشعر تمضية الوقت أو الترفيه ، بل كانوا يرون أن دعوتهم جد خطيرة وأن هدفها السمو بأفراد البشر .

وبالرغم من ذلك لم ينس فرجيليوس وشعراء الملحمة الأدبية من بعده أنهم شعراء قبل كل شيء . لذلك كان عليهم أن يصوغوا أفكارهم في قالب

شعري رصين ، و أن يلجأوا إلى خيال القراء فيدخلوا العنصر الرومانسي الذي انصفت به ملاحم من سبقهم من الشعراء . فكما تأثر فرجيليوس بروما نسبة أبولونيوس الرودسي فقد تأثر كاموس وتاسو بأريوستو ، بل إن ميلتون نفسه يبدو في بعض الأحيان أنه قد وقع تحت تأثير روما نسبة بعض الشعراء الإيطاليين بالرغم من أنه كان يمتقتها .

والملمحة منذ نشأتها الأولى مليئة بالأحداث الخيالية . فالأوديسا زاهرة بمثل تلك الأحداث وكذلك أيضاً بيوولف وأنشودة رولان . إن تلك القصص الخيالية كان — في اعتقاد بعض المجتمعات البدائية — من الممكن حدوثها . هذا بالنسبة للملمحة البطولية . أما بالنسبة للملاحم الرومانسية مثل أورلاندو إتنا موراتو لبوياردو وأورلاندو فيوريوزو لأريوستو فالأمر يختلف . فشعراء النوع الأخير لا يعتقدون إمكان وقوع هذه الأحداث ، لكنهم يرون أن وجودها ضروري لمجرد إدخال البهجة في نفوس القراء . إنهم لا يدعون أنهم يعبرون عن الواقع ، بل إنهم عاجزون عن مواصلة الكتابة عندما يصبح الواقع مرّاً صعب المراس — كما حدث فعلاً عندما توقف بوياردو عن العمل في ملحمته بعد أن هاجم الفرنسيون إيطاليا عام ١٤٩٤م . إن أشعارهم تساعد على الهرب من الواقع ، والهدف منها هو مجرد إدخال البهجة والسرور ، لقد نُظمت خصيصاً من أجل مجتمع مثقف أرستقراطي ولا يدعى مؤلفوها أنها قومية أو تنصف بالشمولية .

والفرق واضح بين شعراء الملمحة الرومانسية والملمحة الأدبية . إذ يعرف بوياردو وأريوستو في صراحة بأنهما يختلفان حوادث خيالية محضة (١) . لكن كاموس وتاسو وميلتون يعلنون أنهم إنما يقولون الصدق ، وإن كانوا يضطرون في بعض الأحيان إلى الإشارة إلى أن ما يقولونه قد يتجاوز أحياناً

(١) راجع بوياردو ، أورلاندو إتنا موراتو ، ١٤٣٠ ؛ أريوستو ، أورلاندو فيوريوزو ، ١٢٠٢٠١ .

الصدق إلى حد ما (١) . أما فرجيليوس فيستهل ملحمة بفقرة يوحى أسلوبها الجاد إلى القارئ بأنه بصدد معرفة معلومات صادقة كل الصدق عن مدينة روما (٢) . هكذا نجد أن شعراء الملحمة الأدبية المحدثين يختلفون في طريقة معالجتهم لموضوعاتهم عن شعراء الملحمة الرومانسية من ناحية وعن فرجيليوس من ناحية أخرى . إنهم يجمعون بين عنصر الخيال — وهم متأثرون في ذلك بشعراء الملحمة الرومانسية — وعنصر الحقيقة — وهم يسيرون في ذلك على منهج فرجيليوس . ذلك لأنهم رأوا أن الخيال وحده لا يكفي وأن مجرد إدخال البهجة والسرور لا يفي بالغرض المطلوب . لقد أرادوا أن ينشئوا أعمالاً أكثر جدية وأقرب إلى الحياة .

وهذا لا يعنى أن كل ما ورد في أنبيدة فرجيليوس قد حدث بالفعل أو أن فرجيليوس نفسه كان يعتقد ذلك . فالعلاقة بين آنياس وديدو ، على سبيل المثال — كما ذكرنا من قبل ، ابتكار فرجيلي محض يتفق مع ما جاء عند جميع المؤرخين الذين تناولوا تاريخ روما . وفي الكتاب التاسع — مثلاً — عندما تتحول سفن آنياس إلى جنيات مائية فإن فرجيليوس يكتب رومانسية محضة . لكن كل قصة من قصصه تكمن وراءها قضية هامة وتنقل مغزى هاماً إلى عصره . والفرق بين شعراء الملحمة الأدبية في عصور النهضة وفرجيليوس هو أن هؤلاء الشعراء أحسوا بوجود تنافر بين الحقيقة والخيال أضخم من التنافر الذي أحس فرجيليوس بوجوده ، ووجدوا صعوبة في التغلب على ذلك أكبر من الصعوبة التي وجدها . إن فرجيليوس مزج بين الحقيقة والخيال مزجاً تاماً ، لكن شعراء الملحمة الأدبية في عصر النهضة لم يقصموا التمييز بين هذين العنصرين ، بينما شعراء الملحمة الرومانسية في العصور الوسطى لم يميزوا بين العنصرين على الإطلاق . وهنا يكمن الفرق بين الأطراف الثلاثة .

(١) راجع كاموس ، أبناء لوسوس ، ١١٤١-٤١٤٠ ؛ تاسو ، تحرير بيت المقدس ،

٦٢٠١-٨ ؛ ميلتون ، الفردوس المفقود ، ٢٨٤٩-٣١ وأيضاً ١٦٤١ .

(٢) راجع فرجيليوس ، الأنبيدة ، ١ ، ١٠٥ .

بالإضافة إلى ذلك فقد استغل فرجيليوس عملية المزج بين عنصرى الحقيقة والخيال في معالجته للمسائل الأخلاقية - لذلك جاءت معالجته مؤثرة وفعالة ، وأدرجت أشعاره في الوقت نفسه ضمن سجلات التاريخ . وهنا يختلف فرجيليوس أيضاً عن أبولونيوس الرودى والشعراء السكندريين الآخرين الذين كانت رومانيتهم تلقى إعجاباً شديداً لدى الرومان أثناء فترة شباب فرجيليوس .

هناك جانب آخر من جوانب الملحمة يستحق الذكر ، وهو الجانب العاطفى . فإن هوميروس لم يرغب في التحدث عن مغامرات أبطاله العاطفية ، بل إنه غالباً ما كان يصفهم بالتزمت والعزوف عن الجنس والعاطفة . فأوديسيوس قضى عاماً كاملاً مع كيركى Kirke دون أن يحس بالمتعة على الإطلاق (١) ، كما أنه قبل رغم أنفه الإقامة مع كالوبسو Kalupso (٢) وهذه ظاهرة عامة في الملاحم البطولية ، لكنها لا توجد في الملاحم الرومانسية . فملحمتا بوياردو وأريويستو زاخرتان بالمغامرات العاطفية بالرغم من أن موضوعهما يدور حول الحرب . وهنا يبدو تأثير شعراء الاسكندرية واضحاً على شعراء الملحمة الرومانسية . إذ كان الشعر السكندرى يهتم اهتماماً بالغاً بالمغامرات العاطفية . وبالرغم من أن أشعار هوميروس وشعراء الاسكندرية كانت معروفة لفرجيليوس فإنه لم يتأثر - في هذه الناحية بالذات - بأى منهما فلقد وجد في أشعار هوميروس إجحافاً وفي الأشعار السكندرية ترويحاً للجنس والعاطفة . ولعل من السهل تعليل موقف فرجيليوس الذى فرضته عليه ظروف عصره . لقد اتخذ الامبراطور أوغسطس موقفاً متشدداً من الجنس ونص عليه في القوانين التى إستنها . وبالتالي لم يكن أمام فرجيليوس إلا أن يضمن أشعاره تحذيرات ونصائح حتى لا يغضب مولاه . لذلك نلاحظ

(١) هوميروس ، الأوديسا ، الانشودة العاشرة ، سطور ٣٧٣-٣٧٤ .

(٢) هوميروس ، الأوديسا ، الانشودة الخامسة ، سطر ١٥٥ .

أن قصة الحب العظيمة الوحيدة الواردة في الأنيذة قد عالها فرجيليوس بأسلوب مأساوى واعتبرها مشكلة مروعة تعترض سبيل آنياس وفتاحة سلسلة من الكوارث تصيب العلاقة بين روما وقرطاجة في المستقبل . لقد وجد كل من كاموس وناسو طريقة فرجيليوس مناسبة لعصرهما فاتبعها إلى مدى كبير - بالرغم من تأثرهما من وقت لآخر بطريقة أريوستو - ، بينما التزم ميلتون طريقة فرجيليوس ولم يحد عنها .

وفي نهاية مناقشتنا لخصائص الملحمة الأدبية الفرجلية ومكانتها بين الملاحم القديمة والحديثة يجدر بنا أن نتعرض لحائب الهزل في الملحمة (١) . اعتاد هوميروس أن يضع بعض الفواصل الهزلية القصيرة بين نسيج قصصه البطولية . يحدث ذلك غالباً أثناء حديثه عن الآلهة ، لكنه يحدث أيضاً بين الحين والحين عند حديثه عن بعض أبطاله الآدميين . وتوجد الظاهرة نفسها في أغلب ملاحم العصور الوسطى . فشخصية راينورت Raynouart الرفيعة الشأن التي يجعل دانتى مكانها الفردوس - قد أصبحت شخصية هزلية . ويستمر وجود هذه النزعة عند كل من بوياردو وأريوستو ، لكنها تختفي بعد ذلك في أغلب الملاحم التي نظمت في العصور التالية . فالشاعر ناسو لا يتفادى الهزل فقط في ملحمة بل إنه يحذر شخصياته - على لسان شخصيات أخرى - من الضحك (٢) . أما كاموس فلا نجد في ملحمة سوى شخصية كوميدية واحدة أو اثنتين على الأكثر ، وفيما عدا ذلك فإن بقية الشخصيات وقورة وجادة . والهزل عند ميلتون يحمل معنى الاحتقار (٣) ، وإن كنا لا نجده يفعل ذلك مع الشخصيات المهمة بل مع الشخصيات الثانوية فقط ، أما الموضوع

(١) Bowra, op. cit., pp. 26. sqq.

(٢) ناسو ، تحرير بيت المقدس ، ١٤ ، ٧٤ ، ٨-١ .

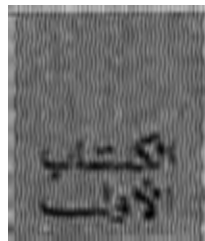
(٣) راجع - على سبيل المثال - ميلتون ، الفردوس المفقود ، ٨ ، ٧٥-٧٩ .

الرئيسى فهو ذو نعمة جادة. أما فرجيليوس فقد استبعد عنصر الهزل من جميع موضوعاته التى تناولها . وهكذا نجد فرجيليوس وشعراء الملحمة الأدبية من بعده لم يكونوا مغرمين بإيجاد عنصر الهزل فى أشعارهم ، وإذا كان هؤلاء الشعراء مهتمين ببناء عوالم جديدة للفكر فهم لم يسمحوا للهزل بأن يطغى على وقارهم أو يعوق سبيل هدفهم الأخلاقى ؛

ومن السهل تعليل عدم وجود عنصر الهزل فى الأبيدة . فالملحمة الأدبية لا تزدهر فى عصر متدهور ولا فى عصر يكون فى طريقه نحو الازدهار ، لكنها تزدهر فى عصر وصلت فيه النهضة إلى أوجها وفى نفس الوقت فى طريقها نحو التدهور إن آجلاً أو عاجلاً . لهذا نلاحظ أن شاعر الملحمة الأدبية يستعرض مآثر الماضى ومفاخره . إنه يستغل الماضى المحيد للمدح الحاضر والثناء عليه . والعكس صحيح بالنسبة للأنواع الأدبية الأخرى ، فهى تزدهر فى عصر ازدهار الأمم . فنحن لا نجد أشعاراً ملحمة رائعة فى عصور مزدهرة مثل عصر بركليس فى بلاد الأغريق والعصر الاليزابيثى فى بريطانيا وعصر لويس الرابع عشر فى فرنسا . فشعراء هذه العصور ينظرون دائماً إلى الأمام ، وليس إلى الخلف ؛ ينظرون إلى المستقبل وليس إلى الماضى ؛ يتعلقون بالأمل العريض ويتطلعون إلى مستقبل أفضل . فالمستقبل فى نظرهم أكبر ازدهاراً من الماضى ولعل هذا - فى رأى س . م . باورا C.M. Boura - يعلل نظرة الاكتئاب التى اتصفت بها أعمال شعراء الملحمة الأدبية مثل كاموس وتاسو وميلتون وعلى رأسهم فرجيليوس . فلقد كتب فرجيليوس ملحمة فى الفترة التى كان يتحول فيها العالم الرومانى من مطامع العصر القيصرى المتطرفة إلى الهدوء الأوغسطى المنتظر . وفرجيليوس يمثل فى ذاته فترة الانتقال بين سنوات الشغب الطويلة التى شهدتها العصر الجمهورى وسنوات السلام الدائم التى كان يتعد أوغسطس الشعب الرومانى بها . إن فرجيليوس يجمع بين خصائص وملامح كل من هاتين الفترتين ؛ إنه يحترم الماضى المحيد بشعبه وأبطاله ورجاله الأشداء ويمدح الحاضر بسلامه وهدوئه ، اتزانه ومظاهره الفنية والفكرية .

لذلك فليس هناك حاجة للهزل ولا مكان للضحك في الأبيدة : الكل يعمل ويسعى ويكافح ، الكل يفكر ويتأمل ، وجميع المساعي موقوفة لخدمة روما – المدينة الأم – التي خلدها الشاعر الروماني فرجيليوس ببراعته فأصبح اسمها مرتبطاً بالمجد والشرف ، وصار ذكره على كل لسان ، وظلّت أشعاره محوراً تدور حوله كل الأشعار الجيدة ، ومنها يستقى منه كل شاعر مجيد .

د. عبد المعطى شعراوى



کمال ممدوح حمدی

للسلاح أغنى ، وللرجل (١) الذى كان أول من جاء به القدر شريداً
من سواحل طروادة إلى إيطاليا وشواطئ لافينيوم (٢) : يضرب على غير
هدى - بقوة من السماء - فى آفاق البر والبحر ، بسبب غضب جونو (٣)
الذى لا يعرف الصفح ، وقامى الكثير فى الحرب أيضاً ، كى يستطيع
أن يؤسس مدينة ويأتى بأهله إلى لاتيوم ، حيث أتى الجنس اللاتينى ، وسادة
ألبا (٤) ، وأسوار روما الشاهقة ، إلى الوجود .

قُصِيَ على ، ربة الشعر ، أى نوع من الأذى قد مَسَّ ربوبيتها ،
وأى نوع من الأفعال قد أغضبها ، حتى أنها قد دفعت برجل ، معروف
بتقواه ، ليكابد مثل هذه المخاطر الكثيرة ، ويواجه مثل هذه الصعاب العديدة.
أيمكن أن يستقر مثل هذا الغضب الأحمق فى صدور أرباب السماء ؟

كان هناك مدينة عتيقة ، احتلها المستعمرون من أهل صور ، إنها مدينة
قرطاجة (٥) ، الواقعة فى مواجهة إيطاليا ومصاب نهر التير (٦) البعيدة ؛
مدينة وافرة الثراء ، شديدة المراس فى فنون الحرب ، يقال إن جونو
قد وهبتها من جيبها أكثر مما وهبته لباقي الممالك ، واعتبرت ساموس (٧)
فى مرتبة أدنى . فهنا ، فى قرطاجة ، تكلدت أسلحتها ، واستقرت عربتها
الحربية ، وكانت الربة حتى ذلك الوقت تسعى وتطمع فى أن تكون هذه
المدينة كعبة للشعوب ، لو أن الأقدار كانت تسمح بذلك . وعلى كل فقد
علمت الربة أن ذرية انحدرت من أصل طروادى عليها أن تدمر ، يوماً ما ،
القلاع الصورية ، وأن من هذه النرية سوف يظهر شعب يحكم ممالك مترامية
الأطراف ، صعب المراس فى الحرب ، وسوف يأتى ليصب على ليبيا
الدمار (٨) . هكذا قضت ربات القدر (٩) . إن الربة ابنة ساتورنوس (١٠) ،

التي كانت تخشى ذلك وتذكر الحرب القديمة التي خاضت نمارها عند طروادة فيما مضى من أجل أرجوس العزيرة (١١) ولم تزل أسباب غضبها وحزنها المرير لم تمنح بعد من ذاكرتها ، وما زال يستقر في أعماق قلبها الحكم الذي أصدره باريس والإهانة التي لحقت بجمالها المزدري (١٢) والذرية الطروادية الممقوتة . (١٣) ، والتقدير الذي حظى به جانيميديس الذي اختطفته السماء (١٤) ، إن ابنة ساتورنوس ، وقد ازداد غضبها أكثر فأكثر من جراء ذلك ، قد قذفت على صفحة البحر كله بالطرواديين الذين أبى عليهم الأغرقي وأخيليوش (١٥) القاسى ، وساقطهم بعيداً عن لاتيوم ، مشردين ، تطاردهم الأقدار ، في جميع أنحاء البحار أعواماً عديدة : هكذا كان الجهد ، الذي بذله الشعب الروماني لإقامة مدينته ، جهداً شاقاً للغاية .

بعد أن غابت أرض صقلية ، عن الأنظار ، أخذ الطرواديون ينشرون في البحر الأشرعة ، ويشقون أمامهم في بهجة زبد البحر بمقدمات السفن البرونزية . عندئذ حدثت جونو نفسها - وهي لا تزال تحتفظ بجرح لم يلتئم بعد في أعماق نفسها - قائلة : هل أنخلي - مهزومة - عن خطتي ، غير قادرة على رد ملك الطرواديين عن إيطاليا ؟ لاشك أن الأقدار قد أغفلتني ، أستطيع الربة بالاس (١٦) أن تحرق أسطول الأغرقي . وأن تغرق الأغرقي أنفسهم في البحر بسبب خطيئة رجل واحد وجنون أياض بن أويليوس (١٧) ، فلقد رمتهم هذه الإلهة من بين السحب العالية بلهب جوييتر البارق ، فبعثت سفنهم ، وأشاعت الاضطراب في البحر باثارة العواصف ، أما أياض فقد ألقت به في دوامة وهو ينفث لهيباً من صدره المثقوب ، وثبته فوق صخرة مدبية ؛ بينما أنا ، من تروح وتغدو مليكة الأرباب ، وأخت جوييتر وزوجته ، أشن الحرب على شعب واحد طوال هذه السنين العديدة ؟ من بعد ذلك يقدس ألوهية جونو ، وأي ضارح سوف يقدم القرابين على مذبحها ؟

بجاءت ، وهي تقلب مثل هذه الأحاسيس في صدرها المحموم ،

إلى أيوليا (١٨) موطن العواصف ، وهى بقاع تتعج بالرياح الثائرة : هنا فى كهفه الرحب ، يتصدى الملك أيولوس للرياح الحامجة ، والعواصف المزججة ، ويكبح جماحها بالقيد والسجن . إن تلك الرياح ، يثررها المزوج ، تولول حول حواجز الجبل ، وأبولوس يترع فوق حصنه الشامخ . ممسكاً بصولحانه ، يهتدى من جيشائها ، ويتحد من غضبها ، . ولا شك أنه لو لم يفعل ذلك لحملت معها فى انطلاقتها الماء واليابس والأفق الشاهق ، وطوّحت بها فى الفضاء . لكن السيد القادر على كل شيء ، خوفاً من ذلك أخفاها فى كهوف مظلمة ، ووضع فوق قممتها كتلة ضخمة وجبالاً شاذجة ، ونصب عليها ملكاً يرتبط بميثاق أمين ، يعرف كيف يؤثقها ، حين تصنر إليه الأوامر ، وكيف يطلق لها العنان . إليه توجهت جونو حينذاك ، متوسلة قائلة :

٦٠

« أى أيولوس - لأن أب الآلهة ورب البشر قد وهبك القدرة على تهدئة الموج وإثارتة باستخدام الرياح - فإن ثمة ذرية بغیضة إلى تركب البحر التيرانى (١٩) ، وهى تحمل إلى إيطاليا ما كانت تحتويه قلعة طروادة من آلهة مقهورة . فلتنبعث القوة فى رياحك ، ولتغمر سفنهم الغارقة ، ولتدفع بهم أشتاتاً فى كل اتجاه ، ولتنتشر جثثهم فوق سطح المحيط ، إن عندى من الحوريات أربع عشرة ، فانتات الأجسام ، من بينهن ديوبيا (٢٠) أكثرهن جمالاً ، سوف أوثقها بك ، فى زواج متين ، سوف أهدىها لك إلى الأبد ، كى تفنى معك طيلة أجوام العمر فى مقابل مثل هذه الخدمات ، ولتجعل منك أباً للذرية جميلة . »

٧٠

أجابها أيولوس قائلاً : « مليكى ، فلتفصحنى عن رغبتك ، وهذا ما عليك ، أما أنا فواجبى أن أنفذ أوامرك ، فأنت التى وهبتى مملكتى هذه ، وخلعت على هذا الصولحان ، ومنحتنى عطف جوبيتر ، وأنتجت لى الفرصة كى أجلس على موائد الآلهة وجعلت منى سيداً على السحب والعواصف . »

٨٠

بعد أن قال هذا ، ضرب الجانب المحوف من الجبل بمؤخرة حربته ، فانطلقت الرياح ، وكأنها صف متماسك ، من حيث وجدت لها منفذاً ،

تواول عاصفة عبر الأراضى . وصرعان ما انتشرت فوق سطح البحر فأهاجته
كله من أعماق أغواره ؛ ريح الشرق وريح الجنوب ورياح أفريقيا الزاخرة
بالزوايع وكأنها عاصفة واحدة - فدحرجت أمواجاً عريضة نحو الشاطئ .
ثم تبع ذلك صيحة الرجال وصريف الحبال ؛ وفي لحظة اختطف السحب
السماء وضوء النهار من أعين الطرواديين ، بينما سجد ظلالم حالك فوق سطح
البحر ، وأطلقت السماء رعودها ، وأبرق الأفق بوميض متلاحق ، كان ذلك ٩٠
كله نذيراً للرجال بموت عاجل . وفي التوتفككت أو صال آينياس من البرد
فراح ينتحب ، رافعاً راحته نحو السماء ، مردداً : « كم هم سعداء ، سعادة
تفوق الجد (٢١) ، هؤلاء الذين لقوا حتفهم تحت أسوار طروادة الشائخة
وتحت أنظار آبائهم وأجدادهم ! أى ديوميديس (٢٢) ، يا ابن تينديوس ،
يا أقوى سلالة دناؤوس ، ليتنى كنت استطعت أن أسقط فوق سهول طروادة
وأن أغرب على يدك عن تلك الحياة ، وأبقى حيث يرقد هيكتور الجسور
مجدلاً بحربة الأياكيدى (٢٣) ، وحيث سقط العظيم سارييدون (٢٤) ،
وحيث ابتلع نهر سيمويس (٢٥) كل تلك الدروع والخوذ ، وطوى في أمواجه
أجساداً فتية لرجال شجعان . » ١٠٠

بينما هو ينطق بهذه الكلمات ، إذا بريح عارمة آتية من الشمال ترتطم
بالشراع كله ، وترفع الموج إلى عنان السماء ، فوهنت المجاديف ، وتأرجحت
مقدمة السفينة فاستدارت وتعرضت بجوانبها للأمواج ، ولاحقتها أكوام
من الماء شائخة كالجبال ، وتعلق البعض فوق قلب موجة ، وهبط آخرون
إلى قاع البحر مع موجة تمور ، وغلى الجيشان بالرمال . وانتزعت ريح الجنوب
ثلاث سفن وطوحت بها فوق صخور خافية ، صخور تنهض وسط الأمواج ،
ويطاق عليها الإيطاليون اسم « المذابح المقدسة » ، إنها نتوءات خطيرة
تعتلى قمة البحر ؛ وثلاث سفن أخرى دفعتها ريح الشرق من الأعماق
إلى الضحضاح والرمال المتحركة ، - ياله من مشهد ينضغ بالأسى - تضرب بها
اليابس وتطوقها بأكوام من الرمال . وحملت موجة هائلة إحدى السفن ١١٠

كانت تحمل أورنتيس الأمين وزملاءه اللّوكيين (٢٦) ، فقلبتهم على رأساً على عقب أمام أعين آينياس نفسه ، وترنّح ماسك الدفة فهوى على رأسه تطويه الأمواج ، وانظر ! لقد طوّح الموج بالسفينة ثلاث مرات يدفعها حول نفسها فتدور في دائرة واحدة ، ثم التهمتها دوامة سريعة فهوت إلى أعماق البحر ، وظهر أشخاص ساجدون متباعدون فيما بينهم في وسط الهاوية الرهيبة ، وظهرت أمام الأعين أسلحة الرجال وألواح خشبية وكنوز طروادة وسط الأمواج . والآن وقد تسلطت عاصفة على سفينة إليونيوس (٢٧) ، مهد القوة ، وعلى سفينة أخاتيس ، مهد الشجاعة ، وعلى تلك التي كان يبحر على ظهرها أباس ، وعلى تلك التي كان يقودها العجوز أليئيس ؛ ولما أن تفككت مفاصل الجوانب ، اندفعت جميعها في التيار المضاد وتمزقت بالشقوق .

١٢٠

أثناء ذلك رأى نبتونوس (٢٨) البحر يعجّ بصراخ مهول ، وشاهد العاصفة مطلقة العنان ، والماء الساكن وقد هاج من أعماق الأغوار ، فراحه ما رأى ، واهتز من الأعماق ، وران بنظرة فوق البحر ، ثم رفع وجهه البشيش فوق أعلى الأمواج فرأى أسطول آينياس مبعثراً فوق سطح الماء على اتساعه ، ورأى الطرواديين تهوى بهم الأمواج . لكن السماء المتداعية لم تخفِ آلام جونو عن أخيها ، ولم يخف عنه غضبها ، فجمع ريح الشرق وريح الغرب ، وتحدث إليها قائلاً :

١٣٠

« أيتها الرياح ، هل مَلَك عليك نفسك الاغترار بمولدك إلى هذا الحد حتى تتجاسرى على خلط السماء بالأرض دون أمرى ، وتثيرى كل هذه الفوضى ؟ (٢٩) مَنْ تَرَانِي ! — بل يحسن أن تهدأ الأمواج الغضبي — ثم لسوف أعاقبكم عقاباً عسيراً على ما تعديتمنى فيه لو حدث ذلك مرة أخرى ، عَجَلُوا بالفرار ، وانقلوا لسيديكم (٣٠) هذه الكلمات : « لم يهب القبر له ، بل لى أنا ، سيادة البحر وذلك الصولحان المهيب ، أما أيولوس فله السلطان على الصخور الرهيبة ، مأواك ، يا رياح الشرق . دعوه يحس بالزهو

وهو بين جدران تلك القاعة ، دعوه يباشر سلطانه داخل سجن الرياح ١٤٠
« المغلق . »

هكذا تحدث . وقبل أن ينتهي من حديثه ، كانت المياه الغضبي قد هدأت .
ثم أمر السحب المتجمعة أن تنزاح ، والشمس أن تعود . وتضافرت مجهودات
كيموثنوى وتريتون (٢١) فانترعا السفن من بين فككى الصخرة الحادين ،
وأعانهما الإله نفسه بصوب لحنه ، وفتح طريقاً وسط الرمال المتحركة المترامية ،
ونظم حركة البحر ، وراح يُجْرى الأمواج الشائخة فوق عجالات حانية .
وكما ينشأ في بعض الأحيان خلاف بين أفراد شعب عظيم ، وتثير حشالة
القوم الدنيئة أعصاب الناس ، وتتطاير جذوات اللهب والحجارة ، ويوجه
جنون الغضب السلاح ، عندئذ ، لو صادف أن وقعت عيونهم على رجل ١٥٠
بالغ التقوى كريم السجيا ، يهدأون ، ويقفون حوله بأذان صاغية ، فيملك
عليهم بالكلمات وجدانهم ، ويهدئ أفئدتهم ، كما يحدث ذلك في أغلب
الأحيان ، فقد تداعى كذلك هياج البحر كله . وبعد أن ألقى الإله نظرة على
البحر ، وبغدان ركب تحت سماء صافية ؛ وجه خيول ، وطار مطلقاً العنان
لعجلته المطيعة .

عندئذ جدّ رفاق آينياس المُتعبين في البحث عن أقرب شاطئ ،
فانجهوا صوب شواطئ ليبيا ؛ إلى مكان يقع في غور طويل ، جزيرة
تشكل ميناء بشواطئها الممتدة ، تتكسر عليها جميعاً كل موجة في البحر ،
ثم تتمزق في طيات وترتد محسورة ؛ وهنا وهناك تمتد هضاب صخرية ١٦٠
شماسة ، وتنصب قمتان صخريتان تناطحان السماء ، تسكن تحت إبطها
الحاني المياه كلها ؛ ومن فوقها خلفية من غابات متألقة ، تلوها أجمّة
مظلمة بظلال خشنة . وهناك تحت واجهة الصخرة المحاوّة كهف داخل الصخور
المعلقة ، بداخله ماء زلال ومقاعد من صخور طبيعية ، مقام الحوريات ،
حيث لا حاجة لأصفاد توثق السفن الخائفة ، أو خطاف يشبها بقعدة ملتوية
إلى هنا أسرع آينياس ، ومعه سبع سفن ، هي كل ما جمع من شتات أسطوله ،

١٧٠ وبعد شوق عظيم لليابس ، حصل الظروادبون المرهقون على مأواهم المشود وأرخوا على الشاطئ أطرافهم المكسوة بالأملح . وقبل كل شيء ، أطلق أخاتيس شرارة من الظران (٢٢) وتلقى النار بأوراق من الأشجار ، وأحاطها بوقود جاف ، وأمر الشعلة بين الشقوق . بعدئذ تناولوا — وقد أرهقتهم المتاعب — قمحاً أفسدته الأمواج ، ورحى صغيرة باركتها كبريس ، وأعلوا الجيوب التي أمكن انقاذها ، ليجففوها فوق النار ، وليسحقوها بين كتي الرحي .

١٨٠ أثناء ذلك ، تسلق آبنياس إحدى الصخور ، وأطل بنظرة شاملة فوق اتساع البحر علته يرى أشلاء أنثيوس ، الذي نقاذفته الأنواء ، وسفنه الفروجية ، أو عساه يرى أشلاء كاييس أو أسلحة كايكوس فوق مؤخرات السفن العالية ، لكن ما من سفينة واحدة لاحت لنظريه ، وإنما رأى غزلانا ثلاثة تتجول على الشاطئ ، يتبعها عدد كبير من القطعان ، يمضي خلفها في صيف طويل بينما ترعى عبر الوادي . هنا توقف آبنياس وأمسك بيده قوساً ، ورمحاً خاطفة ، إنها تلك الأسلحة التي كان يتسلح بها يوماً ما أخاتيس الوني . بدأ أولاً بالقادة نفسها : أصاب الغزلان الثلاثة ، بينما كانت تسير رؤوسها شامخة تعاوها قرون متفرعة تشبه أغصان الأشجار ؛ ثم هاجم بقية القطيع التابع ، : يقودها بحرا به بين الأحراش المورقة . بل إنه لم يشأ أن يتوقف قبل أن يجد — وهو منتشياً بالانتصار — سبعة منها مجندلة تمتد بأجسامها الضخمة على الأرض ، مساوياً بعددها عدد سفنه . عندئذ أسرع نحو المراسي ، ووزعها بين زملائه جميعاً ، ثم وزع نبيذاً كان أكستيس (٢٣) الطيب قد ملأه الحرارة على ساحل تريتاكزيا (٢٤) هدية البطل عند رحيلهم . ثم هدأ نفوسهم المفجعة بهذه الكلمات :

« أي رفاقي ، يا من قاسيتم خطأ عاثراً ، إننا لم نكون نجهل من قبل هذه الشرور ، لكن الإله سيضع حداً لكل هذه الآلام . لقد اقتربتم من سكيلا (٢٥) الهائجة بالحنون ، وصخورها ذات الأصوات الحادة التي تنطلق من الأعماق ،

وأشرفتم على صخور الكوكلوبس (٣٦) . استعيدوا شجاعتم ، وخلقوا
عنكم الحزن والخوف ، فقد تنفعنا هذه الأحران يوماً ما حين نأخذ منها
حلو الذكرى ؛ فمن خلال المصائب المختلفة ، ومن خلال كل هذه الطرق
المحفوفة بالمخاطر علينا أن نشق طريقنا إلى لايتوم ، حيث أعدت الأقدار
لنا مساكن الأمان . فهناك شاءت الأقدار أن تنهض مملكة طروادة من جديد .
عليكم بالصبر والتحمل على أنفسكم حتى تدرركم السعادة » .



قال بصوته هذه الكلمات ، بينما كان - وهو مثقل بهوم مضنية -
يرسم على وجهه الأمل ، ويكتم الحزن الدفين في صدره . واستعد الآخرون
للمأدبة المنتظرة من الغنيمة : فَجَرَّوْا الضلوع من الجلود ، وكشفوا عن
٢١٠ اللحم : البعض يقطعونها إرباً وَيَشْكُونَهَا فِي السَّقُودِ ، وهى ما تزال ترتعش ،
والآخرون ينصبون المراجل على الشاطئ ، ويلهبون من تحتها النار ، فهكذا
يعيلون بالطعام القوة إلى أجسادهم . وانتشروا فوق الأعشاب ، ثم ملأوا
بطونهم بالنبيذ المعتق ولحم الصيد اللصم . وبعد أن تداعى الجوع بالولائم ،
ورفعت الموائد ، نعى الطرواديون زملاءهم المفقودين ، في رثاء طويل ،
يتنازعهم الشك بين الأمل والخوف : أَيُوقِنُونَ أَنَّهُمْ أَحْيَاءُ يُرْزَقُونَ ،
أم أنهم قد لاقوا حتفهم ، وما عادوا يسمعوننا إذ نناديهم ، لاسيما آنياس
الورع كان يبكى مع نفسه حيناً فجيرة الصنديد أورنتيس وحيناً آخر نهاية
أميكوس ، والأقدار القاسية التى أدركت ليكوس وجيياس الشجاع وكلوانثوس
٢٢٠ المقدام (٣٧) .

ثم كانت النهاية ، عندما أطل جوبيتر من علياء السماء على البحر الزاخر
بالأشعة ، والأراضى الشاسعة ، والشطآن ، والشعوب المنتشرة ؛ هكذا

أطل من ذرا السماء ، وأمعن النظر في مملكة ليبيا إليه ، وقد مسّت شفاف قلبه هذه الآلام ، تحدثت فينوس محزن بالغ ، وقد أغرورت عينها البراقتان بالدموع :

« يا أنت ، يا من تحكم الآلهة والبشر بسيادة أزلية ، وترهبهم بصولحانك ،
أى إثم بشع يمكن أن يكون قد اقترفه — في نظرك — عزيزى آينياس ؟
وماذا جناه الطرواديون ، الذين — بعد أن تجرعوا الموت الزؤام — أغلقت في وجوههم جميع مسالك الدنيا وهم في طريقهم إلى إيطاليا ؟ إنه أنت الذى وعدت أن ينبثق منهم سلائل الرومان يوماً من الأيام على مر السنين ، وأن يأتى منهم سادة من دم تيوكر الحديد ، يملكون البحر . وكل الأرض تحت إمرتهم ماذا جعلك تغير رأيك ، يا أبتاه ؟ كان وعدك يُعزّيني عن المصير المؤلم الذى آلت إليه طروادة ، وعما حدث من دمار يثير الحزن ، عندما كنت أوازن هذه الأقدار بتلك . والآن ، فإن نفس القدر يطارد الرجال إلى سوء المصير ، أى خلاص من الآلام دبّرت له أمها الملك العظيم ؟ لقد استطاع أنتينور ، بعد أن انسلّ من الآخيين المحيطين به ، أن يجتاز البرازخ الإليرية (٣٨) ومناطق الليبوريين الموحشة ، وأن يعبر منابع تيمافوس (٣٩) ، التى ينساب منها — طوال تسعة شهور مع زئير الجبل الرهيب — فيضان يطوى الحقول تحت مياهه الصاخبة . ومع ذلك فقد شيد هنا مدينة بتافيوم (٤٠) ، مستقراً للتيوكريين ، وأطلق امناً على السلالة ، ووطّد أسلحة طروادة ؛ ثم استراح الآن ، وقد خلد إلى سلام مُستقر . لكننا ، ونحن ذريتك ، التى جعلت مكانهم القلعة السماوية ، فقد فقدت سفنتنا — عار أى عار ! — ومن أجل غضبة فرد واحد خدعنا ، وأبعدنا طويلاً عن شواطئ إيطاليا . أهذا جزاء التقوى ؟ أهكذا تردّ إلينا عرشنا ؟ »

ابتسم لها سيد الآلهة والبشر ، ونظر إليها نظرة أضاءت السماء ، وقشعت السحاب ، وطبع قبلة على ثغر ابنته في رقة ، وقال هذه الكلمات :
« أيتها الكثيرة (٤١) ، دعى عنك خوفك ، فستبقى مصائر أبنائك

- لن تتغير ، ولسوف تشهدين مدينة لافينيوم وأسوارها الموعودة ، ولسوف
 ٢٦٠ تحملين آينياس - السامي الروح - بين نجوم السماء ، فأنا لم يُغَيَّرَ من رأي شيء
 قط . إن هذا العزيز لديك - ولسوف أتحدث ما دام القلق من أجله يسحقك ،
 بل وأكثر من ذلك ، سأفرد أوح أقدارهم ، وأكشف عن مكنون أسرارهم -
 سوف يشن حرباً مهولة في إيطاليا ، ويسحق أمماً مكابرة ، ويسن لقومه
 القوانين ، ويقم الحصون ، إلى أن يراه الصيف الثالث حاكماً على لاتيوم ،
 وتتقضى ثلاث معسكرات شتوية بين الروتيلين المقهورين . لكن القتي
 أسكانيوس (٤٢) ، الذي يكنى الآن بولوس - وحين كانت الأمة الإلية
 في أوج مجدها كان يكنى إيلوس - ، سوف يقضى ثلاثين دورة عظيمة
 من الشهور المتعاقبة ؛ وسوف يتقل مقر حكمه من لافينيوم ، وسوف يشيد
 ٢٧٠ ألبالونجا ، مدينة شديدة البأس ، وهنا - بعدئذ - سوف تبقى المملكة تحت
 إمرة سلالة هكتور طوال ثلاثمائة سنة كاملة ، إلى أن تنجب الملكية المقدسة
 إليا (٤٣) توأميها ، اللذين حملتهما من مارس . بعدئذ سوف يحمل
 رومولوس - سعيدياً بالجلد الأعفر لمرضعته الذئبة - إواء السلالة ، فيؤسس
 مدينة الإله مارس ، ويسمى الرومانيين على اسمه (٤٤) . وبالنسبة لهؤلاء ،
 فإنني لم أضع حدوداً ، كما أني لم أحدد زمناً لدولتهم ، إنما وهبتهم حكماً بغير
 نهاية ، بل إن القاسية جونو ، التي يشق البحر والأرض والسماء الآن بالخوف
 ٢٨٠ منها ، سوف تثوب إلى رشدتها ، وسوف تقف إلى جانبي في مساندة
 الرومانيين ، سادة العالمين ، وشعب العبادة (٤٥) . هكذا شئنا ، ولسوف
 يأتي عهد بعد تعاقب العصور ، حيث تخضع أسرة أساراكوس فنيا
 وموكيناي الشهيرة (٤٦) ، وتسومهما مرارة العبودية ، وتفرض سلطانها
 على أرض أرجوس المقهورة . ومن هذا الأصل النبيل سيولد قيصر الطروادي ،
 يُحدد إمبراطوريته بالحيط ، ويُعلّى شهرته إلى النجوم : يوليوس ، لاسم
 ينحدر من يولوس العريق . سوف تستقبلينه ، وقد فارقك القلق حينئذ
 ٢٩٠ في السماء محملاً بغنائم من الشرق ، وسوف تُقدم إليه الندور (٤٧) . عندئذ ،

سوف تنتهي العصور العصية بعد أن تحمد الحروب ، وسوف تضع فيديس الموقرة ، وفستا ، وكويرنيوس مع أخيه ريموس ، دستوراً للمدينة ؛ وسوف تُغلق أبواب الحرب الرهيبة ، بحديدتها وأعوادها الملتحمة ، وسوف يزأر الغضب الوحشي بداخلها ، وقد تمدد فوق أسلحة محمولة ، موثوقة يده خلف ظهره ، بمائة عقدة من القيود البرونزية ، مخيفاً بثغره الدامي . »

قال هذه الكلمات ، ثم أنزل ابن مايا (٤٨) من السماء ، كي تنفتح أرض قرطاجة ، وأبراجها الحديدية ، احتفاء بالتيوكريين (٤٩) ، وخشية أن تلقى بهم ديلو - جاهلة بالقدر - خارج الحدود . وانطلق ابن مايا ينفذ في الهواء الهائل ، يُجَدَف بأجنحته ، ويتألق في سرعة فوق شواطئ ليبيا ، يُسَفَد الأوامر في التو واللحظة . وبإرادة الإله ، يَسَخَلُ الفينيقيون عن مشاعرهم الوحشية ، وفوق ذلك ، تستقبل الملكة التيوكريين بتفكير هادئ وعاطفة رقيقة .

٣٠٠

لكن آينياس التقي يفكر في أمور شتى طوال الليل ، ثم - وكما لو أنه قد وهب في الحال نوراً يساعده على التفكير - قرر أن يبرح مكانه ، وأن يستطلع المواقع الحديدية ، ليرى إلى أى الشواطئ قد اندفع مع الريح ، وليتعرف على من يسكنونها : أناس هم أم وحوش - إذ أنه لا يرى إلا أرضاً مجذبة - ، ثم يحمل إلى الرفاق العلم اليقين .

أخفى آينياس أسطوله تحت شجيرات منحنية نحو صخرة تشبه الكهف ، تواريه الأشجار من خوله وأستار من الظلال المتحركة . وتقدم بنفسه يصحبه أخاتيس وحده ، قابضاً بيده على زوج من الحراب ، ذى رأس حنيدى عريض . واعترضت والدته طريقه وسط الغابة ، بدت له عُلَريّة الملامح ، علزية الهيئة ، ذراعها مثل ذراعى علراء إسرطية (٥٠) ، أو مثل هاربايكنى التراقية عندما تلهب خيولها أو تسبق في عدوها هيبروس المُجَنَّح (٥١) - ظهرت أمامه وقد علقّت قوسها في كتفها على هيئة صيَّاد ، وأطلقت للريح شعرها يتطاير ، ركبته عارية ، وطيات ثوبها الفضفاض متجمعة في عقدة

٣١٠

واحدة . وبادرتهما بالحديث قائلة : « هلاً رأيكما - صادقة - أختاً لي ٣٢٠
تأبئة هنا ، متمنقة كنانة ، مُتَسَرِّبَةً بجلد وشقٍ أرقط ، لاهثة ، صائحة ،
إثر خنزير برى هائج ؟ »

هكذا تحدثت فينوس ، وهكذا أجابها ابن فينوس (٥٢) : « ما من واحدة
من أخواتك رأيت أو سمعت ، ولكن أيتها العذراء بم أناديك ؟ فليس لك
سحنة الفنانين ، وليس رنين صوتك من رنين صوت البشر .. أنت إلهة
ولا شك ! أم تراك أخت فوريوس (٥٣) ؟ أم واحدة من سلالة الحوريات ؟
٣٣٠ كوني رحيمة - مهما يكن شخصك - ولتخفي عنا متاعبنا ، أخبرينا
تحت أي سماء قد ألتقى بنا ، وفي أي منطقة من الدنيا نهم ، جاهلين الناس
والأرض هنا ، وقد دفعتنا الريح والأمواج ، ولسوف نحر لك بيئمتاننا
أصاحي كثيرة أمام معابدك . »

بعدئذ ردت فينوس : « كلاً ، فلست جديرة بكل هذا التكريم ،
فإن عذارى صور قد تعودن أن تتمنطقن الكنانة ، وأن تضعن أقدامهن
في أحذية قرمزية عالية . إن ما ترى الآن هو المماكة البونية ، وأهل صور
(القرطاجيين) ومدينة أجيونور ، أما الأراضي المجاورة فهي أراضي الليبيين ،
شعب لا يُقْهَر في الحرب . وديدوهي التي تتولى الحكم فيها ، بعد أن تزحت
٣٤٠ إليها من مدينة صور ، هزباً من أخيها : إنها قصة جريمة يطول شرح تفاصيلها ،
ويصعب تفسير ملبساتها ، لكنني سأتابع أبرز خطوطها : كان زوجها يدعى
سيخايوس ، أكثر الفينيقيين ثراءً ، ومعبود ديدو التحفة التي كانت تكن له
حباً جمّاً ، إليه زفّ الوالد ابنته العذراء ، ووثقوما بكل الشعائر . لكن أمر
مملكة صور كان بيد أخيها بيجماليون ، الذي فاق أعنى المحرمين طراً في بشاعة
جُزْمِهِ . ودب جنون الخلاف بين هذين الرجلين ، فأردى بيجماليون سيخايوس
أمام المحراب في كفرٍ غير مبال ، وقد أعماه حب الذهب ، أرداه بضربة
غادرة غير مكترث بعواطف أخته ديدو ، وقد أخفى فعلته فترة طويلة ،
٣٥٠ وخدع العاشقة المريضة بأملٍ كاذب ، مستعيناً في تظاهره بكثير من المكر

والدهاء . لكن شبح الزوج ، الذى بقيت جثته دون دفن ، جاءها فى المنام ، وهو يرفع وجهه الشاحب ، الذى يشع بحكمة مذهلة ، فكشف عن المحارب القاسية بينما صدره مرشوق بالحديد ، وأزاح السر تماماً عن جريمة البيت الغامضة ، ثم نصحتها بأن تُعَجِّل بالفرار ، وأن ترح الوطن . وأخرج من الأرض كنوزاً قديمة ، كتلة من الذهب ومن الفضة — لم يكن يعرفها أحد — عوناً لها فى رحلتها . وأعدت ديدو رفاقاً ، واستعدت للفرار وقد أهاجتها هذه الأحداث . واجتمع كل من كان فى قلبه كراهية شديدة للطاغية ، أو كان يراوده منه خوف بئس ، واستولوا على سفن كانت مُعدة بطريق الصدفة ، وشحنوها بالذهب . حملوا ثروة ييجماليون الجشع فوق البحر ، وتولت المرأة قيادة المهمة . ووصلوا إلى مكان تستطيع ، وأنت فيه الآن ، أن ترى الأسوار الضخمة لطرودة الحديثة ، وأن تلمح قلعتها السامقة ، فابتاعوا أرضاً — أصبحت تسمى منذ ذلك الوقت بيرسا ، بلغت مساحتها القدر الذى استطاعوا أن يحيطوه بمجلد ثور (٥٤) . لكن مَنْ أنت ، ومن أى الشواطئ أتيت ؟ وإلى أى صوب تتجه برحلتك ؟ . بعد أن ألقت عليه هذه الأسئلة تنهد آينياس وانتزع صوته من أغوار قلبه قائلاً :

« أيتها الربة ، لو أننى واصلت قصتى بادئاً من أصلها الأول ، وكان عندك فسحة من الوقت لتستمعنى إلى سلسلة الآلام التى تعرضنا لها ، لأرخى الليل سدوله على نهار اليوم خلف بوابة السماء المغلقة قبل أن تنتهى قصتى . لقد دفعت بنا عاصفة بكل قوتها ، من طروادة القديمة — إن كان اسم طروادة قد تناهى إلى سمعك — عبر بحار متباينة إلى شواطئ ليبيا . لأننى آينياس الوريث ، مَنْ يحمل معه فى الأسطول آلهة البينائيس (٥٥) ، التى انتزعتها من يد العدو ، قد بلغت شهرتى عنان السماء . لأننى أبحث عن إيطاليا ، وطنى ، وعن سلالة جوبيتر رفيع المقام ، ركبت البحر الفروجى (٥٦) ومعى عشرون سفينة ، تهدينى والدتى الإلهة الطريق ، أسعى خلف أقدارى المكتوبة ، لم يبق من تلك السفن غير سبع ، بعد أن طوقتها الرياح والأمواج ، قد صرّت مجهولاً ،

واستبدّ بنى الإملاق ، أنجول فوق صحارى ليبيا ، بعد أن طُرِدَتْ من أوروبا
وآسيا . »



آينياس أثناء فراره من
طروادة ، وهو يحمل والده
النجس على كتفه ، ويقود
ابنه اسكانيوس وهو ممسك
بيده . (وجدت هذه اللوحة
في مدينة بومبي)

لم تحتمل فيثوس أن تستمع إليه أكثر من ذلك ، فقاطعت حديثه الناضح
بالشكوى قائلة هذه الكلمات :

« أيتاً ما تكن هَوَيْتِكَ فانت — فيما أعتقد — لست بغيضاً عند أهل السماء
طالما تتردد فيك أنفاس الحياة ، فها أنت قد وصلت إلى مدينة صور ،
فأَمْضِ قُدُماً ، واذهب من هنا إلى أعتاب الملكة . والآن أزف إليك بشرى :
إن رفاقك راجعون إليك ، وأسطولك عائد إلى مكان أمين ، مدفوعاً بريح

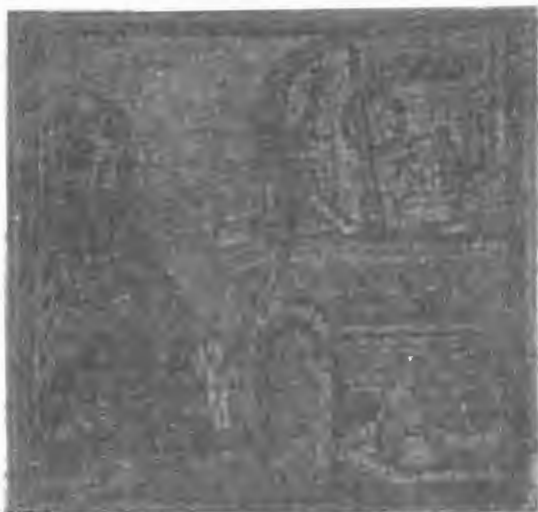
الشمال العكسية ، هذا إذا لم يكن والداي دعيّين ، أخفقا في تعليمي التنبؤ بالغيب . أنظر ! ثمة اثنتا عشرة أوزة سعيدة ، كانت تسير في نظام ، بعثها في الهواء الطلق نسر جوييتز الذي انطلق من كوة في السماء . إنها الآن تطير في صف طويل ، تبدو وكأنها تتطلع إلى أرض تستقر فيها ، أو إلى الأرض التي استقر بعضها فيها بالفعل . وكما أنها نلّوها أثناء عودتها بأجنحتها الخفاقة ، وقد طافت بطرف السماء في صحبتها ، وأطلقت أناشيدها — كذلك الحال مع رفاقك وسفنك . فإما أن تكون قد استقرت بمرساها ، أو أنها تنطلق الآن إلى مدخله بأشرعتها المنبسطة امض قدماً ووجه خطاك إلى حيث يقودك الطريق . » ٤٠٠

بعد أن أتمت فينوس حديثها استدارت ، فتألفت رقبته الوردية ، ونشرت خصلات شعرها العطرة عبقاً لهماً من رأسها ، وتبدل دثارها إلى أخمص قدميها ، وتجلّت في خطوها إلهة حقيقية . حينئذ تعرّف آينياس فيها أمه ، وتبعها وهي تفرّ منه منادياً بهذه الكلمات : « لماذا تهزّنين بابنك دائماً بأطيايف زائفة ؟ أنت أيضاً قاسية ، لم لا يُسمح لي بأن تعانق عنيّائك ، وأن أسمع وأن أقول كلمات صادقة ؟ » عاتبها بهذه الكلمات ، ثم وجه خطاه صوب المدينة . أما فينوس فقد دثرتهما ، وهما يتقدمان ، بنسيم غائم ، وطوّقتهما — لأنها إلهة — بعباءة كثيفة من السحاب ، كي لا يستطيع أحد أن يلمحهما ، أو يلمسهما ، أو يعوقهما ، أو يتبين أسباب مجيئهما ، بينما اتجهت هي إلى بافوس (٥٧) عبر طرق سماوية سامية ، فزارت مقامها من جديد تخامرها البهجة ، هناك حيث معبدها بمذابحه المائة ، تفوح بالبخور السبائي (٥٨) ، عبقاً بأكاليل ناضرة . ٤١٠

وأسرعا وسط الطريق الذي أوصلهما إليه الممر ، ثم أخذتا يتسلقان التل ، الذي يجثم شامخاً فوق المدينة ، ويطل من شاطئ على القلاع المواجهة . وتعجب آينياس من تلك الكتلة من المباني ، التي كانت ذات مرة أكواخاً . وتعجب من البوابات ، ومن طين الطرق الممهدة . لقد كافح أهل صور في حماس ٤٢٠

شديد : بعضهم يقيمون الأسوار ، ويشيدون القلاع ، ويدحرجون الصخور بأيديهم ، والباقون يختارون مكاناً للسكنى ، ويحيطونه بخندق . إنهم يُشرِّعون القوانين ، وينشئون الوظائف ، ومجلساً مقدساً للشيوخ . هنا فئة يحفرون الموانئ ، وهناك آخرون يرسون أسساً متينة لمسارحهم ، وينحتون من الصخور أعمدة هائلة ، حلية سامقة لمسرح المستقبل . إنهم كالنحل في مطلع الصيف ، بين الحقول المزهرة ، ينكب على عمله تحت قيظ الشمس ، عندما يقود

منظر لعملية بناء مدينة
قرطاج : يقف آنياس
وصديقه أخاتيس في أعلى
يسار الصورة ، بينما تظهر
على اليمين أسوار المدينة التي
تم بناؤها . وفي أسفل الصورة
يقوم بعض الرجال بنحت
الاحجار وتسويتها . وفي أعلى
الصورة ناحية اليمين تظهر
عجلة مثبتة في عمود ، استخدمها
الفينيقيون في رفع الاحجار
الضخمة .



٤٣٠ الطلائع النامية من جنسه ، أو عندما يضغط الشهد السائل ، ويملاً الخلايا بحلو النكتار (٥٩) ، أو يتحمل أعباء القادمين ، أو يطرد من بين صفوفه ، في طابور عسكري ، اليعاسيب ، ذلك القطيع الخامل . إن العمل يزدهر ، والعسل يفوح بعقيق السعتر . « أيها المحظوظون .. يا مَنْ تُعلو الآن مدينتكم » قالها آنياس وهو يتطلع إلى أسطح المدينة . واندس وسطهم ، وهو متدثر بالسحابة — يا لها من رواية شائقة — واندمج مع الرجال دون أن يفتن أحد إلى وجوده .

رأس حصان مرسوم على وجه عملة فضية سكها
القرطاجيون خصيصاً لتوزيعها على أفراد الحملة
المسكينة القرطاجية أثناء وجودها في جزيرة صقلية عام
٤٠٩ ق.م. (موجودة الآن في المتحف البريطاني)



كانت هناك أجمة في وسط المدينة ، وارفة الظلال . إنها تلك البقعة
التي حفر فيها الفينيقيون - حين ألقت بهم الأمواج والدوامة في أول الأمر -
العلامة التي أشارت چونو الملكة عليهم بحفرها : رأس حصان جامع (٦٠) .
فهكذا شاءت الأقدار أن تكون سلالة شهيرة في الحرب ، غنية في المورد
على مر العصور . وهنا كانت ديلو الصيداوية تشيد معبداً مهيباً
لچونو ، غنياً بالعطايا ويتشريف الآلهة ، له أعتاب برونزية ترتفع بشكل
متدرج ، قد سُوِّيتْ دَعَامَاتُ أعتابه العليا من البرونز ، وكان الأبواب
البرونزية « مفصلة » تطلق صريراً . في تلك الأجمة تَبَدَّى له - لامرأة
الأولى - شيء جديد هدا من روعه . وهنا - لأول مرة - يجسر آينياس
أن يهفو إلى السلام ، وأن يؤكد ثقته من جديد في أقداره المحطمة . إذ بينما ٤٥٠
كان يترسم كل خطة تراوده ، وهو تحت سقف المعبد العظيم في انتظار الملكة ،
وبينما كان يعجب بالمستقبل الذي ينتظر تلك المدينة ، وباليد المدربة ، والجهد
الذي يبذله أهلها ، مرت أمام ناظره المعارك الطروادية حسب ترتيبها الزمني ،
وتلك الحروب التي أصبحت معروفة في العالم كله ، وأبناء أتريوس ،
وأبناء برياموس ، وأخيلوس الذي عادى كلا منهما . وتف آينياس
ينرف الدمع ويتساءل : « أي مكان يا أخاتيس ، أي بقعة في الأرض لا تقيض ٤٦٠
الآن بأحزانا ؟ أنظر ... ذاك برياموس ! هنا أيضاً تمتدح فضائله ، وهنئ
الدموع ، والأشلاء الفانية ، كلها تمس شغاف القلوب . هَوْنٌ عليك خوفك ،
فسوف تُقَدِّم لك تلك الشهرة بعض العزاء . هكذا يحدث ، وطيب روحه
بالصورة الخالدة ، وتنهك كثيراً ، ووجهه مشخّن بنهر من الدموع . فقد كان

يشهد في الصورة كيف - عندما استعرت الحرب حول أسوار طروادة -
كان الأغريق هناك يلوفون بالفرار ، وكيف كان الشباب الطروادي يرهقهم .
هناك كان أخيلئوس ذو الخوذة ذات الذؤابة يطارد بعربته الفروجيين أثناء
فرارهم . وفي هذا الجزء من الصورة ، الذي لا يبعد عن الآخر كثيراً ،
تعرف - بينما هو يلرف الدمع - على خيام ريسوس ينسجها الناصع البياض ،
تلك الخيام التي خدع ديوميديس بن تيديوس - سفاك الدماء -
أصحابها وهم في أول غفوات النوم ، فأطاح بهم وأزهق منهم أرواحاً كثيرة ،
ثم أدار الجياد الشرسة إلى المعسكر ، قبل أن تذوق العليق الطروادي ، أو أن
تشرب من كسانثوس (٦١) . وفي جزء آخر من الصورة رأى ترويلوس (٦٢)
ذلك الفتى التمس ، الذي لم يكن ندأً لمنازلة أخيلئوس : وهو يفر بعد أن فقد
أسلحته - حملته خيوله ، ولما أن سقط تعلق بعربته الخالية ،
ممسكاً - رغم هذا - بالعنان ، ومن ثم كانت رقبته وشعرة يُسحبَان فوق
الأرض ، وحرسته المنكسة تخط في التراب . وفي نفس الوقت كانت النسوة
الطرواديات يجدن الشعاء تتجهن نحو معبد مينيرفا المعادية ، ترتدين ثوب
الاستجارة ، تتجبن في ضراعة ، وتضربن صدورهن بالكفوف . بينما
تحولت الإلهة عنهن وثبتت عينيها نحو الأرض . لقد سحب أخيلئوس هيكتور
ثلاث مرات حول أسوار طروادة ، وباع الجسد الفاقد الروح بالذهب .
وبعدئذ ، أطلق آينياس من أعماق قلبه صرخة عالية ، عندما ملح الغنائم ،
والعربة وجسد صديقه ذاته ، وبرياموس يدها موثوقتان مجردتان من السلاح .
وتعرف على نفسه أيضاً أثناء معركة قامت بينه وبين القادة الأغريق ، كما
تعرف على القوات الشرقية وعلى أسلحة ممنون الأسمر (٦٣) ، ورأى
بنثسيلييا (٦٤) وهي تقود - في سورة من الغضب - صفوف الأمازونيات
يلروعن الهلالية الشكل وقد اشتعلت حماساً وسط الألوف من حولها ،
متمنطقة بزئار ذهبي تحت صدرها العاري : إنها محاربة عنراء جرؤت
على خوض معركة ضد الرجال .

وإذ كانت هذه المشاهد اللافنة تتوالى أمام عيني آينياس الدرداني ،
وبينما كان يحملق مشدوهاً يرنو بنظرة واحدة غير منقطعة ، اقتربت من المعبد
الملكية ، ديدو ، البالغة الفتنة والجمال ، مع صحبة كبيرة من الشباب تحيط بها :
وكأنها ديانا ، تقود جوقاتها الراقصة ، على شواطئ يوريتاس أو عبر قمم
كينثوس ، وقد تجمع من حولها هنا وهناك ألف حورية أوريدية (٦٥) ،
٥٠٠ تحمل جعبة فوق كتفها ، تسمو في خطوطها على كل الإلهات ، ويخفق صلب
أمنها لاتونا (٦٦) الصامت فرحاً . تلك كانت ديدو ، وهكذا كانت تهادى
مبتهجة وسط صوحيباتها ، تستحث العمل في مملكتها الصاعدة . بعدئذ ،
وبالقرب من أبواب الإلهة ، وتحت القبو الذي يتوسط المعبد ، تربعت محاطة
بالأسلحة ، وأخذت مكانها ، مستوية على عرش مرتفع ، تقيم العدل وتشرع
القوانين لشعبها ، توزع بينهم أعباء العمل بالتساوي ، أو تختارها لهم بالقرعة .
وعلى حين غرة يرى آينياس - وسط جمهرة كبيرة تقترب - أنثيوس ،
٥١٠ وسرجيستوس ، وكلوأنثوس الشجاع ، وآخرين من الطرواديين ممن شتتهم
العاصفة السوداء فوق البحر ، وألقت بهم بعيداً على شواطئ أخرى . عندئذ
تملكته الدهشة وتملكت أخاتيس في الوقت نفسه ، فارتجفا من الفرح والرغبة .
وتحرقا شوقاً أن تتعانق بمناهما ، لكن خاطراً مجهولاً حبراً أفندتهما ،
فظلا محتشبين ، إذ كانا لا يزالان متدثرين بالسحابة التي تلتقيهما . راحا يفكران :
أى مصير ينتظر زملاءهما ، وعلى أى شاطئ تركوا أسطولهم ، ولم جاءوا ،
إذ أنهما شاهدا أشخاصاً مختارين من كل السفن يتقدمون ، يلتمسون العفو ،
ويسعون إلى المعبد في صباح .

٥٢٠ بعد أن أصبحوا في الداخل ومنحت لهم فرصة الكلام ، بدأ إليونيوس
العجوز ، منشرح الصدر ، يقول : « أيتها الملكية ، يا مَنْ وهبك جوبيتر
حق تأسيس مدينة جديدة ، وحق السيطرة على قبائل متشاذجة . إننا طرواديون
نعساء ، بطّحت بهم الرياح فوق كل البحار ، نتوسل إليك ، إدرئ عن سفننا
نيراناً مُتقدة ، أجبري ذرية ورعة ، وانظري بعين العطف لمصائرنا ،

إلينا بموجة مفاجئة - إلى ضحضاح خفي ، وشتتنا بعيداً بضربات قاسية
مخطوفة ، فلايس في خاطرنا ذلك العنف ، وليس للمهزومين مثل ذلك الكبر
هناك مكان يسميه الأغريق هيسبريا (٦٧) ، أرض قديمة ، أهلها قادرون
على حمل السلاح ، وغنية في ثروة الأرض ، يسكنها الأوينتريون؛ والآن
تسرى شائعة تقول إن ذرية صغيرة قد أسمتها إيطاليا على اسم قائدهم (٦٨) .

تلك الأرض كانت مقصدنا ، عندما حملتنا أوريون العاصف - بعد أن دفع
لم نأت لنعيث بالسيف فساداً في الديار الليبية ، أولمدفع إلى الشاطئ أسلاباً
بين أمواج البحر المصطخب الحائش بين الصخور التي لا منفذ لها ؛ وهكذا
أبحرت فئة قليلة منا إلى شواطئك . أي سلالة من الناس هذه ؟ وأي وطن
بربري هذا الذي يسمح بتلك العادة ؟ لقد رفضوا استضافتنا على الشاطئ ،

بل أعلنوا الحرب علينا ، ومنعونا من أن نلمس حدود أراضيكم . إن كنتم
تحتقرون الجنس البشري والأسلحة الفانية ، فتطلّعوا إلى الآلهة التي تتذكر
الصواب والخطأ . كان آينياس ملكاً علينا ، لم يكن هناك من يفوقه في العدل
أو التقوى ، أو من هو أعظم منه في الحرب أو استخدام السلاح . إذا كان
القدر لا يزال يحفظ لنا ذلك الرجل ، وإن كان ما يزال يستنشق هواء السماء ،

وإن لم يكن قد رقد بعد في الغياهب القاسية ، فلن يراودنا الخوف . كما أنك
لن تندمي على المسارعة إلى تقديم الخدمات إلينا . فهناك أيضاً في أرجاء صقلية
مدائن وعتاد ، وهناك أكستيس ، المعروف بأصله الطروادي . فلتسبحي
لنا أن نرسي أسطولنا الذي أرهقته الرياح إلى الشاطئ ، وأن نشق الألواج ،
ونسوى المجاديف في الغابات ، علّنا ، إذا التقينا بالرفاق والملك ، نشق الطريق
نحو إيطاليا ، كي نواصل البحث عنها وعن لاتيوم ونحن نشعر بالسعادة .

أما إذا حرّمنا الأمان واحتواك بحر ليبيا ، يا أعظم أب للطرواديين ، وإذا
لم يبق لنا أي أمل في أيواوس ، فلتسبحي عندئذ عن برازخ صقلية ، عن المناطق المعبدة
للقاتنا ، من حيث جئنا إلى هنا ، وعن أكستيس ، نتخذة ملكاً علينا . « نطق

إليونيوس بهذه الكلمات ، ثم هتف معه كل أبناء داردانوس في صيحة واحدة .



عندئذ تحدث ديدو في إيجاز وقد وجهت نظراتها إلى أسفل . « انزعوا
الخوف من قلوبكم ، يا معشر التيوكريين ، واطرحوا القلق جانبا ، فالضرورة
التصورى وحدائى عهد مملكى تدفعانى إلى القيام بمثل هذه الأعمال القاسية ،
وإلى تأمين الحدود بالحراس فى كل اتجاه . من يستطيع أن يجهل سلالة آينياس ؟
ومن لا يعرف مدينة طروادة ورجالها الصناديد ، وأعمالهم البطولية ،
أو نيران تلك الحرب ؟ نحن معشر الصوريين ، لا نحمل قلبا جامدا إلى هذا
الحد ، فما أن إله الشمس لا يوثق خيوله بعيدا عن مدينتنا صور . وسواء
أكنتم ترغبون فى التوجه إلى هيسبيريا العظيمة وحقول ساتورنوس ، أم تفضلون
الذهاب إلى حدود أريكس واختيار أكستيس ملكا عليكم ، فسوف أساعدكم
بأموالى وأبعث بكم محاطين بحراسى ، أما إذا كنتم ترغبون فى الإقامة معى
على قدم المساواة فى هذه المملكة فالمدينة التى أشيدها الآن مدينتكم . أرسوا
سفنكم إلى الشاطئ ، ولسوف أعامل الطرواديين والصوريين بدون تفرقة .
وباليت الملك آينياس نفسه يأتى إلى هنا تدفعه نس رياح الجنوب . بل إنى
سوف أبعث فى الوقت نفسه بأشخاص مخلصين على طول الشاطئ . وأصدر
إليهم أوامرى كى يجوسوا أطراف ليبيا البعيدة ، فلعله — بعد أن أنقت به
الرياح — يتجول الآن فى الغابات أو فى المداين . »

٥٧٠

لطالما تحرق الشجاع أخاتيس والأب، آينياس إلى أن ينطلقا من بين
السحابة ، وقد أثارت مشاعرهما تلك الكلمات . فى أول الأمر تحدث

٥٨٠

أخاتيس إلى آينياس « يا ابن الربة .. أى فكرة تقفز إلى ذهنك ؟ فيها أنت
ذا ترى أن كل شيء آمن ، وأن الأسطول قد استُعيد والرفاق قد رجعوا .
ينقصنا رجل واحد ، وهو الذى رأيناه بأعيننا هوى وسط الموجة ، أما كل
ما بقى فهو يتفق مع أقوال أمك . »

لم يكذ أخاتيس ينطق بهذه الكلمات ، حتى انشقت السحابة المحيطة بهما
فجأة وتبددت فى الهواء المكشوف . ونهض آينياس يتألق فى الضوء النقى ،
يشبه إلهاً فى الوجه والكتفين — إذ أن أمه نفسها كانت قد خلعت على ابنها بهاء
الخصلات المتموجة ، وفتنة أوج الشباب . وأضفت على عينيه لمعاناً متألقاً .
كان جماله كالجمال الذى تضيفه على العاج يد فنان ، أو مثل الفضة أو مثل
رخام باروس إذا ما غُلّف بالذهب الأصفر ، ثم تحدث إلى الماكة ، بينما
لم يكن يراه أحد من الحاضرين قال فجأة :

« ها هو أمامك من تبحين عنه ، إننى فى حضرتك ، آينياس الطروادى ،
بعد أن نجوت من الأمواج اللبية . يا أنت ، يا مَنْ رثت دون غيرها
لآلام طروادة التى تفوق الوصف . أنت يا من جعلتنا ، نحن الفارين من قبضة
الاغريق ، المنهكين بكل نوازل الأرض والبحر ، المحرومين من كل شيء .
... جعلتنا ، يا ديدو ، شركاء لك فى الذار وفى المدينة ، وليس فى مقدورنا
أن نقدم لك ما تستحقينه من شكر ، وليس ذلك فى مقدور أى إنسان آخر —
حيثما كان — من السلالة الطروادية المنتشرة على وجه الأرض العريضة .
ألا ليت الآلهة — إن كانت الأرواح المندسة تقدر الأتقاء ، إن كان هناك شيء
من العدالة فى أى مكان — ليت الآلهة وليت روح العدالة الواعية تهيك ثواباً
تستحقينه . أى عصور سعيدة قد حملتك ؟ وأى والدين عظيمين قد أنجبك
ما دامت الأنهار تجري نحو البحار ، ومادامت الظلال ترحف على جوانب
الجبال ، وما دامت النجوم تفتت من كلال السماء ، فلسوف يخلد شرفك
واسمك وحمدك فى جميع البقاع التى أذهب إليها مهما تعددت . » .
كذلك
تحدث . ثم مديده نحو صديقه إليونيوس ، واليسرى نحو لى سبرسترس ،

ثم بعد ذلك فعل نفس الشيء مع أصدقائه الآخرين : جياس الشجاع ،
وكلوأنثوس المقدام .

تملكت الدهشة ديدو الصيداوية ، في البداية عند رؤية منظر الرجل ،
ثم بعد ذلك عند معرفة ما وقع له من أهوال . ثم انطلق لسانها بهذه الكلمات
« أى قدر يتعقبك ، يا ابن الإلهة ، بين مثل هذه المخاطر ؟ أى قوة تدفعك
إلى شواطئه اللعينة ؟ أهو أنت ذلك الرجل آينياس ، الذى أنجبتك لأنخيس
الدرداني فينوس البهية ، بموجة من سيمويس الفروجي ، ؟ حقاً ، إننى
أذكر تيوكري حين جاء إلى صيدا ، منفياً خارج حدود وطنه ، باحثاً عن مملكته
الحديدية بمساعدة بيلوس . كان أبى بيلوس حينذاك قد قهر قبرص الغنية ،

٦٢٠

وكان — لأنه المنتصر — يضعها تحت سلطانه : ومنذ ذلك الوقت أصبح سقوط
مدينة طروادة معروفاً لدى ، وكذلك أصبح اسمك وأسماء الملوك البلاسجيين .
بل إن العدو نفسه كان يمجّد التيوكريين تمجيذاً بالغاً ، وكان يتمنى لو أنه
نفسه ينحدر من سلالة التيوكريين المريقة . هلّموا إذن أيها الشباب وادخلوا
مساكننا ، فأنا أيضاً قد ساقني حظ ، من مثل حظكم ، إلى عجمار آلام كثيرة ،
ثم شئت أن أؤسس داراً فوق هذه الأرض . ولأنى لا أجهل السوء فقد
تعلمت أن أصادق النساء . »

٦٣٠

وما كادت تفرغ من حديثها حتى قادت آينياس في الحال إلى القصر
الملكي ، وأمرت في التو بتقديم القرابين في معابد الآلهة . وفي نفس الوقت
لم تنس أن ترسل عشرين ثوراً إلى رفاقه على الشاطئ ، وبعثت بمائة خنزير
ضخم ، ظهورها ذات شعر كثيف ، ومائة حمل سمين تصاحبها أمهاتها ،
وهدايا ونييذاً يدخل البهجة على قلوبهم . كان القصر من الداخل مجهزاً
في أبهى ملكية رائعة ، وقد أعدت الولائم في وسط قاعاته . فالأغطية مطرزة
بمخق من الأرجوان الفاخر ، وفوق الموائد عدد ضخم من الأواني الفضية ،
محفور عليها بالذهب أعمال الآباء البطولية ، سلسلة بالغة الطول من البطولات
تترى خلال أبطال كثيرين منذ أصل السلالة العريق .

٦٤٠

ولأن عاطفة الأبوة لم تدع وجدان آينياس يخلد للراحة ، فقد أرسل أخاتيس سريعا إلى السفن ، ليحمل هذه البشائر إلى أسكانيوس وليقوده إلى المدينة - ففي أسكانيوس وضع آينياس كل حب كان يحس به نحو والده . وأمره كذلك أن يحضر معه كل الهدايا المنتشلة من حطام اليوم : دثار مطرز الحافة بأشكال صيغت من الذهب ، وخمار مهذب الحواشي بالأفتنا الصفراء ، لبسته ذات يوم هيلينا الأرجوسيه عندما سعت إلى برجاموس تبحث عن زواج غير مشروع (٦٩) : نفائس كانت قد أحضرتها من موكيناي هدية رائعة من والدتها ليدا (٧٠) ، وأمره أن يحضر أيضا صولجانا ، حملته ذات مرة إليوني ، كبرى بنات برياموس ، وقلادة محلاة باللاؤا ، وإكليلا ذا طوقين من الجواهر والذهب . وتلى أخاتيس وجهه صوب الأسطول مسرعا يحمل هذه الأوامر .

لكن الكثيرة كانت تقلب في صدرها حيتلا ، وتدبر خططا جديدة : أن يأتي كيوييد ، بعد أن يتغير وجهه وملاحه - يأتي بدلا من الوسيم أسكانيوس ، فيلهب الملكة هداياه إلى حد الحنون ، ويبث نار الحب في عظامها . في الحقيقة كانت الكثيرة تهاب المنزل الغامض ، والصيداوين ذوى اللسانين (٧١) ، لكن چونو القاسية كانت تلهب غيظها . لذلك زاد اهتمام الكثيرة من جديد ، وبعد أن جن الليل تحدثت إلى إله الحب المحنح بهذه الكلمات :

« ولدى (٧٢) ، أنت وحدك قوتي ، أنت وحدك قلرتي الفائقة ، ولدى يا من تحتقر حراب الأب القادر التيفوية (٧٣) ، إليك ألتجىء ، ضارعة ، أرتجى قدسيك . إن أخاك آينياس قد دار به البحر يلقيه على كل شاطئ بسبب كراهية جونو القاسية - ولعل ذلك معروف لديك - ولطالما تألمت لحرننا . إن ديدو الفينيقيّة تستبقه ، وتمله بألفاظ عذبة ، وإنى لأخشى عاقبة ذلك الكرم الحوني (٧٤) ، فإن چونو لا تقف مكتوفة الأيدي عندما تتحول الأمور . ولذلك فإنى أفكر في أن أهرمها بالخديعة ، وأن أحاصر الملكة بلهب الحب ، كي لا تستطيع أية قوة مقدسة أن تبدل مشاعرها ،

ولكنها عن طريق - سوف ترتبط مع آنياس بحب عظيم . إليك الآن نصيحتي ،
 التي تستطيع بها أن تنفذ هذا : إن الصبي الملكي (٧٥) ، شاغلي الأعظم ،
 يستعد للذهاب إلى مدينة صيدا ، تلبيةً لطلب والده العزيز ، حاملاً معه الهدايا
 التي ظالت باقية بعد أهوال البحر وحريق طروادة . سوف أهدئ هذه
 إلى سبات عميق ، ثم أخفيه في مقامي المقدس ، فوق أعالي كيثيرا ، أو فوق
 إريدايوم (٧٦) ، كي لا يستطيع ، بشكل ما ، أن يفتن إلى حيلتي أو يحبطها .
 فانتحل بالخدعة شخصيته البيلة واحدة لا أكثر . ولأنك صبي مثله ،
 فاخلع على نفسك ملامح وجهه المعهود . وعندما تستقبلك ديدو في حجرها ،
 وهي في غمرة سعادتها بين الموائد الملكية والنبذ المتدفق ، وعندما تحنوك
 في أحضانها وتلمسك أحلى القبلات ، فإنك تستطيع حينئذ أن تبث فيها ناراً
 غير مرئية ، وتخدعها بسُحك . « ويطيع إله الحب كامات أمه العزيزة ،
 ويخفض جناحيه ، ويتهادى مغتبطاً في هيئة يولوس . أما فينوس فلها تبعث
 الهدوء اللبذ في أوصال أسكانيوس ، وتدله في حضنها ، ثم تحمله ، بعناية
 إلهية ، إلى أحراش إريدايوم العالية ، حيث يحتويه المردقوش الناعم ، وتلفه
 الظلال الجلوة العابقة بأريج الزهور .

٦٨٠

٦٩٠

لقد ذهب الآن كيوييد ، منصاعاً لقولها ، وحمل الهدايا الملكية إلى
 الصيداوين ، سعيداً بأخاتيس كمرشد له . وعندما وصل كانت الملكة مسترخية
 فوق عرش ذهبي ، بين ستائر فاخرة ، متخذة مكانها في الوسط ، وقد تجتمع
 في تلك اللحظة آنياس الأب والشباب الطروادي ، واتكأوا على أغشية قرمزية
 مفروشة . وكان الخدم يسكبون الماء على أيديهم ، ويقدمون الخبز من السلال ،
 ويحملون المناشف الناعمة الذوائب . وفي الداخل كان ثمة خمسون خادمة ،
 مهتمتهن توفير الأطعمة المعدة دون انقطاع ومواصلة إشعال المواقد ،
 وهناك مائة أخريات ، معهن كثير من الخدم المتقاربين في السن ، يحملن
 الموائد بالأطعمة ، ويصففن عليها الأكواب ، ودخل الصيداوين كذلك
 جماعات ، عبر المداخل البهية ، وصدرت إليهم الأوامر بالجلوس على الوسائد

٧٠٠

المطرزة . لقد أذهلتهم هدايا آينياس ، وأدهشهم يولوس . راعهم الإله
 ٧١٠ بنظراته المتألقة ، وكلماته البراقة ، وأدهشهم الدثار والخمار المنقوش بزهرة
 الأكاثوس الصفراء . إلى جانب ذلك كانت الفينيقية المسكينة ، المسوقة
 إلى مصير مهلك ، لا تستطيع أن تهتدى بروعها ، بل كانت تشاهد كل ذلك
 فتشتعل ناراً ، وقد أهاجتها الهدايا ، وأثارها الصبي على السواء . وبعد ما تعلق
 الفتي ، معانقاً ، برقة آينياس ، وأشيع الحب العظيم للأب المخدوع ، توجه
 إلى الملكة . لقد تشبث به بنظراتها ، وبكل فؤادها ، ثم ما برحت تدله
 في حجرها غير مدركة — مسكينة ديدو ! — أى إله عظيم يستقر بداخلها
 ليكون سبباً في شقاتها . لكنه — متذكراً أمه الأكيدالية (٧٧) — بدأ ينتزع —
 ٧٢٠ شيئاً فشيئاً — حبها لسيخايوس ، وحاول أن يفاجيء روحها التي كانت قد
 غفت عن الحب ، وقلبها الذي لم يعتده طويلاً قبل الآن ، بحب فتي دافق .

عندما ساد الهدوء الأدب ، ورفعت الموائد ، سرعان ما وضعوا الدثان
 الضخمة ، وتوجوا النبيذ بأكاليل من الزهر . ثم امتلاء المبنى بالضوضاء ،
 وترددت أصوات في ردهاته الشاسعة . وإذا بمصاييح مضيفة تتدلى من السقوف
 المحلاة بالذهب ، ومشاعل تقهر ظلام الليل بوهجها . عندئذ طلبت الملكة
 كأساً مثقلة بالذهب والجواهر ، ملأتها بالنبيذ الخالص ، إنها تلك الكأس
 التي اعتاد أن يستخدمها يولوس وكل سلالة بياوس ، ثم خيم الصمت على القصر :
 ٧٣٠ « أى جوبيتر ، لأنك تشرع القانون للضيوف — كما يقولون — لتسكن
 مشيئتك أن يكون اليوم يوماً سعيداً لكل من الصيداوين والقادمين من طروادة ،
 وأن يبقى في ذاكرة صغارنا على الدوام . ليكون باخوس ، واهب النشوة ،
 بجانبنا ، ولتكن جونو الطيبة أيضاً . وأنتم ، يا معشر الصيداوين ، إحفظوا
 بصحبتنا ووفؤوا حقها من التكريم . » قالت هذا ، ثم سكبت النبيذ
 على المائدة ، كما لو كانت تقدم قرباناً . بعد ذلك كانت هي أول من لمست
 بطرف شفتها ، ثم ناولته لبييتاس في تحدٍ ، فعب الكأس المزبدة في خفة ،
 وراح يحتسى من الذهب المترع بالنبيذ ، وتبعه بعد ذلك النبلاء الآخرون .

- ٧٤٠ وملاً أيوباس ، ذو الشعر الطويل ، الردهة أحياناً بقيثارته الذهبية ؛ تغنى أيوباس ، الذى عَلمَه أطلس العظيم ، بالقمر السَّواح ، وبآلام الشمس . أنشد من أين جاء الإنسان والحيوان ، ومن أين وُجد الماء والنار ، وأنشد أيضاً عن أركتوروس ، وعن هياديس المطر ، وعن الثورين التوأمين ؛ وعلل فى إنشاده لماذا تسرع شمس الشتاء إلى إغراق نفسها فى المحيط ، وأى تأخير يعرقل لياليه المثلثة . وتمادى الصيدادويون فى التصفيق ، وتبعهم فى ذلك الطرواديون . أما ديدو التعمسة فقد كانت بدورها تطيل الليل بأحاديث متنوعة ، وترشف كزوس الحب الخالد: تسأل كثيراً عن برياموس ، وكثيراً عن هيكتور ، وحيناً تسأل عن الأسلحة التى امتشقها ممنون عند حضوره ، وحيناً تسأل عن سلاله خيول ديوميديس ، وحيناً تسأل عن أخيلئوس العظيم . « بل تعال ، قُصْ علينا القصة أولاً من بدايتها ، أيتها الضيف . » قالت له ذلك ، ثم أضافت : « تحدث عن غدر الأغرقي ، وعن مصائب رفاقك ، وعن تجوالك ، لأن هذا هو الصيف السابع الذى يحملك متجولاً فوق كل الأراضى والبحار » .
- ٧٦٠



« قادة الافريق في الحرب الطروادية كرسام تقيلمهم الرسام كريستيان هالين »

حواشي الكتاب الأول



(١) تبدأ بعض المخطوطات ملحمة فرجيليوس بالأبيات التالية :

ذاك أنا ، من غنى نشيده على مزمار رفيع ،

بعد أن هجرت الغابات ، تصدت الحقول المجاورة .

كئ أعين المزارعين ، وأقرب إلى نفوسهم ذلك العمل الشاق ،

وها أنا ذا أغنى للإله مارس المدجج بالسلاح .

يبدو أن فرجيليوس كتب هذه الأبيات الأربعة في إحدى مسوداته عند صياغة الأينيدة ، ثم استبعدها من قاموا بجمع وإعداد هذا العمل بحجة أن التعبير «السلاح وللرجل *Arma virumque*» الذي يبدأ به السطر التالى هو بداية طبيعية ومألوفة في استهلالات الملحمة القديمة . هذا إلى أن استهلالات الملحمة بنيدة عن حياة الشاعر وأخرى عن حياة البطل أمر غير مألوف . ومن ناحية أخرى فإن هذه الأبيات ذاتية يشير فيها فرجيليوس إلى الأعمال التى سبق أن قام بها وهى الرعويات والفلاحة ثم بداية الأينيدة ؛ وهى لهذا الطابع الذاتى تتشأن مع طبيعة الملحمة الموضوعية .

(٢) لافينيوم *Lavinium* ، اسم مدينة بناها آينياس *Aeneas* فى إقليم لاتيوم *Latium*

الذى يضم مدينة روما ، وسماها باسم زوجته لافينيا *Lavinia* ابنة لاتينوس *Latinus* . وهى مدينة بركاتها *Pratica* الحالية .

(٣) جونو *Juno* أو *Iuno* ، فى الأساطير الرومانية هى زوجة جوبيتر *Jupiter*

رب الأرباب وكبير الآلهة ، وتقابل الربة هيرا *Hera* عند الإغريق . من وظائفها الإشراف على عملية الوضع ومساعدة النساء أثناء ذلك . والسبب فى غضبها من أهل طروادة - ومنهم آينياس - هو الإهانة التى لقيتها من باريس ابن ملك طروادة ، إذ أن باريس حرّمها والربة مينيرفا *Minerva* من التفاحة الذهبية ، جائزة الجمال ، ومنحها للربة فينوس *Venus* ، ربة الجمال ، فودعته الأخيرة بالزواج من أجمل نساء الدنيا ، وهى هيلينا زوجة مينيلوس التى كانت سببا فى قيام الحرب الطروادية التى وصفها هوميروس فى الإلياذة .

(٤) ألبا Alba أو البالونجا Alba Longa ، هي المدينة الأم لروما ، شيدها أسكانيوس Ascanius ابن آينياس على التل الألباني ، الذي يقع على بعد خمسة عشر ميلا جنوب غربي روما .

(٥) قرطاجة Karthago ، مستعمرة أسسها الفينيقيون من أهل صور ، حوالي القرن التاسع قبل الميلاد بالقرب من تونس الحالية . كانت قلمتها تسمى بورصا ، وهي تعني - باللغة الفينيقية - القلعة . اشتهر أهلها بالتجارة وركوب البحر .

(٦) التبر Tiberis ، النهر الرئيسي في إيطاليا ، يشقها طولا من جبال الأبين إلى الجنوب حيث يمر بين اتروريا وأومبريا من ناحية ، وبين لاتيوم من ناحية أخرى . كان هذا النهر قديماً يسمى ألبولا ، وتقع مدينة روما على شاطئه الأيسر على بعد أربعة عشر كيلو متراً من مصبه عند أوستيا Ostia

(٧) ساموس Samos ، جزيرة تقع في مواجهة الساحل الجنوبي الغربي لآسيا الصغرى .

(٨) ليبيا Lybia ، المقصود هنا بكلمة ليبيا هو الجزء الشمالي من القارة الإفريقية .

(٩) ربات القدر Parcae ، كن عند الإغريق ثلاث : كلوثو Clotho ، لاخييس Lachesis ، أتروپوس Atropos ، ويقابلهن عند الرومان : نونا Nona دكوما Decuma ، مورتا Morta .

(١٠) ساتورنوس Saturnus ، أى «بأذر الحب» ، هو إله الزراعة عند الرومان ، ثم أصبح بعد ذلك يقابل كرونوس عند الإغريق . يقال إنه أول من أدخل الزراعة في روما ، وهو أيضاً مؤسس قلمتها فوق الكايتول . عرف عهده بالمهد الذمى ، وسمى الاحتفال الذي يقام تكريماً له بأعياد الساتورناليا Saturnalia .

(١١) (عاصمة إقليم أرجوليس جنوب البلطيق) .

(١٢) راجع قصة التفاحة الذهبية التي سبقت الإشارة إليها في حاشية رقم ٣ .

(١٣) كان الطرواديون على الدوام هدفًا لفضب جونس : إذ أن دردانوس Dardamus - الجد الأكبر للطرواديين - هو ابن جويتر الذي أنجبته له الكترا في غفلة من زوجته الشرعية جونس .

(١٤) جانيميديس Ganymedes : كان هو الآخر بنيفضاً لمونس ، لأنه ابن تروآس Troas الذي سميت طروادة باسمه ، والذي يتحدر من إريخثينوس بن دردانوس بن جويتر من الكترا . ومن ثم فإن جانيميديس من ناحية هو حفيد لابن زوجها سليل الحياة ، ومن ناحية أخرى كان جانيميديس أخا إليوس جد برياموس ، وأيضاً كان أخا أساراكوس جد آينياس الأكبر . وترى الأساطير أن الآلهة رفعت الفتى جانيميديس إلى السماء ، أو أن نمر جويتر قد اختطفه واتخذ كغير الآلهة سابقاً له .

(١٥) أخيلوس (= أخيليس عند الرومان Achilles) ، أحد قادة الحملة الإغريقية ضد طروادة ، والبطل الحقيقي للإلياذة - ملحمة هوميروس - والذي لعب الدور الرئيسي في حرب طروادة ، بعد أن تملكه الغضب بسبب موت صديقه باتروكلوس .
(١٦) هي أثينارية الحكمة .

(١٧) أياس بن أوليلوس Aias Oili ، وهو غير أياس التلاموني وأقل منه مكانة . كان أحد الذين اشتركوا في حصار طروادة . غرق أسطوله أثناء عودته فاعده بوسيدون على النجاة ، فلما رحل سالماً وقف فوق صخرة ليمعن أنه استطاع السباحة بالرغم من إرادة الآلهة . عندئذ أغرق بوسيدون الصخرة من تحته وأغرقه . أما لماذا أغرقت أثينا أسطوله - بالرغم من أنه أغريق - فقد حدث ذلك لأنه انتهك حرمة كاساندراف العذراء بعد سقوط طروادة بالرغم من أنها كانت تحتوى خلف تمثال أثينا (= مينيرفا عند الرومان) المقام في معبدها . وظل شعب أياس يكفر عن هذه الجريمة البشعة بإرسال عدد من عذارى النبلاء كل عام ليقدمن في محراب تلك الإلهة المقام في طروادة .

(١٨) أيوليا Aeolia ، عند هوميروس ، هي جزيرة عائمة يعيش عليها أبولوس ابن ميبوتيس ، أحد أصدقاء الآلهة ، وقد أصبح إلهاً للريح ، فيما بعد . أما فرجيليوس فهو يشابه بين أيوليا وليبارا وهي إحدى الجزر البركانية الواقعة شمال صقلية (راجع الكتاب الثامن من الملحمة سطر ٤١٦) .

(١٩) البحر التيراني Tyrrhenum aequor ، نسبة إلى الاتروسكيين ، وهم قوم استقروا في شمال غرب إيطاليا ، ولا يعرف أصلهم ؛ وإن كان من المرجح أنهم نزحوا من ليديا .

(٢٠) ديويپا Deiopea ، اسم لإحدى الخوريات ، لم يرد ذكره إلا عند فرجيليوس .

(٢١) حرفياً : سعادة مثثة أو مربعة terque quaterque beati :

(٢٢) ديوميديس Diomedes هو ابن تيديوس Tydeus ، نازل آينياس بالقرب من أسوار طروادة ، وجرح آينياس أثناء ذلك النزاع ، كان ديوميديس على وشك أن يقضى على حياة منافسه لولا أن تدخلت الإلهة فينوس .

(٢٣) «مجنّدا بحرية الأياكيدى» Aeacides ، أى حفيد أياكوس ، وهو أخيلوس ابن پليوس Peleus بن أياكوس .

(٢٤) سارپيدون Sarpedon ، ابن جوبيتر من لاؤداميا Laodamia . كان قائداً بارعاً قاد الكليتيين - حلفاء الطرواديين - ، وأعظم المحاربين ؛ قتله حرباً باتروكلوس رفيق أخيلوس .

(٢٥) سيمويس Simois ، اسم نهر في طروادة ، ورد ذكره للمرة الأولى عند هزiodوس Hesiodos في قصيدة أنساب الآلهة ، سطر ٣٤٢ .

(٢٦) شعوب تسكن منطقة لوكيا Lycia الواقعة في آسيا الصغرى .

(٢٧) إليونيوس Ilioneus وأخاتيس Achates هما إثنان من مرافق آينياس أثناء رحلته الطويلة الشاقة .

(٢٨) نبتونوس Neptunus ، إله إيطالي قديم ، كانت تقدم له العبادة في شهر يوليو من كل عام (نبتوناليا Neptunalia) . أول ما ظهر في الأدب الروماني كان إلهاً للبحر ، وكانت له صفات بوسيدون . كذلك عرف بحبه للخيل التي كان يهواها بوسيدون أيضاً .

(٢٩) يتحدث نيبتونوس إلى الرياح باحتقار شديد ؛ إذ أنها كانت في نظر الرومان تسمى إلى آلهة «الدرجة الثالثة» ، طالما كانت تنتسب إلى أحد التياتن (المالقة) يدعى استرايوس Astraeus وزوجته أورورا Aurora .

(٣٠) سيدم هو أيولوس المكلف بحراسة الرياح .

(٣١) أسماء قادة طرواديين .

(٣٢) يشير ثرجيلينوس هنا إلى احتكاك حجر الصوان وما ينتج عنه من شرار ؛ وهي الطريقة البدائية لإشعال النار .

(٣٣) أكستيس Acestes ، ابن إله البحر الصقلي كرىميسوس من إحدى الطرواديات . إحتن بأينياس في صقلية .

(٣٤) تريناكريا Trinacria وتعني الأرض ذات الرؤوس البحرية الثلاثة ، أى جزيرة صقلية .

(٣٥) سكيلا وخاربيديس حارستان لصخور تطبق على من يبحر بينهما . انظر الأينيدة ك ٣ ، ن ٤١٠ - ٤٣٠ ص ١٨٠ .

(٣٦) أى : ذو العين المستديرة (الواحدة) انظر ك ٣ ، س ٦١٢ - ٦٤٤ ص ١٨٧ .

(٣٧) كل هؤلاء مرافقون لأينياس ورد ذكرهم بعد ذلك أكثر من مرة .

(٣٨) المقصود بالبرازخ الإليرية هنا هو الخليج الأدرياتيكي على طول شاطئ إليريا Illyria . يؤكد هذا أن عابر ذلك الخليج - شان أنتينور - يجد نفسه وسط أصقاع البيورنيين Liburni .

(٣٩) تيمافوس Timavus ، نهر يجرى في إسترية Istria الواقعة شمال الأدرياتيك .

(٤٠) مدينة پتافيوم Patavium ، قرب الينابيع في كيسالينا بإيطاليا .

(٤١) الكيثيرية Cytherea ، كناية للربة فينوس ، نسبة إلى كيثيرا Cythera وهي جزيرة تقع شمال لاكونيا يقال إن مولد فينوس كان في المياه القريبة من شواطئها .

(٤٢) أسكانيوس Ascanius ، هو ابن آينياس وكریوسا Creusa ، ويدعى أيضا إیولوس Iulus . بهذه التسمية الأخيرة يربط فرجيلیوس أسرة (١) یولیوس - ومن ثم الإمبراطور یولیوس - بآينياس . ويرى فرجيلیوس أن أسكانيوس كان يدعى في بادئ الأمر إیلوس (وهو اسم أحد ملوك إلیوم = طروادة) ، ثم تحول هذا الاسم بعد سقوط طروادة فأصبح إیولوس ، وهو اسم يوحى بالشباب والجمال . ومنه اشتق اسم یولیوس .

(٤٣) إلیا Ilia ، وتسمى أيضا ریا سيلفيا Rhea Silvia ، عنراء أوقفت حياتها على العبادة . أمر عنها أمولیوس Amulius بإلقائها في نهر التیبر ، لكن إله البحر أنقذها من الموت (راجع الحاشية التالية) .

(٤٤) يقال إن روما قبل أن تستكمل كيانها كانت إحدى مقاطعات ألبالونجا ، توارد على حكمها عدة ملوك يتحدرون من أصل طروادى ، أولهم أسكانيوس بن آينياس وآخرهم أمولیوس الذى أزاح أخاه نوميتر Numitor الملك المادل ، وأجبر ابنته على التهرب كي لا تزوج خوفاً من أن تنجب أبناء ينتقمون لجدهم نوميتر . لكن إلیا حملت من مارس إله الحرب في توأم - ريموس Remus ورومولوس Romulus - فألقى أمولیوس بهما في نهر التیبر . لكن الأمواج قذفت بهما على الشاطئ الآخر حيث تلقتهما أنثى ذئب أرضعت الطفلين إلى أن شبا وعادا إلى ألبالونجا فأطاحا بعرش أمولیوس وأعادا نوميتر إلى الحكم . بعد ذلك قررا تأسيس ملكة قوية واختارا أن يكون الطير حكماً بينهما في اختيار أحدهما ليكون ملكاً عليها ، فكان رومولوس الذى سميت المملكة «روما» باسمه .

(٤٥) شعب العبادة ، لأن العبادة Toga كانت الرداء المميز لأفراد الشعب الرومانى يلبسونها أثناء أداء واجباتهم الاجتماعية ، ثم اقتصر ذلك فيما بعد على المناسبات الرسمية .

(٤٦) أساراكوس Assaracus ، هو الجد الأول لآينياس . فثيا Phthia وموكيناي Mycenae ، مدينتان أغريقيتان . الأولى في تساليا ، وهي مسقط رأس أنجيليوس ؛ والثانية في منطقة أرجوليس ويحكمها أجاثون . ويقصد فرجيلیوس بذلك أن روما سوف تقهر بلاد الإغريق .

(٤٧) بعد معركة أكتيوم عام ٣١ ق.م. توغل أوكتافيوس في سوريا وآسيا الصغرى ، ثم احتفل بانتصاراته عندما عاد إلى روما عام ٢٩ ق.م. في ذلك الوقت أهدى أوكتافيوس معبداً لیرلیوس قيصر المزله Divus Iulus ، وراح يتقبل الهدايا والتفان في شرفه ، وأغلق معبد يانوس دلالة على انتهاء عصر الحروب واستقرار السلام - وهنا يتنبأ جو پتر بكل هذه الأحداث .

(٤٨) ابن مايا Maia ، هو الإله ميركوريوس Mercurius ، رسول الآلهة .

(٤٩) التيوكريون هم أبناء تيوكر ، أى الطرواديون .

(٥٠) يؤكده فرجيليوس جمال فينوس ، الذى تبدت به أولا ، ثم يؤكده قوتها ؛ إذ كانت القوة فى المرأة من أمارات الجمال ، وكانت نساء اسبرطة يؤدين تمارين رياضية عنيفة لتقوية عضلاتهن .

(٥١) هار پاليكشى Harpalyce ، هى ابنة هاربا ليكوس أحد ملوك تراقيا كانت تحارب جنبا إلى جنب مع الجنود . وهيبروس Hebrus هو النهر الرئيسى فى تراقيا ، ويعرف الآن بنهر ماريتزا Maritza . وقد اعتاد الشعراء وصف الأنهار بالسرعة ؛ بالرغم من أن نهر هيبروس لم يكن نهراً متدفقا .

(٥٢) ابن فينوس هو آينياس .

(٥٣) فويبوس Phoebus ، هو أبوللون ، إله النور .

(٥٤) بيرسا Byrsa ، هى فى الأصل تحريف للكلمة الفينيقية بوسرا Bosra ومنماها «قلعة» ، ومن المحتمل أنها تشير إلى قلعة قرطاجة الجديدة . ولم يفهم القدماء أصل كلمة Bosra فاعتقدوا أنها مشتقة من الكلمة الإغريقية Bursa ومنماها «جلد الحيوان المذبوح» . من هنا نشأت أسطورة «جلد الثور» . تروى الأسطورة أن ديدو ورفاقها - فور وصولهم - ابتاعوا من المواطنين مساحة من الأرض بقدر ما يستطيع جلد ثور مذبوح - بعد تمزيقه إلى شرائط ضيقة وتوصيل هذه الشرائط بعضها ببعض حتى تكون ما يشبه الحبل - أن يحدها .

(٥٥) البيثانيس هى آلهة طروادة يأتى ذكرها بعد . (٥٧) (ص ١٥٩)

(٥٦) الفروجى Phrygius ، نسبة إلى فروجيا Phrygia الواقعة شمال غرب آسيا الصغرى والقريبة من طروادة .

(٥٧) بافوس Paphos مدينة فى جزيرة قبرص يوجد بها معبد فينوس ومقر عبادتها .

(٥٨) نسبة إلى ملكة سبأ (= اليمن) الشهيرة بالمطور والبخور .

(٥٩) النكتار Nectar ، هو شراب الآلهة ؛ أما طعامهم فكان الامبروسيا ambrosia .

(٦٠) كانت رأس الحصان الجامح شعاراً لقرطاجنة ، وهى شائعة فى عملتها . صوماً كان الحصان يرمز إلى الحرب والثروة ، وكانت قرطاجنة غنية بالذهب والفضة ، كما كانت غنية أيضاً بالخيل .

(٦١) كسانثوس Xanthus ، نهر معروف يجرى فى طروادة .

(٦٢) ترويلوس Troilus ، الابن الأصغر لپرياموس ملك طروادة ، لقى حتفه على يد أخيلوس .

(٦٣) ممنون Memnon ، هو ملك الأثيوبيين ، أنجبه تيثونوس Tithonus من الزهرة أورورا .

(٦٤) بنثيليا Penthesilea ، هي ملكة الأمازونيّات .

كانت تحارب بشجاعة في صفوف الطرواديين . ذبحها أخيلوس بعد أن قتل هيكتور . لكنه بعد ذلك حزن عليها حزناً بالغاً لجأها المفرط . وتروى الأسطورة أن أحد أصدقاء أخيلوس - ثريسيس - كان يداعبه ويسخر منه لأنه قتلها فاغتاظ أخيلوس وقتل صديقه في ثورة من الغضب ، ثم ركب عربته لا يلوى على شيء مما أتاح لباريس بن پرياموس - أو للإله أپوللون - أن يرشقه بسهم في كعبه فأرداه قتيلاً (كانت أم أخيلوس - وهي حورية ماء - قد أمسكت من كعبه أثناء طفولته وغسّته في ماء مقدس ، فابتل كله إلا كعبه ، ومن ثم أصبح خالداً لا يمكن إصابته إلا من كعبه الذي لم يبتل بالماء المقدس) .

(٦٥) الحوريات الأوريدية Oreades ، هم الحوريات اللاتي كن يرتمن في الجبال ، والصفة مشتقة من الكلمة اليونانية oros ومعناها «جبل» .

(٦٦) لاتونا Latona ، هي والدة ديدو ملكة قرطاجة .

(٦٧) هيسبيريا Hesperia ، أي الأراضي الغربية (بالنسبة للإغريق) ، والمقصود بها إيطاليا .

(٦٨) نسبة إلى قائدهم إيطالوس Italus .

(٦٩) المقصود هنا هيلينا Helena ، زوجة مينلاؤوس ، عندما هربت بمصاحبة باريس إلى طروادة بعد أن تركت خلفها زوجها ملك اسبرطة .

(٧٠) ليدا Leda ، هي زوجة تنداريوس Tyndareus ووالدة هيلينا .

(٧١) أي القرطاجيين ذوي اللسانين . الكلمة اللاتينية المستمدة هي *bilinguis* وتعني « ذا اللسانين أو ذا اللسان المزدوج » وكانت توصف بها الحية أو الثعبان فقط . لكن أثناء الحرب البونية أطلق الرومان على القرطاجيين الصفة *bilinguis* أي أنهم كانوا يقولون شيئاً ويقمعون شيئاً آخر ، وهم بذلك كانوا يصفونهم بالخيانة والخداع والفساد .

(٧٢) كان إله الحب Cupidus ابناً لفيثوس ، وبالتالي فقد كان شقيقاً لأفياس .

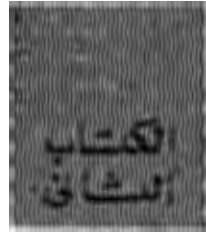
(٧٣) كان إله الحب هو الوحيد الذي يستبزيء بالصواعق ؛ كان معروفاً أن الأب جوبيتر ، رب الأرباب ، يرسل الصواعق ضد أعدائه . والمقصود هنا بالأسلحة التيافية الصواعق التي استخدمها جوبيتر في القضاء على العملاق تيفويس Typhoeus .

(٧٤) نسبة إلى الإلهة چونو . هنا تتهكم فينوس فتصف ما تفعله چونو بأنه كرم مفتعل المقصود منه الانتقام من آينياس .

(٧٥) المقصود هنا هو أسكانيوس بن آينياس .

(٧٦) إيداليوم Idalium ، مدينة في جزيرة قبرص حيث توجد أجمة فينوس المقدسة .
فيما يتعلق بكثير اراجع حاشية رقم ٤١ .

(٧٧) الأكيدالية Acidalia ، لقب آخر من ألقاب فينوس ، نسبة إلى أكيداليا في منطقة بوايتا حيث اعتادت فينوس وريبات الهجة والسرور الاستحمام والسباحة .



دكتور عبد المعطى شعراوي

خيم الصمت على الجميع وقد أداروا وجوههم نحوه ، وأخذوا يرمقونه بنظراتهم ؛ عندئذ بدأ الأب آينياس ، من فوق مقعده المرتفع ، حديثه قائل :
 « مليكتي ، ما أقسى العذاب الذي تريد أن تبعثيه في نفسي من جديد ؛ كيف قضى أبناء دناءوس (١) على ثروة طروادة وسلطانها المأسوف عليه . لقد رأيت بعيني رأسي كل تلك المصائب ، ونالني منها قدر عظيم . فمن رجال أخيليوس (الميرميدنيين (٢)) ، أو من رجال فوينيكس (الدلوبيين (٣)) ، أو من جنود أوديسيوس القساة ، يستطيع أن يكتم الدمع حين يروى مثل هذه الأحداث ؟ والآن يهبط الليل برطوبته من قبة السماء ، ويغرى مغيب النجوم الجفون بالنعاس . بيد أنه إن كانت لك رغبة شديدة في الوقوف على مصائبنا ، والاستماع في إيجاز إلى محنة طروادة الأخيرة ، فبالرغم من أن أوصالي ترتعد حين أتذكر تلك الأحداث ، وبالرغم من أن روحي تحاول أن تتخلص من آلام تلك الذكريات ، فسوف أبداً روايتي :

بعد أن هُزم قادة الدنائيين في الحرب ، وبعد أن دارت عليهم الأقدار ، وبعد مرور سنوات عديدة ، أقام هؤلاء القادة — طبقاً لنصيحة مقدسة من الإلهة بالاس (٤) — هيكلًا لحصان يضارع الجبل في حجمه ، وقاموا بتغطية جوانبه بالواح من خشب الشربين . وتظاهروا بأنه قربان نلروه للإلهة ، تأميناً لعودتهم إلى بلادهم . وانتشرت هذه الرواية في كل مكان . وفي داخل الجوانب المظلمة لذلك الهيكل ، وضعوا خلصة نخبة من رجالهم المختارين ، ثم ملأوا الأجزاء المحوقة في داخل الهيكل وتجاويف البطن أيضاً بمجموعة من الجنود المدججين بالسلاح .



الالهة بالاس (مينيرفا) تصنع أنموذجا للحصان . صورة
وجدت على إحدى الأواني في مدينة كابوا ، ويرجع تاريخها
إلى منتصف القرن الخامس . هذه الأنية موجودة الآن في
متحف برلين .

هناك على مرمى البصر تقع تينيدوس (٥) ، جزيرة ذات شهرة ذائعة
للغاية ، غنية بمواردها ، أو هكذا كانت أثناء حكم برياموس ، لكنها الآن
ليست سوى خليج ومرفأ غير أمين للسفن . لحأ الاغريق إلى تلك الجزيرة ،
وأخفوا أنفسهم على شواطئها المهجورة . أما نحن فقد ظننا أنهم قد رحلوا ،
وتوجهوا بمساعدة الرياح نحو موكيناي (٦) . وعلى ذلك فإن جميع سكان
طروادة تخلصوا من فزعهم المستمر . وانفتحت البوابات على مصاريعها ،
وأحس الجميع برغبة في الخروج لمشاهدة المعسكرات الدورية (٧) ،
والمواقع الخالية ، والشاطئ المهجور : فهذه المنطقة كان يحتلها رجال فوينيكس
وتلك كان يسيطر عليها أخيليوس القاسي ، ومن هذا المكان اعتادوا مهاجمتنا

بأساطيلهم ، وفي ذلك غالباً ما تعرضوا لهجمات قواتنا . أخذ البعض يحنلق
 مشدوهاً في الهدية القاتلة ، التي جاءت من عند العنراء مينيرفا ، ودهشوا ٣٠
 لضخامة الحصان . في بادئ الأمر حثهم ثيمويتيس (٨) على أن يقودوا
 الحصان إلى داخل الأسوار ، وأن يضعوه في القلعة ؛ حدث ذلك ، إما بدافع
 الحيانة ، أو هكذا شاءت الأقدار لطروادة . أما كاييس ، ومعه آخرون
 ممن امتازوا بتفكير سليم ، فقد أمر الطرواديين أن يلقوا في البحر هدية
 الإغريق المضللة المخادعة ، أو أن يجعلوا منها وقوداً لألسنة اللهب ، أو أن
 يحدثوا بها ثقباً ، ثم يستطلعوا ما بداخل الأماكن المخوفة في بطن الهيكل .
 وانقسمت الجماهير الحائرة ، وقامت بينهم مناقشة حادة .

٤٠ في تلك الأثناء انطلق لأوكرون (٩) من قمة القلعة ، متجهاً إلى أسفل ،
 وقد سيطرت عليه رغبة جاححة ، وهو يتقدم بجمهور أكبر يسعى من خلفه ،
 ثم صاح من بعيد :

« أيها المواطنون التمساء ، ما هذا الجحون المنقطع النظير ؟ هل تعتقدون
 أن الأعداء قد أبحروا ؟ أو هل تظنون أن أي هدايا تأتي من عند الإغريق
 تخلو من الخديعة ؟ أم هكذا نعرف نحن أوديسيوس (١٠) ؟ قد يكون الآخرون (١١)
 قد أخفوا أنفسهم داخل ذلك الهيكل الخشبي ، أو قد تكون هذه الآلة ،
 الموجودة الآن أمام أسوارنا ، قد صممت خصيصاً لتجسس على منازلنا ،
 ولتهبط على مدينتنا من عل . إن هناك خديعة ما تكمن في ذلك الحصان ،
 أيها التيوكريون (١٢) ، فلا تثقوا فيه . ومهما يكن الأمر ، فإني أخشى
 الإغريق حتى عندما يقدمون الهدايا . بعد أن قال هذا قذف بقوة هائلة حريته
 الضخمة نحو جانب الهيكل والألواح الخشبية المنحنية حول بطنه . واستقرت ٥٠
 الحربة وهي تتذبذب ، ورنّت الأجزاء المخوفة في البطن بتأثير تلك الدبذبة ،
 وانطلقت صرخة مكتومة من الداخل . فلو لم تكن الأقدار مضللة ، ولو لم يكن
 تفكيرنا تافهاً ، لكان لأوكرون قد أقنعنا بضرورة استخدام السلاح في تدمير

كمن الإغريق ، ولظلت طروادة مزدهرة حتى الآن ، ولاستمر بقاؤك -
أنت ، يا قلاع برياموس الشاهقة - حتى هذه اللحظة .

يا لهول الموقف افنى تلك اللحظة كان بعض الرعاة الطرواديين يدفعون
إلى الملك ، في ضوء عالية ، شاباً يده مقيدتان خلف ظهره . ومع أنه غريب ،
لكنه كان قد وضع نفسه بمحض إرادته في طريق هؤلاء الرعاة القادمين ،
لكي يُنقذ خطته بالذات ويفتح طروادة أمام الإغريق . كان وافقاً في حسن
٦٠ تدبيره ، مستعداً لمواجهة أحد أمرين : إما أن يتقن الخداع والتضليل ،
أو يقابل موتاً مؤكداً . واندفعت من كل صوب جماهير الشباب الطروادى
زرافات ووحداً ، كلهم شوق لمشاهدة الأسير ، وأحاطوا به ، يتبارون
فيما بينهم في السخرية منه .

فلترين الآن خيانة الإغريق ، ولتعلمن من جريمة واحدة من هم
هؤلاء جميعاً . فعندما وقف ساكناً ، مرتبكاً ، أعزل ، وسط نظرات
الجماهير ، وأدار ناظره حول الحشود الفروجة (١٣) ، انطلق يقول :

« وا أسفاه ! أى أرض يمكن الآن أن تقبلى ، وأى بحر يمكن الآن
٧٠ أن يضمنى إليه ؟ وأخيراً ، أى مصير ينتظرنى ، أنا التمس ، الذى لم يعد له
مكان بين الإغريق ، والذى يطالب الطرواديون أنفسهم - أعداؤه - بالانتقام
منه ، وإراقة دمه ؟ »

تبدلت أحاسيسنا ، من جرّاء صراخه وأنيته ، وقلّت حدة اندفاعنا .
أخذنا نحته على الكلام ، ليخبرنا إلى أى أصل ينتمى ، إلى أى هدف يرنو ،
ما هى حُججته فى أسره . وأخيراً ، بعد أن ذهب عنه الفزع ، قال :

« أيها الملك ، مهما تكن العاقبة ، سوف أعترف لك بالحقيقة كلها ،
سوف لا أنكر أنى أنتمى إلى أصل أغريق . هذا أولاً وقبل كل شيء . وإذا
كان القدر قد جعل من سينون (١٤) إنساناً نعساً ، فإنه سوف لا يجعل منه ،

٨٠ بأى حال من الأحوال ، إنساناً مخادعاً وكذاباً أيضاً . لعله قد وصل إلى سمعك اسم أحد الأشخاص يدعى بالاميديس ، سليل بيلوس (١٥) ، وعلمت بعظمته وشهرته الواسعة ، ذلك الشخص البريء الذى دفع به البلاسيون (١٦) إلى الموت ، بناء على معلومات زائفة ، وبسبب اتهامه بجرمة مروعة لم يرتكبها ، إذ أنه كان يعارض فكرة إشعال نار الحرب . لكنهم الآن ، بعد أن فارق الحياة ، ينرفون الدمع من أجله . كان والدى الفقير تربطه صلة قرابة بذلك الشخص ، لذلك فقد أرسلنى بصحبته إلى هنا ، تحت السلاح ، منذ سنوات عمرى الأولى . ولما كان مركزه آمناً فى الدولة ، وكان له سلطان فى مجالس الأمراء ، كنت أمتنع بالشهرة وأحس بالعظمة . وبسبب حقد أوديسيوس الماكر — وأنا لا أتحدث هنا عن شيء غير معروف تمام المعرفة — فقد بالاميديس مركزه السامى ، فأحسست بالانكسار ، وقضيت حياتى فى حزن وأسى ، وشعرت بالضيق ، من أجل مصيبة صديق البريء . وعندما سيطر على الغضب ، لم أركن إلى الصمت . أقسمت بالانتقام له ، لو أن الفرصة أتحت لى ، ولو أنى عدت منتصراً إلى وطنى أرجوس . لقد أثرت بكلماتى هذه إحساساً قوياً بالكراهية . ومن هنا كانت الخطوة الأولى نحو الدمار . فمن أجل ذلك ظل أوديسيوس يهددنى ، كل لحظة ، باتهامات جديدة ، ومن هنا انتشرت شائعات مضللة بين الجماهير . ثم بحث أوديسيوس عن أسلحة أخرى ، يشهرها ضيدى ، وهو يشعر بالذنب . لكنه لم يحس بالراحة إلا عندما استغل العراف كالحاس (١٧) لكن ، لماذا أستعيد الآن ذكرى هذه الرواية المحزنة ، دون جدوى (١٨) ؟ أو لماذا أضع أمامكم العراقل ، إذا كنتم تعتبرون جميع الإغريق فى منزلة واحدة على السواء ، وإذا كنتم قد علمتم أنى إغريقى ؟ والآن ، عليكم بالانتقام ، فلما أراد أوديسيوس الإيثاكي (١٩) ذلك ، ولشدة ما أراد ولدا أترىوس (٢٠) أيضاً تحقيقه بأى ثمن .

عندئذ أحسنا بشغف نحو معرفة الأسباب ، وأخذنا نسأل عنها ،

ونحن جاهلون بالجرائم الشنيعة والمكر الذى اتصف به الإغريق . وبينما هو يرتعد ، واصل حديثه ، فقال بإحساس مزيّف :

« كثيراً ما أراد الإغريق الرحيل عن طروادة ، والفرار من هنا ؛ وبعد أن أدركهم العناء ، رغبوا أيضاً فى إيقاف الحرب ، التى استمرت مدة طويلة . وباليتهم كانوا قد فعلوا ذلك ! فكثيراً ما عاقبتهم عواصف البحر الهوجاء ، وأفرعتهم ريح الجنوب ، أثناء رحيلهم ، وبخاصة عندما أخذ هذا الحصان المركّب من ألواح خشب الإسفندان مكانه هنا ، فإن العواصف الباردة ملأ زفيرها كل ركن من أركان السماء . عندئذ استولت علينا الحيرة ، فأرسلنا يوريبيلوس (٢١) ليستطلع نبوءة فويبوس (٢٢) . وعاد من المعبد المقدس يحمل هذه الأنباء المفزعة » :

« أيها الإغريق ، لقد تفاديتم غضب الرياح بإقامة دم لإحدى العذارى (٢٣) ، عندما جثتم لأول مرة إلى شواطئ طروادة ، وعليكم أن تحققوا عودتكم بإقامة الدماء أيضاً . يجب عليكم أن تقدموا آدمياً حياً من أرجوس قرباناً » .

١٢٠ عندما وصلت تلك الكلمات إلى آذان الجمهور ، سيطرت الدهشة على أفئدتهم ، وأدركتهم رعشة باردة ، نفذت إلى أعماق عظامهم . إلى من تشير الأقدار ؟ من يطالبه أبوللون ؟

عندئذ جذب الإيثاكي العراف كالخاس إلى وسط الجمهور ، وهو يصرخ صرخة مدوية ، ثم سأله عما قد تعنى تلك المشيئة الربّانية . لقد أدرك الجميع أن الجريمة البشعة ، التى كان يدبرها ذلك الماكر ، كانت موجهة ضدي ، وأخلوا يترقبون - وقد خيم عليهم الصمت - ما سوف يمر أمامهم بعد ذلك من أحداث ، . ظل ذلك العراف صامتاً مدة عشرة أيام ، حبساً فى خيمته ، يرفض أن يتفوه باسم أحد ، أو أن يُعرّض أحداً للموت . وأخيراً ، وبعد عناء طويل ، وبعد أن أجبرته صيحات الإيثاكي العالية ،

١٣٠ خرج عن صفته ، طبقاً لاتفاق سابق ، وأشار إلى أننى سوف أذهب إلى المذبح (٢٤) . ووافق الجميع ، فإن ما كان يحس به كل واحد - على حدة - من خوف على نفسه جعل الجميع يحسون بالراحة لتعاسى ، والقضاء على وحدى . وجاء اليوم المشنوم ، وتم الاستعداد للقيام بالشعائر المقدسة من أجل : أعدت وجبة من القمح المخلوط بالملح ، ووضعت الأكاليل حول رأسى (٢٥) . أما أنا ، فإني أعترف : لقد انتزعت نفسى من قبضة الموت انتزاعاً ، حطمت أغلالى ، ولحأت إلى مستنقع ملء بالوحل ، فقضيت الليل مخبأ بين الأحراش ، حتى يرحلوا بسفنهم - إن كانوا قد عقلوا العزم حقاً على الرحيل . لم يعد لى الآن امل فى رؤية وطنى القديم ، ولا فلذات كبدى الأعزاء ، ولا والدى الذى طالما تحرقت شوقاً لرؤياه . بل ربما يُنزل الإغريق العقاب انتقاماً لفرارى من الموت ، ويموت هؤلاء الأشقياء سوف ينتقم الإغريق لجرمى هذه . من أجل ذلك ، إنى أستحلفك بآلهة السماء ، بالقوى المقدسة ، التى لا تخفى عنها الحقيقة ، بالثقة الحصينة التى ما زالت باقية بين البشر فى كل مكان .. إنى أستحلفك بكل هؤلاء ، أن ترحم إنساناً مثقلاً بأعباء جسيمة ، وروحاً مليئة بما لا يطاق (٢٦) .

١٤٠ إزاء تلك الدموع منحناه الحياة ، بل وأكثر من ذلك ، فإننا أحسننا بالشفقة نحوه . كان برياموس (٢٧) نفسه أول من أمر بأن تُفك قيود الرجل ، وأن تنحطم أغلاله . ثم بعد ذلك بادره قائلاً فى نبرات رقيقة . « مهما تكن شخصيتك ، فعليك من الآن وصاعداً أن تنسى الإغريق ، الذين فقدتهم ، فسوف تصبح واحداً منا . إنى أسألك الآن ، فاشرح لى حقيقة هذه الأمور : لماذا أقاموا هذا الهيكل الضخم ، هذا الحصان العملاق ؟ من هو مبتكره ؟ ما الهدف من إقامته ؟ أى قربان مقدس يكون هذا ، أو أى آلهة من آلات الحروب يكون ؟ » . هكذا قال برياموس . أما الرجل ، الخبير بالحياة وبالدهاء الإغريق ، فقد رفع يديه الطليقتين نحو السماء وقال : « أى ألسنة اللهب الأبدية ، فلتشهد قدرتك المقدسة الحصينة على ما أقول . أيتها المذابح

المقدسة والسيوف اللعينة ، التي فررت منها . أى أغلال الآلهة المقدسة ،
 التي ما زلت أنوء بحملها فوق رأسي ، منذ كنت على وشك أن أقدم قرباناً
 للآلهة . فليكن مباحاً لي أن أنحرر بما قطعته على نفسي من عهود مقدسة
 قبل الإغريق ، وأن أكره رجالهم ، وأن أفصح كل أسرارهم - مهما تكن
 تلك الأسرار - ، وألا أخضع لأى قانون من قوانين وطني . أما أنت
 يا طروادة ، فليتك تظلين عند وعدك ، وتثقين بمن أنقذك ، إذا ما كنت
 صادقاً فيما قلت ، وإذا ما عوّضتك عما أصابك أكبر تعويض .

١٦٠

ديوميديس يحمل تمثال البلاديوم في يده اليسرى وسيفه في
 يده اليمنى . توجد هذه الصورة على وجه عملة فضية
 كانت تستعمل في أرجوس ويرجع تاريخها الى القرن الرابع
 قبل الميلاد ، وموجودة الآن في المتحف البريطاني .



كان الإغريق منذ بداية الحرب يضعون كل أملهم وثقتهم في مساعدة
 بالأسلحة لهم . لكن منذ أن حاول كل من ديوميديس (٢٨) ، الدنس ،
 وأوديسيوس ، مُدبّر الجريمة ، انتزاع البلاديوم ، تمثال بالاس القُدري (٢٩) ،
 عنوة من معبدها المقدس ، وبعد أن قتل حراس القلعة الشاهقة ، واستحوذا
 على اتمثال المقدس ، وتجسّرا على تدنيس الأكاليل ، التي تزين تمثال الإلهة
 العنراء ، بأيديهما المملوحتين بالدماء - منذ ذلك الوقت تضاعف أمل الإغريق ،
 وانكسرت شوكتهم ، وانصرفت الإلهة بقلبيها عنهم . ولقد دلت الإلهة
 التريتونية (٣٠) على غضبها بآيات لا يختلف اثنان في تفسيرها . فما كاد
 يوضع التمثال داخل العسكر ، حتى انطلق اللهب المتوهج من العينين المرفوعتين
 إلى أعلى وتصبب العرق المالح من خلال مسام الأطراف (٣١) . أما التمثال
 بكمله - وهذا ما يدعو إلى الدهشة - فقد انطلق إلى الأمام وارتفع عن سطح
 الأرض ، ثلاث مرات ، وهو يعمل درعاً وحرية مهتزة . وسرعان ما يشير

١٧٠

كلخاس بضرورة إعادة قياس عمق مياه البحر تمهيداً لعملية الفرار ، ويتنبأ بأن القلاع البرجامية (٢٢) لا يمكن تحطيمها بالأسلحة الأرجولية (٢٣) ، إلا إذا عاد الإغريق إلى أرجوس لمعرفة الطالع هناك ، ثم أعادوا معهم ذلك التمثال المقدس الذي كانوا قد حملوه معهم عبر البحر في سفنهم المقلّسة .

والآن ، لقد رحل الإغريق بمساعدة الرياح إلى وطنهم موكيناي ، ليجمعوا السلاح ، وليسترضوا الآلهة ، كي ترافقهم من جديد ؛ وسوف يركبون البحر مرة ثانية ، ويحضرون إليكم فجأة . هكذا فسر كالخاس النبوءة ؛ لقد نصحهم كالخاس أن يقيموا هذا الهيكل الضخم بدلاً من البالاديوم (تمثال الإلهة بالأس) ، ذلك التمثال المقدس الذي انتهكت حرمة ، حتى يكتفروا عن خطيئتهم الشنعاء . لقد أمرهم كالخاس أن يقيموا الهيكل على هذا القدر من الضخامة ، وأن يزيدوا من صلابته بألواح من الخشب المتين ، وأن يجعلوا قامته شامخة نحو السماء حتى لا يستطيع أحد استقباله عن طريق الأبواب ، أو إدخاله عبر الأسوار ، أو حتى لا يحمي شعبك الطروادي تحت ستار عبادته العتيقة (٢٤) . فإذا امتدت أيديكم بسوء لقربان مينيرفا (٢٥) ، فإن دماراً شاملاً - وباليات الآلهة تصب بجام غضبها عليه (كالخاس) نفسه - سوف يحق لمملكة برياموس ، وبالشعب القروجي . لكن إذا صعد هذا القربان إلى مدينتكم ، وبأيديكم ، فإن آسيا (٢٦) سوف تتقدم في قتال رهيب ، يفوق وصفه الخيال ، نحو أسوار المدن الإغريقية (٢٧) وسوف يلحق نفس المصير أيضاً بأبنائنا وأحفادنا . »

عن طريق تلك الخلدع ، وبواسطة دهاء سينون ، الحانث بالعهود ، حظيت روايته بثقتنا . لقد تغلبت علينا الحيانة والدموع المفتعلة ، تغلبت علينا نحن الذين لم يهزمنا رجال تيديوس (٢٨) ، ولا أخيليوس اللأرسي (٢٩) ، ولا حرب السنوات العشر أو الألف سفينة (٤٠) . وهنا يبرز أمام أعيننا ، نحن التعمساء ، منظر آخر ، أكثر فزعاً ، وأشد إيلاماً ، منظر يشنت حواسنا المضطربة . كان لأوكوون - الذي تم اختياره بالاقتراع كاهناً للإله نبتونوس

— يذبح كالمعتاد ثوراً ضخماً على المذابح المقدسة . وإذا بحيتين اثنتين —
 باللهول — ، مُلْتَفَتَتَيْنِ إلْتِغَافَاتٍ ضَخْمَةٍ ، تشقان عباب البحر ، — إني أرتعد
 عند روايتي لذلك المنظر — ، عبر المياه العميقة الهادئة ، من جزيرة تينيدوس ،
 وقد توجهتا جنباً إلى جنب نحو الشاطئ . صدراهما مرتفعان فوق الزبد ،
 وذؤابتاهما الحمراوان القانيتان تعلوان الأمواج ، والأجزاء الباقية من جسديهما
 تطفو فوق سطح الماء ، وهما تَشْتَبِيَانِ ظهريهما ثنيات ضخمة . كان اليم
 حينذاك يزبد ويهدر . ثم وصلتا عندئذ إلى المزارع ؛ كان لهما عيون تنبعث
 منها الدماء واللهيب ، بينما كانتا تلعقان بلسانيهما المرتعشين فميهما (٤١)
 اللذين كان يلفظان فحيحاً متواصلاً .

٢١٠

تفرقنا مذعورين (٤٢) عند رؤية ذلك المنظر . أما الحيتان فقد اتجهتا
 نحو لأوكوون مباشرة (٤٣) . احتضنت ، في بادئ الأمر ، كل واحدة
 منهما جسد أحد طفليه (طفلي لأوكوون) الصغيرين ، والتفتت حوله ،
 ثم ألحبت أطراف المسكين عضماً . بعد ذلك قبضت كلتاها على لأوكوون
 نفسه ، وهو حامل أسلحته ، ساعٍ إلى معونتهما (معونة طفليه) ، والتفتتا
 حوله في لفات ضخمة ، تارة تضغطان على خصره مرتين ، وتارة أخرى
 تلفتان ظهريهما المغطيين بالحراشيف لفتين حول عنقه ، ثم يرتفعان فوقه
 برأسيهما ورقبتيهما . ويحاول لأوكوون من فوره أن يخلص نفسه بيديه
 من عوديهما الملتصين حوله . لقد تخضبت أوصاله بالدماء ، وسرى فيها
 سم زعاف . وفي الوقت نفسه فإنه كان يطلق صرخات مروعة ، تصل إلى عنان
 السماء ، تشبه ذلك الحوار ، الذي يطلقه ثور جريج ، وهو يهرب بعيداً
 عن المذبح المقدس ، وينقذ رقبتة من ضربة بلطة لم تُصَوَّبْ إليه تصويباً
 دقيقاً . لكن تفر الحيتان كلتاها فرت إلى المنطقة العليا من المحراب المقدس ،
 قاصدتين قلعة الإله التريتونية الشرسمة ، فتختبان تحت قدمي تمثال الإله ،
 وخلف درعها المستدير . عندئذ انتشر فزع غريب في نفوسنا المضطربة
 واستولى علينا جميعاً ؛ وقال الملا إن لأوكوون قد نال ما استحقه من عقاب

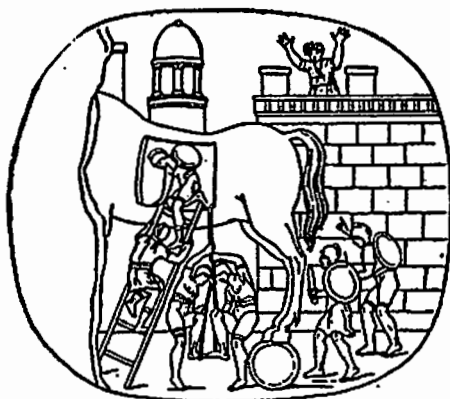
٢٢٠

٢٣٠ جزءاً جريمته، لأنه تطاول بأسلحته على الحصان الخشبي ، وصوب حربته الآتمة نحو بطن الهيكل . وصرخ الجميع في صوت واحد قائلين إن الهيكل يجب أن يُعاد إلى مكانه (إلى داخل طروادة) ، ويجب أن تُقدم الصاوات للإلهة . قمنا نمزق الجدران ، ونحدث فجوات في أسوار المدينة . أصبح الجميع يعمل ، إنهم يضعون تحت أقدام الهيكل بكرات سهلة الانزلاق ، ويلقون حول عنقه حبالاً من الكتان . وصعدت الآلهة المشثومة عبر الأسوار ، محمّلة من الداخل بالأسلحة . وحولها انطلق الصبية والعذارى ، يترنمون بترانيم مقدسة ، وهم يشعرون بالسرور ، حين يلمسون بأيديهم الجبال . وتحركت ، فوصلت إلى وسط المدينة ، تحمل في طياتها التهديد والدمار . ٢٤٠

أيها الوطن ، أي طروادة ، يا مقام الآلهة ، أينها الأسوار الدردانية الشهيرة في الميدان الحربي (٤٤) . لقد توقف الهيكل أربع مرات عند مدخل البوابة ، كما أحدثت الأسلحة ضوضاء داخل الهيكل أربع مرات أيضاً . لكننا ، مع ذلك ، كنا نستحث ذلك الهيكل الضخم المشثوم على التقدم ، وقد أعمانا الغضب والجهل بالمصير ، حتى وضعناه مكانه في القلعة المقدسة . وفي تلك اللحظة بالذات ، ارتعشت شفتا كاساندر ، وهي تتنبأ بما سيتوالى من كوارث (٤٥) ، هاتان الشفتان اللتان لم تُقرّ نبؤتهما - حسبما أرادت الآلهة - بثقة الطرواديين . فقد كنا ، نحن التعساء ، في ذلك اليوم الذي شاهدنا هاتين بأكاليل الزهور الكرثقالية الأماكن المقدسة للآلهة في جميع أنحاء المدينة . في تلك الأثناء اكفهرت السماء ، وبزغ الليل من جوف المحيط ، يطوى في ظلمته الحالكة الأرض والسماء ، وكمن الإغريق (٤٦) ، بينما استلقى الطرواديون في استرخاء وهدوء داخل أسوار المدينة ، وقد غلبهم النعاس وفكك أطرافهم المهزقة . عندئذ كان القبط البحري الأرجوسى يتحرك ، بسفنه تحت ستار من الهدوء ، المحبب لضوء القمر الهادىء ، في نظام دقيق ، من جزيرة تيدوس ، قاصداً الشواطئ المعروفة له من قبل . وحينما أطلقت السفينة الملكية (٤٧) إشارات ضوئية ، انطلق سينون خلسة - تسانده القوى الإلهية

المشثومة - ليطلق سراح الإغريق القابعين في داخل الهيكل ، ويرفع القضبان الخشبية الى تعوقهم عن الخروج .

الإغريق يهبطون من داخل الحصان الخشبي الى ارض طروادة . انهم يستخدمون الحبال والسلم الخشبي ، ويتسلحون بأسلحتهم . وفوق سور المدينة وقف شخص - ربما كاساندر - يصرخ حتى يتنبه الطرواديون ويستعدون لمقابلتهم . (صورة مرسومة على حلية زجاجية)



٢٦٠ وحالما انفتح بطن الحصان ، عاد الإغريق إلى الهواء الطلق مرة أخرى ، وألقى القائدان ثساندروس وسثنيولوس (٤٨) ، وأوديسيوس اللعين ، بأنفسهم ، في غبطة ، خارج التجويف الخشبي ، وانزلقوا بمساعدة الحبل الممدد إلى أسفل . وكذلك فعل أكاماس وثراس ونيوبتوليموس بن بيلدوس وقبلهم جميعاً ماخون (٤٩) ؛ ثم أيضاً مينيلاءوس وإيوس - وهو أس - الهدية (٥٠) . لقد أغاروا على مدينة سيطر النعاس عليها ؛ وفكك النبيذ أوصالها . وبعد أن قتلوا الحراس ، وفتحوا البوابات ، استقبلوا جميع زوالهم في ترحاب ، ثم وحلوا شمل قواتهم . لقد حل الوقت الذي تسلل فيه خلصة - وبمساعدة الهدية التي أرسلتها الآلهة - نعاس للنبيذ ، فسيطر على نفوس رجال نعساء .

٢٧٠ واأسفاه ، لقد ظهر لي هيكتور في أحلامي وهو في غاية الحزن والأسى ، يذرف الدمع مدراراً ، يتمزق جسده بفعل العجلة الحربية (٥١) - كما حدث له ذلك من قبل - وقد أصبح لونه قانئاً ، عندما اختلط بالتراب والدماء ، وقد وخز الإسار قدميه المتورمتين : يالنعاسي ، بالمظهر هيكتور ، كيف تغير مظهره : من هيكتور الذي عاد وهو يرتدى ملابس أخيلدوس (٥٢) ،

أو هيكتور الذى كان يقذف السفن الإغريقية بالقذائف النارية الطروادية (٥٣) ، إلى هيكتور آخر : أشعث اللحية ، ملطخ شعر رأسه بالدماء ، مثخن جسده بالجراح العديدة ، التى أصيب بها أثناء دورانه حول أسوار وطنه . أما أنا ، فقد خَبِلَ إلى أنى كنت باكياً ، وأنى قد بادرت بمحادثته ، وقامت له فى نبرات كشيبة :

« يانور عينيُ دردانيا (٥٤) ، يا أمل الطرواديين البسّام ، لماذا تأخرت علينا ذلك التأخير الطويل ؟ إننا فى غاية الشوق إليك ، يا هيكتور . من أى مكان أتيت إلينا ؟ إننا ننظر إلينا الآن ، وقد أنهكت قوانا ، بعد أن قضى الموت على الكثير من أهل وطنك ، وبعد أن حلت متاعب متعددة بالمدينة وأهلها . أى قسوة شوّهت ملامح وجهك الوضاء ؟ أم لماذا ألمح تلك الجراح ؟ » .

لكن هيكتور لم يجر جواباً ، ولم يتأبّه بى ، عندما كنت أوجه إليه أسئلتى التافهة . بل أطلق من أعماق نفسه صرخة ، حبيسة ، كشيبة ، وهو يقول : « إيه يا سليل الآلهة (٥٥) ، عليك بالفرار ، عليك أن تنقذ نفسك من تلك النيران . لقد استولى الأعداء على المدينة ، إن طروادة تنهار من عليها . لم تعد طروادة ، أو برياموس ، فى حاجة إلى أكثر من ذلك . فإن كان من المستطاع الدفاع عن طروادة بمغامرات جريئة ، فإن هذه المغامرات قد حدثت فعلاً أثناء الدفاع عنها . إن طروادة تضع اليوم مقدساتها وألتهما فى حمايتك ، فاجعل منهم رفقاء وشركاء لك فى المصير . لبحث لهم عن أسوار عظيمة (٥٦) ، عن مدينة عظيمة ، تقيمها أخيراً بعد تجوال عبر البحار » .

هكذا قال ؛ ثم انتزع بيديه من أعماق المحراب المقدس أكاليل الزهور وتمثال الإلهة فستا القادرة الأبدية (٥٧) . فى أثناء ذلك انتشر الفزع فى جميع أنحاء المدينة . وبالرغم من أن متزل والذى أنخسيس يقع فى مكان منزل ، تحيط به الأشجار ، إلا أن الضوضاء قد بدأت تُسمَع بوضوح شيئاً فشيئاً ، وضجيج المعركة يزداد تدرجياً . وصحوت من نومي ، وصعدت فوق سطح

المتزل ، ووقفت هناك ، وكلّى آذان صاغية . فقد اندلعت النيران في حقول القمح ، بينما اشتدت رياح الشمال العاصفة ، واكتسح الحقول تيار جارف كالسيل المنحدر من قمة جبلية . كان يكتسح المحاصيل البانعة ، ويلقى بما قام به النيران من مجهود في مهب الرياح (٥٨) ، ويقطع الغابات عن بكرة أبيها . هكذا استولت الدهشة على راعٍ ، جاهل بحقيقة ما يدور حوله ، وهو ينصت إلى الضوضاء من قمة الجبل العالية (٥٩) .

عندئذ ، أصبح الموقف واضحاً ، وانكشفت خديعة الإغريق . لقد انهار ٣١٠ متزل ديفوبوس (٦٠) الفسيح الرحب وسط النيران المندلعة ، واشتعل أيضاً متزل يوكاليجون (٦١) ، المجاور له ، وانتشرت ألسنة اللهب فوق سطح المياه العريضة المحيطة برأس سيجيوم البحرية (٦٢) . وارتفعت صيحات البشر وأصوات النفير . أما أنا فقد جمحت السلاح في عصبية وجنون ، فلم يكن في تفكيري سوى أن أحمل السلاح . لكنني في قرارة نفسي ، كنت أتحرق شوقاً لتكوين فرقة محاربة ، وأتجه مع زملائي نحو القلعة . كان الغضب والسخط بسيطران على مشاعري ؛ فقد تخيات كم هو جميل أن يموت الإنسان وهو يستعمل سلاحه .

لكن وا أسفاه ، فلقد تفادى بانثوس أسلحة الإغريق ، بانثوس ابن ٣٢٠ أوثيريس (٦٣) ، كاهن معبد أبولون الكائن في القلعة . ثم هرع وفي يده حفيده الأصغر والأوأنى المقدسة وتماثيل الآلهة المغلوبة على أمرها . ثم أخذ طريقه نحو بوابة متزلي . سألته : « إلى أي مدى قد وصل الموقف ، يا بانثوس ؟ وأي مكان حصين سوف نختبئ به ؟ » وما كدت أنطق بتلك الكلمات ، حتى أصدر أنيناً مروعاً وهو يجيب : « لقد حلت الساعة ، ساعة لا مفر منها بالنسبة للطروديين . لم نعد طروديين بعد ، لم تعد هناك طروادة ، فلقد زالت دولة الطروديين . لقد نقل جوبيتر الغاضب السلطة كلها إلى أرجوس (٦٤) ، وأصبح الإغريق مسيطرين على المدينة المشتعلة . إن الحصان الخشبي يقف شامخاً وسط المدينة ، ينفث رجالاً مسلحين ، وسينون يقفز هنا وهناك

متصراً ، يَنْثُرُ ألسنة اللهب . بعض الإغريق موجودون بجوار البوابات
المفتوحة على مصراعها ؛ آلاف عديدة حضروا من موكناي الآلهة بالسكان . ٣٣٠
والبعض الآخر يحاصرون مضائق الطرق ليواجهوا بالسلاح كل القادمين .
ويقف حدة السيف المسلول لا معاً مضيئاً مستعداً للقتال . لقد حاول حراس
البوابات جهدهم طاقاتهم الاشتراك في القتال في أول الأمر ومقاومة مارس الغاشم (٦٥) »

دفعت بي كلمات ابن أثريس ومشيفة الآلهة وسط النيران والأسلحة ،
حيث توجد روح الشر المهلكة ، وحيث تناديني صرخة المعركة ، التي يصل
زئيرها إلى عنان السماء . وانضم إلى الأصدقاء ريبوس وأيجيتوس ، البارع ٣٤٠
في استخدام السلاح . وتقابلنا تحت ضوء القمر مع هيبانيس وديماس ،
الذين انضموا إلى جانبنا . وتقابلنا أيضاً مع الشاب كورويوس بن موجودون ؛
لقد جاء بمحض الصدفة أثناء تلك الأيام إلى طروادة ، وهو مُفْتَعَمٌ بحب
جنوني نحو كاساندرا . ومن أجل رغبته في أن يكون زوجاً لكاساندرا فقد
أحضر مساعدات إلى برياموس والطرواديين . إنه ذلك التعس ، الذي لم يستمع
لنصائح عروسه المعتوهة (٦٦) . عندما رأيت هؤلاء ، منهمكين في القتال ،
بحاربون بجرأة ، بادرتهن قائلاً : « أيتها الشيايب ، ذو النفوس الأبية الشجاعة ، ٣٥٠
إذا كنتم حقيقة قد عقدتم العزم على أن تسيروا خلف مواطن نخطو نحو المغامرة
الأخيرة ، فإنكم تقدرون أي مصير ينتظر وطننا . لقد تحلّت عنه جميع
الآلهة ، بعد أن هجرت كل مذبح ومحراب مقدس فيه . لقد رحلت عنا جميع
الآلهة التي أرسلت من قبل دعائهم سلطاننا . إنكم تحاولون إنقاذ مدينة أنت
عليها النيران . فلنسلق بأنفسنا في غمار المعركة ، ولنقابل الموت في شجاعة .
فهناك نوع واحد من الأمان للمهزومين : هو أن يأملوا في الحصول
على الأمان . »

هكذا ازداد الغضب في نفوس الشيايب . فاندفعنا إلى الأمام وسط أسلحة
الأعداء ، نحو موت مؤكد ؛ وشققنا طريقنا حتى قلب المدينة ، وقد اشتد ٣٦٠
ظلام الليل الحالك ، وانتشر من حولنا ، مثل ذئاب صيَّادة ، وسط غمامة

كثيفة ، يدفعهم الجوع البغيض في جنون ، وقد تركوا وراءهم صفاراً جياً ، ينتظرون عودتهم . مَنْ يستطيع أن يشرح ، بالكلمات ، كارثة تلك الليلة ومذبحتها ؟ أو مَنْ يستطيع أن يعبر ، بالدموع ، عن متاعبها ؟ لقد انهارت المدينة العتيقة ، بعد ما ساد سلطانها عبر السنين العديدة . فقد كانت الحث لا حصر لها ، ماقاة لا حراك فيها في كل مكان ، في الطرقات ، في المساكن ، عند مداخل معابد الآلهة . ولم يلحق الموت بالطرواديين فقط ، بل كانت المرأة تنبث بين حين وآخر في نفوس الطرواديين المهزومين ، فيأق الإغريق المنتصرون مصرعهم . انتشر الرعب البغيض في كل مكان ، وساد الفزع في كل مكان ، في كل مكان كنت ترى صورة بشعة من صور الموت المتعددة .

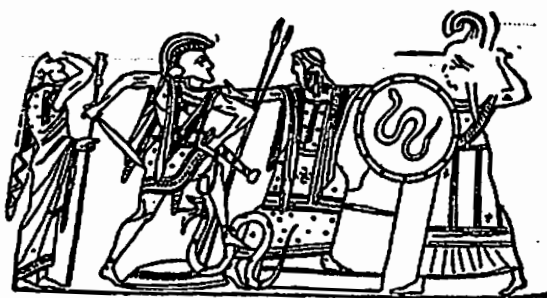
- اعترض في بادئ الأمر طريقنا أندروجيوس (٦٧) ، وبصحبه فرقة ضخمة . واعتقد خطأ أننا فرقة حليفة ، فباخرنا بالحديث في نبرات أليفة قائلًا : « أسرعوا ، أيها الرجال ، لماذا تبطئون ؟ لم هذا التأخير ؟ إن زملاءكم الآخرين ينهبون ويسلبون القلعة ، التي أتت عليها النيران ، وأنتم حتى الآن ما برحتم تغادرون السفن الضخمة !! » هكذا تحدث ، ولكنه - كما لم تصله إجابة منا تبث على اليقين - سرعان ما اكتشف أنه يتحرك وسط قوات معادية . سيطرت عليه الدهشة ، توقفت قدماه عن الحركة ، واحتبس صوته . كان مثله مثل ذلك الذي حاول أن يثبت قدمه على بقعة من الأرض ، وسط أشواك حادة ، فوطئت قدمه ثعباناً مخبئاً ، فراجع فجأة في ذعر خوفاً من الثعبان ، الذي رفع هامته في غضب ، ونفخ رقبة الداكنة اللون . هكذا تماماً بدا أندروجيوس وهو يتراجع مذعوراً عند رؤيتنا . واندفعنا نحوهم (أندروجيوس وفرقته) ، أمطرناهم من جميع الجهات بوابل من الأسلحة ، قضينا عليهم جميعاً ، بعد أن سيطر عليهم الفزع ، وأجهز على قوتهم جهلهم بالمنطقة . لقد كانت الأقدار بجانبنا في مهمتنا الأولى . عندئذ ، قال كورويوس ، بروح عالية ، وهو مبتهج بنشوة النجاح : « أيها الزملاء ،

فَلْتَسْلِكْ طريق السلامة ، الذى يشير علينا به القدر أولاً ، وحيث يشملنا فيه برعايته . فَلْتَتَبَادَلْ الدروع ، ولنضع على أجسامنا ملابس الجنود الإغريق . فالحياة أو الشهامة ، مَنْ له أن يطلبها من بين الأعداء (٦٨) ٣٩٠ فالأعداء أنفسهم سوف يملكونا بالسلاح . »

بعد أن قال كورويوس ذلك ، قام من فوره فوضع على رأسه الخوذة المرتفعة الخاصة بأنلروجيوس ، وعلّق فى ساعده درعه ذا الرسوم الجميلة ، وثبّت على جانبيه سيفه الأرجوسى (٦٩) . وهكذا فعل ريبوس أيضاً ، ثم فعل ديماس كذلك ، ومن بعده قام جميع الشباب بفعل ذلك وهم مسرورون . لقد سلّح كل واحد نفسه بأسلحة غير أسلحته (٧٠) . وتقدمنا إلى الأمام — لم يكن ذلك بالقوة ، بل عن طريق الإندساس بين القوات الاغريقية . وخضنا معارك عديدة تحت جناح الليل الدامس ، وسقّنا كثيراً من الإغريق إلى الموت . لقد فرّ البعض بلا نظام نحو السفن ، وبحثوا عن الأمان على الشواطئ ، بينما عاد البعض الآخر ، فصعلوا — وقد استولى عليهم فرع مُشِين — إلى الحصان الضخم ، واختبأوا فى تجويف الهيكل الذى عرفوه من قبل .

٤٠٠

كاساندرا تستجيب بهزاج
الالهة بالاس ، بينما يمسك
اياس بسيفه ويحاول اللحاق
بها . وعلى يمين الصورة
تقف بالاس تحاول الدفاع عن
كاساندرا ، وتهاجم حية
بالاس اياس ايضا (صورة
وجدت على آنية يرجع تاريخها
الى عام ٥٠٠ ق.م تقريبا)



واأسفاه ، لا يصبح لأحد أن يأمن للآلهة الغاضبة . يا ويلتاه ، إن كاساندرا ، ابنة برياموس العلواء ، تُسحب خارج المعبد ، بل وخارج المحراب المقدس لمينيرفا ، بواسطة خصللات شعرها المنكوش ، وقد رفعت عينيها الوضأتين

في يأس نحو السماء . نعم ، لقد رفعت عينيها نحو السماء ، إذ أن يديها
 الرقيقتين كانتا برزحان بالأغلال . ولم يحتمل كورويوس رؤية ذلك المنظر ،
 فسيطر عليه الغضب ، وألقى بنفسه بين المصفوف ، مستعداً للموت . وانطلقنا
 جميعاً خلفه ، ألقينا بأنفسنا وسط الحشود الكثيفة . عندئذ انهالت علينا من
 المنطقة العليا للمعبد أسلحة رجالنا ، وبدأت مذبحه قاسية للغاية بسبب الأسلحة
 الإغريقية التي كنا نحملها والخوذات الإغريقية التي نرتديها (٧١) . بعد ذلك
 تجمع الإغريق من جميع الأنحاء ، بسبب الصرخات الغاضبة التي كانت تطلقها
 العذراء كاساندرا ، أثناء إنقاذها ، وأخذوا يهاجموننا . جاء أباس ، في أوج
 غضبه ، وولدا أثريوس ، وجميع جيش الدولين (٧٢) . لقد حدث مثلما
 يحدث أحياناً عندما تصطدم رياح متعارضة فتنتج هوامة عنيفة : عندما تصطدم
 رياح الغرب برياح الجنوب وتطرب رياح الشرق بقدوم الفجر (٧٣) .
 لقد تحطمت الغابات ، وثار نيريوس في وحشية ، وأزبد ، وضرب بصوولحانه
 أعماق البحر (٧٤) . وحتى هؤلاء - الذين سحقناهم بخطبتنا تحت جناح الليل
 الخالك ، وطار نادمهم في جميع أنحاء المدينة - فقد ظهروا في تلك اللحظة .
 لقد تعرفوا في بادئ الأمر على الدروع والأسلحة المغتصبة (٧٥) ، وفطنوا
 إلى اللامهجة غير الإغريقية التي كانت تنطق بها شفاهاً . ثم سرعان ما تعرضنا
 للهلاك بالحملة . فقد اتى كورويوس أولاً مصرعه - على مذبح الإلهة المدججة
 بالسلح (٧٦) - على يد بينليوس . ثم سقط ريبوس ، الذي كان أكثر عدلاً ،
 وأكثر تحقيقاً للعدالة من جميع الطرواديين - حدث غير متوقع من الآلهة -
 وقتل هيبانيس وديماس بيد أصدقائهما ، وأنت يابانثوس ، لم يتحسك
 ورعك وتقواك ، ولا أكليل أبوللون ، من الموت ؛

٤٣٠

يا أطال طروادة ، ويا ألسنة اللهب التي أتت على جثث إخواني
 المواطنين ، فلنكونوا من الشاهدين . إنني لم أترك السلاح أثناء محتكم ،
 ولم أتوان في الدفاع عنكم ، أو في الموت بمجدارة على يد واحد من الإغريق -
 لو شاءت الأقدار - . لقد انتزعنا أنفسنا من ذلك المكان : أنا وإيفيتوس

وبلباس . كان إيفيتوس مثقلاً بالشيخوخة ، ولباس بطيئاً لإصابته بحرج بواسطة أوديسيوس ، وذلك عندما دعينا نحن الثلاثة بصرخة عالية لتقدم نحو منزل برياموس . هناك كانت المعركة على أشدها ، كما لو كانت قد اجتمعت جميع العمليات الحربية في ذلك المكان، وكما لو لم يكن هناك من عمليات قتل في سائر أنحاء المدينة سواها . وهكذا رأينا مارس هائجاً ، هائجاً ، والإغريق ينطلقون نحو المنزل ، والمدخل محاصر بفرقة محصنة من حاملي الدروع . أستندوا السلام الخشبية على الجدران ، وأخذوا يصعدون على درجاتها بجوار البوابات ، وهم يحملون في أيديهم اليسرى دروعهم لحماية أنفسهم من سهامنا ، ويقبضون بأيديهم اليمنى على الأجزاء البارزة في أعلى المبنى . أخذ الطرواديون يحطون الأبراج والأجزاء المقابلة لها من سقف القصر . ولما أحسوا باقتراب مصيرهم المحتوم : استعدوا للدفاع عن أنفسهم - وهم أقرب ما يكونون إلى الموت - مستخدمين حطام القصر كأسلحة : أخذ البعض يلحرجون الأعمدة الذهبية والزخارف الأنيقة الخاصة بأجلادهم الأرائل إلى أسفل ، بينما تركز البعض الآخر بسيفهم المسلولة تحت مداخل البوابات ، يدافعون عنها في أعداد خفية . وتجدد الحماس في نفوسنا ، كي ندافع عن القصر الملكي ، ونمد هؤلاء الرجال بالمساعدة ، وتقوى عضد المغلوبين على أمرهم . كانت هناك بعض البوابات المظلمة ، التي تُفضى إلى ممر يربط بين المدخل وبين قصر الملك برياموس ، وكان في المنطقة الخلفية منه مثلث مهجور (٧٧) ، اعتادت أنلدروماخي التعسة (٧٨) - قبل أن تدول دولتنا - أن تذهب أحياناً ، تسلكه وحيدة ، لمقابلة والذي زوجها ، وأن تصطحب ابنتها الصبي استيانا كس إلى جده . وصعدت إلى منطقة مرتفعة بارزة عن المبنى ، ومن هذه المنطقة كان الطرواديون التعساء يطلقون بأيديهم طلقات غير صائبة . وكان هناك برج قائم على حافة رأسية ، ترتفع المنطقة العليا منه شائعة إلى عنان السماء ؛ من هناك اعتدنا أن نشاهد مدينة طروادة بأكملها والسفن الدناية والمعسكرات الآخية . هاجمنا بأسلحتنا تلك

المنطقة من البرج ، من جميع الجهات ، حيث تصل الطوابق العليا منه بسطح المبنى . أتينا عليها من أساسها العميق فحطمناها ، وهوت تلك الطوابق فجأة ، وانحدر حطامها ، وهو يحدث ضوضاء عالية ، فسقط فوق القوات الدنائية المنتشرة في كل مكان . وحضرت قوات أخرى لمساعدتهم ، بينما لم يتوقف استعمال الأحجار أو أى نوع آخر من أنواع الأسلحة .

عند المدخل مباشرة ، وعلى عتبة القصر الخارجية ، كان بيروس (٧٩) يرنو مبتهجاً ، متأقاً بين الأساحة ، وتحته الأضواء الفضية المنعكسة منها ، كما لو كان ثعباناً ، تغلى على حشائش سامة ، أرغمه برد الشتاء القارس على الاختفاء تحت سطح الأرض ، وهو متورم (يفعل الحشائش السامة) ، ثم بعد أن تخلص من جلده القديم ، وأصبح متأقاً مليئاً بالشباب ، خرج إلى ضوء النهار ، يزحف بجسده الأملس ، وقد رفع رأسه وصدره عالياً نحو أشعة الشمس ، وأطلق لسانه الذى يشبه الشوكة ذات الثلاث شعب خارج فمه في حركة سريعة يميناً ويساراً (٨٠) . وتبع بيروس نحو المبنى بيريفاس الضخم ، وأوتوميدون المحمل بالأسلحة ، وقائد خيول أخيلوس ، وكل شباب سكروس (٨١) ، وهم في طريقهم نحو القمة ، يقذفون سطح المنزل بالنيران . أما بيروس نفسه فكان في المقدمة مع آخرين ، يحطم ويقطم ببلطة قوية المدخل الحصين ، ويقتلع البوابات البرونزية من محاورها . ٤٧٠
حينئذ قطع بيروس شريحة ضخمة من جذع شجرة من أشجار الزان الميتة ، ثم أحدث فجوة ضخمة ذات قوة واسعة . وأصبح المنزل مكشوقاً من الداخل ، وأصبحت أبهاؤه الواسعة ظاهرة للأعين . لقد هتكت أستار القاعات المقدسة ، الخاصة بيرياموس وبالموك القنামী ، عندما ظهر على أعقابها رجال مسلحون ، مستعدون للقتال . وسيطر على القصر من الداخل الأنين والضوضاء العسة ، وترددت في داخل قاعات القصر أصدااء نجيب النسوة وبكائهن ، وارتفع الصراخ حتى وصل إلى أبراج النجوم الذهبية . عندئذ أخذت الأمهات المنزوعات تتجولن خلال ربوع القصر الواسع ،

٤٩٠ وتعلقن بالأبواب وتحضنها ، وتطعن عليها قبلانهن .

تقدم بيروس بعزم أبيه (٨٢) ، فلم تستطع المزالج أو الحراس أن تقف في وجهه . فقد تصدعت البوابة بفعل آلات فتح الأبواب (٨٣) ، وهوى الباب نفسه بعد أن أُنْتُزِعَ من محوره . وهكذا صُنِعَ ممر بالعنف ، فوجد الإغريق مدخلاً ، وتقدموا إلى الأمام يقتلون القوات الأمامية ، ويملاؤن المكان بعدد هائل من الجنود . لقد فاقوا في عنفهم عنف نهر ثائر عندما يلهمر ضفتيه ، ويفيض على الجانبين ، ويحطم السلود التي تعترض مجراه ، وتغطي مياهه في جنون وغرارة على الأراضي الزراعية ، فتكتسح الماشية من حظائرها عبر عديد من السهول . رأيت بنفسى نيوبتوليموس (٨٤) عند المدخل ، وقد سيطرت عليه رغبة جنونية في القتل ، ورأيت أيضاً ٥٠٠ ولدى أتربوس . ورأيت هيكوبا وبناتها المائة (٨٥) ، كما رأيت برياموس بين المذابح المقدسة ، يدنس بدمائه مواعد النيران ، التي كان هو نفسه يقدها من قبل . تلك القاعات العرائسية الخمسين (٨٦) ، ذلك الأمل العريض للأحفاد ، والبوابات الفخمة المطعمة بذهب الشرق ، لقد هوى كل ذلك ، واستولى الإغريق على ما لم تستطع أن تأتى النيران عليه .

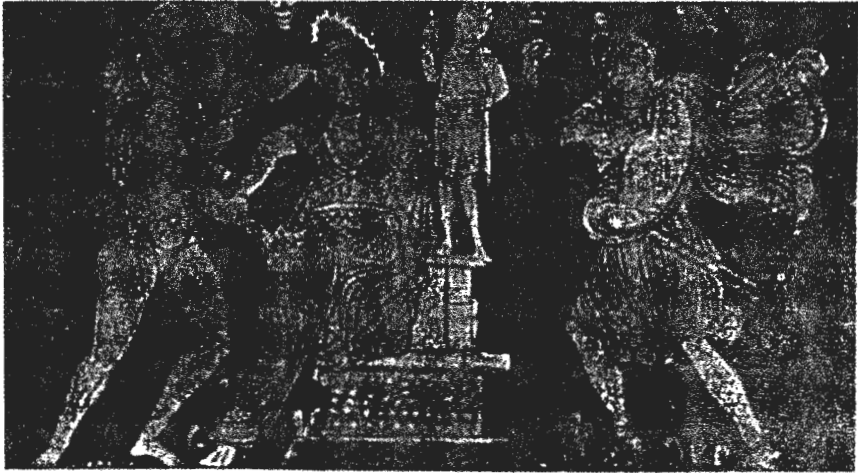
واربما تسألين ، أيتها المالكة (٨٧) ، ماذا كان مصير برياموس . عندما شاهد الملك دمار المدينة بعد الاستيلاء عليها ، وبعد أن شاهد تحطيم مدخل القصر ، ووصول الأعداء إلى قلب قاعاته ، حمل في يأس أسلحته ، التي لم يستعملها منذ زمن طويل ، على كتفيه المرتعشتين من الشيخوخة ، وامتنق سيفه العديم الفائدة ، ثم اندفع وسط جموع الأعداء ، مستعداً للموت . ٥١٠ في وسط القصر كان يوجد في العراء ، وتحت قبة السماء ، مذبح ضخم ، وكان يوجد بجوار المذبح شجرة غار عتيقة ، تستند عليه ، وتحضن بظلالها تماثيل البيناتيس . هناك تجمعت هيكوبا وبناتها في يأس حول مباني المذبح ، مثل جماعة من الحمام ، تعرضت لعاصفة مظلمة ، وجلسن متراحمات يحضن تماثيل الآلهة . لكن عندما شاهدت هيكوبا برياموس ، وقد تسليح بأسلحته ،

التي كان يتسلح بها من قبل ، عندما كان شاباً ، صاحبت به قائلة : « يا زوجي
 العرس ، أى روح خبيثة دفعتك لتمتشق هذه الأسلحة ؟ وإلى أين تعدو ؟
 ٥٢٠ إن هذه اللحظة لا تحتاج إلى مثل مساعدتك ، ولا إلى مدافع من مملك . فالموقف
 لا يحتاج إلى ذلك ، إن والدى العزيز هيكتور واقف الآن بجوارنا (٨٨) .
 فلتأت إلى هنا الآن ؛ فسوف يحميننا جميعاً هذا المذبح المقدس ، أو فلتنهلك
 معاً . » وبينما تنطلق تلك الكلمات من بين شفثيها ، جذبت هيكتوبا زوجها
 العجوز نحوها ، وأجلسته على المقام المقدس .

لكن وا أسفاه ، فلقد سبق أن تفادى بوليتيوس ، أحد أبناء برياموس ،
 ضربة مميتة وجهت إليه من بروس ، وفقر وسط الأسلحة وجنود الأعداء
 هارباً في الأهباء الطويلة ، واندفع جريحاً يدور في قاعات القصر الخالية .
 وكان بروس ما زال يتبعه ، وكله رغبة في أن يصيبه بجرح خطير . واقترب
 ٥٣٠ منه بروس ، حتى كاد يقبض عليه بيده ، ثم طعنه بحريته . عندئذ ظل بوليتيوس
 يتقدم حتى ظهر أمام عيني والديه ، وأصبح أمامهما وجهاً لوجه ، ثم هوى ،
 وفاضت روحه ، وهو غارق في بحر من الدماء . وبالرغم من أن برياموس
 كان محاطاً بالموت من كل جانب ، فإنه لم يقف مكتوف الأيدي إزاء
 ذلك المنظر ، كما أنه لم يردد في أن يطاق عقبرته في غضب : « آه ، لو أن
 هناك عدالة في السماء — وحقاً هناك عدالة ترعى مثل ذلك السلوك — ألا ليت
 الآلهة تكافئك على خطيئتك هذه ، وعلى أعمالك الجنونية هذه ، وتجزيك
 جزاء عادلاً ، يا مَنْ جعلتني أشاهد ، وجهاً لوجه ، مصرع والدى ،
 ويا مَنْ دنس وجوه والديه بجراحه (٨٩) . إن أخيليوس — الذى تدعى
 ٥٤٠ زوراً أنك ابن له — لم يسلك مثل ذلك السلوك مع برياموس ، بالرغم
 من كونه عدواً له ؛ إذ أنه احترم المستجير وحقق رجاءه ، وأعاد جثة
 هيكتور ، المضرجة بالدماء ، لتنعم بقبورها ، وسمح لي أن أعود بها إلى مملكتي (٩٠)
 هكذا تحدث الشيخ ، ثم أطلق حربته ، التى لا تؤذى ولا تصيب ،
 والى ارتطمت بالنحاس الرنان فارتدت من فورها ، وتعلقت في تراخ

بأعلى السرة البارزة الموجودة على واجهة الدرع (٩١) . عندئذ صرخ بيروس قائلاً : « لذلك فإنك سوف تقول هذا ، سوف تذهب رسولاً إلى والدي أخيلئوس بن بليوس . فليستذكر أن تروى عليه ما قمتُ أنا به من أعمال شريرة ، وأن تشرح له مدى دناءة نيوبتوليموس . واكتسلق الآن مصرعك . » وبينما هو يقول ذلك يجذب برياموس نحو المذبح ، كانت فرائضه ترتعد ، وكان يهوى على الأرض ، منزلقاً بفعل الدماء الغزيرة السائلة من جثة ولده ، وكان بيروس في نفس الوقت يلوى شعر رأس برياموس بيده اليسرى ، ويشهر في يده اليمنى سيفاً مسلولاً ، لأمعاً ، ثم يغمدته حتى مقبضه في جنب الشيخ . هذه هي نهاية برياموس ، وهكذا لحق به قدره المحتوم ، فشهد حريق

٥٥٠



يستند برياموس على محراب الاله جوبيتر - الذي يظهر تمثاله اعلى المحراب - بينما يمسك نيوبتوليموس برأس الملك في يده اليسرى ويطعنه بيده اليمنى في جنبه . (صورة موجودة على آنية من ابوليا ، ويرجع تاريخها الى منتصف القرن الرابع ق.م . تقريبا . وموجودة الآن في المتحف البريطاني)

طروادة ، وسقوط قلعتها ، التي كانت ذات مرة سيدة مهيمنة على شعوب وأراضي عديدة في قارة آسيا . إنها ترقد الآن بجوار الشاطئ جثة ضخمة مبتورة الأطراف ، رأسها انتزعت من على أكتافها ، فهي جسد لا اسم له .

في تلك اللحظة ، كنت أول من أحاط به فزع رهيب من جميع
 الجهات (٩٢) . لقد أصيبت بذهول . مرّت بخاطري صورة والذي
 العزير (٩٣) ، فعندما رأيت الملك برياموس - الذي يساويه في العمر -
 ٥٦٠ ينظ أنفاسه الأخيرة على أثر جرحه القاسي ، تراءت في مخيلتي كوريوس
 المهجورة ، ومترلي المسلوب ، وكارثة يواوس الصغير (٩٤) . لقد نظرت
 إلى الوراء ، أستعرض القوات الموجودة حولي : كان الجميع قد أنهكت
 قواهم ، فانقضوا من حولي ، بعد أن ألقوا بأجسادهم المرحقة في تعاسة
 على الأرض أو في النيران . حقاً ، حقاً ، فأنا وحدي الذي بقيت حياً ،
 عندما لمحت ابنة تينداريوس (٩٥) قريبة جداً من محراب فيستا ، مختبئة
 في مكان منزل ، لائثة بالصمت . كانت ألسنة النيران المتوهجة تمنحني
 الضوء ، عندما كنت أتجول في كل مكان ، وعندما كنت أتقن نظراتي
 على كل شيء . ولما كانت هيلينا تخشى على نفسها من عداوة الطرواديين ،
 ٥٧٠ بعد تدمير مدينة طروادة وقلعتها ، وتخشى عقاب الإغريق لها ، وغضب
 زوجها الذي هجرته ، فإنها - السبب المباشر في الغضب المتبادل بين الإغريق
 وطروادة - قد اختفت عن الأعين ، وجلست خلسة بين المذابح المقدسة .
 التهمت نيران الحقد في أعماقي ، وتسربت الغضب إلى نفسي ، ففكرت
 في الانتقام لوطني المهزوم ، ومعاقبتها جزاء لما ارتكبت من جرائم . فهل
 يحق لهيلينا أن ترى مرة أخرى اسرطة وأرض وطنها موكيناي (٩٦) وهي
 في أمان وسلام ؟ وهل لها أن تغادر طروادة ملكة مزهوة بالنصر الذي أحرزته ؟
 هل لها أن تشاهد ثانية زوجها وقصرها ووالديها وأطفالها (٩٧) ؟ وهل
 ٥٨٠ لها أن يقوم بخدمتها جماعة من نساء طرواديات وفروجيات ؟ هل يحدث
 كل ذلك لهيلينا ، بعد أن يقتل برياموس بحمد السلاح ؟ وتأتي ألسنة النيران
 على طروادة ؟ ويفرق الشاطئ الطروادي في بركة من الدماء ؟ لا ، لن يحدث
 ذلك . وبالرغم من أن عقاب امرأة لا يمنح رجلاً شهرة أو صيتاً ، وانتصاره
 عليها ليس مثاراً للمديح ، مع ذلك فلاني كنت أشعر أنني أستحق المديح عندما

أقضى على حياة مخلوق مجرم ، وأعاقب مَنْ يستحق العقاب ، وإنه ليدخل
السرور على نفسى أن يمتلىء صدرى بلهب الانتقام ، وأن يشق أقاربى
القتلى غليلهم (٩٨) .

هكذا اندفعت ، وتقدمت وقد امتلأ صدرى غضباً ، عندما انبرت
أمامى والدتى الرحيمة (٩٩) ، فى صورة تراها العين بوضوح - وهو ما لم
يحدث أمام أعين الآخرين من قبل - فأحدثت بريقاً متلألئاً ، انبعث فى ظلام
الليل يؤكد قداميتها . بدت لى فى هيئة وقوام اعتادت أن تظهر فيهما لأهل
السماء ، وأمسكت بيدي اليمنى ، واستوقفتنى ، وانطلقت من بين شفثيها
الورديتين هذه الكلمات : « ولدى ، أى حزن شديد هذا الذى يثر غضبك
المطلق ؟ لماذا أنت غاضب ؟ أم إلى أين ذهب احترامك لى ؟ أما كان الأحرى
بك أن ترى أولاً فى أى مأزق تركت والدك أنخسيس وقد أنهكته الشيخوخة ؟
وهل ما زالت زوجتك كريوسا وولدك أسكانيوس على قيد الحياة ؟ هؤلاء
الذين تحيط بهم جميع القوات الإغريقية من كل ناحية ، ولولا اهتمامى بهم
ودفاعى عنهم لكانت قد التهمت الآن ألسنة النيران ، وقضت عليهم سيوف
الأعداء . إنى أقولها لك ، لا تسوّم على الوجه الكرى لابنة تينداريوس اللاكونية ،
ولا على باريس (١٠٠) ، بل قسوة الآلهة - نعم - قسوة الآلهة هى التى
قضت على تلك العظمة ، وقلبت طروادة رأساً على عقب . انظر ، لأنى
سوف أزيل كل الغشاوة التى تحجب الآن ناظريك ، ونخيم على إدراكك
الآدمى ، وتنشر الظلام من حولك . لا تخشى توجيهات والدتك ، ولا تردد
فى أن تستمع إلى نصائحها . انظر هنا ، حيث ترى أكواماً متفرقة من مواد
البناء وأحجاراً انقضلت رغم أنفها عن أحجار ، ومنوجات متصاعدة من
الدخان الممّرج بالغباز (١٠١) ، ونبتونوس يزعر بشوكة ذات الشعب
الثلاث الأسوار ، ويحطم الأساسات ، ويدمر المدينة بأكملها رأساً على عقب .
وانظر هناك ، حيث ترى فى المقدمة جونو فى عنفوان قسوتها ، مدججة
بالسلاح ، تسيطر على البوابة الاسكائية (١٠٢) ، تستدعى فى غضب جنوفى .

٥٩

٦٠٠

٦١٠

حلفاءها الجنود من سفنهم . وانظر إلى الخلف ، حيث تجد أيضاً بالأس
 التريتونية ، تلاًلاً وسط سحابة داكنة ، وتترين بأفعوان مفزع ، وقد تربعت
 فوق قمة القلعة . ثم إنك ترى كبير الآلهة بنفسه ، ييث في نفوس الإغريق
 الشجاعة والإقدام ، ويدفعهم إلى النصر . إن كبير الآلهة بعينه يحرض الآلهة
 ضد القوات الطروادية . ولدى ، حاول أن تهرب بسرعة ، وأن تضع
 حداً لشقائقك . وسوف لا أتركك وحيداً في مكان ما ؛ سوف أنقلك آمناً
 إلى قصر والدك . » هكذا تحدث والدتي ، ثم اختفت في ظلام الليل الدامس .
 ٦٢٠ حينئذ ظهرت في الأفق وجوه مكفهرة ، إنها قوات الآلهة الضخمة ، تحارب
 ضد طروادة .

بدأت المدينة لي عندئذ وقد هبطت جميعها وسط النيران ، مدينة
 نبتونوس (١٠٢) قد اقتُلعت من جذورها العميقة ، مثلها في ذلك مثل
 شجرة عتيقة فوق قمة جبل مرتفع ، حاول مزارعون محاولات عنيفة لاقلاعها ،
 بعد أن أحدثوا كدمات حول ساقها بأسلحتهم وفؤوسهم المتينة . إنها دائماً
 تهدد بالسقوط ، تتأرجح في قوة يميناً ويساراً ، وتهتز قممها اهتزازات
 ٦٣٠ عنيفة ، حتى قُضى عليها شيئاً فشيئاً بفعل تلك الكدمات ، فأحدثت ضوضاء
 عالية ، وصارت حطاماً . بعد أن انتزعت من حافة الجبل . وبدأت أهبط
 إلى أسفل ، أخذت أشق طريق ، تحت العناية الإلهية ، بين ألسنة النيران
 وقوات الأعداء . أفسحت لي الأسلحة مكاناً ، وتقهقرت النيران في طريق .
 لكن عندما وصلت إلى مداخل قصر والدي ، إلى المبانى العتيقة ، فإن والدي
 الذي كنت أتحرق شوقاً لأنقله بعيداً إلى الجبال العالية ، والذي كان أول
 من بحثت عنه — رفض أن يظل حياً ، يقاسى مرارة النفس ، بعد سقوط
 طروادة ، قال لي والدي :

٦٤٠ « إن الدماء تجري شابة في عروقك ، وقوتك ما زالت في عنقوانها ،
 فلتكذب أنت بالفرار . أما أنا ، فلو شئت آلهة السماء أن تمد في عمري لكأنت
 قد أنقذت وطني هذا . لقد شاهدنا سقوط المدينة مرة قبل ذلك ، وامتدت

حياتنا بعد احتلالها (١٠٤) . ارحل أنت بعد أن تؤدع جسدى المسجى
هكذا ، آه ، هكذا (١٠٥) . سوف أقابل الموت بيدي ، سرحمنى الأعداء ،
وسوف يسعون للحصول على الغنائم ؛ وسوف يكون الأمر سهلاً : فقط
سوف أفقد قبرى (١٠٦) . إننى اليوم أعطل رغبة السنن دون فائدة ،
لقد ظلمت منذ أمد بعيد حتى اليوم موضع كراهية الآلهة ، منذ أرسل
على سلطان الآلهة وحاكم البشر ريحاً عاتية ، وقذفى بعاصفة نارية (١٠٧) .

٦٥٠

هكذا واصل حديثه ، ثم ظل ساكناً لا يتحرك . وكنا نحن نيكى ،
زوجتى كريوسا وولدى أسكانيوس وجميع أفراد الأسرة ، ونرجو والدنا
أن لا يدفنا جميعاً معه إلى الهلاك ، وأن لا يزيد حظنا التمس تعاسة . لكنه
رفض ، وتشبث برأيه ، وثبت فى مكانه . فاندفعت مرة أخرى نحو المعركة ،
وبحثت عن الموت ، وأنا أحس بتعاسة منقطعة النظر . فأى خطة أو أى فرصة
للنجاة كان يمكن الوصول إليها حينئذ ؟ «والدى ، هل تتوقع منى أن أجد
القدرة لأتركك وأسرع الخطى ؟ أى عقوق هذا الذى ينطق به والد (١٠٨) ؟
فإن رضىت آلهة السماء أن لا يبنى شئ من المدينة العظيمة — وهذا ما هو مؤكد
فى حسابناك — فإنه يزيد سرورهم أن تضيف نفسك وعشيرتك إلى قائمة
الهالكين مع المدينة الهالكة . فالباب مفتوح على مصراعيه أمام موتك هذا
(الذى نبحت الآن عنه) ، وسوف يأتى بروس وهو ملطخ بدماء برياموس
الغريزة ، بروس الذى يقتل الابن أمام غيبى أبيه ويقتل الأب وهو قريب
من المذبح المقدس . أمأه (١٠٩) ، يا أمى الرحيمة ، هل كان إنقاذك لى من
بين النيران وأسلحة الأعداء ، كى أشاهد الأعداء فى عقر دارنا ، وأرى
أسكانيوس ووالدى وزوجتى كريوسا قتل ، وقد تخضب كل منهم
بدماء الآخر ؟ إلى السلاح ، أيها الرجال ، إلى السلاح ، إن لحظة الوداع
تنادى المهزومين : أعيذونى إلى الاغريق ، وأسمحوا لى أن أجدد القتال ،
وأن أنزل إلى غمار المعركة من جديد . فسوف لا نموت اليوم جميعاً دون

٦٧٠

أن يثار لنا أحد . »

عندئذ امتشقت سيفي مرة أخرى ، وأمررت يدي اليسرى في حزام
الدرع ، وأنا أصلح من وضعه ، وأجهت إلى خارج القصر . ولكن !
إيه ! لقد تعلقت زوجتي بقدمي عند المدخل ، ورفعت يديها يولوس الصغير
في وجه والده وقالت .

« إن كنت سوف تذهب إلى الموت ، فخذنا لنقاضي معك كل شيء
قد تقاسيه ، وإن كنت تعلق أى أمل على استخدام السلاح — وأنت خبير
في هذا الميدان — فدافع أولاً عن هذا المنزل . فإلى من سوف تترك يولوس
الصغير ووالدك ومن كانت تدعى في يوم من الأيام زوجتك ؟ »

تحاول كريبوسا زوجة آينياس أن تمنعه من
الخروج لمقابلة القوات الاغريقية . (صورة
ماخوذة عن مخطوط يحتوى على نص الإبيدة
ويرجع تأريخه الى القرن الرابع الميلادي
وموجودة الآن في مكتبة الفاتيكان) .



بينما كانت زوجتي تقول ذلك ، كانت تملأ جميع أرجاء القصر بالبكاء ،
وفي ذلك الوقت ظهرت فجأة آية تدهش عند روايتها . فبين أيلدى الوالدين
الحزينين وأمام وجهيهما ظهرت بقعة ضوء متلائة تمر فوق رأس يولوس ،
ولسان من اللهب يلحق خصمات شعره الناعم ، ويدور حول رأسه دون أن

يقف اسكانيوس في وسط
الصورة ، بينما يحيط به
خادمان يلقيان على راسه
مياه مقدسة لاطفاء اللهب
الذي انطلق نحو شعر راسه
وجبهته ، بينما وقف على
يسار الصورة جده انخيس
يرفع كفيه نحو السماء
ويتضرع الى الالهة . وجدت
هذه الصورة في احدي
مخطوطات الابينة ، التي
وجدت في مكتبة الفاتيكان
ويرجع تاريخها الى القرن
الرابع الميلادي .



يؤذيه عندما يلامسه . واستولى علينا الفزع ، وأسرعنا مرتعدين ، نفرك
خصلة الشعر المتوهجة ، ونطفيء اللهب بمياه من النبع المقدس . لكن والذي
أنخيس رفع عينيه في سعادة نحو النجوم ، ومد يديه نحو السماء وهو يقول :
« أيا جوبيتر ، يامصدر القوة ، إن تكن تستجيب إلى أي من الدعوات ،
فاستجب إلينا . فهذا هو دعائي الوحيد . وإن نكن جديرين برحمتك
لتقوانا ، فمُد لنا يد العون ، يا والدنا المقدس ، وابعث بآية ثانية تؤكد الأولى » .

٦٩٠

ما كاد الرجل المسن ينتهي من دعائه حتى دوى في الناحية اليسرى صوت
انهيار مفاجيء ، وانطلقت من السماء نجمة تندفع عبر الظلام تتبعها شعلة من
الضوء الخاطف . وشاهدناها تمر فوق سطح القصر حتى اختفى ضوءها الخاطف
بين غابات إيذا (١١٠) تاركة خلفها آثار مسيرتها في السماء . ثم كان ينبعث
ضوء ذلك الخط الطويل الذي ما زال باقياً حيث شقت النجمة طريقها ، وكانت
تفوح منه رائحة الكبريت تملأ المكان على اتساعه . وهنا نهض والذي المهزوم ،
كما لو كان يريد أن يصل إلى السماء ، يخاطب الالهة ويصلي للنجمة المقدسة .

٧٠٠

« الآن ، الآن يا آلهة الآباء ، ليس هناك سبب للتواني ، سوف أتبعكم ، وسوف أذهب أينما تقودونني . انقلوا الوطن ، انقلوا الأبناء . هذه الآية آيتكم ، إن طروادة ماثلة تحت سلطانكم . سوف أرحل بالتأكيد ، يا والدي ، وسوف لا أرفض أن أرافقك في رحلتك » . هكذا قال ، ثم ازدادت زجرة النيران ، فأصبحت تُسمع بوضوح أكثر عبر الأسوار ، واقتربت السنة النيران المتدافعة أكثر فأكثر . بعدئذ قلت :

« هيا ، هيا إذن يا والدي العزيز ، فلتَضَع نفسك فوق رقبتي . سوف أحملك فوق كفتي » ، وسوف لا يرهقني ذلك العمل . ومهما يقع من أحداث ، فسوف يكون الخطر الذي يقابلنا واحداً ، وسوف يعم نفس الأمان كليتنا . ولنسكن يواوس الصغير رقيقاً لي ، وانتقف زوجتي أثرنا عن بعد . وأنتم أيها التابعون ، فلتنتبهوا إلى ما سوف أقول . يوجد هناك ، حيث تغادرون المدينة ، ربوة ومعبد قديم للإلهة كيريس الوحيدة (١٢١) ، تجاوره شجرة السرو العتيقة ، التي قدسها آباؤنا في عباداتهم عبر السنين [العديدة] . سوف نتجمع هناك في ذلك المكان ، بعد أن نسلك طرقاً مختلفة .



(ب)



(أ)

(أ) آينياس وزوجته وابنه ووالده وجماعة أخرى من الطرواديين أثناء رحيلهم عن طروادة . (صورة موجودة على وجه عملة فضية استخدمت في مقدونيا في أواخر القرن السادس قبل الميلاد ، ومعروضة الآن في متحف برلين) .

(ب) آينياس يحمل والده انخيسيس وآلهة البيئات أثناء الرحيل عن طروادة . (صورة موجودة على وجه عملة فضية ضربت بين عامي ٤٨ - ٢٧ ق.م تقريباً أثناء عهد يوليوس قيصر ، ومعروضة الآن في المتحف البريطاني) .

وأنت يا والدى ، خُذْ فى يدك الأشياء المقدسة وصور البيئات الخاصة
بمدينتنا ، إذ أننى عائد توأ من حرب لعينة ، ملطخ بالدماء ، فليس من المباح
٧٢٠ لى أن ألمس شيئاً منها حتى أغتسل بمياه جارية . »

هكذا تحدثت ، ثم قرّشت على كفى العريضتين ورقبتى الممدودة رداءً
مصنوعاً من جلد أسدٍ أغفر اللون ، ورفعت حملى . ووضع يواوس الصغير
يده فى يدى ، وسار خلف والده فى خطوات غير منتظمة ، وخلفنا سارت
زوجتى . وانطلقنا نسير فى البقاع المظلمة ، بينما أصبحت أنا — الذى لم تكن
منذ لحظة تخيفنى السهام المنطلقة ولا تجمعات القوات الإغريقية المعادية —
أصبحت الآن أفرع من النسيم ، وأخشى كل صوت ، بعد أن تعلقت أنفاسى ،
وكنت أرتعد خوفاً على مَنْ يرافقنى ومن أحمله على السواء . كنت أقرب
٧٣٠ حينئذ من البوابة ، وبدأ لى أنى قد وصلت إلى نهاية الرحلة بسلام ، عندما
تطرق فجأة إلى سمعى وقع أقدام كثيرة تقترب منا ، وتطلع والدى إلى الأمام
فى الظلام وصرخ قائلاً :

« ولدى ، اهربْ يا ولدى ، إنهم يقتربون ، إنى ألمح دروعاً تلمع
ونحاساً يبرق . »

فى تلك اللحظة أفرعتنى قوة إلهية معادية ، لا أعلم كنهها ، جعلتنى
أزبلك ، ثم أفقدتنى صوابى . فبينما كنت أسلك ممرات غير مطروقة ، وأتفادى
المرور فى الأجزاء المعروفة من الطرق ، فإن زوجتى كوريوس — وأأسفاه —
هل انفصلت عن زوجها التعس بفعل القدر فتوقفت ؟ أم قد ضلّت طريقها
أو جلست فى مكان ما من فرط تعبها ؟ فأنا لا أدرى . ولم تعد عيناى ترى
زوجتى بعد ذلك . لم ألتفت حينئذ ورائى للبحث عن زوجتى التى فقدتها ،
٧٤٠ ولم أفكر لحظة فيها قبل أن نصل إلى الربوة العتيقة حيث يوجد المقام المقدس
للإله كيريس . وهناك فقط ، بعدما التقي الجمع ، كان هناك واحدة
مفقودة ، تخلّفت عن مرافقة ولدها وزوجها . مَنْ من البشر أو مَنْ
من الآلهة لم أُلْمَه أثناء جنونى حينئذ ؟ وأى مشاهد قاسية شاهدتها عند سقوط

المدينة؟ وأسندت إلى أصدقائي أمر مباشرة أسكانيوس ووالدى أنخيسس وتمائيل
 البياتيس الخاصة بطروادة ، وجعلتهم يتوارون بعيداً في الوادى المتعرج .
 انجھت مرة ثانية نحو المدينة ، وأنا أحمل أسلحتى اللامعة . لقد صممت
 على أن أرتاد جميع المخاطر من جديد ، وأن أعود مرة ثانية لأنجول في جميع
 ٧٥٠ أنحاء طروادة ، وأن أعرض حياتى للأخطار . فَحَصَّصْتُ الأسوار والمداخل
 المظلمة للبوابات التى سبق أن مررت بها أولاً ، واتجهت نحو الخلف ، أقتفى
 آثار الأقدام التى أمكن رؤيتها في الظلام ، وأمعن النظر فيها . كان الفزع يملأ
 صدرى ، وحتى السكون نفسه كان يفزعنى . من هناك وصلت إلى القصر - لعل
 قدميها تكون قد ساقتها إلى هناك ، لعلها تكون كذلك . وكان الإغريق قد
 اندفعوا نحوه ، واستولوا على المبنى بأكمله . لقد امتدت النيران الشرهة أمام
 الرياح حتى وصلت إلى قمة سطح المبنى ، وفاقت ألسنة اللهب في ارتفاعها ارتفاعه ،
 ٧٦٠ ووصلت حرارتها إلى عنان السماء . وتقدّمت ، وزُرْتُ مرة ثانية مقر
 برياموس وقلعته . كان فوينيكس وأوديسيوس اللعين قد تم اختيارهما حراساً ،
 وكانا يحرسان الغنائم في الأبهاء الخالية ، وفي محراب جونو . وهناك تجمعت
 من كل الأنحاء كنوز طروادة المُستولى عليها بعد حريق الأماكن المقدسة :
 مناضد الآلهة ، وأواني مليئة بالذهب الخالص ، وملابس مسلوقة من أصحابها .
 كان يقف الصبية والأمهات اللاتي استولى عليهن الفزع في صف طويل
 حول المكان . ومع ذلك فقد تجرأت وبعثت بصيحائى عبر الظلام وملأت
 الطرقات بالصياح ، وأنا أردد في حزن مرة بعد أخرى ، منادياً كوريوس ،
 ٧٧٠ دون أن أسمع منها إجابة . وبينما أنا أبحث عنها ، واندفع في جيون ليس
 له حدود خلال مباني المدينة ، ظهر أمام عيني طيف بائس ، إنه شبح كوريوس
 نفسها ، لكنه طيف ظهر في صورة أكر بكثير من حجمها المألوف (١١٢) .
 ووقفت دون حراك ، وقف شعري رأسي ، وتحشّرت الكلمات في حلقى .
 عندئذ خاطبني شبح كوريوس قائلاً - وقد أذهب عني الهموم بكلماته :
 « ما الفائدة في اندفاعك نحو ذلك الحزن الجنوني ، يا زوسجى العزيز ؟

إن ذلك لم يحدث رغم أنف الآلهة . إن القدر إن يسمح لك بأن تصطحب زوجتك معك، وحاكم السموات العليا نفسه يرضى بحكم القدر . سوف تطول سنوات متفكك ، سوف ترتاد البحار الواسعة ذهاباً وإياباً مثل راكب المحراث . وسوف تصل إلى الأراضي الهيسبيرية ، حيث يجري نهر التير الليدى بتيار هادئ بين الأراضي الزراعية الحصينة والآلهة بالسكان . سوف تجد في انتظارك الحياه والسلطان وزوجة من سلالة الحكام ؛ ولست كُفّ الآن عن الدموع من أجل كريبوسا الغالية . أما أنا فسوف لا أرى قصور الميرميدونيين أو الدلوبيين المليئة بالغرور ، وسوف لا أذهب كى أصبح جارية للأمهات الاغريقيات ، فأنا ابنة طروادة ، وزوجة ابن الإلهة فينوس ، لكن الأم الكبرى للآلهة (١١٣) تستبقين لديها . والآن ، وداعاً ، واحرص دائماً على حب ولدنا » .

٧٨٠

تَفَوَّه الطيف بتلك الكلمات ، ثم تركنى - وأنا أبكى وكلّى رغبة في أن أتحدث إليه حديثاً طويلاً ، واختفى في الأفق الممتد . لقد حاولت عندئذ ثلاث مرات أن أحيط عنقها بذراعى ، وفترّ الطيف ثلاث مرات أيضاً من بين يدى ؛ فَرَّ كما يَفَرّ النسيم الرقيق ، ورفرف كما يرفرف النعاس مجناحيه . ومكثت هكذا حتى انقضى الليل فعدت إلى رفاقى .

٧٩٠

هناك استولت على الدهشة ، عندما وجدت عدداً ضخماً من الرفاق الجدد ، نساء ورجالا ، ومجموعة كبيرة من الشبان ، وجمهوراً بائساً ، لقد نزعوا جميعاً استعداداً للذهاب إلى المنفى . لقد أتوا من جميع الجهات ، مستعدين نفسياً ومادياً (١١٤) للذهاب إلى أى أرض عبر البحار ، أرغب أنا أن أقودهم إليهما . والآن ، لقد أشرق نجم الصباح على أطراف قمة جبل إيدا، وجاء النهار مع شروقه . والإغريق محاصرون مداخل الممرات والبوابات ، ويسيطرون عليها . ولم يكن هناك أمل في وصول أى مساعدة . فَرَحَلْتُ ، وأنا أحمل والدى متجهاً صوب الجبال .

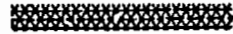
٨٠٠

٨٠٤



آیناس یحمل والدہ انخیسس علی کتفہ کما تخیلہ الرسام جلیوت بایز

حواشي الكتاب الثاني



- (١) عرف الاغريق باللقاب كثيرة ، وذلك تبعاً لأسماء العشائر والأجناس المختلفة التي تكونت منها الشعوب الاغريقية فيما بعد . الدنائيون (أبناء دناوس) Danai ينتسبون إلى دناوس Danaus الذي كان ملكاً على أرجوس في عصور ما قبل التاريخ . لكن الكلمة أصبحت فيما بعد تشير إلى لإغريق عامة .
- (٢) المرميدونيون Myrmidones ، ينتمون في الأصل إلى إقليم تساليا Thessalia ، كانوا تحت قيادة القائد الاغريق المعروف أخيلئوس .
- (٣) الداوبيون Dolopes ، عشيرة ذهبت من تساليا إلى طروادة تحت قيادة القائد فوينيئس Phoenix .
- (٤) بالأس Pallas ، هي الإلهة مينيرفا عند الرومان ، ويقابلها أثينا Athena عند الإغريق .
- (٥) تينيدوس Tenedos ، جزيرة تقع على بعد أربعة أميال من شواطئ طروادة .
- (٦) موكنائ Mycenae ، كبرى مدن منطقة أرجولئس ، التي كان يحكمها الملك أجائمنون .
- (٧) نسبة إلى الدورئين Dorici ، وهم جنس من أقدم الأجناس التي تكونت منها الشعوب الاغريقية .
- (٨) ثيموتئس Thymoetes ، مواطن طروادئ .
- (٩) لأوكورن Laocoon ، كاهن معبد أبوللون في طروادة .
- (١٠) يوليئسيس Ulixis ، أودئسيوس عند الاغريق ، وهو بطل ملحمة هوميروس الأودئسا . عرف أودئسيوس بين الاغريق بشدة المكر والدهاء . وهنا يحذر لأوكورن الطروادئين من مكره ودهائه ويذكرهم بها .

(١١) الأخيون Achivi ، أفراد جنس من أقدم الأجناس التي تكونت منها الشعوب الاغريقية .

(١٢) يستخدم الشاعر هنا كلمة Teucri ، وهي اسم آخر للشعب الطروادي ، وتبنى أبناء تيوكر Teucer ، أحد الملوك القدامى لطرودة ، وكان زوجاً لابنة دردانوس Dardanus .
(١٣) النروجيون Phrygii ، شعب يسكن آسيا الصغرى في المنطقة الماخمة لطرودة. تشير الكلمة هنا إلى الطرواديين جميعاً .

(١٤) سينون Sinon ، هو الشاب الاغريقي الذي دفعه الرعاة إلى الملك ، وهو نفسه الذي يتحدث في هذه الفقرة .

(١٥) بياوس Belus ، والد دناوس Danaus ، أنجب عدداً كبيراً من البنات ، إحداهن تدعى أموموني Amumone ، أنجبت نابليوس Nauplius ، الذي أنجب بالاميديس Palamides

(١٦) البلاسجيون Pelasgi ، أقدم الأجناس التي كانت تسكن الأراضي الاغريقية ، وتشير هنا إلى الاغريق عامة .

(١٧) كالخاس Calchas ، عراف ذائع الصيت ، رافق الاغريق أثناء حروبهم للطراديين ، ورد ذكره في كثير من النصوص الاغريقية واللاتينية على السواء .

(١٨) توقف سينون عن الكلام في لحظة حاسمة من روايته . إنه لم يذكر كيف استعان أوديسيوس الماكر بالمراف كالخاس ، وماذا كان مصير سينون نفسه . لقد أحدث سينون عند ستمه من الطرواديين ما يعرف بالتشويق suspense فأصبحوا يتحرقون شوقاً لمعرفة باقي الرواية .

(١٩) كان أوديسيوس ملكاً على جزيرة في الجزء الغربي من بلاد الاغريق تعرف باسم إيثاكا Ithaca .

(٢٠) الأتريدا Atridae ، هما أجاممنون Agamemnon ومينيلائوس Menelaus ولدا أنريوس Atreus . كان أولهما القائد الأعلى للحملة الاغريقية ضد طروادة .

(٢١) يوريبيلوس Eurypylus ، عراف في المعسكر الاغريقي أمام طروادة .

(٢٢) فويبوس Phoebus ، أحد ألقاب الإله أبوللون .

(٢٣) يشير الشاعر هنا إلى تضحية أجاممنون بابنته ايفيجينيا ، إرضاء للالهة ، كي تسمع لسفن الإغريق بالرحيل نحو طروادة .

(٢٤) أي أن سينون سوف يقدم قرباناً للالهة .

(٢٥) كان من المنيع عند تقديم النرابين أن تمد مثل هذه الوجبة (وهي خليط من القمح والملح) ، ثم تسكب على رأس الضحية ، التي سبق تزيتها بأكاليل الزهور .

(٢٦) هكذا يختتم مريتون روايته باستعطاف الملك الطروادى المعجوز پرياموس .
(٢٧) پرياموس Priamus ، ملك طروادة المعجوز ، والد القائد الطروادى الجسور هيكتور - الذى قتله أخيلئوس - والشاب الفاتن پارسى - الذى اختطف هيلينا واصطحبها معه إلى طروادة .

(٢٨) تيديديس Tydides ، أو ديوميديس . هو ولد تيديوس Tydeus ، قائد قوات أرجوس ، قام أثناء الحرب بأعمال تتسم بالشجاعة والإقدام ؛ إلا أنه جرح فى بعض المارك الإله مارس ، إله الحرب ، وأفروديتا التى غضبت من أجل ذلك وانتقمته منه . ذلك إلى أنه اشترك فى انتزاع تمثال الإلهة پالأس من معبدها .

(٢٩) پالادئوم Palladium ، تمثال پالأس (مينيرثا) الشهير - يقال إنه هبط من السماء على طروادة التى كانت سلامتها تتوقف على وقاينه .

(٣٠) تريتونيا Tritonia ، لقب من ألقاب الإلهة پالاس ، إذ يقال إنها ولدت فى بحيرة تريتونيس Tritonis فى ليبيا .

(٣١) المرق مالح بطبيعته . لكن الصفة مالح Saleus وردت هنا لا لتؤكد حقيقة معترفها بل لتضفى على الصورة ظلاما من الواقع (راجع المندمة ص ٤٥) .

(٣٢) القلاع الأرجامية Pergama ، قلعة مدينة طروادة ، وتعنى پرجاما هنا طروادة نفسها .

(٣٣) الأسلحة الأرجولية Argolica arma ، نسبة إلى أرجوس ، عاصمة إقليم أرجوليس Argolis بجنوب شبه جزيرة البلوبونئيس . والصفة تشير هنا إلى الشعب الاغريق عامة .

(٣٤) من المعروف سلفاً أن سلامة تمثال الإلهة پالاس - البالادئوم Palladium - كانت مرتبطة بسلامة مدينة طروادة نفسها . فإدام التمثال آمناً لا تدنسه أيدي الأشرار ، فسوف تبقى طروادة قائمة فى سلام وأمان . ولما كان الحصان الخشبى الضخم قد أقيم - حسب أوامر الآلهة - ليحل محل البالادئوم ، فإنه سوف يكون حائياً ومدافعاً عن أمن طروادة و سلامتها ، إذا ما أحسن الطروادئون استقباله . وهذا هو المقصود بالتميز « تحت ستار العبادة التيقية » .

(٣٥) المقصود هنا الحصان الخشبى .

(٣٦) لما كانت طروادة تقع فى آسيا الصغرى ، فإن فرجيلئوس يستخدم هنا كلمة آسيا للدلالة على طروادة .

(٣٧) الترجمة الحرفية هنا هي نحو أسوار أبناء پيلوپس ad Pelopea moenia . پيلوپس Pelops هو ملكاً سطورى قديم كان يحكم منطقة إيلئس Elis الواقعة فى الجزء الجنوبي من بلاد الاغريق ، ثم أصبحت الصفة Pelopeus (والجمع منها Pelopea) كناية عن الاغريق .

(٣٨) تيديديس Tydides ، كناية عن الاغريق ، نسبة إلى ابن تيديوس ، وهو ديوميديس . Diomedes أحد القادة الاغريق الذين اشتركوا في الحرب ضد طروادة .
(٣٩) الاريسى Larissaeus ، نسبة إلى لاريسا Larissa . ، وهي مدينة في إقليم ثاليا .

(٤٠) دامت الحرب الطروادية عشرة أعوام ، واشترك في القتال أسطول إغريق مكون من ألف سفينة .

(٤١) شئى «قم» .

(٤٢) حرفيا ، «ليس في أجسادنا نقطة دم واحدة» exsanguis

(٤٣) حرفياً «في مسيرة مستقيمة أو غير معوجة» agmine certo

(٤٤) حرفياً «أسوار الدردانيين المعروفة في الحرب» . والدردانيون Dardanidae هم أبناء دردانوس ، وهو ملك أسطوري والجد الأكبر للملك طروادة . تروى الأساطير الاغريقية أنه كان ابناً لكبير آله الاغريق زيوس من الكترا ابنة أطلس (وهي غير الكترا ابنة أجا مثنون) . كما تروى الأساطير أيضاً أن مولا دردانوس كان أحد الأسباب التي جعلت حيرا - زوجة زيوس - تنفصب على شعب طروادة وتقف ضدهم وتعاون الجيوش الاغريقية .

(٤٥) كاساندر Cassandra ، هي ابنة إرياموس ملك طروادة . كانت كاهنة للإله أفروديت ، كما كانت على علم تام بالمستقبل . لكن تنبؤاتها - بالرغم من أنها كانت صادقة - لم تكن تلقى تصديقاً من أحد .

(٤٦) المقصود هنا أن الحصان الخشبي اختفى تحت ظلام الليل الذي امتد ليطوى في ظلمته كلاً من الأرض والسماء على السواء .

(٤٧) يقصد «بالسفينه الملكية» تلك التي يوجد عليها القائد الأعلى للأسطول للإغريق ، إذ كان الملك عند الاغريق هو القائد الأعلى الذي يقودا جيوش أثناء الحرب .

(٤٨) ثساندروس Thessandrus وسينيلوس Sthenelus ، هما إثنان من قادة الاغريق المختبئين داخل الهيكل الخشبي الضخم .

(٤٩) أسماء لقادة أغريق كانوا في داخل الهيكل .

(٥٠) أى صاحب الفكرة في بناء الهيكل .

(٥١) ربط القائد الاغريق أخيلوس جثة هيكتور - بعد أن قتله - في عجلته الحربية وأخذ يجرها خلفه وهو يدور حول أسوار طروادة ثلاث مرات حتى تمزقت الجثة وشوهت معالمها .

(٥٢) عندما قرر القائد الاغريق أخيلوس الانسحاب من الحرب الطروادية - بسبب نزاع قام بينه وبين قادة الاغريق الآخرين - استشار صديقه الحميم باتروكلوس حلة أخيلوس الحربية واشترك في الحرب نيابة عنه . بعد ذلك خرج باتروكلوس صريعاً على يد هيكتور ، وعاد الأخير من ميدان القتال وهو يرتدى ملابس أخيلوس ، التي غنمها بعد قتل باتروكلوس . وكان أخيلوس

يجب ضديته حباً جماً ، لذلك فقد تملكه الغضب ، وطلب منازل هيكور ، وكان له ما أراد .
قتل أخيلئوس هيكور و ربط جسده في مؤخرة عجلته الحربية وأخذ يجرها خلفه وهو يدور حول
أسوار طروادة .

(٥٣) أثناء حصار الجيوش الاغريقية لمدينة طروادة ، كان هدف الطرواديين إشغال
النار في السفن الاغريقية الراسية على الشاطئ ، وكان هيكور صاحب الفكرة ، التي دأب
على التفكير في كيفية تنفيذها .

(٥٤) دردانيا Dardania ، هي أرض دردانوس ، الجد الأكبر للطرواديين ، وهي
مرادفة لكلمة طروادة .

(٥٥) كان آينياس ابناً لآدى يدعى أنخيس Anchises ، أما والدته فلم تكن سوى
إلهة الحب والعشق ، التي عرفت عند الاغريق بأفروديتا وعند الرومان بفينوس .

(٥٦) المقصود بكلمة أسوار moenia هنا هو المدينة نفسها . إن هيكور يأمر آينياس
بالفرار من طروادة والبحث عن منطقة أخرى يستطيع أن يقيم فيها مدينة آمنة يعيش فيها الطرواديون
القارون بعد تدمير وطنهم الأصلي .

(٥٧) فستا Vesta ، هي ربة الحياة المنزلية عند الرومان - كانت مهمتها الإشراف على
الشئون المنزلية داخل المنزل ، ومكانها المفضل هو المدفأة في المنزل الروماني . لذلك كانت
عبادتها مرتبطة دائماً بعبادة «ربات المدفأة» Penates . و «النار الأبدية» هنا تعني تلك الشعلة
التي كانت مشتعلة باستمرار داخل محراب الإلهة فستا . لقد انتزعها هيكور ، وسلمها إلى
آينياس الذي فر بها إلى ذلك المكان البعيد ، الذي أنشأ فيه مدينة جديدة .

(٥٨) يشير الشاعر إلى تخريب المناطق الزراعية التي بذل الثيران جهداً شاقاً في حرثها
استعداداً لزراعتها .

(٥٩) الراعي هو آينياس نفسه ، الذي لم يكن في ذلك الوقت قد عرف أن الاغريق كانوا
قد أخفوا أنفسهم داخل الحصان الخشبي .

(٦٠) ديفوبوس Deiphobus ، أحد أبناء ملك طروادة المعجوز برياموس .

(٦١) يوكاليجون Ucalegon ، أحد أثرياء طروادة .

(٦٢) سيجيوم Sigeum ، منطقة مرتفعة داخلية في البحر ومناخها لمدينة طروادة .

(٦٣) بانثوس بن أوثيريس Panthus Othryades ، شقيق هيكوبا ، زوجة
برياموس ملك طروادة ؛ وهو أيضاً والد يوفوربوس Euphorbus .

(٦٤) كان الاعتقاد السائد هو أن الآلهة تهجر المدن المهزومة لتعيش بين الشعوب المنتصرة .
بالتالي فعندما ينقل كبير الآلهة جوبيتر كل شيء من طروادة إلى أرجوس ، فإن ذلك دليل على أن
الآلهة قد هجرت طروادة المهزومة ، وبالتالي أيضاً فإن مراكز السلطة والقوة والجاه قد انتقلت
إلى أراضي الشعب المنتصر .

(٦٥) مارس Mars ، إله الحرب عند الرومان ، وذكره هنا كناية عن الحرب نفسها .

(٦٦) «المتوهة» ترجمة حرفية للصفة furens . لكن كلمة furens عند الرومان - وخاصة عند حديثهم عن كاساندر - كانت تشير إلى الآدمي الذي أنتزعت روحه من جسده وخلت مكانها روح أحد الآلهة . كانت كاساندر كاهنة للإله أبوللون ، وكانت تستطيع - تماماً مثل الإله نفسه - أن تعرف المستقبل . بذلك يمكن ترجمة كلمة furens في هذه الفقرة «المكتشف عنها الحجاب» أو «العالمة بالنيب» .

(٦٧) أندروجيوس Androgeos ، قائد غير مشهور من قادة الاغريق ، اشترك في الهجوم على طروادة .

(٦٨) يدافع كورويوس Coroebus هنا عن ضلته التي ابتكرها ليخدع الفرقة الاغريقية . ويبدو أن فرجيليوس - وجميع الرومان معه - كان من أتباع مذهب «كل عمل تقوم به من أجل أن تكسب الحرب أو الحب فهو عمل مشروع» .

(٦٩) نسبة إلى أرجوس Argos موطن أندروجيوس .

(٧٠) الترجمة الحرفية هي «أسلحة ملازمة arms recentibus» . ولعل الشاعر يقصد هنا أن الأسلحة التي استولى عليها آينياس وأصدقائه لم يكن قد استطاع الإغريق استخدامها ؛ إذ أن الهجوم المفاجيء الذي تعرضوا له جعلهم يرتبكوا ويستسلمون قبل أن تتاح لهم فرصة استخدام أسلحتهم .

(٧١) اعتقد الطرواديون - خطأ - أن آينياس وفرقة أغارقة ، فاتهموا عليهم بأسلحتهم من فوق سطح اللبنة . وهكذا شامت الآلهة أن يهزم الطرواديون على يد إخوانهم الطرواديين وعلى يد أعدائهم الإغريق على السواء .

(٧٢) الفرقة الحربية التي جاءت من تساليا تحت قيادة فوينيكس لمساعدة باقي الإغريق على طروادة .

(٧٣) اعتاد الشعراء ذلك التشبيه عند وصف معركة يسودها الهرج والمرج وتسيطر عليها الفوضى ويصيب أثنائها على المحاربين التعرف بعضهم على بعض .

(٧٤) نيريوس Nereus ، إله البحر ، الذي كان يضرب البحر بصولجانه (وهو على هيئة شوكة معدنية ذات ثلاث شتب tridens) فيرغى الموج وينتشر الرعب على سطح الماء .

(٧٥) هذه الكلمة تقابل في النص الأصل كلمة mentita ، ومعناها «المزيف» أو «ذات المظهر المخادع» . والمقصود هنا هو الأسلحة التي اغتصبها الطرواديون من الإغريق والتي خدعوا بواسطتها بعض الإغريق الآخرين .

(٧٦) حرفيا «القوية في استخدام الأسلحة armipotens» ، وهي الإلهة مينيرفا .

(٧٧) المقصود هنا هو أن ذلك المدخل لم يكن يدافع عنه الطرواديون ، إذ أن الإغريق لم يتجهوا لوجوده .

(٧٨) أندروماخي Andromache ، هي زوجة هيكتور ابن الملك الطروادي المجلز برياموس .

(٧٩) بيروس Pyrrhus ، كان يعرف أيضا باسم نيوبتوليموس Neoptolemus ، هو ابن القائد الإغريق أخيليس . اشترك بيروس في حصار طروادة بعد قتل والده أخيليس ، وشاهد سقوط طروادة ، وهو الذي قتل الملك الطروادي المجلز برياموس ، ثم اصطحب معه إلى وطنه أندروماخي أرملة هيكتور بن برياموس .

(٨٠) أتاحت حياة فرجيليوس في الريف فرصة لرؤية ما يصفه من صور وتشبيهات في أعماله الأدبية (راجع المقدمة ص ٢٥) . تتكرر مثل هذه التشبيهات والصور بصورة ملحوظة في أعماله . والمعروف أن لسان الثعبان متشب إلى شعبتين عند نهايته ، لكن فرجيليوس هنا يشبهه بالشوكة المعدنية ذات الثلاث شعب . كما أن كلمة لسان تأق في الجمع وليس في المفرد *linguis trisulcis* . ولعل فرجيليوس يقصد هنا أن سرعة حركة لسان الأفعى المتفرع إلى فرعين قد جعلته يبدو للنظر كما لو كان عدة ألسة تتحرك في جميع الجهات في وقت واحد .

(٨١) سكيروس Scyros ، هي سقط رأس بيروس ، وتقع بالقرب من منطقة يوبويا Euboea .

(٨٢) سبق أن أشرنا إلى أن بيروس هو ابن القائد الإغريق العظيم أخيليس .

(٨٣) كانت الـ aries آلة خاصة تستخدم في تحطيم الأبواب أو فتحها بالعنف أثناء المعارك . ومن الواضح أن رجال بيروس كانوا يستخدمون هذه الآلات في تحطيم بوابات القصر .

(٨٤) نير بتيوليموس وبيروس ثقة .

(٨٥) كان لبرياموس وهيكونيا خمسون بنتاً وخمسون ولداً . والمقصود هنا بالعدد مائة هو عدد البنات مضافاً إليه عدد زوجات الأبناء .

(٨٦) للقاعات المرانية الخمسون *quinquaginta thalami* هي عدد الخناجع التي يتنام فيها أبناء برياموس مع زوجاتهم . هذه القاعات كانت مصدر قوة طروادة ، بمعنى أنه كلما كثر عدد أحفاد الملك ازدادت قوة الأسرة الملكية . ومن هنا جاءت العلاقة بين «القاعات المرانية الخمسين» و«الأمل المريض الأحفاد» .

(٨٧) أضيف هنا تمبر «أيتها الملكة» توضيحاً للنص . إذ أن آينياس ما زال يخاطب الملكة ديدو ويشرح لها تفاصيل ما حدث لطروادة من كوارث ومصائب فور سقوطها .

(٨٨) هيكتور هو الابن الأكبر لبرياموس وهيكونيا ، وقد سبق أن قتل هيكتور بواسطة

أخيلويس ، قبل سقوط مدينة طروادة واقتحامها وتدميرها بواسطة الإغريق (راجع حاشية رقم ٥١) .

(٨٩) اعتقد الإغريق - والرومان من بعدهم - أن لمس القتييل دنس ورجس لا ترضى عنه الآلهة . وكان لديهم أيضا نفس الاعتقاد عندما يشاهد أحد الوالدين أو كلاهما ولده مشغناً بالجرار .

(٩٠) يشير برياموس في هذه الفقرة إلى اللقاء الذي تم بينه وبين أخيلوس عندما ذهب الأول - بعد قتل ولده هيكتور - إلى مقر قيادة الآثاني يتوسل إليه أن يعيد جثة ولده لتحظى بمراسم الجنازة المعتادة ، فما كان من أخيلوس إلا أن أجاب برياموس إلى طلبه . وخرج برياموس من هناك سالماً إلى وطنه ومعه جثة ولده هيكتور . إن برياموس في هذه الفقرة يقارن بين سلوك أخيلوس وسلوك بيروس ، ويستنكر نسب بيروس القاسي إلى أخيلويس الذي اعتاد احترام حق الاستجارة .

(٩١) سرة الدرع umbo clipei هي قطعة بارزة - ربما كانت من المطاط - تلتصق على السطح الخارجي للدرع وتقع عادة في وسطه . وفائدتها استقبال الحربة أو السهم فتساعد مادة المطاط اللينة على الحد من سرعة الحربة وتتيح للطرف المدبب فرصة لكي يتغذى في المطاط فتتملك الحربة بالدرع دون أن تنفذ فتصيب حامل الدرع .

(٩٢) لاحظ الفعل المستعمل هنا circumstare ومعناه «يقف حوله» . لم يشير آينياس بالخوف ، بل شاهد الفزع يطارده ويحيط به . لقد أراد الشاعر أن يصور الخوف على أنه كائن واقعي وليس إحساس داخل يعمش في أعماق آينياس .

(٩٣) والد آينياس هو أنخيسيس Anchises .

(٩٤) ذكر مقتل برياموس آينياس بوالده الميجوز وبزوجته كريوسا وبولده إيولوس ، الذين تركهم في منزله قبل أن يتدفع نحو قصر برياموس للدفاع عنه ، والذين سوف يتحدث عنهم بالتفصيل فيما بعد . أما عن منزل آينياس فإنه في الحقيقة لم يسلب ولم يهبط ، ولكن آينياس تخيله كذلك .

(٩٥) ابنة تينداريوس ، هي هيلينا التي كانت سبباً في قيام الحرب بين الإغريق والطروديين .

(٩٦) اسبرطة Sparta ، هي المدينة الرئيسية في منطقة لاكونيا Laconia ، ومقر حكم الملك منيلاوس زوج هيلينا . وموكيناي Mycenae ، هي المدينة الرئيسية في منطقة أرجوليس ، ومقر حكم الملك أجاممنون شقيق منيلاوس زوج كلوتمنسترا شقيقة هيلينا .

(٩٧) يبدو أن والد هيلينا فقط هو الذي كان على قيد الحياة في ذلك الوقت ، كما أن هيلينا لم تكن قد أنجبت سوى طفلة واحدة هي هيرميوني Hermione ، لكن فرجيليوس في هذه الفقرة يبالغ في تصوير سعادة هيلينا - إذا ما عادت سالمة إلى وطنها - فيستخدم كلمة

patres التي تساوى كلمة parentes (ومعناها الوالدان) كما يستخدم كلمة natos (ومعناها ذرية أو أطفال) .

(٩٨) كان الميت يظل متعشاً لإراقة الدماء حتى يتم الانتقام من قاتله .

(٩٩) والدة آينياس هي - طبقاً لروايات الإغريق - الإلهة أفروديتا التي عرفها الرومان باسم فينوس .

(١٠٠) باريس Paris ، شقيق هكتور وابن الملك پرياموس ، وهو الذي اختطف هيلينا من لاكونيا واصطحبها معه إلى طروادة . ولقد أعجب باريس بجمال هيلينا ؛ فقد امتازت بأن لها أجمل وجه نسائي في العالم . ومن هنا جاء التعبير « الوجه الكريه facies invisa » ، وهو لا يعنى الوجه التبيح بل الوجه الذى أثار الكره بين الإغريق والطرواديين ، ثم أثار كره العرفين على السواء نحو صاحبة ذلك الوجه الذى تسببت صاحبه في قيام تلك الحرب الشمواء . (١٠١) الفبار الناتج من سقوط المياني .

(١٠٢) البوابة الإسكائية Scaea Porta ، هي إحدى البوابات الواقعة غرب طروادة .

(١٠٣) تروى الأساطير أن الإله نبتونوس ساعد الطرواديين في تأسيس مدينتهم ، لكنهم لم يجزلوا له العطاء ، فغضب عليهم وعلى مدينتهم .

(١٠٤) ليس المقصود هنا سقوط طروادة على يد الإغريق واحتلالهم لها ، بل تشير الفقرة إلى فترة سابقة حين هاجم الإله ديراكليس المدينة ودمرها .

(١٠٥) كان والد آينياس مناً يشدد أو يرقد في فراشه ولا يستطيع الحركة . وفي حديثه مع ابنه فإنه يريد منه أن يودع جسده لا كجسد رجل من عليل بل كجثة لا حياة فيها ترقد في انتظار القيام بدفنها .

(١٠٦) أى «سوف لا تدفن جثته» . وكانت عناية الدفن بالنسبة للإغريق والرومان ضرورية ، وكانت روح الميت تظل حائرة طالما لم تدفن جثة صاحبه . وفي هذه الفقرة يتضح مدى استهانة الوالد العجوز أنخيس بسعادته ، ومدى شجاعته وبسالته ، ومقدار تصحيته من أجل الآخرين ، وتعلقه الشديد بتراب وطنه حتى لو أدى كل ذلك إلى أن تبقى روحه حائرة بعد موته .

(١٠٧) عوقب أنخيس هكذا أثناء شبابه بعدما أعلن على الملأ عشقه وهيامه بالإلهة فينوس .

(١٠٨) يستنكر آينياس الرحيل دون مصاحبة والده ، ويعتبر ما يقوله والده كلمات لا يصح أن ينطق بها والد أمام ولده ؛ إذ كيف يطلب أب ضعيف مريض من ولده أن يتركه وسط الأعداء ويهرب .

(١٠٩) يتحول آينياس من مخاطبة والده أنخيس إلى مناجاة والدته فينوس ، ثم بعد ذلك إلى مخاطبة رجاله .

(١١٠) جبل إيدا Ida المغطى بالغابات والمجاور لطرودة .

(١١١) كيريس Ceres ، إلهة الزراعة عند الرومان ، كان يقام مبيدتها دائماً في منطقة مهجورة .

(١١٢) يعنى هذا التعبير أن كيوسا قد لقيت مصرعها؛ إذ أن الآلهة والموتى هم فقط الذين كانوا قادرين على أن يظهروا أمام البشر في حجم أضخم من حجمهم الطبيعي أو المألوف.

(١١٣) الأم الكبرى للآلهة Magna Genetrix deum ، هي ربة الأرض .

(١١٤) كان بعض الطرواديين قد فكر في الذهاب مع آينياس، ثم اقتنعوا بالفكرة (وبذلك كانوا مستعدين نفسياً)، وجمع كل منهم من كنوز طروادة ما استطاع جمعه استعداداً لترحلة الطويلة (وبذلك كانوا مستعدين مادياً أيضاً) .



فاروق فريد سعيد

بعد أن ترأى لأرباب السماء الإطاحة بسلطان آسيا وشعب برياموس
 البرىء ، وبعد أن سقطت إليوم الشاحنة ، ولفظت طروادة النبتونية (١)
 كلها دخاناً من أسفلها ، أرغمتنا نذر ربانية على البحث عن منى ناء في أرض
 مهجورة . بَسَيْتَنَا أسطولا بالقرب من أنتاندروس (٢) وتحت سفح جبال
 إيدا الفروجية . جمعنا رجالنا ، ونحن لا ندرى إلى أين تقودنا الأقدار ،
 أو أين قُدِّرَ لنا أن نستقر . وما أن لاحت تباشير الصيف ، حتى أمرنا والدى
 أنخسيس بأن ننشر أشرعة سفننا حسبما تشاء الأقدار . غادرت شواطئ وطني
 وموانيه باكباً ، وتركت السهول حيث قامت ذات مرة طروادة . وحملني
 البحر طريداً ، منفياً ، ومعى ابني ورفاقي والبيئاتيس والأرباب العظام .
 على مسافة بعيدة تقع أرض إله الحرب ، ذات السهول الواسعة ،
 التي يفلحها التراقيون . كان يحكمها ليكوجومس (٣) العاني يوماً ما ،
 وكانت منذ القدم مكاناً مضافاً لطروادة . وكان أربابها حلفاء لأرباب
 البيئاتيس ، مادام الحظ موافقاً لنا . أبحرت إليها ، وعلى الشاطئ المتعرج
 أسست أول مدينة في ذلك المكان ، ولقد شرعت في العمل في وقت كانت
 فيه الأقدار قاسية ، ومن اسمى صنعت الاسم « آينباداي » :

١٠٠

كنت أقدم القرابين لوالدتي ، ابنة ديوني (٤) ، وللآلهة كي تبارك الأعمال
 التي بدأتها . وقمت على الشاطئ أذبح ثوراً أبيض لامعاً لملك أرباب السموات .
 وتصادف أن كان هناك على مقربة من ذلك المكان تل ، على قمته جنوع
 شجيرات كثيفة وأشجار ربحان قد انتفخت من جراء حشد من رؤوس
 الحراب . إقتربت من ذلك التل ، وبينما كنت أحاول اقتلاع النبات الأخضر
 من جذوره لأكسو المذابح بأغصان مورقة ، رأيت نذيراً مشثوماً ، عجيباً

٢٠٠

وصفه . فمن أول شجرة ، انتزعتهُ من مرقدها بجذورها المتهالكة ،
تساقطت قطرات دم قائم اللون ، وتجلتت فلتطخت التربة . وهزت أطراف
رعشة باردة ، وتجمدت دمائي من الخوف . ومع ذلك فقد حاولت مرة
أخرى أن أنتزع غصناً صلباً من شجرة ثانية ، عاقداً العزم على اكتشاف ذلك
السّر الدفين ، وانبثقت مرة أخرى دماء قائمة اللون من لحاء الشجرة الثانية .
ومن أعماق قلبي تَمَتَّت بالصلوات لعرائس الغابات والمراعي وللإله
جبرائيلوس^(٥) ، الذي يُهَيِّئُنِي عَلَى الْحَقُولِ الْحَيَتِيَّةِ^(٦) ، عسى أن يَحِيلُوا
تلك المشاهد إلى بشير خير بحق ، وأن يَحْفَقُوا مِنْ وَطْأَةِ وَقَعِ النُّبُوءَةِ : لكن
بعد أن انْقَضَتْ بعنف أكبر على شجرة ثالثة ، أحاول اجتثاثها ، وركبتاي
تضغطان فوق الزمال - أأستمر في حديثي أم ألتزم الصمت ؟ - ، سَمِعَ
من أسفل التل أنين باكٍ ، وتردد في أذني صوت يقول : «

« يا لشقائي ! لِمَ تَمَزَّقُنِي ، يا آينياس ؟ أعف عني وأنا في قبري ،
ولتُبْعِدْ الدنس عن يديك الطاهرتين . فلست بغريب عنك ، بل إنني
سليل طروادة ، كما أن هذه الدماء لا تنساب من جذع شجرة أصم . آه !
فلتغادر هذه الأراضي القاسية ، ولتبعِدْ عن الشاطئ الشر . فأنا بولودوروس^(٧)
ها هنا قد غطي جسدي الممزق بحصول حديد من الأسلحة ، ونما عليه ،
فتبت في صورة حراب حادة . »

عندئذ رزح عقلي تحت وطأة الشك والخوف ، ووقفت مشدوهاً ، وقد
وقف شعر رأسي ، وانحبس الصوت في حلقي .

كان برياموس التعس قد عهد سراً ببولودوروس هذا إلى الملك التراقي
ليربيه^(٨) ، ومعه حمل كبير من الذهب ، وذلك عندما تزعزعت ثقة
برياموس في أسلحة طروادة ، ورأى المدينة وقد ضُرب حولها الحصار .
وانهار سلطان التيوكرين ، وتخلّى الحظ عنهم ، فانضم الملك التراقي إلى دولة
أجاممنون ، تحت لواء المنتصرين ، ونقض كل عهد مقدس . قتل بولودوروس

ووضع يده على الذهب بالقوة . يا للجشع اللعين للذهب ، فكم من جريمة
دفع إليها نفوس البشر ١١

٦٠ بعدما ترك الخوف عظامي ، حملت نذير الآلهة هذا إلى زعماء الشعب
المختارين ، وعلى رأسهم والدي ، وطلبت رأيهم في ذلك . واتفق الجميع
على رأى واحد : أن نرحل عن أرض الرذيلة ، ونهجر معقلاً دنست فيه
واجبات الضيافة ، ونسلم سفننا للرياح . ومن ثم قمنا بالشعائر الجنائزية
الخاصة بدفن بولودوروس ، وارتفعت كومة ضخمة فوق مثواه ، وأقيمت -
تكريماً لروحه - مذابح المسبكي ، عليها أكاليل داكنة الزرقة ونبات سرو
أسود ، وحولها وقف نساء اليوم وقد أرسلن شعورهن كعاذن . وسكبنا
أكواباً من اللبن الساخن ، وكؤوساً من دماء الذبائح ، ثم وضعنا الروح
في مثواها ، وصرخنا صرخة عالية منادين إياها للمرة الأخيرة .

٧٠ وما أن استعدنا ثقتنا باليم ، وهيات لنا الرياح بحراً هادئاً ، وأغرتنا ريح
الجنوب الهامسة بالضرب في عرض البحر ، حتى جمع الرفاق السفن فازدحمت
بها الشواطئ . وأبحرنا من المرفأ ، وتوارت الأرض والمدن عن الأنظار .

في وسط البحر تقبّع أرض مقدسة^(٩) ، أكثر الأراضي قرباً
إلى قلب والدة النيريديس^(١٠) ونبتونوس الإيجي ، أرض ظلت تصول
وتجول حول الشواطئ والسواحل إلى أن شدّ رامي السهام
الممثل وثاقها^(١١) إلى مرتفعات موكونوس وجياروس ، وجعلها تقبّع
راسخة تتحدى الرياح . أبحرت إلى هناك ، واستقبلت هذه الأرض الوديعه
رجالاً المجتهدين في مرفأ سالم أمين . وما أن نزلنا ، حتى عبرنا عن امتناننا
لمدينة أبوللون . فجاء الملك آيوس - وهو في الوقت نفسه ملك على الناس
وكاهن لأبوللون - مسرعاً لمقابلتنا ، وقد زين صدغيه بعصابة وإكليل
من الغار المقدس ، وتعرّف على صديقه القديم أنخسيس . وتصافحت أيادينا
البنى في ترحيب ، ودلّفنّا إلى داخل القصر .

وَقَفْتُ فِي خَشَوْعٍ أَقْدَمُ الصَّلَاةِ فِي مَعْبَدِ الْإِلَهِ ، بِأَحْجَارِهِ الْمَوْغَلَةِ
فِي الْقَدَمِ : « أَيْ إِلَهُ ثَوْمِبر (١٢) ، فَلْتَمْنَحْنَا مَقْرَأً دَائِماً ، فَلْتَمْنَحْ رَجُلِي
الْمُنْهَكِينَ حَدُوداً آمِنةً وَذَرِيَّةً وَمَدِينَةً تَبْقَى عَلَى الدَّوَامِ . فَلْتَحْفَظْ بِرِعَايَتِكَ
بِرْجَامَا ، قَلْعَةً طُرُوداً الثَّانِيَةَ ، كُلَّ مَا أَفْلَتَ مِنْ أَيْدِي الدَّنَائِيِّينَ وَأَخِيلْيُوسَ
الْقَاسِي . مَنْ سَتَبِعَ ؟ أَوْ إِلَى أَيْنَ نَأْمُرُنَا بِالرَّحِيلِ ؟ وَأَيْنَ نَقِيمُ مُسْتَقَرًّا لَنَا ؟
لِنُظْهَرَ ، أَيُّهَا الْأَب ، عَلَامَةً لَنَا ، وَلِنُكَلِّمَهُمْ عَقُولَنَا . »

٩٠ ما إنْ نَطَقْتَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، حَتَّى بَدَأَ كُلُّ شَيْءٍ فِجَاءً وَكَأَنَّهُ يَهْتَرُ ،
هَكَذَا بَدَتْ أَفْنِيَّةُ الْإِلَهِ وَأَكَالِيلُ الْغَارِ الْخَاصَّةُ بِهِ ، وَالتَّلُّ بِأَكْمَلِهِ بَدَأَ وَكَأَنَّهُ
يَتَحَرَّكُ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ ؛ وَبَدَأَ الْمَرْجُلُ وَكَأَنَّهُ يَثْنُ بَيْنَمَا انْفَتَحَ الْمَحْرَابُ الْمُقَدَّسُ .
وَسَجَدْنَا مُلْتَمِسِينَ وَجْهَ الْأَرْضِ ، وَتَنَاهَى إِلَى آذَانِنَا صَوْتُ يَقُولُ :

« أَيُّهَا الدَّرْدَانِيُّونَ الصَّابِرُونَ ، إِنَّ الْأَرْضَ الْأُولَى الَّتِي مَنَحْتَكُمْ الْحَيَاةَ
مِنْ أَجْدَادِكُمُ الْأَوَّالِ هِيَ ذَاتُهَا الَّتِي سَوْفَ تَسْتَقْبِلُكُمْ ، عِنْدَ عَوْدَتِكُمْ إِلَيْهَا ،
بِصُلْبٍ رَحْبٍ . فَلْتَبْحَثُوا عَنْ أَمَّتِكُمُ الْأُولَى . فَمِنْهَا سَوْفَ يَبْسُطُ آلُ آيْنِيَّاسَ
نَفْوَذَهُمْ وَسُلْطَانَهُمْ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ ، هُمْ وَأَحْفَادُ أَحْفَادِهِمْ ، وَمَنْ سَيُولَدُ
مِنْ صُلْبِهِمْ . »

١٠٠ هَكَذَا تَحْدُثُ فُويُيُوسُ ، فَانْتَشَرَتْ مُوجَةٌ عَارِمَةٌ مِنَ السَّعَادَةِ تَصْحَبُهَا
هَمَمَاتٌ مُخْتَلِطَةٌ . وَتَسْأَلُ الْجَمِيعَ أَيْ مَدِينَةَ هَذِهِ الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا فُويُيُوسُ
هَؤُلَاءِ الْمَآثِمِينَ عَلَى وَجْهِهِمْ (١٣) ، وَيَأْمُرُهُمُ بِالْعَوْدَةِ إِلَيْهَا . عِنْدَئِذٍ قَالَ أُنَى ،
وَهُوَ يَقْلُبُ فِي سَجَلَاتِ السَّادَةِ الْأَقْدَمِينَ : « أَصْبِيحُوا السَّمْعَ ، أَيُّهَا النَّبَاءُ ،
وَلْتَعْرِفُوا عَلَى آمَالِكُمْ . فِي وَسْطِ الْبَحْرِ تَقَعُ كَرِيْتُ ، جَزِيرَةُ جُوبِيْتَرِ الْعَظِيمِ ،
حَيْثُ يَوْجَدُ جَبَلٌ إِيْدَا (١٤) ، وَمَهْدُ أَبْنَاءِ جَنْسِنَا . هُنَاكَ يَقِيمُونَ فِي مَائَةِ
مَدِينَةٍ ضَخْمَةٍ فِي مَمْلَكَةِ بِالْغَةِ الْخَصُوبَةِ . وَمِنْهَا — إِنْ كُنْتَ أَسْتَعِيدُ بِدَقَّةٍ
مَا سَمِعْتَهُ مِنْ قَبْلِ — أَبْجَرُ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَالْدُنَا الْأَكْبَرِ تَبُوكَرُ إِلَى السَّوَاوِلِ
الرُّوْبِيَّةِ (١٥) ، وَاخْتَارَ مَكَانًا لِمَمْلَكَتِهِ . وَحَتَّى ذَلِكَ الْوَقْتُ لَمْ تَكُنْ لِلْيَوْمِ

أو القلاع البرجامية قد أنشئت بعد ، بل كان السكان يقيمون في بطون
الوديان . ومنها أيضاً جاءت الأم ، التي كانت تسكن كويلوس (١٦) ،
وصناع الكوريبانتيس ، وأجمة إيدا ، من هنا نشأت خفايا عبادتها السرية ،
وظهرت الأسود مشدودة إلى عجلة الإلهة (١٧) : فلتنسرعوا إذن ، ولتتبع
ما تقودنا إليه أوامر الآلهة . فلنهنأ من ثورة الرياح ، ولنسج إلى الممالك
الجنوسية (١٨) . إنها ليست على مسافة بعيدة ، فإن أكرمنا جوبيتر ،
فسوف يستقبل الفجر الثالث أسطولنا على الشواطئ الكريتية . وبعد أن فرغ
من حديثه ، قدم الذبائح اللائقة على المذابح المقدسة : ثوراً للإله نبتونوس ،
وثوراً لك ، أيها الوسيم أبوللون ، وحملاً أسود لشخص هيمس ، وآخر
أبيض لأرواح زفيروس المواتية (١٩) .

١٢٠

انتشرت رواية مؤداها أن القائد إيدومنيوس (٢٠) كان قد رحل مطروداً
من مملكة آبائه ، وأن شواطئ كريت قد تركت مهجورة ، ومنازلها قد
خلفت من الأعداء ، ومواقعها قد تتركست مستعدة لاستقبالنا . تركنا ميناء
أورتيجيا ، وأسرعنا فوق سطح البحر ، مارين بنا كسوس ، حيث تعترضك
على مرتفعاتها صرخات عابدات باكخوس ، ودونوساً الخضراء ، وأولياريوس ،
وباروس الثلجية اللون ، ومجموعة الكوكلاديس المنثورة فوق سطح الماء ،
وسلكنا مضائق بحرية تتقاذفها جزر متعددة . وتعال صيحات البحارة
في تنافس غيور ، وأخذ الرفاق يحثون بعضهم بعضاً . « فلنسج إلى كريت
وإلى أجدادنا الأولين » . كانت الرياح أثناء هبوبها على مؤخرات السفن
تبعنا ونحن مبحرون ، حتى وصلنا أخيراً إلى شواطئ الكوريبتيس العتيقة .
وبدأت أعمل بشغف في بناء أسوار المدينة المختارة ، وأسميتها برجاما ،
وأحث شعبي الذي فرح بهذا الاسم العريق على عشق منازل وإقامة قلعة ذات
أسقف . وما أن رست السفن . على الشاطئ الخلف ، وانشغل الشباب
في الاحتفالات بالزواج وبالقول بالحديث العهد ، وبينما كنت أسن القوانين
وأقيم المباني ، حل على غرة طاعون مدمر أتى على عامة الرجال ، وهبط

١٣٠

وباء من السماء ليحطّ على الأشجار والمحاصيل النباتية ، فلقد كان عاماً يحمل معه الموت . فارتقت البهجة نفوس الرجال ، أو أخذوا يجرّون وراءهم أجساداً عليلة . وبدأ سيرْيوس (٢١) يصب زمهريره على الحقول المحدبة ، ولم تكف المحاصيل الموبوءة أوقاتنا الضرورية . أشار عندئذ والذي بأن نركب البحر عائدين إلى نبوءة أورتيجيا وإلى فوييوس نسأله الصفيح علّنا نعرف أى مصير يدبره لأحوالنا السيئة الراهنة ، ومنّ يأمرنا أن نستمد العون في محنتنا وإلى أى جهة نتجه في سيرنا .

حلّ الليل ، وجثم النوم على كل المخلوقات الحية على وجه الأرض ، وإذا بالتأميل المقدسة للآلهة وبآلهة البيئاتيس الفروجية ، التي حملتها معي من طروادة - بعد انتزاعها من وسط حرائق المدينة - ، تتجلى أمامي واقفة - وأنا مستغرق في النوم - واضحة كل الوضوح في الضوء القوي ، الذي يبعث به القمر المكتمل من خلال النوافذ المقامة على الجدران . ثم تحدثت إلىّ ، فأزاحت بحديثها هذا همومي وأحزاني :

« إن ما كان سيقوله أبوللون لك ، عندما تصل إلى أورتيجيا ، يقوله الآن لك ، . لقد أرسلنا إلى أعتابك دون أن نطلب أنت ذلك . فلقد تبعناك أنت وأسلحتك بعد أن دمرت النيران دردانيا . لقد اجتزنا البحر الهائج على متون السفن تحت إمرتك ، وكذلك فإننا سوف نُعلّي من شأن ذريتك المنتظرة حتى يصل إلى مواقع النجوم ، وسوف نمنح السلطان لمدينتك . فلتُعدّ مدينة عظيمة أرجال عظماء ، ولا تهرب من مشاق الترحال المستمرة . عليك أن تغير مكان إقامتك . فليست هذه هي الشواطئ التي أشار بها عليك إله ديلوس ، وليست كريت هي التي أمرك أبوللون (٢٢) بالاستقرار فيها . بل هناك منطقة يسميها الاغريق هسبريا ، منطقة عتيقة ، قوية بأسلحتها ، خصبة تربتها ، كان يسكنها شعوب الأوينوترى (٢٣) . أما الآن فهناك رواية تقول إن شعباً حديث العهد قد أسماها إيطاليا ، نسبة إلى قائده (٢٤) . تلك هي مستقرنا الحقيقي ، فمنها انحدر دردانوس ، ووالدنا آياسوس ، الذي

انحدرت منه سلاتنا . هياً فلتنهض الآن ، ولتحمل إلى أيك المسن - وأنت
 تحس بالسعادة أثناء ذلك - هذا القول الذى لا يقبل الشك : أن تسعى إلى
 كوروثوس وأراضى أوسونيا - ؛ فإن جوبيتر لا يعترف بحقكم فى الحقول
 الديكتائية ١٧٠ (٢٥) .

أصابتنى هذه الرؤيا وذلك الصوت الإلهى برهبة - لم يكن ذلك مجرد
 أضغاث أحلام ، بل بدا لى بوضوح أنى قد تعرفت على المحيى الإلهى وعلى الشعور
 المرسله والوجوه الحية المجسمة ، بينما سرت رعدة باردة للذبذة فى جميع
 أعضاء جسدى ، فانتزعت جسدى من الفراش ، ومددت راجتى نحو السماء ،
 رافعاً صوتى بالدعاء ، ساكباً السائل الطاهر على الموقد المقدس . بعد أن
 انتهيت من القيام بهذا الطقس ، أخبرت أنخيس ، وأنا أحس بالسعادة ،
 وكشفت له عن الرؤيا بكل تفاصيلها : فأدرك أصل جنسنا المزوج ، وفطن
 إلى ازدواج منبت أجدادنا . فلقد كان هو نفسه قد جانيه الصواب نتيجة
 تفسير خاطئ يتعلق بأرضنا القديمة . عندئذ عاودته الذكرى ، فقال : ١٨٠

« أئى بئى ، يا من أجهلك مستقبل اليوم وأضناك ، إن كساندرا
 وحدها هى التى أنبأتنى بذلك المستقبل . وإنى لأتذكر الآن كيف تنبأت بهذا
 المستقبل الذى ينتظر شعبنا ، وكيف كانت تنطق دائماً اسم هسبيريا والممالك
 الإيطالية . لكن ، من كان يصدق أن التيوكرين سوف يصلون إلى شواطئ
 هسبيريا ؟ أو فيمن كانت تؤثر كساندرا (٢٦) بنبوءاتها فى ذلك الوقت ؟
 فلنستسلم لفويبوس ، ولننتصح بأمره ، فنسلك أفضل الطرق » . هكذا قال ،
 فأطعنا جميعاً أوامره والبهجة تملأ نفوسنا . هجرنا ذلك المستقر الثانى أيضاً ،
 تاركين وراءنا بعضاً منا ، ونشرنا القلاع ، وأسرعنا فوق سطح البحر الرحب
 بسفنتنا المجوفة . ١٩٠

اعتلت سفنتنا أعالى البحار ، ولم تعد اليابسة تظهر على الإطلاق أمام
 الأعين ، بل أصبحت السماء تحوطنا من كل جانب والبحر يشملنا من كل

ناحية . عندئذ اقتربت فوق رأسى سحابة داكنة ، تحمل بين طياتها ظلاماً دامساً وعاصفة هوجاء ، وثارَت الأمواج تحت جنح الظلام . وطوت الرياح صفحة البحر ، وارتفعت الأمواج ارتفاعاً شاهقاً . وتفترقنا بينما كانت تتقاذفنا دوامات هائلة . وحجبت السحب ضوء النهار ، وأخفى الظلام الرطب وجه السماء . ومرق البرق مراراً وتكراراً من بين السحب الممزقة . ثم اندفعنا ٢٠٠ بعيداً عن سيرنا المعتاد ، وأخذنا نضرب على غير هدئ بين الأمواج العاتية . وحتى بالينوروس نفسه فقد اعترف بعدم قدرته على التمييز بين الليل والنهار في السماء ، وأنه ما عاد يتذكر معالم الطريق وسط البحار . أخذنا نهم فوق سطح البحر ثلاثة أيام كاملة بلا شمس وثلاث ليالٍ حالكة بلا نجوم . وفي اليوم الرابع ظهرت الأرض أخيراً ولأول مرة ، شاخصة أمامنا ، كاشفة عن تلال بعيدة ، مرسلّة إلى أعلى أعمدة من الدخان . عندئذ طويّنا القلاع ، وأفرغنا في المخاديف كل طاقتنا . وبلا تلكؤ شقّ البحارة الزبد ، ومرقوا فوق مياه زرقاء .

بعدما نَجَوْتُ من الأمواج ، كانت شواطئ ستروفاديس أول ما استقبلني : وستروفاديس هو الاسم الإغريقي الذي تعرف به مجموعة من الجزر تقع في البحر الأيوني العظيم ، بها تقيم كيلاينو ، التبذيرة بالسوء ، والحاربيات الأخريات (٢٧) ، منذ أغلق قصر فينيوس عليهن فهجرن في فرع الموائد القدمة . ما من وحوش أكثر تعطشاً للدمار ، أو وباءً أو غضبٍ إلهي أنجبته الأمواج الإستيجية أكثر وحشية من تلك المخلوقات . فهن مجنحات ، هن وجوه العذاري ، يقذفن من أحشائهن بأقنر القاذورات ، أيديهن ذات مخالب ، ووجوههن دائمة الاصفرار من الجوع (٢٨)

٢٢٠ عندما وصلنا إلى هناك ، دخلنا المرفأ سويّاً للعجب !! — رأينا قطعاناً مرحة من الثيران منتشرة في السهول ، ورأينا الماعز ترعى بلا راع بين الحشائش . فاندفعنا صوبها بسيوفنا ، ودعونا الآلهة وچوبيتر ذاته ليقاسمونا غنيمتنا . ثم أعددنا الموائد على الشاطئ المتعرج ، وأقمنا وليمة سخية . وعلى

حين غرة ، فاجأتنا الماريبات من فوق الجبال ، وقد اندفعن بطريقة مروعة ،
بحركن أجنتهن فيحدثن جلبة عالية ، لقد أتين على الطعام ، ودنسن
كل شيء بلمساتهن القذرة ، وكن يصدرن أصواتاً قبيحة ويبعثن برائحة
كريمة . وبدأنا مرة أخرى في إقامة ملجأ عميق تحت صخرة مجوفة ، محاطة
بالأشجار من جميع الجهات وبالظلال المرتعشة ، وأعدنا تجهيز الموائد
وإشعال النيران فوق المذابح . ومرة أخرى أتت ، من الجهة المقابلة من السماء ،
تلك الجمهرة الصاخبة ، جاءت من مأواها الدفين ، وحامت حول غنيمتها
بأقدامها المخيلية ، ودنست الوليمة بأفواهها . عندئذ طلبتُ من رفاقي أن يحملوا
السلح ويشنوا حرباً على تلك الفئة اللعينة . ولم يفعلوا سوى ما طُلب منهم ،
أخفوا سيوفهم بين الحشائش ، وواروا نزوعهم عن الأنظار . وعندما هوت
تلك المخلوقات من أعلى ، وهى تصدر أصواتها عبر الشاطئ المتعرج ، أعطى
ميسينوس — من نقطة مراقبة مرتفعة — إشارة الهجوم بتغييره النحاسى المخوف .
واندفع رفاقي واشتبكوا في معارك من نوع غير عادى ، ليجندلوا بسيوفهم
بمخلوقات البحر الكريمة ذات الأجنحة . لكن ما من ضرٍ أصاب ريشهن ،
وما من جرح لحق بظهورهن . بل اندفعن في حركة هرب سريعة تحت النجوم ،
وتركن وراءهن بقايا الوليمة وآثاراً دنسة لأقدامهن . واستقرت كيلابينو ،
التيذيرة بالسوء ، بفردتها فوق صخرة شامخة ، وهى تبعث من أعماقها بهذه
الكلمات :

« أحقاً ، يا أبناء لاعوميدون ، هذه حرب من أجل أن تذبخوا الثيران
وتنحروا الأبقار ، أم هى حرب تستعدون لشنها كى تطردوا الماريبات
البريئات من مملكة أجدادهن ؟ فليستعوا إذن كلماتى هذه ، ولتمنعوا التفكير
فيها ، إن ما صرح به أبو الآلهة ، القادر على كل شيء ، إلى فوييوس قد صرح
به فوييوس أبوللون إلى ، وأنا — كبرى إلهات الغضب — بدورى أصرح
به الآن إليكم . إنكم توافون وجوهكم شطر إيطاليا ، وبعد أن تنضرعوا
للرياح ، فإنكم سوف تصلون إلى إيطاليا ، وسوف يُسمح لكم بدخول

مرفأها ، لكنكم لن تحيطوا بمديتكم الموعودة بالأسوار إلا بعد أن يدفعكم
الجوع القارص ، لقاء ما انزلتموه بنا من مذبح ظلمة ، إلى أن تنتحوا بأسنانكم
الموائد الخاوية . » هكذا قالت ، ثم قفلت هاربة إلى الغابة ، وهى تنج
إلى أعلى بواسطة أجنحتها .

عندئذ تجمدت الدماء فى عروق رفاقي من الخوف المفاجئ ، وانهارت ٢٦٠
معنوياتهم : وليس بالأسلحة فى هذه المرة ، بل بالتوسلات والدعوات ،
سألوني أن أطلب الصفح ، سواء أكانت هذه المخلوقات إلهات أم مخلوقات
بجنحة دنسة كريهة . فنطق والدى أنخسيس ، وهو على الشاطئ ، بأسماء
الأرباب العظمى ، وهو رافع يديه ، وأشار علينا بتقديم القرابين اللائمة ،
وهو يقول :

« أيتها الآلهة ، فلتمنعنى تنفيذ هذا الوعيد ، أيتها الآلهة ، فتحولى دون
وقوع هذه الكارثة ، ولتقضى الأتقياء برحمتك . » ثم سألنا أن نفلح حبال
السفن من الشاطئ ، وأن ننشر القلاع . وملأت ريح الجنوب الأشرعة ،
وأسرعنا فوق الأمواج المزبدة ، إلى حيث تدفعنا الرياح ويوجهنا ماسكو الدفة .
وظهرت بين الأمواج زاكيتوس (٢٩) ، المليئة بالغابات ، ودوليخيوم ، ٢٧٠
وسامى ، ونريتوس ، ذابت الصخور الوعرة . ومررنا على عجل بمرتفعات
إيثاكا ، مملكة لاثريوس (٣٠) ، وصبينا اللعنة على تلك الأرض ، معقل
أوديسيوس القاسى . وسرعان ما ظهرت أمام الأعين قمم جبل لويكانا ،
المليئة بالسحب ، ومعبد أبوللون الذى يهابه البحارة . سعيانا إلى ذلك المكان .
وقد بلغ بنا التعب مبلغه ، واقربنا من تلك المدينة الصغيرة . ثم قذفنا بالمراسى
من مؤخرات السفن فاستقرت السفن على الشاطئ .

لذلك ، فعندما لمست أقدامنا أرضاً لم نكن نحلم بها ، طهرنا أنفسنا استعداداً
لتكريم جوبيتر ، وأخذنا نشعل المذابح بالنذور ، ومألنا شواطئ أكثيوم (٣١)
بالألعاب الطروادية . إذ خلع الرفاق ملابسهم ، ودهنوا أجسادهم بالزيت ، ٢٨٠

وظفّقوا يزاولون الألعاب الوطنية ، وقد غمرت السعادة نفوسهم لمروهم
سالمين على ذلك العدد الهائل من المدن الأرجولية ، ومنابرتهم على متابعة
السير وسط الأعداء . في هذه الأثناء كانت الشمس قد أكملت دورتها
الحولية الكبرى ، والشتاء القارص قد كدر أمواج البحر بفعل ريح الشمال
العاصفة . وثبتت على أعمدة المدخل درعاً من برونز مطروق ، كان
يحملة أياص (٢٢) العظيم ، ونقشت عليه هذه العبارة شعراً :

« هذه الأسلحة انتزعها آينياس من الدنائين المتصرين »

بعدئذ أصدرت أوامري بترك المرفأ ، وشغل مقاعد المجدفين . وبكل
حماس وتنافس ضرب رفاقي الماء وانزلقوا فوق سطح البحر . وسرعان
ما رأينا مرتفعات فاياكيا ، التي تناطح السحاب ، تتوارى عن الأنظار
شيئاً فشيئاً ، ومررنا بشواطئ إيبروس ، ودخلنا مرفأ خاءوثيا ، واقتربنا
من مدينة بوثروتوم الشاخنة .

٢٩٠

هنا تبلغ مسامعنا قصة تفوق التصور : أن هيلينوس ، ابن برياموس ،
يحكم عدداً من المدن الأغريقية ، بعد أن استولى على زوجة بروس الأياكيدى
ومملكته . كما أن أندروماخي قد عادت مرة أخرى إلى أحضان زوج
من بنى جلدها . فانتابني الدهشة ، واشتعل صدرى برغبة ملحة للقاء هذا
الرجل ، كى أعرف كيف وقعت هذه الأحداث المذهلة . وما أن توغلت
في اليابسة بعيداً عن الميناء ، تاركاً ورائى السفن والشاطئ ، فإذا بأندروماخي
أمامى مصادفة ، في أجمة قبل المدينة ، بجوار مياه سيمويس الزائف (٢٣) ،
تقيم الولائم وتقدم هبات جنازية لرماد شخص ميت ، وتصرخ ، منادية
شيخ هيكتور (٢٤) ، بجوار قبر خال تكسوه حشائش خضراء ، عليه مذبحان ،
أقامتهما ككان مقدس تزرّف الدمع فوقه . وما أن لمحتنى قادماً ، ورأت ،
وذهنها شارد ، الأسلحة الطروادية من حولى ، حتى أصابها الفزع لذلك
المشهد المذهل ، وثبتت نظراتها وحملت عينها ، وهجر الدفء عظامها .

٣٠٠

تراجعت إلى الخلف ، وأخيراً ، وبعد فترة طويلة ، نطقت بصعوبة باللغة
هذه الكلمات :

٣١٠ « هل وجهك حقيقي وليس خيالا ؟ أجتني رسولا حقاً ، يا ابن الإلهة ؟
أحي ترزق أنت ؟ وإن كان ضوء الحياة قد فارق جسدك ، فأين هيكتور ؟ »
هكذا تحدثت ، ثم طفقت تلعرف الدمع ، وتملأ المكان كله بصراخها .
وبعد جهد بالغ ، توجهت بوضع كلمات إليها وهي ذاهلة ، وتحدثت بصوت
متهدج ونفس مضطربة :

« حقاً ، إنني حي أرزق . أقضى حياتي عبر كل الصعاب . لا تدعى
الشك يتسرب إلى نفسك ، فإن ماتراه عينك حقيقة واقعة . واأسفاه !!
أى مصير تلقفك ، بعدما انتزعت من ذلك الزوج العظيم ؟ أو أى حظ
سعيد عاد إليك ، يا زوجة هيكتور ، يا أندروماخي ؟ أما زلت تحرصين
على زواجك من بروس ؟ » . هنا توجهت بنظراتها إلى أسفل ، وتكلمت
بصوت خافت :

٣٢٠

« أيتها العذراء ، يا ابنة برياموس ، أيتها السعيدة وحدك دون بناته
الأخريات (٣٥) . فلقد صدر الحكم بإعدامها تحت أسوار طروادة الشاحخة
بجوار مقبرة واحد من الأعداء . لم يصيبها عار التوزيع بالاقتراع (٢٦) ،
ولم تذهب أسيرة لتنام في فراش سيدها المنتصر !! أما نحن ، فبعد أن احترق
وطنتنا ، نقلنا عبر بحر غربية نائية ، وعانينا من غطسة سليل أخيليوس
اليافع ، لننجب أطفالاً في ظل العبودية . وعندما طفق بعد ذلك يغمر
بهرميوني (٢٧) ، سليل ليدا ، وشرع في الزيجة الاسبرطية ، سلمني
إلى هيلينوس - لقد سلم أمة إلى عبد ليمتلكها . لكن أورستيس - وقد
ألهبته نيران عشقه لعروسه المغتصبة ، وذهبت بعقله إلهات الغضب بسبب
جريمته التي ارتكبها - أوقع به على غرة ، وقتله فوق مذابح أجداده (٣٨) .
وبعد موت نيوبتوليموس ، آل جزء من مملكته إلى هيلينوس ، سماه بالسهول

٣٣٠

الخاءونية ، ثم أطلق على المنطقة بأكلها اسم خاءونيا ، نسبة إلى خاءون الطروادى ، وأقام فوق مرتفعاتها برجاً موم أخرى وهذه القلعة التى تشبه قلعة إليوم (٣٩) . لكن ماذا عنك أنت ؟ أى ربح ، وأية أقدار وجهتك إلى هذا الطريق ؟ أو أى إله دفع بك ، دون أن تدري ، إلى شواطئنا ؟ كيف حال الصبي أسكانيوس ؟ أما زال على قيد الحياة ؟ أما زال يتنفس الهواء ؟ ذلك الصبي الذى ، عندما كانت طروادة (٤٠) ومع ذلك ، أما زال الصبي يتوق إلى أمه التى فقدتها (٤١) ؟ هل أبوة إينياس له وخوولة هيكتور (٤٢) تنمى فيه فضيلة الأجداد وإقدام الرجولة ؟ .

هكذا كانت الكلمات تنساب من فمها ، وهى تنرف الدمع ؛ ثم بدأت نواحاً لم ينقطع ، حتى جاء من المدينة البطل هيلينوس ، ابن برياموس ، وحوله جمع غفير من الرفاق . تعرف فينا على أثاربه ، وقادنا مسروراً إلى قصره ، وهو يلرف الدمع الغزير بين كلماته المتقطعة . تقدمت وراءه ، فتجلت أمام عيني طروادة صغيرة وصورة طبق الأصل من برج موم العظيمة ومجرى نهر جاف أطلق عليه اسم كسانثوس ، ودرت حول بوابة تبدو وكأنها بوابة سكاييا (٤٣) . أثناء ذلك استمتع التيوكريون أيما استمتاع فى تلك المدينة الصديقة ، فقد احتفى بهم الملك فى أروقة القصر الرحبة : فراخوا يسكبون أوانى النبيذ وسط القاعة الرئيسية للقصر ، وعسكون بأكواب الشراب وقد وضعت أمامهم الأطعمة فى أوانٍ من ذهب .

مرت الأيام ، يوماً بعد يوم ، وداعب النسيم قلاع السفن ، وانتفخت الأشعة بريح الجنوب العاتية : فتوجهت بهذه الكلمات إلى العراف (٤٤) ، وهكذا سألته :

« ياسليل طروادة ، يا مفسر دلائل السموات ، يا من تعلم مشيئة فويوس ومراكز عبادته وغار كلاريوم ، يا من تنهم أسرار النجوم ولغة الطيور وما تبشر به حركة أجنحتهم ، هيا ، فلتخبرنى — فلقد حددت قوى السموات

الجليلة مسارى بأكله ، وحشّنى الآلهة برُمّتها على الاتجاه نحو إيطاليا واكتشاف أرض نائية . وليس هناك سوى كيلابينو الهاربية التى نطقت بنذير شؤم . يحرم النطق به - ، وتوعّدنا بالتعرض لـ غضب وحشى ومجاعة مهلكة - . فلتخبرنى إذن ، ما الأخطار التى على المبادرة بتحاشيها ؟ وكيف على أن أسلّك حتى أصبح قادراً على التغلب على تلك الصعوبات البالغة ؟ » .

لذلك ، فقد ذبح هيلينوس من فوره عجولاً - حسب العادة المتبعة - ، ٣٧٠
وطلب السلام من الآلهة ؛ ثم رفع الأكاليل عن جبينه المقلّص ، وقادنى بيده إلى أعتابك ، يافويوس ، وقد وقع تحت تأثير قوة إلهية عظيمة ، ثم نطق بهذه الكلمات القدسية من فمه المقدس :

« يا ابن الإلهة ، لما كان هناك دليل جلى على أنك سوف تضرب فى عرض البحر تنفيذاً لبشائر سماوية سامية - فهكذا يقرر ملك الأرباب المصائر ، ويكشف عن التحولات المستقبلية ، وهذا هو نظام الكون - ، فإننى سأفضى إليك فى حديثى بقليل من كثير ، حتى تجوب بحاراً مضيافة وأنت أكثر اطمئناناً ، وحتى تستطيع أن تجد الاستقرار فى مرفأ أوسونيا ، لأن ربّات القدر يُحرّمْنَ على هيلينوس أن يعرف أكثر من ذلك ، كما أن جونو ، ابنة ساتورنوس ، تمنعه من الكلام . ٣٨٠

أولا وقبل كل شيء ، من الجهالة بمكان أن تعتقد أن إيطاليا تقع على مقربة منك ، وأن الموانئ التى تستعد الآن اغتروها فى تناول يدك . إذ يعزها عنك طريق طويل لم تطأه قدم ، يمرّ فى أراضٍ ممتدة شاسعة . ينبغى أولاً أن يضرب مجدافك بقوة فى مياه تريناكريا ، وأن تمخر بسفنك مياه أوسونيوم الملحة ، وتمر بالبحيرات الواطئة وجزيرة كيركى الآيبية (٤٥) ، قبل أن تستطيع إقامة مدينتك فوق أرض آمنة . وسأنضى إليك الآن بعلامات عليك أن تحفظها فى ذاكرتك جيداً . فعندما تجد ، أثناء حيرتك ، مجوار مياه الحجرى المنزل (٤٦) ، تحزيرة ضخمة ، مستلقية تحت أشجار البلوط على الشاطئ - ٣٩٠

بعد أن تكون قد وضعت ثلاثين مولوداً — لو أنها أبيض ، راقدة على الأرض ،
وقد التف حول أئدائها صغارها بلونهم الأبيض ، سوف يكون ذلك المكان
هو مكان المدينة ، وسوف يصبح ذلك المستقر راحة أكيدة لك من المشاق .
لا تتخف من تحت الموائد الخالية بالأسنان في المستقبل ، فسوف تشق
لك الأقدار طريقاً ، وسوف يساعدك أبوللون عندما تتوصل إليه . ولكن عليك
أن تتحاشى تلك الأراضي الواقعة على الشريط الساحلي من إيطاليا القريب
منا ، والذي تغسله أمواج بحرنا^(٤٧) ، فكل مدنه يقطنها الإغريق
الأشرار^(٤٨) . فهنا قد أقام اللوكريون ، المنحلرون من مدينة تاريكس^(٤٩) ،
مدينتهم ، وأحاط أدومنيوس اللوكي^(٥٠) السهول السالتيينية بالهند والسلاح .
وهنا أيضاً مدينة القائد الملبى فيلوكتيس ، مدينة بتليا الصغيرة بأسوارها
المحكمة^(٥١) . بل أكثر من ذلك ، فعتما تكون سفنك قد عبرت البحار
وألقت مراسيها ، وعندما تبني المذابح بعدئذ وتني بالتذور على الشاطئ ،
فلترتد رداء قرمزياً يغطي شعرك ، حتى لا يظهر — أثناء تكريمك للآلهة —
وجه معاد وسط النيران المقدسة فيفسد عليك كل شيء^(٥٢) . عليك أن
تحافظ ، أنت ورفاقك ، على هذا الأسلوب من التكريم ، وأن تجعل أحفادك
يحافظون عليه أثناء عبادتهم وهم طاهرون . ولكن عندما تدفعك الرياح
أثناء رخيالك إلى شواطئ صقلية ، وعندما تفتيح أمامك مضائق بيلوروس
الضيقة ، فلتتجه إلى اليابسة الواقعة على يسارك ، ولتسلك الطريق الدائري
الطويل في المياه الواقعة على يسارك أيضاً ، ولتتجاش اليابسة والماء الواقعين
على يمينك . إذ يقال إن هذه الأراضي قد تمزقت في الأزمان الغابرة ،
إنكسرت وانشقت بفعل قوة هائلة — فالزمن جبّار ولا يغير من جبروته سوى
كل ما هو متناه في القدم — . ولقد حدث ذلك عندما كان الشطران أرضاً
واحدة ، لا فاصل بينهما ، ثم تدفق البحر من بينهما باندفاع جنوني ، فاصلاً ،
بأمواجه العاتية ، ساحل هسبيريا عن ساحل صقلية ، غاسلاً ، بتدفعه المحصور ،
الأراضي الحصبة والمدن المشورة على طول الساحلين . إن الجانب الأيمن تحرسه

سكيلا ، والأيسر تحرسه خاربيديس (٥٣) ، الغاضبة على الدوام ، التي تبذل بدوامه لبحرها السحيقة الأمواج العاتية ثلاث مرات وتقذف بها إلى الأعماق ، ثم تعود وتلفظها مراراً إلى أعلى ، وتجلد النجوم بسيطا من المياه . أما سكيلا فإنها حبيسة في أغوار كهفها المظلمة ، تمد أفواها وتجتذب السفن إلى داخل الصخور . مظهرها من الأمام مظهر آدمي ، فهي حتى الحصر فتاة ذات صدر رائع الجمال ، أما من الخلف فهي تتين بحري ، ذو جسد مهول ، له أذيال دراقيل متصلة بيطن دُثب . إنه لمن الأفضل أن تصل إلى المكان الذي تقصده في باخينوس الترينا كرية دون عجلة ، وأن تسلك طريقاً طويلاً أثناء رحلتك ، فهذا أفضل من أن تقع عينك مرة واحدة على المستخ سكيلا في كهفها المهول ، وعلى الصخور التي تردد صدأ أصوات كلاب البحر الداكنة اللون .

فضلا عن ذلك ، فإن كان هيلينوس يتمتع بشيء من الفراسة ، وإن كان للعراف أن يكتسب قدرًا من الثقة ، وإن كان أبولون قد ملأ روحه بالحقيقة ، فهذا الشيء وحده ، يا ابن الإلهة ، هذا الشيء وحده ، دون جميع الأشياء الأخرى ، أتنبأ به لك ، وأكرره عليك مرة بعد أخرى ، وأنصحك به مراراً وتكراراً : لتجد جلال الإلهة جونو المحيطة ، قبل كل شيء ، بالصلاة والابتهاال ، لتف بنبورك إلى جونو وحدها ، بنفس راضية ، ولتكتسب السيدة القادرة إلى جانبك بالهبات والتوسلات (٥٤) . فهكذا سوف تترك أخيراً ترينا كريا ، وتدفع متصراً نحو تخوم إيطاليا . وعندما تحط رحالك هناك ، وتقرب من بلدة كوماي ، والبحرات المسكونة ، وأفرنوس ، المليئة بخيف الغابات ، ستقع عينك على عرافة ملهمة ، تنبأ ، في كهفها العميق المنحوت في الصخر ، بالمصائر والأقدار ، وتسجل نبؤاتها على أوراق الأشجار في صورة علامات ورموز (٥٥) . إن ما تكتبه هذه العلراء من أشعار على أوراق الأشجار تربية ، وتركه مختزناً في الكهف . وتظل تلك الأوراق في أماكنها بلا حراك ، لا تترجح من مواقعها . ولكن عندما يتحرك المزلاج ، وتدفع نسمة من هواء من خلال الباب المفتوح فتتحرك

الوريقات الرقيقة من مستقرها وتبعثرها ، فإن العذراء لا تلقى لها بالاً ،
ولا تحاول الإمساك بها ، بينما هى تتطاير فى ساحة الكهف الصخرى ،
٤٥٠ ولا تعيدها إلى أماكنها ، أو تربط بين أنبيات أشعارها المبعثرة . وهكذا ،
يرحل الناس ، دون أن يتلقوا مشورة أو نبوءة ، وكلهم حتى وسخط على
مقر الكاهنة ومسكنها . هناك ، لا تعتبر مرور الوقت مضيعة - حتى وإن
كان زملاؤك يحشونك على الرحيل ، حتى وإن كان الرحيل ينادى شرارك
إلى غرض البحر ، أو حتى إن كان كل ما عليك أن تفعله هو أن تملأ ثنياه
بالرياح المواتية ، - هناك ، لا تعتبر مرور الوقت مضيعة ، فيمنعك ذلك
الاعتبار من زيارة الكاهنة والتوسل إليها بالصلوات كى ترنم هى نفسها
لك بالنبؤات وأن توافق على أن تخرج أقوالها من بين شفثتها . وسوف تحدث
إليك عن شعوب إيطاليا ، وتكشف لك عما ستخوضه من حروب فى المستقبل ،
وعن وسيلة تخشى المتاعب أو التغلب عليها .. وبعد أن تُظهر لها التجيل
والورع ، ستبتحك رحلة سعيدة موفقة . هذا كل ما هو مسموح لى أن أنطق
٤٦٠ به كنصيحة لك . فلتذهب الآن فى طريقك ، ولترفع بأعمالك المحبذة طروادة
شاحنة إلى عنان السماء .

بعد أن نطق العراف بهذا الحديث من فمٍ ودود ، أصدر أوامره
بأن تُحمّل إلى السفن هدايا من ذهب ثقيل الوزن ، ومن عاجٍ مصقول .
وكدس على ظهر السفن فضة هائلة وأوان دودونية (٥٦) ، ودرجاً منقوشاً
عليها بالذهب نقشاً ثلاثياً ، وخوذة رائعة مدببة تتدلى منها خصلات من الريش ،
كانت تلك أسلحة نيوبتوليموس . وأعطى أبى أيضاً نصيبه من الهدايا . كما أتى
٤٧٠ لنا بمزيد من الخيول ، وبمرشدين ليرشدونا وملاً بمقاعد
سفنتنا بالمجدفين ، وزود فى نفس الوقت رفاقى بالسلاح .

فى تلك الأثناء أمر أنخيسين بنشر الأشرطة حتى لا يفوت علينا تباطؤنا
الاستفادة بالرياح المواتية . فاتجه إليه كاهن أبوللون باحترام قائلاً : « أتى
أنخيسين ، يا من استحققت زيجة سامية بالإلهة فينوس مدلهة الآلهة ،

يا من أنقذت مرتين من بين أنقاض برجاموم (٥٧) - انظر !! - أمامك تمتد أرض أوسونيا . فلتشر الأشرعة وتستولى عليها . ومع هذا ، فعليك أولاً أن تركب البحر وتمرّ بهذا الشاطئ القريب ، فذلك الجزء البعيد من أوسونيا هو الذى يكشف عنه أبوللون » . ثم قال أيضاً : « اذهب ، مبارك أنت ٤٨٠ في ظل حبّ ابنك لك . لم استمر في حديثي ، وأضيع عليك بثر ثرى الرياح المواتية ؟ » .

أما أندروماخي ، التي لم تكن أقل حزناً لهذا الوداع الأخير ، فقد أحضرت ثياباً مزركشة ، استخُدم في نسجها خيوط من الذهب ، وعباءة فروجية لأسكانيوس - إنها لا تفتقر إلى الدماعة والكياسة ، فقد أثقلته بهدايا من مغزها - . ثم تحدثت إليه هكذا : « خذ أنت أيضاً ، يا بنى ، هذه الهدايا لتصبح تذكراً عندك من يدي ، وشاهداً على الحب الأبدى الكامن في قلب أندروماخي زوجة هيكتور . لتأخذ هذه الهدايا الأخيرة من قريب لك في الدم ، أيها الشبيه الحى الوحيد لعزيرى أستيانا كس (٥٨) . لقد كان له عينان مثل هاتين العينين ، ويدان مثل هاتين اليدين ، ووجه مثل هذا الوجه . ولو أنه ظلّ حياً ، لكان قد اكتمل ونضج في مثل سنك تماماً . » ٤٩٠

أما أنا فقد بدأت أذرف الدموع عند وداعهم ، بينما كنت أقول لهم . « لتحيوا في سعادة وهناء ، يا من أنجزتم ما كتب عليكم وانتهى سعيكم . أما نحن فلا تزال الأقدار تتنادينا من مصير لآخر . لقد نلتّم راحتكم لم يتعدّ أمامكم بحار عليكم أن تضربوا فوق سطحها ذهاباً وإياباً ، ولا حقول أوسونيا دائمة التراجع عليكم بالسعى وراءها . إنكم ترون بأعينكم صورة من كسانثوس ونسخة من طروادة ، التي أقامتها أيديكم بناء على بشارت سارة ، كما أتمنى ، والتي سوف تكون بمنأى عن الإغريق . وإن كان لى أن أدخل أرض التيبر وما يجاورها من حقول ، وإن كان لعينى أن تريا مدينة يملكها ٥٠٠ بنو جلدى ، فإن هاتين المدينتين ، بشعبيهما المتجانسين ، - في كل من إبيروس وهسبيريا - ، اللتين انحدرتا من جدّ واحد ، هو جردانوس ، وتعرّضتا

لتنفس الأحداث المؤلمة—سوف نعمل بقلوبنا على أن يصبحنا طروادة واحدة—
ولتكن هذه على الدوام رغبة أحفادنا وشغلهم الشاغل .

حملنا البحر بالقرب من مرتفعات كيراونيا المجاورة ، فمن هناك يمتد
طريق إيطاليا ، هو أنهر الطرق البحرية . أثناء ذلك كانت الشمس قد غربت ،
والتلال قد غرقت في أعماق الظلام . وبعد أن وزعنا نوبات الحراسة ، ٥١٠

ألقينا بأنفسنا على صدر أرض—كُنّا في شوق إليها—بجوار الماء ، وأنعشنا
أجسادنا على الشاطئ الخاف . عندئذ تساقط النوم على أطرافنا المجهدة
كما تساقط قطرات الماء . وما كاد الليل ، الذي تسوقه الساعات (٥٩) ،

يبلغ منتصفه حتى انتفض بالينوروس من رقدته وهو مليء بالنشاط ، أخذ

يختبر كل الرياح ، ويسترق السمع للنسيم ، ويرقب النجوم وهي تتراق

في السماء الصامتة (٦٠) : نجم أركتوروس ، وهو ديس ذو الأمطار ،

والثريونيس التوائم ، ثم حملق في أوريون ذى الأسلحة الذهبية . وبعد أن رأى

أن كل شيء يقف هادئاً في السماء الصافية ، أطلق صرخة — إشارة لنا —

من فوق مؤخرة السفينة . عندئذ نقلنا معسكرنا ، وأقدمنا على الرحيل ،

فنشرنا أجنحة الأشرعة . وحينما احمرّت وجتنا أورورا (٦١) ، بعدما ولّت ٥٢٠

النجوم الأدبار ، لمحنا عن بُعد تلالاً غير واضحة المعالم وأرضاً واطئة ،

هي إيطاليا . « إيطاليا » لقد كان أخاتيس هو أول من صرخ منادياً بذلك

الاسم . أخذ رفاقي يحيون إيطاليا بصرخات صاحبة مرحة . عندئذ توج

أبي أنخيس آتية كبيرة بإكليل من الزهور ، وملأها بالنبيذ ، ثم صرخ منادياً

الآلهة ، وهو واقف فوق مؤخرة السفينة العالية : « أيتها الآلهة المهيمنة على الماء

واليابس والأعاصير ، لتدفعينا في طريق سهل ممهد ، لتنفخ في أشرعة سفننا

ريحاً مواتية » . وهبت الريح التي كنا نهفو إليها ، وبدا المرفأ على مقربة ٥٣٠

منا ، وظهر معبد على قلعة منيرفا . عندئذ طوى رفاقي الأشرعة ، ووجهوا
مقدمات السفن نحو الشاطئ .

كانت الميناء قد اتخذت شكلاً يشبه القوس بفعل الأمواج المندفعة أمام
رياح الشرق. وكان يمتد من حولها سياج من الشعب الصخرية . التي ترتد
برذاذٍ ملحي . أما مدخل الميناء ذاته فقد كان متوارياً عن الأنظار ، إذ ألقت
الصخور الشاحنة بلراعيها في هيئة حائط على كل من جانبيه ، وأخذ الغيد
يتراجع مبتعداً عن الشاطئ . وكأول بشر لنا ، رأيت أربعة جياد ، شاهقة
البياض كالثلج ، في الأرض الخضراء ، ترعى وتمرح في السهل . فقال أبي
أنخيس : « أيتها الأرض المضيئة لنا ، إنك تحملين الحرب فوق صدرك ،
٥٤٠ فالخيل تُسلّح من أجل القتال ، وهذا القطيع بنيء بالقتال . لكن مع ذلك ،
فقد جرت العادة أيضاً أن تُربط هذه الخيول في العربات ، وتستسلم للأعنة
في وفاق بعد وضعها عليها . إن هناك أيضاً أملاً في السلام » . هكذا قال .
ثم صلتينا مبتهلين لسلطان بالأس المقدس ، بالأس ، سيدة صليل السيوف ،
التي كانت أول من استمع إلى ابتهالاتنا . توبرؤوس تغطيها العباءات الفروجية ،
أدينا ، ونحن وقوف أمام المذابح ، الطقوس اللائقة ، وأشعلنا النيران
في القرايين المطلوبة ، تكريماً لـجـونـو الأرجوسية ، متبعين ما أشار به
علينا هيلينوس .

وبلا تباطؤ أو تأخير ، وبعدما وقينا ما كان علينا من غلور ، أدرنا
٥٥٠ ظهورنا لصواري القلاع نحو البحر ، وغادرنا مواطن الشعوب الإغريقية
الأصل والسهول التي تبعث الشك في النفوس . شوهدت بعد ذلك تارنتوم (٦٢) ،
معقل هيراكليس - إن صدقت الروايات - . وأمامها على المرتفعات شمخت
الإلهة اللاكينية على مرتفعات كاواون وسكيلاكيوم ، التي تتخطم عليها
السفن . ثم بين الأمواج أنبثقت أمام الأعين من بعيد قمة ابتهالاتنا كرية ،
وسمعنا من بعيد هدير البحر المروع ، وارتطام الأمواج بالصخور ، وضوضاء
منقطعة على الشاطئ . كان القاع الرمل يندفع إلى أعلى ، ويمتزج الرمال
بالأمواج المتفخخة . وهنا قال أبي أنخيس : « ما من شك في أن هذه هي
خاريبيديس ، إن هذه القيم ، وهذه الصخور المرعبة هي التي تحدث عنها

هيليئوس . هيا ، أيتها الرفاق ، فلتثقلوا أنفسكم ، ولتفرغوا كامل قوتكم فوق المجاديف . » ولم يفعلوا غير ما أمروا به : أدار بالينوروس على الفور الدفة ، وهى تموء ، فى مواجهة الأمواج المتدفعة من ناحية اليسار ، كما بذل الآخرون جميعهم كل جهدهم مع الرياح والمجاديف لتتجه يساراً . كنا نرتفع نحو السماء فوق الأمواج المقوسة ، ثم نهبط مرة أخرى إلى أعماق البحجم مع انحسار الموج . وأطلقت الصخور صرخاتها ثلاث مرات من بين الكهوف الصخرية ، رأت حيوتنا الرذاذ متناثراً ثلاث مرات والنجوم وقد أصابها البلال . ومع غروب الشمس ، تركتنا العواصف وقد أتى علينا التعب ، وألقت بنا الأمواج ونحن نجهل الطريق على شاطئ الكوكلوبيس (١٢) .

كان هناك مرفأ آمن من الرياح ، رحب فى حد ذاته . بالقرب منه زجر جبل أيتنا بعود مرعبة ، وطفق يرسل إلى السماء دون توقف سحابة قائمة ، وينفث قاراً ساخناً ورماداً متوهجاً ؛ ثم أخذ يقذف إلى أعلى بكرات من اللهب ويلقى النجوم بالسنة من النيران . وأخرج من جوفه صخوراً هى أحشاء الجبل الممزقة مرات ومرات ، وأطلق - مزجراً - أحجاراً منصهرة نحو السماء ، وأخرج من أعماقه لهباً . وهناك رواية تقول إن جسد أنكلادوس (١٤) ، الذى ضربته الصاعقة ، قد حطت عليه تلك الكتلة ، وإن جبل أيتنا الضخم ، الذى حط فوقه ، يخرج نيراناً من أعماقه المتأججة ، وكلما تملل أنكلادوس فى رقدته مات كل ترينا كريا وارتعدت ، وحجبت

السماء بنقاب من الدخان . لقد قضينا تلك الليلة مختبئين فى الغابات ، نعانى من مخاوف موحشة ، ولا ندرى سبباً لذلك الصوت . إذ لم يكن هناك بريق للنجوم ، ولم تكن هناك سماء صافية يسبح فيها ضوء الكواكب ، بل أظلمت السماء كانتشار الضباب ، وحجب الليل الصامت ضوء القمر خاف السحاب . بزغ اليوم التالى مع أول تباشير الصباح ، وزاح الفجر جحافل الظلام ومسح الندى عن جبين الأفق ، وإذ بشبح إنسان يتقدم - على حين غرة - خارجاً من الغابة ، غريب ، غير معزوف ، يتصور من جوع ماحق ،

يتدثر بأسمال بالية تثير الشفقة ، وبعد يداً ضارعة نحو الشاطيء . فأمعناً فيه النظر : إنه قمىء ، مسكين ، كثر اللحية ، عليه دثار حيك بالأشواك — وكان فيما عدا ذلك إغريقياً فى مظهره — قد أرسل منذ أمد إلى طروادة مجهزاً بأسلحة وطنية . وعندما رأى من بعيد الثياب الدردانية والأسلحة الطروادية ، أفرعه ذلك المشهد ، فراجع إلى الخلف قليلاً ، وتعمل فى خطاه ، ثم راح يعدو مسرعاً نحو الشاطيء ، وقد اختلطت كلماته بالبكاء والدعوات : « باسم النجوم ، أتوسل إليكم ، بحق الآلهة العلية وضوء السماء هذا واهب الحياة ، أحملونى معكم ، يا معشر التيوكرين ، خذونى إلى أى أرض مهما تكن ، وكفانى هذا . أعرف أنى واحد من أفراد الأسطول الدنائى ، وأعترف أنى قد حاربت ضد البينائيس الطروادية . لذلك فإن كانت جريمتنا على درجة كبيرة من البشاعة والظلم ، فانثرونى إرباً فوق الأمواج ، أو أغرقونى فى أغوار البحار . فإن لقيت حتى فسلكونى أنى قد مت بأيدٍ بشرية » . قال ذلك ، ثم قبل جاثياً على ركبتيه ممسكاً بركبتنا . فشجعناه ليقول من يكون ، ومن أى جنس ينحدر ، وليفضى إلينا كيف تعقبه القدر منذ ذلك الوقت . وأعطى أبى أنخيميس يده لهذا الشاب بلا تردد كبير ، وطمأن روحه من الخوف . ٦١٠ بعهد قاطع . وأخيراً قال : « وقد طرح خوفه جانباً ؛ :

« إنى من أرض إيثاكا ، إنى رفيق أوديسيوس التمس ، واسمى أخامينيديس (٦٥) . ولما كان والدى أداماستوس فقيراً — وليت قلدى توقفت عند هذا الحد — فقد أرسلت إلى طروادة . لقد تركنى رفاقى هنا سهواً فى كهف الكوكلويس الشاسع ، عندما أسرعوا لاهتين خارج أعتاب الكهف الرهيبة . إن هذا الكهف منزل يفوح بالدماء المتجلطة والمآذب الدامية ، معتم وضخم من الداخل . أما صاحبه فرهيب الجثة ، يقرع ذرا السماء — أيتها ٦٢٠ الآلهة ، ألا فلتطيحى بمثل ذلك الوباء من الأرض — فمظهره لا يدخل البهجة فى نفس أحد ، وحديثه خال من كل مجاملة . يتأود على لحوم البشر التعماء ، وعلى دماهم القانية : لقد رأيته بعينى رأسى عندما أمسك بجسدى اثنين

من جماعتنا بيده الضخمة ، وهو ممدد على ظهره في وسط الكهف (٦٦) ،
وحطمهما فوق صخرة ، ففاضت مداخل الكهف بالدم المهرق . لقد رأيته
بعيني رأسي عندما التهم أطرافهما وهي تفيض بالدماء القانية المتجلطة ،
بينما كانت أشلاؤهما الدافئة ترتعش بين أسنانه . كل هذا ، ولم يعاقبه أحد .
لكن أوديسيوس لم يصبر على ذلك (٦٧) . فلم يكن الإيثاكي لينسني نفسه
وهو في مثل ذلك المأزق ، إذ حالما ازدد الكوكلوبس طعامه ، وأغرق نفسه
في النبيذ ، أحنى رقبته المرتجحة ، وتمدد جسده الضخم على أرض الكهف .
وفي أثناء نومه كان يتقيأ الدم المتجلط ويلفظ فقاعات مخلوطة بالدم والنبيذ .
أما نحن فقد دعونا الآلهة العظام ، ثم التفقنا حوله ليشارك كل بنصيبه .
وبحربة حادة فقأنا عينه الوحيدة الضخمة القابعة بمفردها تحت جبهته
الوحشية ، مثل درع أرجولي أو شعلة فوبيوس . وهكذا انتقمنا أخيراً -
ونحن نشعر بالسرور - لشبحي رقيقينا . لكن ، فلتهربوا ، أنتم أيها النساء ،
لتهربوا ، ولتفكوا الجبال من الشاطئ إذ أنه حتى عندما يحبس
أغنامه ذات الفراء الغزير ، ويستلر أنداءها وهو في أغوار الكهف ،
يتجول مائة كوكلوبس رهيب آخرون ، في ضخامة بوليفيموس (٦٨) ،
على هذه الشواطئ المتعرجة ، ويطوفون بقمم الجبال . والآن لقد اكتمل
الهلل في ضوئه فأصبح بديراً ثلاث مرات (٦٩) ، وأنا ما زلت أقضي حياة
بائسة في الغابات . بين العرائش المهجورة ومراع الوحوش ، أتطلع من فوق
صخرة إلى الكوكلوبس الضخم ، وأرتعد من أصواتهم ووقع أقدامهم .
ولقد قدمت لي الأغصان طعاماً شحيحاً ، ثمار التوت والخوخ المتحجر ،
وغذتني الأعشاب جنورها الممزقة . وبعد أن جبت بناظري كل
الأصقاع ، لمتحت هذا الأسطول في البداية قادماً نحو الشاطئ ، فألقيت
بنفسي عليه ، مهما يمكن أن يكون . فيكفيني أني قد هربت من تلك
السلالة اللعينة . لتتزعوا روحي هذه بأية صورة تشاءونها من صور
الموت » .

لم يكده ينتهى من حديثه حتى رأينا فوق قمة الجبل كتلة ضخمة تتحرك ،
بوليفيموس ذاته ، يرمى أغنامه ، ويسعى إلى الشواطىء التى يعرفها . إنه
وحش مخيف ، لا شكل له ، ضخم ، قد سلب نور البصر ، فى يده عصا ،
هى جذع شجرة صنوبر ، ترشده وتقوّم خطاه ، تصحبه أغنامه ذات الفراء
الغزير ، بهجته الوحيدة وعزاؤه فى بلواه وما أن لمس الأمواج
الغالية ، وجاء إلى البحر ، حتى غسل فيه الدم الناضح من عينه المفقوعة ،
وهو يضغط على أسنانه متوجعاً . ثم أخذ ينزل تدريجياً فى المياه العميقة حتى
منتصفه ، ومع ذلك لم يَبْسُكْلِ الموج جوانبه العليا . فأمرعنا بالهرب بعيداً
مذعورين ، وقد أخذنا معنا اللاجىء الذى يستحق ذلك فعلاً (٧٠) ، وقطعنا
حبال السفن فى هدوء ، وانحنينا نضرب مياه البحر بالمجاديف المناضلة .
فأحسّ بنا ، وتوجه فى خطاه نحو صدى الأصوات . ولما لم يجد لديه القوة
ليقبض علينا بيده ، كئالم يكن فى وسعه أن يغالب الأمواج الأيونية فى اندفاعها ،
فقد أطلق صرخة ملوية اهتزاز لها البحر وأمواجه ، وارتعدت بفعلها أرض
إيطاليا من أغوارها ، وزجر لها ايتنا بكهوفه الملتوية . غير أن عشيرة
الكوكلوبيس اندفعوا من الغابات وقمم الجبال إلى الميناء ، وتجمهروا
على الشاطىء . فرأيتهم واقفين شائخين بأعين برّاقة ، هم أشقاء الجبل ايتنا ،
يرفعون رؤوسهم عالية إلى عنان السماء . كان تجمهرهم يشير الرعب : كانوا
كأشجار صنوبر عالية أو أشجار سرو مخروطية انتصبت متجمهرة فوق قمة
جبلية ، كانوا كغابة جوبيتر الشاخنة أو غيضة ديانا . ودفعنا خوف رهيب
إلى أن نهز القلاع فى أى اتجاه مهما كان ، وأن نسلم الأشرعة للرياح المواتية .
ومع ذلك ، فوصايا هيلينوس كانت قد حلترت بحارتنا أن لا يشقوا طريقهم
بين سكيلا وخاربيديس — فكلاهما لا يفصله عن الهلاك سوى مسافة ضئيلة .
لذلك قررنا أن نعود أدراجنا عندما — يا للعجب — انقضت علينا ريح
الشمال ، منطلقة من معقل بيلوروس الضيق . فحملتنا لفرّ على مصب
بانتاجياس بصخوره الحية ، وخليج ميجارا ، وثابسوس الواطئة . وكانت

تلك هي الشواطئ التي أرشدنا إليها أخامنيديس ، رفيق التعس أوديسيوس ، حينما كان يستعيد في ذاكرته الشواطئ التي مرّ بها في تجواله أثناء هودته .

هناك جزيرة تقع ممددة أمام الخليج الصقلي ، في مواجهة بليموريوم ، التي تطلّ عليها الأمواج ، أسماها الأقدمون أورتيجيا . من ذلك المكان ، كما تقول الرواية ، شق ألفيوس — نهر إليس — لنفسه مجرى خفياً تحت البحر ، يمتزج الآن بأمواج صقلية بجوار نافورتك ، يا أريثوسا . وصلّينا — كما أوصينا آلهة المكان العظيم . ومن هناك مررت بالتربة الغنية لهياوروس المنتشر على هيئة مستنقع . ثم مررنا حول التلّوات العالية والصخور البارزة لباخينوس ، وتراءت لنا من بعيد كامارينا ، التي حالت الأقدار دون إقلاعها ، والسهول الجبلوائية ، وجيلا المسماة باسم نهرها الشديد الاندفاع . ثم ظهرت أمام أعيننا من بعيد بأسوارها المهولة أكراجاس المتحدة ، التي كانت ذات مرة مهذاً للخيول النبيلة . وبتأثير هبوب الرياح ، تركتك ورائي يا سلينوس ، المحاطة بالنخيل ، ثم سلكت طريقاً في مياه ليبيا الضحلة ، التي تشعّ خطراً بصخورها المتوارية . بعد ذلك استقبلني مرفأ دريبانوم بشاطئه الخالي من البهجة . وهنا ، وبعد أن طاردتني زواجر بحار عديدة ، فقدت — وأأسفاه — سلوتنا في كل هم وضيق ، فقدت والدي أنخيس (٧١) . هنا تركتني ، يا أفضل والد ، متعباً ، وأأسفاه عليك ، يا من أنقذت مرّتين دون جدوى من أخطار جسيمة . فلا هيلينوس العراف — بالرغم من أنه قد حذرنى من أهوال عديدة — ولا كيلينو — النذيرة بالسوء — أنبأني بهذه الكارثة . كان ذلك آخر متاعبي ، كان ذلك نهاية تجوالي الطويل . فبعدما رحلت من هناك ، دفعتني الآلهة إلى شواطئكم . »

هكذا كان الوالد آينياس يروي بمفرده على الحشد المتلهّف قصة المصير الذي رسمته له الآلهة . ويشرح تفاصيل تجواله . ثم توقف أخيراً عن الكلام ، وركن إلى الراحة بعد أن أنهى قصته .



سفينة أوديسيوس وهى تمر بالمنطقة التى يسكنها
بولوفيموس كما تخيلها الرسام باتن ويلسن

حواشى الكتاب المشالت



- (١) نسبة إلى الإله نيتونوس أحد مؤسسى مدينة طروادة .
- (٢) انتاندروس Antandros ، مدينة ساحلية باقاييم ميسيا بآسيا الصغرى .
- (٣) ليكورجوس Lycurgus ، ابن درياس Dryas ، كان ملكاً على الإيدونيين Edoni الفاطنين فى المناطق الواقعة شمال بلاد الإغريق .
- (٤) ديونى Dione ، التى أنجبت لحوبيتر فينوس والدة آينياس .
- (٥) جرافيدوس Gravidus ، لقب من ألقاب مارس إله الحرب عند الرومان .
- (٦) وتسمى أيضا بالسهول التراقية . كان الشعب الجبى يسكن فى منطقة الدانوب السفلى .
- (٧) پولودوروس Polydorus ، هو أصغر أبناء الملك المعجوز برياموس .
- (٨) يبدأ آينياس هنا فى تعريف الملكة ديدو بشخصية پولودوروس وإلقاء مزيد من الضوء عليها . أما الملك التراقى الذى يشير إليه هنا آينياس فهو پولو ميستور Polymestor الذى كان زوجاً لإحدى بنات برياموس .
- (٩) هى جزيرة ديلوس Delos ، مسقط رأس الإله أبوللون والإلهة ديانا .
- (١٠) المقصود هنا هى دوريس ، ابنة أوكيانوس وزوجة نيرىوس والدة خمسين من عرائس البحر .
- (١١) رأى المصمم الممثل ، المقصود به هنا هو الإله أبوللون . تروى الأسطورة أن كبير الآلهة جوبيتر هو الذى شد وثاق الجزيرة حتى ترفع عليها عشيقته ليتو مولودها أبوللون فى هدوء .

(١٢) إله ثومبرا Thymbræus ، نسبة إلى ثومبرا وهى مدينة تقع فى منطقة تروآس Troas (= المنطقة المحيطة بطروادة). وبالتالى فالمقصود هنا هو الإله أبوللون الذى كان له معبد فى مدينة ثومبرا .

(١٣) المقصود هنا هو آينياس ورفاقه المهاجرين على وجوههم بعد سقوط طروادة بحثاً عن إيطاليا حيث يقيمون مدينتهم الجديدة تنفيذاً لرغبة الآلهة .

(١٤) جبال إيدا Ida ، هى السلسلة الجبلية الواقعة فى كريت حيث نشأ چويرتر .

(١٥) السواحل الرويتية Rhoetæ orae ، أى الشواطئ الطروادية ، نسبة إلى نترو .
جبل يطل على بحر مرمره .

(١٦) المقصود هنا هى الأم الكبرى Magna Mater أما الكوروبانتيس فهن تابعاتها .

(١٧) «الأسود مشدودة إلى عجلة الإلهة» ، يرمز ذلك التعبير إلى سلطة الأم الكبرى على جميع المخلوقات حتى الحيوانات المفترسة .

(١٨) أى إلى جزيرة كريت .

(١٩) هيمس Hiems ، هى روح المواقف والبرد القارس ، أما زفيروس Zephyrus فهو ريح الغرب المواتية . ويرمز لون الثريان إلى طبيعة الروح المقدمة إليها : فروح المواقف العاتية والبرد القارس يقدم إليها حمل لونه أسود ، وروح الرياح المواتية يقدم إليها حمل لونه أبيض .

(٢٠) إيدومنيوس Idomeneus ، كان قائداً للأسطول الكريتي الذى اشترك مع القوات الإغريقية ضد طروادة . وأثناء عودته من طروادة قطع على نفسه عهداً أن يقدم أول إنسان يقابله قرباناً للإلهة بوسيدون- كان أول من قابل إيدومنيوس هو ابنه فما كان منه إلا أن قده ، قرباناً فعلاً للآلهة . لذلك غضب منه الكريتون وثاروا ضده ونفوه إلى إيطاليا . وبالتالى فقد أصبحت كريت غير خاضعة لإيدومنيوس عدو آينياس .

(٢١) سيرْيوس Sirius ، هو نجم الكلب الذى يصاحب ظهوره إنتشار الحرارة الشديدة التى تؤدى إلى حرق المزروعات والقضاء على المحاصيل .

(٢٢) إله ديلوس هو أبوللون (راجع حاشية ر ٩) .

(٢٣) الأوينوترى Oenotri ، هم سكان إيطاليا الأصليون .

(٢٤) هذه الأبيات الأربعة (١٦٣-١٦٦) مكررة ، فقد ورت فى الكتاب الأول من الملحمة (سطور ٥٣٠ - ٥٣٣) ، (انظر ص ١٠١) .

(٢٥) أى الكريتية، نسبة إلى ديكى Dictê ، وهو جبل يقع فى شرق جزيرة كريت .

(٢٦) لم يكن أحد يصدق نبؤات كساندرا بالرغم من صدقها .

(٢٧) الهاريات Harpiac ، مخلوقات أسطورية يرمزن إلى الرياح العاتية ثم أصبح بعد ذلك يرمزن إلى عالم الموتى . واسم كيليانو Celaeno مماء باليونانية «الظلام» . أما فينيوس Phineus فكان ملكا على سالميديسوس Salmydessus الواقعة على البحر الأسود . أغضب فينيوس الآلهة لأنه فقأ عيني ولده ، فأرسل هيليوس (إله الشمس) الهاريات ليخطفن كل طعام يقدم له حتى مات من الجوع وهجر قصره وأغلقت أبوابه .

(٢٨) هذا البيت ناقص (٢١٨)، مثله فى ذلك مثل أبيات كثيرة لم تنتج لفرجيليوس الفرصة ليكملها بسبب موته المفاجئ .

(٢٩) زاكيتوس Zacynthos ، دو لينيوم Dulichium ، سامى Samé ، كلها أسماء لجزر إغريقية ورد ذكرها عند هوميروس . أما نريتوس Neritos فهو اسم جبل يقع فى جزيرة إيثاكا . لكن فرجيليوس يذكر الاسم هنا على أنه اسم جزيرة واقعة بالقرب من إيثاكا .

(٣٠) لآنريتوس Laertius ، هو والد أودييسيوس ملك إيثاكا .

(٣١) هناك تناقض ظاهر بين ما يرد فى هذا البيت (٢٨٠) وما ورد فى سطر ٢٧٦ . فى سطر ٢٧٦ يقول فرجيليوس إن آينياس ورفاقه نزلوا بالقرب من قمم لويكانا الواقعة على الشاطئ ، لكنه هنا بيت (٢٨٠) يتحدث عن شواطئ أكتيوم التى ليست جزءاً من لويكانا بل تقع فى المنطقة الشمالية البعيدة عنها . ويمكن القول بأن فرجيليوس يتجاهل هنا الحقائق الجغرافية كي تتاح له فرصة ذكر منطقة أكتيوم لأن ذلك يتيح له فرصة الإشارة إلى انتصار جيوش أغسطس على قوات أنطونيوس وكليوباترة فى تلك المنطقة عام ٣١ ق.م .

(٣٢) أباس Abas ، لا نعرف ببلا إغريقيا - من بين أبطال الإغريق الذين هاجموا طروادة . يحمل هذا الاسم . لكن الاسم أباس مع ذلك قد ورد ذكره فى مصادر أخرى على أنه اسم الجند دناموس الذى كان ملكاً لأرجوس فى عصور ما قبل التاريخ . ويقال أيضاً إن درع أباس السحري كان محفوظاً فى معبد هيرا (جونو عند الرومان) المعام فى أرجوس . وربما يعتقد فرجيليوس هنا أن ذلك الدرع كان قد حمله معه أحد المحاربين المشتركين فى الحرب ضد طروادة . وأن آينياس استولى عليه أثناء إحدى المعارك .

(٣٣) المنصور بسييمويس «الزائف» هو نهر مسمى «سييمويس» تخليداً لذكرى طروادة ، إذ أن سييمويس «الحقيق» هو نهر من أنهار طروادة . ولقد اعتاد اللرواديون ذلك فى كل مكان . استقر واقع بعد سقوط طروادة .

(٣٤) أندروماخى Andromaché ، هى زوجة البطل الطروادى هيكتور الذى قتله أخيلئوس . وهيلئوس هو شقيق هيكتور . بعد سقوط طروادة تزوج نيوبتولئوس من أرملة هيكتور ، لكنه بعد ذلك منحها هيلئوس (إذ أن كلا من اندروماخى وهيلئوس كان عبداً لنيو بتولئوس) ليصبح هو زوجاً لامرأة أخرى (راجع حاشية رقم ٣٦ ، ٣٧) .

(٣٥) الإشارة هنا إلى ابنة برياموس الصغرى ، پولوكستا Polyzena ، التى ذبحها نيوبتولئوس وقدمها قرباناً على قبر والده أخيلئوس . لقد تناول الشاعر التراجيدى يوريبيديس هذه الواقعة فى إحدى تراجيدياته التى وصلتنا بعنوان هيكتوبا . لكن الشاعر الإغريق يقول إن پولوكستا قد ذبحت فى تراقيا وليس بالبرب من أسوار طروادة كما يقول فرجيلئوس هنا .

(٣٦) كانت الأسلاب والفنائم توزع على قادة الجيوش المنتصرة ، وكان يتبع فى ذلك نظام الأقرع . وكانت النسوة جزءاً من الفنائم توزع بنفس الطريقة . أما فيما يتعلق بأندروماخى فإنها لم تكن من نصيب نيو بتولئوس بطريقة الاقتراع ، بل منجها له القادة الإغريق لأنها كانت زوجة هيكتور الذى قتله أخيلئوس والد نيو بتولئوس .

(٣٧) هرميون Hermione ، هى الابنة الوحيدة لمينيلئوس - ملك اسبرطه - من هيلينا ابنة ليدا . قل بد الحرب الطروادية كانت هرميون خطيبة أورستئس ابن أخ مينيلئوس (أجاممنون) ، لكن بعد أن قتل أجاممنون عند عودته متصراً إلى وطنه أراد مينيلئوس أن يزوجهها إلى نيو بتولئوس . لذلك غضب أورستئس الذى كان بعشق هرميونى بجنون وثار ضد مينيلئوس وقتل نيوبتولئوس (انظر أيضاً الحاشية التالية) .

(٣٨) يقال إن أورستئس قتل نيوبتولئوس بينما كان الأخير يقدم القرابين على مذبح أوفيم فى دلفى تكريماً لوالده أخيلئوس . وهنا يشير فرجيلئوس إشارة غير مباشرة إلى مقتل برياموس وابنه بوزئئس بواسطة نيو بتولئوس بالقرب من المذبح المدام فى قصر برياموس أثناء سقوط طروادة .

(٣٩) فى كل منطقة كان يصل إليها الطروادىون الماربيون بعد سقوط مدينتهم الأم أقادوا مدناً على نمط طروادة . وكانوا يطلقون على قلاع المدن الجديدة اسم برجاما وهو اسم القلعة الرئيسية فى طروادة ، بل كانوا يطلقون على الأنهار والمجارى المائية والبوابات أيضاً نفس الأسماء التى عرفت بها أنهار وبوابات طروادة .

(٤٠) هذا البيت (٣٤٠) ناقص . وإتنا نلاحظ أن عدد الأبيات الناقصة فى الكتاب الثالث من الملحمه يفوق كثيراً عددها فى كل من الكتب الأحد عشر الأخرى . فالكتاب الثالث تمرض لتغيرات وتديلات ضخمة قبل موت فرجيلئوس مباشرة .

(٤١) لعل القارىء يجب هنا من سؤال أندروماخى : فكيف علمت أندروماخى بموت والدة أسكانيوس - كريبوسا زوجة آينياس الأول - ؟ لقد رحلت أندروماخى بمصاحبة نيوبتوليموس فور سقوط طروادة . لم يفكر فرجيليوس فى هذا على الإطلاق ، ولا توجد فقرة فى الملحمة تشير إلى أن أندروماخى قد علمت بموت كريبوسا .

(٤٢) كانت والدة أسكانيوس - كريبوسا - شقيقة أندروماخى التى كانت زوجة ليكتور . ومن هنا كان يعتبر هيكتور خالاً لأسكانيوس .

(٤٣) بوابة سكاييا Scaea Porta ، هى إحدى البوابات الرئيسية للمدينة الأم طروادة . لكن هيلينوس يطلق نفس الإسم على إحدى بوابات المدينة الجديدة التى أقامها على نمط طروادة (راجع حاشية رقم ٣٩) .

(٤٤) العراف هو هيلينوس ، إذ أنه كان ملكاً على المدينة التى أنشأها وكادماً لمعبد الإله أبوللون الموجود فيما فى أثينا .

(٤٥) جزيرة كيركى الآلية Aeacae insula Circae ، حيث كانت تقيم الساحرة كيركى ، التى لقيت أحياناً بالآلية نسبة إلى آيا Aea الواقعة فى كورنثوس والتى اشتهر سكانها بممارسة السحر .

(٤٦) المجرى المنزل هو التبر Tiberis ، النهر الرئيسى فى إيطاليا .

(٤٧) أى البحر الأيوني .

(٤٨) كان الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة الإيطالية مليئاً بالمستعمرات الإغريقية حتى أنه كان يسمى بلاد الإغريق الكبرى Magna Graecia . وبقيت اللغة اليونانية مستعملة فى هذا الجزء من إيطاليا حتى عهد قريب . والمنصود بكلمة أشرار هنا هم الإغريق الأعداء ، إذ أنهم كانوا يضمرون الشر والعداوة دائماً للطرواديين .

(٤٩) كان اللوكريون Locri يسكنون مدينة ناريكس Naryx الواقعة على بحر إيونيا Euboea ، التى كان يحكمها آياس بن أوليلوس ، وهو أحد القادة الإغريق فى الحملة ضد طروادة . وأثناء عودة آياس إلى وطنه جنحت بعض سفنه نحو شاطئ بروتيوم Bruttium فى جنوب إيطاليا حيث أسس جماعة اللوكريين مدينة جديدة .

(٥٠) إيدومنيوس Idomeneus ، (راجع حاشية رقم ٢٠) .

(٥١) فيلوكتيس Philoctetes الملبى ، نسبة إلى ملبويا Meliboea التى كان ملحقاً عليها . كان فيلوكتيس أحد القادة الإغريق المشتركين فى الحملة ضد طروادة . وأثناء عودته أطاحت عاصفة بسفينة فلباً إلى الشاطئ الشرقى من بروتيوم حيث أسس مدينة صنيعة أحاطها بأسوار منيعة أسماها بتليا Petelia .

(٥٢) اعتاد الرومان إخفاء ملامح الوجه أثناء تقديم القرابين ، وذلك حتى لا يكون هناك بين الحاضرين وجه تكررهم الآلهة فيفسد الاحتفال وينسب في غضب الآلهة . وهنا يشير فرجيليوس إلى هذه العادة التي كانت معروفة لدى الرومان .

(٥٣) سكيلا Scylla وغاريديس Charybdis ، (راجع حاشية رقم ٣٥ ص ١١٤) .

(٥٤) يؤكد غيلينوس ضرورة إرضاء جينو ، إذ أن غضبها كان في الأصل السبب الرئيسي في تدمير طروادة على يد الإغريق . (لمرفة سبب ذلك الغضب راجع حاشية رقم ٣ ص ١١١) .

(٥٥) راجع ص ٢٧٨ وما بعده .

راجع أيضا حاشية (٨١) ص ٢٧٤ ، وحاشية (٣) ص ٣١٣

(٥٦) نسبة إلى دودونا Dodona ، التي اشتهرت بنوع خاص من الأواني كانت تملق في أشجار الصنوبر وتبث أصواتا عند طرقها بحزمة من سيقان النبات الخضراء .

(٥٧) أنقذت الآلهة أنخيس مرتين : الأولى عندما اقتحم الإله هيراكليس طروادة ودمرها ، والثانية عندما حاصرها الإغريق وأتوا عليها نهائياً .

(٥٨) أستياناكس Asthyanax ، هو ابن هيكتور من أندروماخي : أنقذ به الإغريق من فوق أسوار طروادة بعد استيلائهم على المدينة .

(٥٩) أي : تمر ساعة بعد ساعة فيقترب الليل من الانتهاء .

(٦٠) أركتوروس Arcturus هو النجم اللامع ؛ هواديس Hyades هي مجموعة من النجوم (عددها سبع) عند رأس برج الثور Taurus ، يصاحب ناهورها سقوط الأمطار ؛ تريونيس Trioncs هما نيجانثروأمان أحدهما يمرق بالذب الأكبر والثاني بالذب الأصغر ؛ جميعها أسماء لنجوم كان الملاحون يرصدون مواقعها قبل البدء في الرحيل بسفنهم في عرض البحر .

(٦١) أورورا Aurora هي ربة الفجر . وعندما يقول الشاعر إن وجنتي أورو قد بدا لونها أحمر فإنه يعبر بذلك عن الشروق .

(٦٢) تارنتم Tarentum ، هي من أهم المدن الإغريقية الواقعة في جنوب إيطاليا ، على الشاطئ الغربي من منطقة كلا بريا Calabria ، وتسمى الآن تارانتو Taranto . أقام هذه المدينة تاراس Taras ، ابن الإله نينوس ، لكن استعمرها بعد ذلك (عام ٧٠٨ ق.م) أفراد جاؤوا من اسبرطة تحت قيادة فالانثوس Phalanthus الذي انحدر من نسل الإله هيراكليس . هكذا - كما يقول فرجيليوس - تقول الروايات .

(٦٣) راجع حاشية رقم ٣٦ ص ١١٤

(٦٤) تقول أغلب الروايات إن تيفويوس Typhoeus هو الذى يرقد تحت جبل آيتنا Actna وإننا لاندرى على وجه التحقيق من أين جاء ثرجيليوس بروايته هنا .

(٦٥) أخايمينيدس Achaemenides ، هو أحد الإغريق الفقراء ، أرسله والده أداماستوس Adamastus ليلتحق بالجيش الإغريق سميّاً وراء الثروة .

(٦٦) المقصود هنا هو إبراز إلى أى مدى تصل قوة ذلك المملاق : إنه يفتك برجلين إثنين في وقت واحد وهو يرقد على الأرض في هدوء دون أن يبذل أى مجهود أو دون أن يكلف نفسه عناء النهوض .

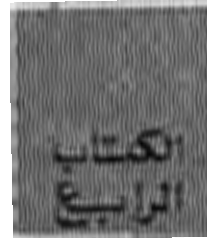
(٦٧) زيارة أوديسيوس لأرض الكوكلوپيس هي إحدى المغامرات المعروفة التي رواها هوميروس في ملحمة الخالدة - الأوديسا .

(٦٨) بوليفيموس Polyphemus ، هو اسم ذلك الكوكلوپيس المملاق .

(٦٩) أى : مضى على وجود ذلك الجندي الإغريق في هذه المنطقة الخفيفة ثلاثة شهور قمرية كاملة .

(٧٠) أى : الذى يستحق أن يصحبه مهم بعيداً عن تلك المنطقة ، في ذلك إنقاذ له .

(٧١) أثناء تلك الرحلة الطويلة الشاقة المليئة بالأخطار فقد آنياس والده أنخيس ، المكن ثرجيليوس لم يذكر كيف فنده . تماماً كما لم يذكر من قبل في نفس الكتاب من الملاحمة كيف علدت أندروماخى بموت كريبوسا زوجة آنياس .



محمد حمدي إبراهيم

أخذت الملكة - وقد صيبت بجراح الحب الموجهة - تغذى جرحها بالدماء التي تجري في شرايينها ، وأضحت طعمة للهبب الحب الأعمى . ظلت خصال بطلها العديدة وعراقه محتده تتردد في مخيلتها ، ظلت نظراته ونبراته عالقة بشغاف قلبها ، ولم يدع الحب أطرافها تهدأ أو تركز للراحة : وفي اليوم التالي ، بينما كانت ربة الفجر - أورورا ، تضيء الأرض بشعلة فويوس ، بعد أن أبعدت الظلام الندي من صفحة السماء ، خاطبت ديدو ، في ذهول ، أختها الحبيبة قائلة :

«أنا (١) ، أختاه ، تُرى أى أحلام هذه ، التي ترعجني وتشتت أفكاري ! أى ضيف غريب هذا ، الذي وفد على ديارنا ! ما أنبل نحياءه ! ياله من شجاع ثابت الجنان ، بارع في استخدام السلاح في الحرب ! إنى للمؤمنة أيما إيمان - وإنه لإيمان صادق - بأنه من سلالة الآلهة . فالحوف يفضح النفوس الرعيدة . آه ! يالها من أقدار تقاذفته ، يالها من حروب خاضها في شجاعة وصبر ، تلك التي رواها ! لو لم أكن قد وطدت العزم وآليت على نفسي أن لا أرتبط بزواج قط ، بعد أن خذلني حبي الأول وأحبط أملى بالموت ، ولو لم أكن قد سئمت فراش الزوجية ومشاعل الزفاف ، لولا ذلك ، فلربما كنت قد استسلمت لإرادتي الضعيفة . أنا ، سوف أكاشفك الآن بسرى . فبعد أن قُتل زوجي التمس - سخايوس - ، وبعد أن دنس أخي المنزل بجريمة القتل هذه ، فإن هذا الرجل - آينياس - هو الذي سيطر على مشاعري ، وغزا قلبي المرتجف ، وعَرَقتُ ، فيه مرة أخرى لوعة حبي القديم ، لكن ، ليت الأرض تنشق ، عميقة ، فتبتلعني ، أو ليت الأب القدير جوبيتر يخذلني بصاعقته إلى ظلام أرييوس الخالك (٢) ، وليله الدامس ، ألا ليت

كل ذلك يحدث قبل أن أنتهك حرمتك ، ياربة الحياء ، أو أخرج على
سنتك . فإن ذلك الرجل ، أول من اتخذني زوجة له ، قد حمل معه عواطفى ،
فليته يحفظ بها ، ويصونها فى قبره . .

بعد أن قالت ذلك ، والدموع الغزيرة تغمر صدرها ؛ أجابها أنا قائلة : ٣٠

« أختاه ، يا أعزّ علىّ من نور الحياة ؛ هل ستظاين هكذا ، حزينة ،
وحيدة ، حتى تذبل زهرة شبابك دون أن تسعدى بحلاوة النرية ونعيم
الحب ؟ أنتظين أن رفات الأموات وأطيافهم تعباً بذلك ؟ ومهما يكن الأمر ،
فحين كنت جريحة الفؤاد ، لم يَهْفُ قلبك إلى أى من الرجال - لا من
ليبيا ، ولا من صور (٢) - لقد نَبَذْتَ يارباس (٤) ، وحقّرتُ أمراء
آخرين ، نشأوا فى إفريقيا ، الغنية بانتصاراتها . هل متصارعين الآن جاً
كنتِ تستعذبينه من قبل ؟ أو لاتذكركين فى أرض منّ تعيشين ؟ فعلى هذا
الجانب توجد مدن الجايوتولين (٥) ، أمة لاتقهر فى الحرب ، وحولك

النوميديون (٦) ، ذنوب البأس الشديد ، وكذلك أيضاً توجد منطقة سيرتيس (٧) ،
قذات الرمال المتحركة التى لاترحب بالغرباء . وعلى الجانب الآخر صحراء
قاحلة مجدبة ، وأهل برقة ، المغرمون بإثارة الشغب . وماذا عساي أن أقول
عن الحروب التى دارت رحاها فى صور ، وعن تهديدات أخيك لك ؟
إنى لأعتقد أن السفن الطروادية قد لزمت مجراها هذا مع الريح بفضل إرشاد
الآلهة وبفضل تعضيد جنود ، فيالها من مدينة ، يا أختاه ، تلك التى ستشهدبنها !
ويالها من مملكة تلك التى ستنشأ من مثل هذه المصاهرة ! ويالها من انتصارات
تلك التى سيرتفع بها مجد فينيقيا عندما تتحالف معها القوات الطروادية !
عليك فقط أن تطالبى الصفح من الآلهة بإقامتك للطقوس التى تسترضيهم ،
أطيلي مدة ضيافتك له ، واختاقي المعاذير لتأخيرته ، حتى يفرغ الشتاء
وأوريون (٨) الحمل بالأمطار غضبهما فى المحيط ، وحتى تحطم سفائنه ،
وتصبح السماء عدمة الرحمة .

هكذا تحدثت ، فأشعلت بنار الحب قلب أختها المكلوم ، وبعثت الأمل في نفسها المضطربة وأذابت خجلها ، في بادئ الأمر ، توجهت الشقيقتان إلى المعابد ومسعىً إلى إرضاء الآلهة بالقرايين ، وكانت تلك القرايين - وفقاً للطقوس المرعية - ماشية تبلغ من العمر سنتين . قامت الشقيقتان بتقديمهما إلى كيريس ، واهبة القوانين ، وإلى فويبوس ، وإلى الأب باكخوس^(٩) ، المختص من المهوم ، وقبل الجميع ، إلى جونو ، التي ترعى رباط الزوجية . كانت ديلو بنفسها ، وفي أبي صورها ، ممسكة بكوب القربان في يدها اليمنى ، تصبه بين قرنتي بقرة بيضاء ، أو تنهذى أمام تماثيل الأرباب ، بالقرب من المناياح المحملة بالأضاحي ، تبدأ يومها بالقرايين المعتادة ، فتشق صدور الأضاحي العارية ، وتفحص أحشاءها الخافقة .

٦٠

لكن ، واحسرتاة ! ما أطفه عقول العرافين ! أي معونة قد تقدمها القرايين والمعابد لمن سيطر عليه جنون الحب ؟ لقد ظلت نار الحب الدفينة مستعرة طول الوقت في أحشائها ، والجرح الصامت مقيماً في صدرها ، إن ديلو التعسة تحرق ، وتهيم على وجهها مخبولة في جميع أنحاء المدينة - كغزالة ، بعد أن رُميت بسهم ، يطاردها بقذائفه على البُعْد راع بين الغابات الكريتيّة ، فأرداها دون أن تدري ، وترك فيها النصل المنح وهو مجهل ذلك ؛ فَعَثَرَتْ ، أثناء هروبها الغابات والأحراش الكريتيّة ، والفصل المهلك نافذ في جنبها - فهي تارة تصطحب آينياس عبر الحصون ، وتستعرض معه الكنوز التي جاءت من صيدا وترقُب مدينتها الحديدية ، تبادره الحديث ، ثم توقف في منتصفه ؛ وتارة أخرى - عندما ينصرم النهار - تقيم المآدب ، وتتوسل إليه ليُسْمِعها حديثه عن مآثر طروادة ، وتتعاق أنظارها من جديد بشفتيه وهو يتحدث ، ثم يغادر كل منهما زميله ، والقمر القاتم يخفي ضياءه ، والنجوم الآفلة تبعث على النوم ، عندئذ تستسلم للأحزان وحدها ، في قصرها الخاوي ، تهصر الوسادة التي تركها آينياس ، تسمعه ، وتراه ، وهي ذاهلة ، رغم غيابه عنها ، أو تنضم إلى صدرها ابنه أسكانيوس ، متأثرة

٧٠

٨٠

بطلعة أبيه ، عسى أن تستطيع أن تكبت هذا الحب المريع . لقد توقفت
الأبراج المعدة للإنشاء عن الارتفاع ، ولم يعد الشباب يتدرب على حمل
السلح ، وتوقف تجهيز المرافئ أو مراكز الدفاع الآمنة درءاً لخطر الحرب ،
وتأجل العمل في المنشآت وقباب الأسوار الضخمة والآلات التي تظاول السماء .

- ٩٠ عندما أدركت زوجة جوييتر العزيرة أن ديدو قد غدت أسيرة لمثل
هذه العاطفة المهلكة ، وأن حرصها على سمعتها قد عجز عن الوقوف في وجه
انفعالها - خاطبت ابنة ساتورنوس (١٠) فينوس ، بهذه الكلمات :

« ليس هناك شك في أنك وابنتك ستحظيان ببناء عظيم ، وتفوزان
بغنائم طائلة وصيت ذائع إذا ما هُزمت امرأة واحدة بأحبايل اثنين من
الأرباب (١١) . ولم يغب عن فطنتي أنك تتوجسين خيفة من حصوننا وأنتك
تراقبين بعين الحسد أبنية قرطاجة الشاحنة . لكن ما الغاية من هذا ؟ أو إلى
أين ينتهي بنا مثل هذا الصراع ؟ أليس من الأنضل أن نعقد معاً صلحاً
مستديماً ، ونسعى في إنجاح زواج مستقر ؟ فيها أنت قد حققت كل
رغباتك ؛ لا كوت ديدو بنار الحب ، واجتاح الانفعال - بناءً على رغبتك
١٠٠ - جسدها ... داعيننا إذن نحكم هذا الشعب سوياً ، ونضعه تحت قيادة
مشتركة ، ولنندع ديدو حرة في أن تربط نفسها بزواج فروجي ، وأن
تعهد إليك بالصوريين كتهري تقدمه عند زواجها . »

أدركت فينوس أن چونو قد لزمته في حديثها بجانب المختلة . رغبة
منها في أن تنقل مملكتها من إيطاليا إلى شواطئ ليبيا ، لذلك فقد أجابتها
بدورها قائلة :

« مَنْ ذا الذي بلغ به الجنون حداً يجعله يرفض مثل هذه الشروط ،
أو يفضل الاشتباك في حرب معك ، فقط ، لو شئت الأقدار تنفيذ
ما تدبرين ؟ غير أنني مدفوعة بالأقدار ولست موقنة ما إذا كانت مشيئة
جوييتر أن تكون هناك مدينة واحدة للصوريين وأولئك الذين رحلوا عن
١١٠

طروادة (١٢) ، أم أنه أقر اختلاط الشعين وربط الصهرين ، فانت زوجته ،
ولك أن تستملي قلبه بتوسلاتك ، فتقدمي وعلى أن أتبع خطاك» .

حينئذ أجابت چونو الموقرة .

« لاني أحمل هذا العبء على عاتقي ؛ فاصغ الآن إلى ، إذ أني سأوضح
لك باختصار الوسيلة التي تمكننا من تنفيذ خطتنا . إن آينياس وديدو ،
البالغة التعاسة ، يستعدان للخروج معاً إلى الغابة للصيد عندما تحضر شمس
الغد خيوط الفجر الأولى وتبر العالم بأشعتها . وفي الوقت الذي سيهرع
فيه الصيادون ويحيطون الوعل بشباكهم ، سأقذفهم من عل بعاصفة قائمة ١٢٠
مختلطة بالبرد ، وأجعل السماء كلها تهتز بفعل الرعد . لسوف يتفرق
رهطهم ويلفهم الليل الداكن بستاره ، ومن ثم ستأوى ديدو والأمر
الطروادى إلى كهف واحد . وسأكون هنالك حاضرة ، فإن حظيت
بموافقتك الصريحة ، فسأربطهما بزواج وطيد . وأمنحها له زوجة ،
وسيكون هناك أيضاً هيمنايوس (١٣) .

أذعنت الكثيرة لطلبها دون معارضة ، لأنشط فطنت إلى خديعتها .
وفي تلك الأثناء أشرقت أورورا وتركت المحيط . وعندما بزغ الفجر خرجت
نخبة من الشباب من أبواب المدينة ، وانطلقت الشباك الدقيقة ، وشباك
الصيد ، والرماح ذات النصل العريض ، وكذلك الفرسان الماسيليون (١٤) ،
ورعط من كلاب الصيد ذات حاسة الشم القوية . وأمام أبواب القصر كان
نبلاء فينيقيا ينتظرون المالكة ، التي كانت تتلصقاً في جناحها ، وجوادها المطمئن ،
الموشى بالأرجوان والذهب واقف بثبات وهو يلوك بعنف لحامه الملىء
بالزبد . وأخيراً حضرت مخوفة بحاشية ضخمة ، ملتفة بإزار صيداوى ،
ذى إطار مطرز ، تتمنطق بكنانة ذهبية ، وقد ربطت خصلات شعرها
بشرائط من ذهب ، وضمت إزارها الأرجواني بدبوس من الذهب .
وسار في الموكب الشباب الفروجى ويولوس المريح ، وأمامهم جميعاً ١٤٠

آينياس نفسه ، الذى تقدم إلى صحبتها بوسامته الأخاذة ، وانضم بحاشيته إليها ، وكما يترك أبوللون ليكيا ، مقر إقامته الشتوية ، ونهر كسانثوس ، ويزور مرة أخرى جزيرة أمه فى ديلوس (١٥) ، ويبدأ رقصاته من جديد ، وتختلط صيحات الكريتين والدروبيس (١٦) والأجاثيرسى (١٧) ، المزيّنين بالوشم ، حول مذاحه ، بينما يتحرك هو نفسه بجلال على قمة جبل كينثوس (١٨) . ويصلح من خصلات شعره المتهدل ، ويتوجه بإكليل من الحدائق الناعمة التى يجدها من الذهب ، والسهام على كتفه تصدر صليلاً— كذلك تحرك آينياس فى رشاقة لا تقل عن رشاقة أبوللون . كان الجلال يشع من طلعه التى لا نظير لها (١٩) . وما أن بلغوا الجبال الشاهقة والكهوف المهجورة ، حتى نظروا فإذا بالماعز تهيّط قافزة من أعلى الصخور فوق الأخلد الجبل ، وإذا بالطباء ترح على الناحية الأخرى فى السهول الفسيحة ، وتجمع عند هربها فى أسراب ، مغبرة بالتراب ، وهى تغادر الجبال . وإذا بالصبي أسكانيوس ، سعيد بحصانه المتوثب فى وسط الوديان ، يتجول تارة فى هذا الاتجاه وتارة فى ذلك الاتجاه ، وهو يتمنى من أعماقه أن يصادف خنزيراً برياً يتناثر الزبد من شدقيه بين الماشية الضعيفة ، أو ليساً أصفر اللون يهبط من أعلى التلال .

- ١٦٠ فى تلك الأثناء بدأت السماء تضطرب بضجيج مفرع ، أعقبته عاصفة ممطرة محملة بالبرد . وخوفاً من المطر ، حثت القافلة الصورية والشباب الطروادى وحفيد فينوس الدردانى (٢٠) عن أماكن متفرقة فى الحقول يأوون إليها . واندفعت السيول منعقدة من الجبال . ولجأت ديدو والأمير الطروادى إلى الكهف المعهود ، وكانت ربة الأرض هى أول من أعطى الإشارة ، وتبعها چونو المهيمنة على شئون الزواج . ولمع البرق ، وكانت السماء شاهداً على هذا الزواج ، وصاحت الحوريات على قمم الجبال (٢١) :
 ١٧٠ كان ذلك اليوم المشهود سبباً فى هلاكها ، وبداية للشور التى حاقت بها ، فلم تعد ديدو الآن تنأبه بمظهرها ، ولا بسمعتها ، ولم تعد تفكر فى اختلاس

لحظات من الحب : لقد أسمته زواجاً ، وكانت تخفى خطيئتها خلف هذا الاسم .

انطلقت الربة فاما (٢٢) من فورها في أرجاء المدينة الليبية العظيمة ، إنها الربة التي لا يوجد شرّ آخر أسرع منها حركة . فهي تزداد نشاطاً بمرونة حركتها ، وتكتسب مزيداً من القوة كلما مضت في طريقها . إنها تبدو في بادىء الأمر ضئيلة خائفة ، لكنها سرعان ما ترتفع إلى عنان السماء ، وتخطو على الأرض وهي تخفى رأسها بين السحاب . ويروى أن ربة الأرض - في لحظة من لحظات غضبها من الآلهة - أنجبتها كاختٍ صغرى لكل من كويوس وأنكلادوس (٢٣) . أقدامها خفيفة الحركة وأجنحتها سريعة ، إنها وحش مخيف هائل ، وبقدر ماله من ريش على جسدها فإن لها تحت عيونها لا تغفل ولا تنام - إن الحديث عنها يثير الرعب - . لها ألسنة كثيرة وأفواه عديدة ، تردد الصوت ، وتصم الآذان . تطير ليلاً وسط السماء وفي ظلال الأرض ، وتطلق فحيحاً ؛ ولا تسلم عيونها للراحة اللذيذة ، يتقطّط طول اليوم ، تستقر فوق قمة منزل مرتفع أو فوق الأبراج الشاخنة ، تملأ المدن العظيمة بالرعب . إنها عنيدة جبّلت على الخداع والاعوجاج في روايتها للحقيقة . تشعر بالبهجة عندما تملأ آذان الناس بالشائعات المختلفة . تروى الحقائق والأباطيل بأسلوب واحد . « إن آينياس قد حضر ، إنه من أصل طروادى . طلبت منه ديدو الفاتنة أن يكون زوجاً لها . إنها الآن يتبادلان الحب ويستمتعان بفصل الشتاء كله . كلاهما لاه عن مملكته ؛ تستعبداه شهوة دنيئة ... » بهذه الأقاويل كانت الربة المخيفة تملأ أفواه الناس في كل مكان . ثم ولّت وجهها من فورها شطر الملك يارباس ، فأوغرت صدره ، وزادت من حدة غضبه بشائعاتها .

١٨٠

١٩٠

كان يارباس هذا هو ابن آمون (٢٤) من جاراتانيس (٢٥) ، الحورية التي اغتصبها (آمون) ، وكان قد شيد لحوبيتر مائة معبد شامخ ومائة مذبح في مملكته المترامية الأطراف ، وخصص له ناراً دائمة الاشتعال ، ونذر للآلهة

٢٠٠

حراساً داعمين ، وأرضاً ارتوت بدم الضحايا المتدفق ، وبوابات مزخرفة
بأكاليل متنوعة . ورؤي أنه عندما أصيب عقله بالجنون ، واستشاطت نفسه
بالغضب من جرّاء هذه الأتاول المريعة ، ألحّ في الدعاء أمام المذابح ووسط
تمائيل الأرباب ، متضرعاً إلى جوبيتر بيديّين مرفوعتين إلى أعلى ، قائلاً :

« أيّ جوبيتر ، القادر على كل شيء ، يا مَنْ يحتفل بك الآن أفراد
قبيلة ماوروسيا (٢٦) ، ويصّبون النبيذ تمجيداً لك ، وهم فوق الوسائد
المطرزة ، أترى هذه الأمور ؟ أفتهلّ تخشاك عبثاً ، أيها الأب ، عندما نرسل
الصواعق ؟ وهل هذه البروق ، التي تلمع بين السحب ، والتي تنزع عقولنا ،
ليس وراءها هدف ؟ أم هل هي مجرد ضجّة جوفاء تضرب ؟ إن امرأة —
٢١٠ مُتَجَوِّلة ، شيدت في ممالكنا مدينة صغيرة ، ابتاعتها بالمال ، حيث منحناها
سهلاً صالحاً للزراعة ، وطبقنا قوانين منطقتنا عليها — لقد رفضت طلبنا
للزواج ، واتخذت آنياس سيّداً في مملكتها . وها هو باريس (٢٧) ، مع حاشيته
الرخوة ، فقد ربط تحت ذقنه قلنسوة من مايونيا (٢٨) ، وقد ضمغ خصلات
شعره بالعمور ، وأخذ يستمتع بنعيمته التي اغتصبها . مع ذلك فما نحن نقدم
القرايين في معابدك ونقدس اسمنا من غير دلالة . »

بينما هو يتعلّق بالمذبح ، متضرعاً بهذه الكلمات ، سمعه جوبيتر ، القادر
على كل شيء ، فحوّل نظاره تجاه المدينة الملكية ، وتجاه العاشقين الغافلين
٢٢٠ عمّا يليق بهما من سمعة ، وعندئذ خاطب ميركور يوس (٢٩) موجّهاً
إليه هذه التعليمات :

« أيّ بئيّ ، هلّم بسرعة ، واستدع زفيروس (٣٠) ، ولتهبط
بجناحيك ، وتخطب بنفسك الأمير الدرداني ، الذي يتأكأ الآن في قرطاجة
الصورية ، غير عابئ بما مُنح له من مدن على يد ربّات القدر . ولتحمّل له
رسالتى هذه عبر الأثير : فليس هو بذلك الرجل الذي وعدتني به أمّته
فائقة الجمال ، ولا من أجل هذا أنقذته أمّته مرتين من سيوف الإغريق ؛

بل عليه أن يكون ذلك الشخص الذى سيحكم إيطاليا ، المتعممة بالسُلطان ،
والصاخبة بنثر الحرب ، والذى سينجب سلالة من دم « تيوكبر » النبيل ،
والذى سيخضع العالم بأسره تحت سيطرته . فإذا لم تبعث فيه كل هذه المآثر
الخليلة الحمية ، وإذا لم يحاول هو نفسه الإقدام على عمل جاد يحفظ به سمعته ،
فهل سيعقب ، كأب ، أسكانيوس على القلاع الرومانية ؟ ماذا ينوى أن يفعل ؟
ولأى هدف يتلكأ بين شعب معاد ؟ وكيف لا بهم بنزيرته الأوسونية (٢١)
وبالحقول اللاتينية (٢٢) ؟ فمره بالإبحار ، ولتكن هذه ، فحسب ،
رسالتنا إليه .

بعد هذا الحديث ، استعد ميركوربوس لتنفيذ مشيئة والده العظيم .
بدأ أولاً بأن ربط فى قدميه خفيه الذهبيين ، اللذين يحملانه بجناحيهما
إلى الفضاء الأعلى ، كالرياح السريعة ، فوق البحر والبر على السواء . ثم
بعد ذلك ، أخذ عصاه ، التى يستدعى بها الأشباح الباهتة من أوركتوس ،
والتي يرسل بها أشباحاً أخرى إلى أعماق تارتاروس (٢٣) الحزينة ، والتى
يبعث بها النور أيضاً فى الأعين أو يطرده منها ، ويفتح الأبصار بعد الموت .
بعلمها تزود بكل ذلك ، دفع الرياح ، وسبح خلال السحب المتراكمة .
كان فى طيرانه يرقب قمة أطلس الصلب وجوانبه الشاخنة ، أطلس ، الذى
يستند السماء بقمته ، تحيط به السحب السوداء ، تتوج هامته أشجار الصنوبر ،
والذى يصل وابلًا من المطر والرياح ، وتغشى كتفيه عباءة من الثلج .

كانت السيول تندفع وقتئذ من فقه المعمرة ، لحينه المريعة غدت يابسة
بفعل الجليد . وهنا استراح الكيليني (٢٤) على جناحيه المتوازنين ، ثم توقف .
ومن هنالك ، قذف بنفسه رأساً على عقب ، بثقل جسده كله ، إلى الأمواج .
وكالطائر الذى يطير بالقرب من سطح البحر حول الشواطئ وحول الصخور
المليئة بالأمهك ، كان ربيب كيليني المنحدر من جده لأمه يطير بين الأرض
والسما ، ويفصل بين شاطئ ليبيا الرملى وبين الرياح . وما أن وصل بقدميه
المحتنتين إلى ضواحي قرطاجنة ، حتى أبصر آينياس يشيد القلاع ويجدد

المباني . كان آينياس يمتشق حساماً مُرَصَّعاً باليشب الأصفر ، يرتدى معطفاً
 صورياً يتدلى من كتفيه إلى أسفل ويتوهج بلون أرجواني — إنها هدايا صنعتها
 ديدو الثرية من أجله ، وانتقت نسيجها من ذهب رفيع . وتوجه إليه
 على الفور بالحديث :

« أفقدت أنتهى بك المطاف ، إذن ، إلى أن تُرسي قواعد قرطاجة
 الشاحنة ، وأن تشيد مدينة جميلة ، وأنت متقاد لهذه المرأة ، غافل — وأأسفام—
 عن مملكتك وعن شئونك الخاصة ؟ إن كبير الآلهة الذى يسيطر بمشيئته
 على السموات والأرض قد أرسلنى بنفسه إليك من ذرى الأوليمبوس (٢٥)
 اللامعة ، وهو الذى أمرنى أن أحمل إليك تعليماته هذه عبر الفضاء السريع :
 ماذا تعترم أن تفعل ؟ ولماذا تقضى وقتك فى الأراضى الليبية ؟ فإن لم يكن
 هناك أى مجد من ماترك هذه يؤثر عليك ، ولم تحاول فوق ذلك القيام بعمل
 من أجل سمعتك ، فضع فى اعتبارك أسكانيوتس ، الذى بدأ يشب
 عن الطوق ، والآمال المعقودة على وريثك يولوس الذى سيؤول إليه ملكك
 إيطاليا والأرض الرومانية . »

وما أن نطق الكيليني بهذه الكلمات ، حتى أودع خلال حديثه ظاهرة
 بشرية (٢٦) ، ثم اختفى بعيداً عن الأبصار فى الهواء الشفاف . أما آينياس
 فقد دُهل من هذه الرؤية . وأصيب بالخرس ، وقف شعره من الرعب ،
 والتصق لسانه بحلقه ، وتحرق شوقاً لأن يلوذ بالهرب وأن يترك تلك الأرض
 العزيزة . فلقد أخذته الرجفة من هذا الهاتف السماوى ومن أمر الإله . لكن ،
 وأأسفاه ، ماذا يستطيع أن يفعل ؟ وبأى حديث يمكنه أن يهدئ من ثائرة
 الملكة ؟ وبأية كلمات متقاة يبدأ هذا الحديث ؟ وأخذ يقلب فكره بسرعة ،
 تارة فى اتجاه وأخرى فى اتجاه آخر ، ويتشبهت بمختلف الاتجاهات ، ثم يتيه
 فيها جميعاً . وبعد طول تردد ، استقر عزمه على رأى فضله عن غيره :
 دعا إليه نيسيثيوس وسيرجستوس وسيريستوس الشجاع ، وأمرهم أن يجهزوا
 الأسطول سراً ، وأن يجمعوا رفقاءهم عند الشاطئ وיעدلوا أسلحتهم ،

٢٩٠ وأن يخفوا السبب الذى دعاهم إلى تغيير خططهم ؛ وقال إنه فى نفس الوقت - بينما تكون ديدو البالغة الطيبة فى غفلتها وبينما هى لا تتوقع أن تنفصم عرى مثل هذا الحب العظيم يوماً ما - سيحاول الاقتراب منها وأن ينتهز اللحظة المناسبة للحديث إليها . ويبحث عن أفضل الطرق لتنفيذ خطته . وعلى الفور ، أطاع الجميع أوامره ، فى ابتهاج ، وشرعوا فى تنفيذ تعليماته .

لكن الملكة - ومن يستطيع أن يخدع الحب !! - أحست سلفاً بهذه الخديعة ، وكانت أول من لاحظت التحركات التالية ، وأحست بالخوف ، بالرغم من أن كل الأمور كانت تبدو آمنة . وحين كان يسيطر عليها الغضب ، حملت إليها الربة فاما الشريرة ذاتها أنباء تفيد بأن الأسطول قد جهّز وأعدّ للإبحار ؛ فانتابها الغضب ، وسيطر عليها الجنون ، وأخذت تهيم على وجهها فى أنحاء المدينة بأسرها - كخبولة من تابعات باكخوس ، انزابتها رعدة أثناء الاهتزاز العنيف للرموز المقدسة (٢٧) ، واستهوتها احتفالات الأسرار التى كانت تقام كل ثلاث سنوات (٢٨) ، عند سماعها لاسم باكخوس ، وعندما يدعوها جبل كيثايرون بصياحه فى جوف الليل - وفى نهاية الأمر خاطبت آينياس بهذه الكلمات :

« هل داعبك الأمل ، إذن ، أيها الجحود ، فى أن تتمكن من خداعى - وباله من جُرم فاحش - وأن تنسلّ ، خلسة ، من أرضى ؟ ألم يدفعك إلى الإحجام عن ذلك حبّاً ، أو العهد الذى قطعته على نفسك ذات مرة ، أو ديدو التى صممت على أن تموت مئة قاسية ؟ كلا ! فيها أنت تعدّ أسطولك حتى فى فصل الشتاء ، وتسرع إلى الإنطلاق فى عرض البحر وسط الرياح الشمالية . فيالك من قاس ! ماذا ؟ هبّ أنك لم تكن تقصد أرضاً غريبة ومقرّاً غير معلوم ، وأن طروادة القديمة كانت لا تزال قائمة . أفهّل كنت تسعى بأسطولك إلى طروادة فى مثل هذا البحر العاصف ؟ أتفرّمنى إذن ؟ إننى أستحلفك بهذه الدموع ، وبيدك اليمنى تلك - حيث أننى لم أترك الآن شيئاً آخر لنفسى ، أنا النعسة - وبزواجنا وبأناشيد الزواج التى بدأناها ، إن كنت »

أستحق منك أى خير ، أو إن كانت فى مُشْتَعَةٍ لك - أن تشفق على منزل
 ينهار ، وأن تتخلى عن قرارك هذا - إن كان هناك حتى الآن مكان للتوسلات
 عندك . فمن أجلك جَلَبْتُ على نفسى كراهية الأمم اللبية ، وأمرأ
 ٣٢٠ النوميين ، وأهل صور المعادين ؛ من أجلك أيضاً ضحيت بحياتى ،
 وبسمعتى السابقة التى بها وحدها ، حَلَقْتُ فى عالم النجوم . فكلمن
 تهجرنى ، يا ضيفى (٣٩) ، وأنا مقبلة على الموت ؟ إن ما بقى لى من الزواج
 هو اسمه فحسب . فماذا أنتظر ؟ أنتظر حتى يدمر أخى بيجماليون مدينتى
 هذه ؟ أو حتى يوقنى يارباس الحياتولى فى الأمر ؟ أو أنى فقط حظيت
 منك بطفل قبل هجرك لى ، أو كان آيناس صغير قد تواب فى فناء
 قصرى ، ومنحنى ، رغم كل ذلك صورتك فى ملامحه ، إذن لما غدوت
 حقاً مخدوعة ومهجورة على الإطلاق . »

٣٣٠ هكذا كان قولها . أما هو ، فأبقى عينيه ثابتين حسب تحذيرات چوبيتر
 وبنضال شديد قاوم الحب فى قلبه ، ثم أجاب باقتضاب فى آخر الأمر :

« إننى لن أنكر إطلاقاً أنك أيتها الملكة - وقد أسديت لى خدمات
 جليلة - يمكنك - بما تقولين - أن تلقى على عاتقى الترامات عديدة ؛
 ولن أجد غضاضة فى أن أذكر إيلسا (٤٠) مادمت أذكر نفسى ومادمت
 أملك روحاً تحكم أطرافى هذه . غير أنى سأحدث بإيجاز حسب ما يقتضى
 المقام : لا تعتقدى أن الأمل قد راودنى فى إخفاء هربى هذا وإبقائه طى الكتمان ،
 ولم أستخدم أبداً مشاعل الزواج كستار لأغراضى . لا ، ولم أقحم نفسى
 ٣٤٠ فى مثل هذه الشئون المتعلقة بالزواج . إذا لو أن ربات القدر كن قد
 تركننى وشأنى حراً فى تصريح مجرى حياتى ، وفى أن أبنت ، بمحض إرادتى ،
 فى عواطفى ، لكان اهتمامى منصباً فى المقام الأول على مدينة طروادة وآثار
 وطنى العزيزة ، ولكان قصر پرياموس الشامخ ما زال قائماً ، ولكنك قد
 شيدت بيدى هذه من جديد قلعة طروادة للمهزومين . أما وقد أمرنى الآن
 أبوللون الجربنى (٤١) بأن أسعى إلى إيطاليا الجديدة ، وبالسعى إلى إيطاليا

أيضاً أمرتني النبؤات الليكية (٤٢) : فإن هذا هو موضع حبي ، وهذا هو وطني . فإن كانت قلاع قرطاجة ومنظر المدينة الليبية يستهويك ، لأنك فينيقية الأصل ، فهل تغططن استقرارنا نحن ، التيوكريين ، في الأرض الأوسونية ؟ لقد قُدر علينا أن نبحث عن ممالك أجنبية . وكلّما لَفَّ الليل الأرض بظلاله الرطبة ، وكلّما ارتفعت النجوم المتلألئة ، يحزنني في أحلامي طيف والذي أنخسيس المضطرب ، ويلقي الذعر في قلبي ؛ وكذلك يستصرخني ابني أسكانيوس ، لأن الظلم قد حاق بشخصه العزيز : إذاً أضعت عليه مُلك هيسبيريا والأرض الموعودة . والآن ها هو رسول الآلهة أيضاً - مُرسل من قبل جوبيتر نفسه ، وكلاهما شاهد على ما أقول - قد حمل إلى الأوامر السامية ، ساجداً عبر الفضاء . ولقد أبصرت بعيني رأسي الإله في تألقه الفريد يدخل قصرك ، وبأذني هاتين سمعت صوته . فكفك تعذيباً لي ولنفسك بشكواك ، فإني متوجه إلى إيطاليا رغم أنني . »

٣٥٠

٣٦٠

في الوقت الذي كان يتفوه فيه بمثل هذه العبارات ، كانت تنفحصه منذ البداية بنظرات متبلدة . تلور عينها هنا وهناك ، وتجوس خلال شخصه كله بنظرات صامته ، وبعدما امتشاطت غضباً ، انفجرت قائلة :

« أنها الخائن ! لا ، لم تنجيك ربة ، ولا كان دردانوس جدياً لبني جنسك ، بل كاوكاسوس (٤٣) الرهيب هو الذي أنجيك فوق صخور وعرة ، ثم ألقيتكم نور هيركانية (٤٤) أنداءها . لماذا أخفق حقيقة مشاعري ؟ أو لماذا أحتجز نفسي لإساءات أشد وطأة ؟ أفهمل تأوّه من أجل بكائي ؟ أفهل تحركت عيناه ؟ أفهل ذرف الدموع مقهوراً من أجلى ؟ أو أشفق على لأنني أحبه ؟ ترى بماذا أبداً أولاً ؟ فالآن لا چونو البالغة السمو ولا الأب ابن ساتورنوس . يُقرآن هذه الأفعال . إذ لا وجود على الإطلاق للثقة الوطنية . لقد وجدته ملقى على الشاطئ وهو محتاج بائس ، وكم كنت مخبولة حين جعلت منه شريكاً لي في الحكم . لقد أمدت بناء أسطوله المحطم ، وأنقذت رفقاءه من الموت . آه ، إنني أكنو بالنار ، ويكاد الجنون يذهب بي !

٣٧٠

«فتارة أبوللون المُستَسبِيء بالغيب، وتارة النبوءات الليكية، وتارة أخرى رسول الآلهة المرسل من قبل جوبتر نفسه، يحمل الأوامر الخيفة عبر الفضاء (٤٥) ...»
 ٣٨٠ حقاً ! فهذا هو شغل الآلهة انشاغل ، وذلك الحب يُقَضِّص مصاجعهم ! إنني لا أمنعك ، ولا أعترض على ما قلت ، فاذهب واتصد إيطاليا مع الرياح ، واسعَ إلى مملكتك عبر الأمواج : غير أنني آمل — إن كان ذلك في مقدور الآلهة العادلين — أن تلقى جزاءك بين الصخور ، وأن تنادي باسم ديدومرارا . بالرغم من غيابي ، سوف أتعقبك في صورة نيران فاحمة السواد ؛ فعندما ينتزع الموت البازد روحى من أطرافى ، سينطلق شبحى إلى كل مكان . وسوف تلقى ، أيتها الشمس ، جزاء ما جنت يداك ، وسوف أسمع بذلك ، لأن مثل هذه الأنباء ستصل إلى فى العالم السفلى . »

بهذه الكلمات قطعت حديثها فى منتصفه ، وتحاشت نسمات الهواء ، لشعورها بالإعياء ، ثم اندفعت مخفية عن الأبصار ، تاركة إياه فى حيرة بالغة وقلق عظيم ، فى الوقت الذى كان يستعد فيه ليقول لها أشياء كثيرة .
 ٣٩٠ أما الخادومات فقد ساعدن الملكة على حفظ توازنها ؛ وعندما فقدت وعيها حملنها من أطرافها إلى حجرة نومها الرخامية ، ووضعنها برفق على فراشها . وبالرغم من أن آينياس الورع كان يرغب فى تخفيف ألمها ومواساتها ، وأن يزيل همومها بكلماته ، وبالرغم من أنه تأوه كثيراً ، واهتزت مشاعره من فرط الحب العنيف ، إلا أنه استجاب لأوامر الآلهة ، وتوجه لزيارة أسطوله من جديد . عند ذلك أقبل التيوكريون على العمل ، وأرسوا السفن المرتفعة على طول الشاطئ ، وطفقت على سطح الماء السفن المطلية بالقار . كانوا متلهفين على الرحيل ، فأعدوا من الغابات مجاديف لم تُنزع عنها أوراق الشجر بعد ، وأحضروا كتلاً من الأخشاب لم تتناولها يدٌ بالتشذيب .
 ٤٠٠ فراهم وهم ينتقلون ويتزاحمون خارج المدينة كلها كمثل النمل — وهو يستعد لقدم فصل الشتاء — عندما يسرق كمية كبيرة من الحبوب ثم يكومها فى مساكنه ، ويسير فى هيئة شريط أسود عبر السهول ، يحمل غنيمته خلال

المروج على ممر ضيق ، البعض يدفع حبوب القمح الكبيرة بأكتافه ، باذلاً أقصى جهده ، والبعض الآخر يرتب الصفوف ، ويوبّخ المتكاسلين ، بينما يكون الممر كله يَمُوج بالنشاط .

أى ديدو ! ترى ماذا كان إحساسك حينئذ ، وأنت تشاهدين مثل هذه الأحداث ؟ وأى أنين كنت تصوريته بينما ترقين ، من برجك الشامخ ، الشاطئ الممتد وهو يَمُوج بالحركة ، وبينما تنظرين إلى البحر بأسره وهو يضطرب أمام عينيك وهو يبعث ضوضاء صاخبة ؟ أيها الحب الذى لا يابن ، كم تسيطر على القلوب الغافية ، ؟ لقد اضطرت أن تلجأ من جديد إلى اندموج ، أن تستميلة من جديد بتوسلاتها ، وأن تُخضع مشاعرها فى تضرع للحب ، وذلك حتى لا تترك وسيلة واحدة دون تجربة فتزْهق روحها سدى :

« أى أنا ، ها أنت تشاهدين كيف يسرعون على طول الشاطئ ، ويتجمعون حوله من كل ناحية ، وكيف يدعو الشراع الآن الريح ، والبحارة يُسَوِّجُونَ سفنهم ، فى ابتهاج ، بأكاليل الزهور . لقد علمت بهذه الصدمة قبل وقوعها ، يا أختاه ، لذلك فسوف يكون فى وسعى أن أتحمّلها . لكن حقى من أجلى — أنا التعسة — ، بالرغم من ذلك ، رغبة واحدة يا أنا . لأن ذلك الغادر قد جعلك وحدك محل تقديره ، وكذلك أفضى إليك بما خفى من مشاعره وأنت وحدك تعرفين أنسب الأوقات وأفضل الطرق إلى قلبه . اذهبي يا أختاه ، وخاطبي العدو المتعجرف فى ضراعة : فلست أنا مَنْ تأمرت مع الإغريق فى أوليس (٤٦) . لكى نستأصل شأفة الجنس الطرودى ، ولست أنا مَنْ أرسلت الأساطيل إلى قلعة طروادة ، كما أننى لم أنتهك رنات أبيه أنخيس ، فلماذا يمنع كلماتى من التسلل إلى أذنيه الحامدين ؟ ولماذا يسارع بالحرب ؟ فليُضنَّ هذا الجميل الأخير فى عاشقته التعسة ، وليستريح فى هربه حتى يصفو الجو وحتى تهدأ الريح ، فلن أثير بعد الآن مسألة الزواج القديمة وعهده الذى نكته . وليس عليه أن يحرم نفسه من لاتيوم الجميلة أو يتخلى عن مملكته ... إن غاية ما أتمس منه فترة الفراغ ووقتا أجمع فيه

للراحة من تلك العاطفة المهلكة ، حتى يلقننى قدرى كيف أستسلم للأحزان
عندما أغلب على أمرى . فاشفقى على أختك ، إذ أننى ألتبس منك هذا الجميل
الأخير الذى ، إن حققته لى ، سوف أرده إليك مضاعفاً بعد موتى . »

يمثل هذه الكلمات كانت ديدو تتوسل ؛ وفى تأثر بالغ حملت أختها
هذه الرسالة الباكية إلى آينياس مرة بعد مرة . غير أنه لم يتأثر ببكاء أو نحيب .
لا ، ولم يصغ فى استسلام لأي من هذه الكلمات ؛ فرباب القدر كن يقض
فى طريقه ، وكان الإله قد أصمّ أذنيه عن التوسلات — فكما أن عواصف ٤٤٠
الألب الشمالية بأعاصيرها ، تارة على هذا الجانب وتارة على ذلك ، تتبارى
فيما بينها كى تقتلع شجرة باوط قوية ذات جذع معمر ، فتُسَمَّع جلبة
وتتناثر أوراق الشجرة من على الأرض ، ويهتر الجذع بعنف بالرغم من
أن الشجرة ذاتها تظل مثبتة فى الصخور ، وبقدر ما تعلو بهائمها إلى ذرى
الفضاء تهبط بجنودها إلى أعماق تارتاروس — كذلك كذب البطل ، يلقى هجوماً
من جميع الجهات بواسطة كلمات منهمة دون توقف ، ويشعر بالآلام
فى قلبه العظيم ، إلا أن عقله ظل راسخاً بينما كان دموعها تنهمر سدى .

عندئذ تآقت نفس ديدو التبعة إلى الموت أكثر من ذى قبل بعد أن ٤٥٠
روعت من سطوة الأندار ، وبعد أن شمت النظر إلى قبة السماء ، ومما جعلها
تسارع فى تنفيذ ما عقدت عليه عزمها ومفارقة الحياة أنها شاهدت — بينما
كانت تقوم بوضع القرايين على المذابح التى يتصاعد منها البخور — منظرأ
مربعاً روايته : لقد رأت السوائل المقدسة قد تحول لونها إلى السواد ،
وأن الخمر المسكوبة قد تحولت إلى دم كرىه . لم نقص هذه الرؤيا على أحد ،
حتى على أختها نفسها . وفضلاً عن ذلك فقد كان فى قصرها خلوة من الرخام ،
خاصة بزوجها الراحل ، تُجلتها إجلالاً يفوق الوصف ، فكانت تتربحها
بجزء بيضاء كالثلج وبأكاليل من الورد الناضرة : من هذه الخلوة كانت ٤٦٠
كلمات زوجها الراحل وصوته ، وهو يناديها ، تبدو مسموعة بجلاء حينما
يطوى الليل القاتم الأرض ، وحينما تنوح البومة ، منفردة فوق الأماكن

المرتفعة ، بنشيدها الجنائزى ، وتطلق صيحاتها الطويلة الباكية . بل وأكثر من ذلك ، كانت نبوءات كثيرة للعرافين المُتدبِّين تُروِّعها بئثرها المفزعة . أما آينياس المتحجّر القلب فكان يزعمجها وهى تهذى فى أحلامها ، فهى دائماً تبدو لنفسها وكأنها تُركت للعزلة ، وكأنها دائماً ذاهبة إلى رحلة مضنية دون رفيق ، وكأنها تبحث عن الصوريين فى أرض قاحلة - مثلها فى ذلك مثل بنثيوس (٤٧) الخجول ، الذى رأى رهطاً من ربات الانتقام ، ورأى الشمس مزدوجة ، وظهرت أمامه مدينة وكأنها امديتان ؛ أو مثل أورستيس (٤٨) بن أجاممنون . المُطَّارد على المسرح (٤٩) ، عندما فرّ من أمه المسلحة بالمشاعل وبالحيّات السوداء وربّات العذاب المتتمة رابضات عند الباب .

لذلك ، عندما غلبها الحزن ، واستبد بها الغضب ، عزمت على الموت وأخذت تدبر بنفسها الوقت والطريقة الملائمة . وتوجهت بالحديث إلى أختها الحزينة ، وهى تحقق عزمها بنظراتها ، وتظهر الأمل الهادئ على جبينها :

« زفى التهانى إلى أختك ، يا أختاه ! فلقد اكتشفت الطريق الذى سوف يردّه لى ، أو يحررنى كمُحجبة من بقته . بالقرب من نهاية المحيط والشمس الغاربة توجد بلاد الآثيوبيين النائية ، حيث أطلّس العظيم الذى يحمل على كتفه السماء المرصعة بالنجوم الثلاثة : هنالك ظهرت لى كاهنة من الجنس الماسيلي . كانت حارسة لمعبد المسيريديات (٥٠) تمدّ التبن بظعامه ، وتقوم على حراسة أغصان الشجرة المقدسة ، تلك الشجرة التى تنضج بالعسل المندى والخشخاش الذى يبعث على النوم . لقد أخذت على عاتقها أن تخلّص بعض النفوس بتعاوبها من سطوة الحب ، وأن تسلط على نفوس أخرى الموم القاسية ، وأن توقف المياه فى الأنهار ، وأن تعكس حركة النجوم ، وأن تستدعى أشباح الموتى فى جوف الليل . اسوف تشهدين الأرض وهى تزار تحت قدميها ، وأشجار اللردار وهى تهبط من الجبال . أئى أختى العزيزة ، إننى أشهد الآلهة ، وأشهدك ، وأشهد شخصك العزيز ، أننى قد لحات إلى فنون السحر بالرغم عن إرادتى . فهل لك أن تقيمى - سرّاً - فى الفناء الداخلى

نصباً جنازياً عالياً ، وأن تضعى فوقه أسلحة ذلك الرجل ، التى تركها ،
 فى جحود معلقة فى حجرتى ، وكذلك كل مخلفاته وسرير الزوجية ، حيث جل
 فى الدمار . فلقد مددت لى الكاهنة يد المعونة ، وأرشدتنى إلى أن أمحو كل أثر
 لذلك الرجل المقيت . »

صَمَتَتْ ديدو بعد هذا القول . وفى الوقت نفسه غطى الشحوب كل
 وجهها . غير أن أنا لم تكُن لتتصور أن أختها تحقّى رغبتها فى الموت بهذه
 الطقوس الغريبة ، ولم تترك أنها تدفن مثل هذا الغضب الجامح فى صدرها ،
 ولم تحشّ شيئاً أسوأ مما حدث عندما مات سخايوس . لذلك استعدت
 لتنفيذ ما طلب منها .

غير أن الملكة ، بعد أن أقيم النصب العالى فى داخل القصر ، غطت
 المكان بمشاعل الزواج ، وبكتل البلوط الضخمة ، وبأكليل الورود ،
 وتوجّهت بالأغصان الجنازية . وعلى السرير وضعت ملابس آينياس والسيف
 الذى تركه وصورته ، مدركة تماماً لما سيحدث فى المستقبل . كانت الكاهنة
 والمذاح تائمة حولها وجدائل شعرها مهوشة — تستصرخ ثلاثاً إلى (٥١) ،
 وتستصرخ أيضاً لإريوس ، وخاؤوس (٥٢) ، وهيكاتى (٥٣) المثلثة ،
 والعنراء ديانا (٥٤) ذات الصور الثلاث — ثم نثرت أيضاً مياهاً زعم أنها
 من بحيرة أفيونوس ، وجرى البحث عن أعشاب مملوءة رحيقاً ، إجتشت
 فى ضوء القمر بمنجل نحاسى مع عصير سمّ أسود ، وكذلك عن تعويذة
 الحب المتروعة قبل أوانها من جبهة مهرٍ حديث الولادة ، مُبعد عن أمه (٥٥) .
 أما الملكة نفسها فكانت تستغيث بالآلهة وهى مقبلة على الموت — إحدى قدميها
 عارية من أربطة الصندل ، وفى إزارٍ محلول بالقرب من المذبح ، وبالقربان
 المُلتح ، ويبدن ورعتين ، وكانت تبتهل أيضاً إلى النجوم وهو موقنة
 من نهايتها ، ثم لأنها كانت تتوسل إلى الإله العادل الذى يرمى بعين العدالة
 المحبين الذين هجرهم أحباؤهم ، إن كان لمثل ذلك الإله وجود .

كان الوقت ليلاً والأجساد المُنْهَكَة تستمتع بقسط من الراحة الهادئة على الأرض ، وكانت الغابات والبحار النائرة قد سكنت ، في الوقت الذي كانت فيه النجوم تسبح في أفلاكها والحقول كلها صامته . كانت الحيوانات والطيور ذات الألوان الزاهية — سواء تلك التي تتردد دوماً على البحيرات الجارية ، أو تلك التي تتردد على الحقول ذات الأشواك الحشنة — تخفى متابعها بالنوم ، مستلقية تحت ستار الليل الساكن ، وقد نسيت فلوبها المتاعب . غير أن الفينيقيّة (٥٦) التعة الفؤاد لم تكن كذلك ، فبى لم ترح إلى النوم أبداً ، ولم ترحب بالليل لا بعيونها ولا بقلبها . لقد تضاعفت همومها ، وثار الحب الذي انبعث من جديد ، وماج بفيض غزير من الانفجالات . وعند هذا الحد بدأت تُحدّث نفسها وتقلب مثل هذه التأملات في قلبها :

٥٣٠

« أواه ، ماذا أفعل ؟ أحاول الرجوع إلى من سبق أن طلبوا منى الزواج ، وأنا مُحْتَقَرَة منهم ؟ هل أبحث ضارعة عن زواج من أحد النوميدين ، الذين كثيراً ما ازْدَرَيْتُ أن يكونوا لي أزواجاً ؟ أم أتبع أسطول إيبوم ، وأخضع لأوامر التيوكرين البالغة الدناءة ؟ ولماذا !!! لأنى حقاً قد نقيت جزاء معونتي ، التي منحتها للتخفيف عنهم ، وحفظوا لي جيداً في ذاكرتهم هذا الحميل القديم (٥٧) ؟ ! لكن هَبْ أنى أرغب في هذا ، فمن ذا الذي سيفسح لي صدره ، أو يقبلني في سفنهم المتخطرة ، وأنا مكروهة منهم ؟ آه أيتها الضائعة ! هل أنت غافلة ، فلم تعودى تحيين ، وأأسفاه لغدر الجنس اللاؤوميدوني (٥٨) ؟ ... ماذا إذن ؟ هل أرافق البحارة المتصرين هاربة بمفردى ؟ أم أسير معهم مصحوبة بالصوريين وبكل شرذمة شعبي ، وآثر أولئك الذين انتزعتهم بمشقة من مدينة صيدا بأن ينشروا أشرعتهم مع الريح ثم أشق طريق في البحر من جديد ؟ ... كلا ! بل سنقضي نَحْبُك ، كما تستحقين ، وستسئلين الأملك بالسيف . وأنت يا أختاه ! لقد كنت أول من أثقاني في ثورتى بهذه الهموم ، لأنك لم تحملي أن أذرف الدموع ، وألقيت بي في مواجهة عدوى . أفكلم يكن من الأفضل أن أنضى حياتى منفردة ،

٥٤٠

٥٥٠

دون متاعب الزواج ، مثل حيوان الغاب ، من أن أواجه كل هذه المتاعب !
وأن أنقُص العهد الذى قطعته على نفسى لرفات سيخبايوس !!! »

كانت هذه هى الأنثى الشاكية التى تنطلق من صدرها . أمام آينياس فكان يستمتع بالنوم فى سفينة العالية ، عاقداً الغزم على الرحيل فى الحال . وكانت الأمور فى ذلك الوقت قد أعدت كما ينبغى . فقد طالعت صورة الإله فى نومه ، وظهرت محذرة إياه بنفس الطريقة . وكان ذلك الإله يشبه ميركور يوس فى كل شئ : فى صوته ، فى ملامحه ، فى خصلاته الذهبية ، وفى أطرافه التى تليق بشاب يافع .

« يا ابن الإلهة ، أممكنك أن تستسلم للنوم فى مثل هذه الظروف ؟ أفهَلْ سُلِبَ لُبُّكَ فلم تَعُدْ ترى أى أخطار قد تُحْدِقُ بك فى التو واللحظة ، ولم تعد تصنئى إلى هبوب نسائم زفيروس المواتية ؟ إذ أنها (٥٩) ، وقد عقدت الغزم على الموت ، تدبر المكائد والخطط الخفية فى صدرها ، وتثير سيلاً عارماً من سخطها . أَلَنْ تَفْرَ من هذا المكان بسرعة ، بينما الفرار الآن فى مقدورك ؟ إذ سرعان ما ترى البحر وهو يهوج بسفنها ، والمشاكل المتأججة وهى تتوهج ، والشاطئ وقد أضاء بألسنة الالهة — أو أدركك الفجر وأنت مازلت فى تاركوك على هذه الأرض . هَلَمْ إِذْن ، ودَعِكْ من هذا التلكؤ ، فالمرأة قُلُوب ومنغرة على الدوام . »

قال هذا ، ثم امتزج بظلمة الليل البهيم .

عندئذ أحس آينياس بفرع شديد بسبب هذه الرؤيا المفاجئة وانتزع جسده من الفراش ، ثم أيقظ رفاقه من النوم بقوله :

« هُبُّوا من نومكم ، أيها الرجال ، وأسرعوا بأخذ أمانتكم على صفوف المجاديف . انشروا القلاع فى الحال . فإن إلهاً مُرسلاً من ذرى السماء يُحْتَسَى مرة أخرى على أن ألوذ بالفرار ، وأن أقطع الحبال المجدولة . إنا تابعوك ، أى رسول الآلهة المقدس مهما كان من أمرك ، راضخون —

في سرور - لمشيئتك التي أبديتها مرة ثانية . فكُنْ معنا وكَلِّمْنَحْنَا
معونتك وتوفيقك ، ولتهيئ لنا نجوماً مرشدة في السماء (٦٠) . »

٥٨٠

هكذا تحدث ، ثم استلَّ حسامه اللامع من غمده ، وهو ينصله الحاد
على جبال المرمى . وفي الوقت نفسه غمرهم جميعاً إحساسٌ واحد بالحساس ،
فتدافعوا ، وَهَرَعُوا ، ثم غادروا الشاطئ . واختفت صفحة الماء تحت سفن
أسطولهم ، إذ انطلقت تشق زبد البحر وتطوى صفحته الزرقاء . والآن
وقد غادرت أورورا سرير تيثونوس (٦١) الزعفراني ، أخذت في بادئ
الأمر تبذر الأرض بأشعة جديدة من ضيائها . وما أن شاهدت الملكة ،
من برج الحراسة ، ضوء النهار يتحول إلى اللون الأبيض ، والأسطول
يتقدم بأشعة مصفوفة متوازية ، وما أن أدركت أن الشواطئ والمرافئ
شاغرة دون مُجَدَّف ، حتى ضربت صدرها الحميل ثلاثاً وأربعاً ،
ومزقت خصلات شعرها الذهبية ، وقالت :

٥٩٠

« آه يا جوبيتر ! هل هو راحل ؟ وهل يسخر مثل هذا الغريب
من مملكتي ؟ أفَلَنْ يجهزوا السلاح ، ويتعقبوه من كل صوب في المدينة ؟
أو لن تسرع طائفة أخرى في جذب سفائني من المرفأ ؟ هَلَمُوا إِلَى ...
أحضروا المشاعل بسرعة ! أنشروا القلاع ! حركوا المجاديف ... ما هذا
الذي أنفقه به ؟ أو أين أكون ؟ وأي جنون قد حل بعقلي ؟ ... ديلو أيتها
التعسة ، هل جَرَحَتْ مشاعرك الآن تصرفاته الجاحدة ؟ كان يجلب بك
أن تنوقعي ذلك ، حين مَنَحْتَهُ الصوبلحان . ياله من عهد ، وياله من ثقة
لرجل يروون عنه أنه يحمل آلهة وطنه ، وأنه حمل على كفيه أباه الذي طحنته
السنون (٦٢) ! ! ! أو لم يكن في مقدوري أن أمزق جسده إرباً ، وأن
أشوّهه ، وأنثره بين الأمواج ؟ أو لم أكن أستطيع أن أردى رفقاءه بالسيف -
حتى أسكانيوس نفسه ، وأن أقدمه على مائدة إوالده في مأدبة حافلة (٦٣) ؟
غير أنه كان من العسير التكهن بمصير الحرب ، فلو كان الأمر كذلك - ومن
ذا الذي أرهبه وأنا مقبلة على الموت ؟ - لرميت معسكره بالمشاعل ، وملاّت

٦٠٠

مبطخ سفائنه باللهب ، ولأهاكت الابن والأب مع عشيرتهما ، ثم طرحت
 بنفسى فوق كل ذلك . أيتها الشمس ! يا من تُهَوِّين . بأشعتك الملتهمية كل عمل
 على الأرض ، وأنت يا جونو يا مُسبِّبة هذه الهوموم والشاهدة عليها ، أى
 هيكاتى يا من يهتف الناس باسمك ليلاً عند مفترق الطرق ، وأنن ياربّات
 العذاب المنتقمة ، ويا آلهة إليسا (٦٤) الصائرة إلى الموت : تَقَبَّلُوا مِنِّي هذه
 الدعوات ، وَجَّهُوا عَنَّا نَيْتَكُمْ الإلهية الواجبة إلى ما اقترفته من آثام (٦٥) ،
 وأصغوا إلى توسلاتى . إذا كان من المحتم أن يصل ذلك الممقوت إلى المرقأ ،
 وأن يحمله الموج إلى الشاطئ ، وإذا كانت قرارات جوبيتر تنص على هذا ،
 وإذا كان هذا هو هدفه الراسخ ، فَلْيُبَكِّتْ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَجِدَى المعونة ،
 مثقلاً بالحرب وبأسلحة شعب جسور ، منفياً من وطنه محروماً من عناق ابنه
 يولوس ، وأن يشهد بعينيه مصرع رجاله ، غير مأسوف عليهم ، وأن لا يستمتع
 بمملكته أو برغبته فى الحياة — بعد أن يستسلم تحت ضغط شروط مخحفة
 للصالح — بل أن يسقط صريعاً قبل الأوان ، ويظل غير مقبور وسط الصحارى ..
 هذا ما أدعو به عليه . هذه هى كلماتى الأخيرة ، أنزف معها دمي . وأنتم
 يا أهل صور ، تعقبوا حيثنذ بالعداوة نسله وكل ذريته المقبلة ، ثم قَدِّمُوا
 كل هذا قرباناً إلى رفاى ... لَتَسْعِدِمِ المحبة والوفاق بين شعبينا ، وليتَهَضَّ
 من عظامى منتقم يطارد الدردانين المستوطنين بالشعلة والسيف ، الآن أو فيما
 بعد ، فى الوقت الذى يتروّد فيه بأسباب القوة . إننى أتوسل إلى الآلهة
 أن تظل شواطئهم معادية لشواطئنا ، ومياهم معادية لمياهنا ، وأسلحتهم
 معادية لأسلحتنا ، وأن يظلوا هم وأحفادهم فى شقاق (٦٦) مستمر
 معنا .

قالت ديلو هذا ، ثم أخذت تقلّب فكرها على كل وجه ، راغبة فى أن
 تُنهِى حياتها البغيضة بأسرع ما يمكن . بعد ذلك توجهت بحديث مقتضب
 إلى باركى مربية سيخانيوس — إذ أن القبر المظلم قد احتوى مربيتها فى وطنها
 القديم :

« أيتها المربية العزيزة ، استدع لى هنا أختى أنا ، واخبريها أن تُسرع
 كى تضمخ جسدها بالمياه الحارية ، وأن تحضر معها الأضحى وقرابين
 التكفير التى أشرت بها عليها . هكذا ، دعيتها تأتى ، وعليك أنت نفسك
 أن تغطى صدغيك بشریط مقدس . فلقد صممت أن أنهى الشعائر المقدسة التى
 أعدتها لجوبيتر ستوجيوس (٦٧) ، والتى بدأت فى حينها ، وأن أضع
 حداً لهمومى بأن أعهد بنصب الشخص الدردانى (٦٨) لألسنة الثيران . » ٦٤٠

بعد هذا الحديث ، حثت المربية خطأها بحماس من أثقلته السنون .
 أما ديدو فبعد أن ارتجفت وأصاب الجنون عزمها الخيف ، اضطربت مقتلها
 الداميتان ، تخضبت ببقع وجنتاها المختلجتان ، وانتابها شحوب الموت
 المقبل . بعد ذلك اندفعت إلى بوابة القصر الداخلية ، تسلفت النصب العالى
 فى جنون ، جرّدت السيف الدردانى من غمده ، وهو هدية لم تُنشد
 لمثل هذا الغرض . عندئذ ، ما أن شاهدت الملابس الطروادية والسرير المألوف
 لديها ، حتى انهمرت دموعها لوهلة قصيرة تتوقف بعدها تفكيرها ،
 ثم ألقت بنفسها على السرير ونطقت بآخر كلماتها : ٦٥٠

« أيتها التذكارات ، .. يا من كنت ذات مرة عزيزة على ما دامت الأقدار
 والآلهة قد شاءت ، فليستقبلوا روحى هذه ، واتخلصونى من هذه الهموم .
 لقد عشت واستنفذت ذلك القدر من عمرى الذى منحه لى القدر ؛
 ولسوف يهبط الآن شبحى عظيماً إلى العالم السفلى . فلقد شيدت مدينة
 مجيدة ، لقد شاهدت أسوارها ترتفع ، لقد اقصصت لزوجى ، ولقد عاقبت
 أختى المعادى بما يستحقه من جزاء : كنت سأظل سعيدة ... واحسرتاه ...
 بل فى أوج سعادتى ! فقط لو أن السفن الدردانية لم تقرب من شواطئنا
 على الإطلاق ! ؟ »

قالت هذا ثم أخفت وجهها فى الفراش :

هل سأقضى نحبي دون قصاص ؟ لكن فلأُمت ... هكذا ... ،
٦٦٠ هكذا (٦٩) يروق لى أن أهبط إلى عالم الظلال - وليَمَلأ الدردانى المتحجر
القلب عينيه من هذه النار ، وليَسْحَمَلْ معه نُذْرَ موتى . »

كان هذا ما قالته ؛ وفى أثناء حديثها شاهدها الوصيفات ملقاة على
نصل السيف ، وشاهدن الحسام يُزبد بدماء متجلطة ، ويدبها ملطختين
بالدماء . وجلَّجَلَّتْ صرخة فى فناء القصر الشامخ ، واندفعت الربة فاما
يجنون خلال المدينة المضطربة . وأخذت جنبات المنازل تُرَدِّد النحيب والأنين
وولولة النسوة ، وأخذت الصيحات العالية تتردد فى جنبات الفضاء . كأن
٦٧٠ قرطاجة بأسرها أو صور القديمة قد سقطت فى أيدي عدوٍ غازٍ . وأخذت
أسنة ثائرة من اللهب تتلظى فوق قمم المعابد والمنازل .

عندما سمعت أختها هذه الأنباء ، فقدت وعيها ، استولى عليها الفزع
بسرعة رهيبة ، أخذت تمزق وجهها بأظافرها ؛ وتضرب صدرها بقَبَضَتِهَا
... ثم اندفعت وسط الحشود المترصة ، وهتفت باسم أختها المحتضرة :

« أَىْ اختاه ، أفكأن الأمر على هذه الصورة ؟ أفهل كُنْتُ تسعين
إلى خداعى ؟ أفكأن هذا ما يُعدّه لى النُصْب الحنائزى هذا أو كان هذا
ما تعدّه النار والمذابح لى ؟ ... بماذا أبدأ شكواى ، بعد أن أصبحت وحيدة ؟
أفهل أبَيْتُ أن تكون أختك رفيقة لك فى موتك ؟ لو كنتِ دعوتنى إلى أن
ألقى نفس المصير ، لحطَفَ الموت ذاته كلانا بنصل السيف ، ولَحَدَّثَ
ذلك فى لحظة واحدة ... هل أَقَمْتُ يديّ هاتين أيضاً هذا النُصْب ،
٦٨٠ وتوسلت بالدعاء إلى آلهة وطنى ، كى أكون ، أنا القاسية ، بعيدة عنك
وأنت ممددة هكذا ؟ أو اه ، يا أختاه ! لقد أهلكت نفسك وأهلكتنى ،
وأهلكت شعبك ونبلاء صيدا وأهلكت مدينتك .. دعونى أغسل جرحها بالماء ،
وألقت بشفتى ما عساه أن يكون قد ظل متردداً من أنفاسها الأخيرة . »

قالت هذا ، ثم اعتلت الدرجات المرتفعة ، وأسندت إلى صدرها أختها

المنخفضة ، وأخذت تشد من أزرها وهي تأوّه ، وتجنّف دمها القاتم بطرف رداثها . أما ديدو ، فحاولت أن ترفع أهداسها الثقيلة ، لكنها عجزت من جديد . كان الجرح الغائر في صدرها يصدر صوتاً ككركرة الفقايع . وبذلت جهداً شاقاً في النهوض معتمدة ثلاثاً على مرفقها ، وثلاثاً تلحرجت على سريرها : وبعينين مترنحتين بحثت عن الضياء في السماء العالية ، وعندما عثرت عليه تأوّهت .

٢٩٠

عندئذ أرسلت جيونو القديرة - مشفقة عايتها من سكرة الموت الطويلة ، وآلام الاحتضار الرهيبة - إريس (٧٠) ، من ذرى الأيمبوس ، لتخلص روحها المعذبة من أطرافها المرتطة بها : ذلك أنه لم يوافقها الأجل المحرم ، ولم تهلك بموت واجب حدوثه ؛ لكن التعسة قضت قبل الأوان ، واستولى عليها الجنون بغتة ... ولم تكن پروسرينا (٧١) قد قصّت بعد الجداول الشقراء من رأسها ، كذلك لم تكن قد عهدت بشخصها إلى أوركوس ستوجيوس . وعلى ذلك حاثت إريس ، المغطاء بالندى ، طائفة إلى أسفل عبر السماء ، بألحقة زعفرانية اللون ، وقد اكتسبت ألهاً من الألوان المتباينة من الشمس المواجهة لها ، وخطت رحالها عند رأس ديدو :

٧٠٠

« إنني أحمل هذه (الخصلة من الشعر) المقدسة لدى ديس (٧٢) ، تلبية لأوامر الآلهة ، وأختصك من جسديك ذاك . »

قالت هذه ثم قصّت خصلة الشعر بيدها اليمنى . وفي الحال انطفأت جلوة الحياة تماماً فيها ، وصعدت روحها ، وتلاشت في الفضاء .

٧٠٥

ديبو ، ملكة قوطاجية ، على فراش الموت كما تخيلها الرسام ج . ب . تيولو



حواشى الكتاب الرابع

- (١) أنا Anna ، هى شقيقة الملكة ديدو .
(٢) إريبوس Erebus ، هو إله الظلام ، وشقيق ربة الليل نوكتس nox .
(٣) صور Tyrus ، مدينة معروفة منذ القدم ، تقع على شاطئ فينيقيا ، وتبعد عن مدينة سيدا Sidon من الجنوب بحوالى عشرين ميلا .
(٤) يارباس Iarbas ، هو ملك جايثوليا (مراكش الحالية) وغليبيد ديدو السابق .
(٥) راجع الحاشية السابقة .
(٦) شنب كان يسكن المنطقة المتاخمة لمملكة الجايثوليين .
(٧) بالقرب من تونس .
(٨) أوريون Orion ، برج سماوى كان القدماء يمتقدون أن ظهوره يسبب سقوط الأمطار وهبوب العواصف .
(٩) باكخوس Bacchus ، إله الخمر عند الرومان ؛ سعى بالتحلص من الخمر نظراً لأن الخمر تنسى شاربها المعلوم .
(١٠) إينى ساتورنوس هى جونو .
(١١) لمرفة الحيلة التى دبرتها فينوس وابنها كيوبيد لكن تقع ديدو فى حب آينياس راجع الكتاب الأول من الملحمة ص .
(١٢) الإشارة هنا إلى آينياس وصحبه الذين فروا من طروادة قاصدين الوطن الموعود فى إيطاليا .

(١٣) كلمة هيمنايوس Hymenaeus تعنى أنشودة الزفاف نسبة إلى الإله هيمن Hymen إله الزواج عند الرومان ؛ ويشير الشاعر هنا إليه ويشخصه بهذه الأنشودة .

(١٤) الماسيليون Massylii هم أفراد قبيلة كانت تسكن في شرق نوميديا الواقعة في شمال أفريقيا .

(١٥) كانت جزيرة ديلوس Delos موطناً للربة ليتو Leto والدة أبوللون .

(١٦) الدروبيس Dryopes ، شعب كان يسكن في الأصل منطقة إبيروس Epirus ، وهو من شعير إغريق عريق .

(١٧) الأجاثيرسي Agathyrsi ، إحدى القبائل التي كانت تسكن في منطقة سكثيا Scythia الواقعة شمال شرق البحر الأسود .

(١٨) جبل كينثوس Cynthus ، هو أحد جبال جزيرة ديلوس مسقط رأس الإله أبوللون .

(١٩) بعد أن شبه ثرجيليوس الملكة ديدو بالربة ديانا في الكتاب الأول من الملحمة عاخر هنا يشبه آينياس بالإله أبوللون .

(٢٠) الإشارة هنا إلى أسكانيوس ، ابن البطل آينياس ، الذي ينحدر من نسل فينوس وفي الوقت نفسه يتنسى إلى دردانوس ، الجذ الأول للطوراديين .

(٢١) يستخدم ثرجيليوس هنا الرمز في الإشارة إلى الزواج الذي تم بين آينياس وديدو ؛ فالماصفة والخوريات يرمزن إلى ما يصاحب حفل الزواج عادة من صياح وتهليل ، فأما البرق فيرمز إلى مشاعر الزواج التي تصاحب العروس حتى منزلها الجديد ، أو أصوات الخوريات فتتمثل أنشودة الزواج التي تزف بها العروس في ليلة عرسها .

(٢٢) فاما Fama ، هي الربة التي ترمز إلى سريان الشائعة وترويح الأنباء والأخبار بطريقة غير مشروعة كما تخفيها الرومان .

(٢٣) كويوس Coeus وأنكيلادوس Enceladus ، هما من الهالقة ، أنجبتهما جايا Gaia لربة الأرض من أورانوس Ouranus إله السماء .

(٢٤) آمون Hammon أو Ammon ، هو لقب كان يطلقه أهل ليبيا على جوبيتر .

(٢٥) جارامانتيس Garamantis ، هي حورية ليبية اغتصبها جوبيتر فأنجبت منه يارباس ملك جايتوليا .

(٢٦) ماوروسيا Maurusia ، قبيلة من موريتانيا بشمال أفريقيا .

(٢٧) أطلق يارباس اسم باريس على آينياس ليضمنه بالرخاوة من جهة وبأنه مقتصب لديدو ، كما اغتصب باريس هيلينا ، من جهة أخرى .

(٢٨) ماونيا Maonia ، هي ليديا في آسيا الصغرى ، كان النسوة فقط هم اللاتي يلبسن مثل هذه القلنسوة المايونية ، وكان ارتداؤها بواسطة الرجال شيئاً مستهجناً .

(٢٩) ميركوريوس Mercurius ، هو ابن جوبيتر والإله مايا ، وهو رسول الآلهة خاصة جوبيتر .

(٣٠) زيفيروس Zephyros ، هو ريح الغرب ، وهو مثل هنا في شكل إله .

(٣١) راجع حاشية رقم (١٥) ص ٢٧٠ ، وهو أحد الأسماء القديمة لسكان وسط جنوب إيطاليا أبظر ص ٣٠٧ وما بعده .

(٣٢) أبظر ك ٦ ، ص ٧٥٧ ، ص ٣٠٧ وما بعده .

(٣٣) راجع حاشية رقم (٣٠) ص ٣١٥

(٣٤) الكيليني Cyllenius ، صفة من صفات ميركوريوس . وكيليني Cyllene ، هو اسم جبل في أركاديا حيث والد ميركوريوس .

(٣٥) جبل الأوليمبوس Olympus ، هو مقر الآلهة الدائم - وذلك كما كان يعتقد الإغريق .

(٣٦) يبدو أن الإله قد تجسد لآنياس في صورته الكاملة .

(٣٧) كانت عابدات الإله باكخوس يرقصن رقصات هستيرية دون وعي خاصة أثناء احتزاز الرموز المقدسة للإله وهي إحدى شعائر عبادته .

(٣٨) انتشرت هذه الاحتفالات في إيطاليا في القرن الثاني ق.م. تكرّماً للإله باكخوس ، واضطر السناتو لإيقافها عام ١٨٦٦ ق.م. للبالغة والإسراف أثناء ممارسة العبادة .

(٣٩) خاطبت ديدو آنياس بكلمة «نسي» . نظراً إلى أنه أنكر رباط الزواج ولا يستطيع أن يتكرر كذلك أنه ضيفها .

(٤٠) إليسا Elissa ، اسم آخر للملكة ديدو .

(٤١) نسبة إلى جرينيوم Gryneum ، وهي مدينة على ساحل أيوليس ، بها معبد مشهور ونبوة للإله أبوللون .

(٤٢) كانت ليكيا Lycia موطناً لعبادة الإله أبوللون ومركزاً هاماً من مراكز نبوته .

(٤٣) كاوكاسوس Caucasus ، سلسلة من الجبال بين البحر الأسود وبحر قزوين ، لكن فرجيليوس يحمده في شكل آدمي .

(٤٤) هيركانية Hyrcana نسبة إلى الهيركانيين وهم قبيلة كانت تسكن المنطقة المطلة على بحر قزوين .

(٤٥) تكرر ديدو في هذه الفقرة كلمات آينياس بقصد التهمك والسخرية .

(٤٦) أوليس Aulis ، ميناء إغريق يقع في إقليم بويوتيا . هناك تجتمع أسطول الإغريق وقواتهم استعداداً للتحرك نحو طروادة .

(٤٧) بنتيوس Pentheus ، ملك أسطوري تصدى لعبادة باكخوس كي يمنع دخولها إلى مملكته طيبة ، فقتله عابدات باكخوس بعد أن سلط عليه الإله الجنون

(٤٨) أورستيس Orestes ، ابن أجاممنون . طاردت ربات الانتقام أورستيس لأنه قتل والدته كلوتمسترا انتقاماً منها بعد أن قتلت والده أجاممنون عند عودته منتصراً من طروادة .

(٤٩) طبقاً لما ورد عند سرفيوس استعار فرجيليوس هذا المشهد ، الذي يقول فيه أن أورستيس التجأ إلى معبد أبوللون بينا ربات الانتقام رابضة تراقبه عند المدخل ، من إحدى تراجيديات باكوفوس (= وهو شاعر تراجيدى روماني لم تصلنا من أعماله سوى شذرات قليلة) .

(٥٠) المسبريديات Hesperides ، هن بنات هيروس Hesperus ، وهن القائمت على حراسة حديقة - تقع عبر جبال الأطلس - مليئة بتفاحات ذهبية .

(٥١) ليس من المعروف على وجه التحديد الفرض الذي من أجله ذكر فرجيليوس هذا العدد الضخم من الآلهة . ربما لأن فنون السحر تستلزم ذلك .

(٥٢) خاوس Chaos ، إله الفوضى والبلاء الذي نشأ عنه العالم وبقية الآلهة .

(٥٣) هيكاتي Hecate ، هي ابنة برسيس من الربة أستريا أخت ليتو . وهي مختصة بالعالم السفلي .

(٥٤) ديانا Diana ، هي ابنة جوبيتر من لاتونا ، كانت ذات صور ثلاث ، ربة القمر وربة الصيد وربة العالم السفلي .

(٥٥) اعتقد القدماء أن المهر الحديث الولادة له عقدة على جبينه تزيها أمه بعد ولادته ، وأنه لو حدث أن أزيلت هذه العقدة من جبينه قبل أن تزيها أمه فإنها ترفض أن ترضعه أو تستمده وتتركه وحده يموت . لذلك كانت تستخدم هذه العقدة - بعد إزالتها - كتمويذة للحب

(٥٦) الإشارة هنا إلى ديدو .

(٥٧) تنطق ديدو هذه العبارة في سخرية وتهكم مرير ، إذ أن آينياس ورفاقه لم يحفظوا العهد ولم يعترفوا بالجميل .

(٥٨) لاؤميدون Laomedon ، كان ملكاً أسطورياً لطروداء ، إتفق مع الإله أبولون والإله
پوسيدون على أن يبنيا له أسوار طروادة ، لكنه غرر بهما ولم يدفع لهما المكافأة التي سبق
الاتفاق عليها . والإشارة هنا إلى أن الطرواديين قد ورثوا النذر من جدهم لاؤميدون .

(٥٩) المقصود هنا هو الملكة ديدو .

(٦٠) يعنى أن يهيء لهم طقساً معتدلاً مواتياً للرحيل في عرض البحر .

(٦١) تيثونوس Tithonus ، هوابن لاؤميدون وشقيق برياموس . أحبته إلهة الفجر
أورورا Aurora وأنجبت منه ممنون الذى قتل على يد أخيليوس .

(٦٢) بعد سقوط طروادة ، رفض آينياس أن يترك والدته أنخيس ، وحمله على كتفيه
أثناء رحيله عن المدينة .

(٦٣) الإشارة هنا إلى پيلوپس Pelops بن تانتالوس Tantalus ، الذى ارتكب
جريمة غادرة ضد أخيه أتريوس بأن أطعمه لحم أبنائه (أبناء أتريوس) .

(٦٤) هذه الجملة غامضة ، وإن كان من المحتمل أن الشاعر يشير إلى آلهة العالم السفلى الذين
سوف يتولون أمرها بعد انتحارها .

(٦٥) أى : تنظر إليها الآلهة بعين الرأفة مع مراعاة أن ما فعلته ديدو إنما فعلته رغماً عنها
وفى لحظة من لحظات اليأس .

(٦٦) اعتقد الإغريق ومن بعدهم الرومان (وما زال هذا الاعتقاد سائداً حتى اليوم بين
شعوب متعددة) . أن الآلهة تستجيب لدعاء المتبليين على الموت . ولقد تحققت كل دعوات
ديدو .

١ - اشتبك آينياس في سرور عديدة مع تورنوس في إيطاليا .

٢ - اضطر إلى ترك ابنه يولوس ليذهب إلى اتروريا كي يستجدى المعونة .

٣ - شاهد جميع أصدقائه يسقطون صرعى في الحرب خصوصاً صديقه الحميم
باللاس .

٤ - مات قبل الأوان مذبحاً على يد ميزنتيوس وترك غير مقبور على شاطئ
نهر نوميكوس حيث جرفته مياهه واختفت جثته فيها .

٥ - أنجبت قريطاجنة ها نيبال الذى أثار الفزع والرعب في قلب الرومان وجعل
من قريطاجنة عدواً عنيفاً قاسياً لروما .

٦ - ظل الرومان والقريطاجيون في حروب مستمرة وعناء متصل .

(٦٧) أى بلوتو ، إله العالم السفلى . وكلمة ستورجيوس مشتقة من ستايكس styx ، أشهر أنهار العالم السفلى .

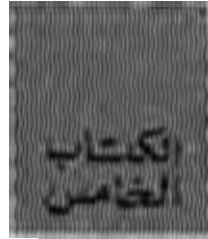
(٦٨) أى الكومة التى وضعت عليها صورة آينياس ، ولقد أسماها ديدو باسمه حتى لا يتسرب الشك إلى نفس أحد فى أنها مقدمة على الانتحار .

(٦٩) يقول المعلق سرفيوس إنها بينما تقول «هكذا» ... هكذا طعنت نفسها مرتين .

(٧٠) إيريس ، هى ابنة ثاوماس Thaumais من الكترا ، كانت رسول الآلهة وخاصة الربة جرونو . كانت مهمتها قطع الخيط الذى يربط بين الروح والجسد ويمنعها من مغادرة الجسد أثناء الاحتضار . وتبدو عادة على شكل قوس قزح ذى ألوان زاهية .

(٧١) پرسرپينا Proserpina ، هى ابنة جوبيتر من كيريس وزوجة الإله هاديس إله العالم السفلى . كان الرومان يعتبرون الموقى أصحابى تقدم لأكلة العالم السفلى ، لذلك كانت تقص خصلة من شعر رؤوسهم - تماماً كما يحدث مع الحيوانات قبل تقديمها على مذابح الآلهة العلوية . ولأن ديدو ماتت قبل الألوان ، فإنها لم تكن تخص پرسرپينا التى كانت مسئولة عن البشر الذين يموتون ميتة طبيعية فقط . لذلك عهدت جرونو بهذه المهمة إلى باريس .

(٧٢) ديس Dis ، أو بلوتو ، هو إله العالم السفلى .



دكتور عبد الله المسلمي

في تلك الأثناء كان آينياس يبحر بأسطوله — بعزم — في عرض البحر ، ويشق عباب الأمواج التي أظلمتها ريح الشمال . كان ينظر خلفه إلى المدينة ، التي كانت تشتعل حينذاك بلهب محرقة ، إليسا التهمة . أما سبب إضرام نارٍ ضخمة كهذه فقد كان غامضاً . لكنها الآلام القاسية الناجمة عن حب عنيف أصيب بالمهانة ، والجهل بما تستطيع المرأة أن تفعله في ثورة غضبها — كل ذلك جعل قلوب التيوكريين نهب نُذير مشؤمة .

وعندما توغّات السفن في عرض البحر ، لم يتعد يظهر يابس على مرمى البصر — فالبحر في كل جانب ، والسماء في كل اتجاه — ، خيمت فوق الرؤوس سحابة ممطرة قائمة اللون ، تحمل بين طياتها الظلمة والعواصف الموحية ، واضطرب الموج في الظلام الدامس . أما بالينوروس (١) نفسه ، المسك بالدفة ، فقد أخذ يصيح من أعلى مؤخرة سفينه « وا أسفاه ! لماذا طوّقت هذه السحب الضخمة السماء ؟ أمها الأب نبتونوس ، ماذا تدبر ؟ » بعد أن قال ذلك ، أمر الرجال أن يجمعوا حبال السفينة ، وأن يلقوا بكل ثقلهم على المحاديف القوية . ثم حوّل الشراع في مواجهة الريح بينما كان يتفوّه بهذه الكلمات :

« أي آينياس الشهم ، أو لم يكن جوبيتر ، الذي يوفى بعهده ، قد وعد ، ما كنت آمل في الوصول إلى إيطاليا في مثل هذا الطقس . لقد غيرت الرياح اتجاهها ، إنها ترأّر في وجهنا ، إنها تثور من جهة الغرب المظلم ، إن الهواء يتجمع في هيئة سحاب . إننا لا نستطيع أن نقاوم ، أو أن نشقّ طريقنا بالقوة وما دامت للربة فورتونا (٢) الغلبة ، فعلينا أن نتبعها ، ونوجه طريقنا إلى حيث تدعونا . إني أظن أن شواطئ أخيك أريكس (٣) الآمنة

والموانئ الصقلية ليست على مسافة بعيدة — هذا فقط إذا كانت ذاكرتي في حالة طيبة ، وإذا كنت أتذكر جيداً النجوم التي رصدتها من قبل ؟ » .

عندئذ أجاب آينياس الورع : « حقاً إنى ألاحظ أن الرياح ترغب في هذا منذ أمدٍ بعيد ، وأنتك تحاول عبثاً أن تشق طريقك في مواجهتها . فلتستغير خط سيرنا ، فهل توجد بقعة من الأرض — أرغب في الذهاب إليها بسفنى المنهكة — أفضل إلى من تلك البقعة التي تضم بين جنباتها صديقي أكستيس (٣) الدرداني والتي تطوى في أحشائها عظام أبى أنخيس (٥) ؟ » . بعد أن قال هذا ، إتجهوا صوب الميناء ، وقد نشروا الأشرعة لتتألفها الرياح الغربية المواتية (٦) . أخذ الأسطول بمخر عباب المياه العميقة بسرعة . لقد وكّوا وجوههم في آخر الأمر شطر الشاطئ المألوف لديهم ، وهم مسررون .

هناك ، على بُعدٍ ، ومن أعلى قمة الجبل ، كان أكستيس ينظر في دهشة نحو السفن الصديقة ، وهي تتقدم ؛ ثم هرع نحوها ، وهو مدجج بالسلاح ، ومدثر بجلد أنثى دبٍ ليبية . لقد وُلد أكستيس من أمٍ طروادية لإله النهر كريميسوس . لم يكن قد نسى نسبه القديم ؛ لذلك فقد رحّب بالقادمين واستقبلهم مسروراً ، ثم قدم لهم هدايا بسيطة ، وعمل على الترفيه عن المتعبين منهم بموارده المتدفقة .

مع فجر اليوم التالي ، بعد أن غابت النجوم ، دعا آينياس رفاقه من كل مكان على الشاطئ ، ومن فوق ربوة عالية خاطبهم قائلاً :

« يا أبناء دردانوس العظام ، يا مَنْ تنحلرون من نسل الآلهة المقدس ، أما وأن الشهور تمضي بنا ، فإن الدورة الحولية تقترب من نهايتها منذ أن واريننا في التراب ما تبقى من جسد أبى المقدس من رماد ، وباركنا المذابح بأحزاننا . والآن ، إذا لم أكن مخطئاً ، فقد حلّ هذا اليوم ، وسأجعل منه دائماً — هكذا كانت مشيتكم ، أيتها الآلهة — ذكرى حزينة ، كما أنى سأجعل منه دائماً يوم تكرم . فلو أنى كنت الآن أقضى هذا اليوم منفياً في منطقة

الرمال المتحركة الحياتوية. (٧) ، أو أتبه في البحر الأرجولي أو في مدينة
موكينية (٨) ، لكننت مع ذلك قد وفيت بالنمر السنوي وقمت بأداء
الطقوس المقدسة حسب النظام المتبع ، ولأزدهمت مذابح الآلهة بالهدايا
التي تستحقها . بل إننا نقف اليوم في حضرة رفات والدي وعظامه — ولا أعتقد
أن هذا يحدث دون قصد أو على الرغم من إرادة الآلهة — بعد أن وصلنا
إلى موآنيء صديقة ساقتنا إليها الرياح — هيناً بنا ، إذن ، جميعاً لنحتفل
مرحين بتقديم القرابين ، وأنصّل شكرًا للرياح ولتكن مشيئة أن أؤدي
هذه الطقوس عاماً بعد عام في المعابد التي ستشيد تكريماً له بعد إنشاء مدينتي .
إن أكستيس ابن طروادة البار ، بمنح زوجاً من الثيران لكل سفينة من سفنكم ،
فلتدعوا إلى الاحتفالات آلهة الپيناتيس (٩) وكذلك تلك التي يقدها
مضيفكم أكستيس . وفضلاً عن ذلك ، فإذا ما نشر فجر اليوم التاسع (١٠)
ضوءه الخافي على البشر ، وأضاء العالم بأشعته ، فسوف أنظم مسابقات
للطرواديين . أولاً ، للسفن السريعة ، وبعدئذ ، لمن يتفوق في سباق
الجرى ، ثم لمن يثق في قوته فيتقدم ليفوز في رمي القرص والسهم ، أو من يجرؤ
على الاشتراك في معركة بقفازات من جلد الحيوان الخام (١١) . فليستقدم
الجميع ، وليستعد المستحقون من بينكم للفوز بسعف النخيل (١٢) ،
جائزة النصر . لتصمتوا جميعاً ، ولتطوّوا أصداغكم بالأضغان . »

بعد أن تفوه بهذه الكلمات ، توجّ صدغيته بأضغان الآس (١٣) التي
تنحلي بها والدته . وحذا حذوه هيليموس (١٤) ، وكذلك أكستيس ،
الذي حنكته السنون ، وكذلك الصبي أسكانيوس ، وتبعهم أيضاً بقية
الشباب . بعد ذلك غادر الاجتماع متجهاً نحو القبر ، في صحبة آلاف عديدة ،
وسط جمهرة كبيرة من الفصائل . وهناك ، أثناء القيام بفروض التكريم ،
سكب على الأرض قلدحين من نبيذ غير مخلوط لباكمخوس ، ولدحين
من لبن طازج وإثنين آخرين من دماء الأضاحي . وبينما هو ينثر أزهاراً
زاهية فإذا به يقول :

٨٠ « سلاماً عليك ، يا أبى المجدل ، ومرة ثانية ، سلاماً عليك ، يارفات أبى ، الذى عبثاً حاولت إنتقاذه ، وكذلك أنت ، ياروح أبى ، وأنت ، ياطلته . لم أكن معك فى وقت ما لأشاركك البحث عن الحدود والحقول الإيطالية الموعودة ، ولا نهر النهر الأوسونى (١٥) » .

بينما كان يقول ذلك ، زحف من أسفل المحراب المقدس ثعبان متلون . وتلوى مكوتاً سبع حلقات ضخمة وسبع التفافات اولبية . أخذ يدور فى هدوء حول القبر ، وينقل بين المذابح ، ظهره ذو نقاط زرقاء داكنة بشكل ملحوظ ، حراشيفه تلمع بلون ذهبى — كان مثله فى ذلك مثل قوس قزح يتألق بين السحب بالأشعة المتعددة الألوان فى مواجهة الشمس . ووقف آينياس مشدوهاً

٩٠ إزاء هذا المنظر . أخيراً ، وبعد أن تجوّل الثعبان بجسده الطويل بين الأطباق الضحلة والأكواب اللامعة ، أخذ يتنوّق الأطعمة . ومرة ثانية ، ودون أن يحدث أى أذى انسحب إلى أسفل القبر ، تاركاً المذابح حيث كان يأكل . وهنا استأنف آينياس الاحتفالات ، التى كانت قد بدأت من قبل تكريماً لوالده ، بحماس أكثر ، وهو غير متأكد ما إذا كان ذلك الثعبان هو جن المكان أو روح والده . قام — حسب التقاليد المتبعة — بذبح شاتين تبليغان من العمر عامين ، وكذلك خنزيرين ، ونفس العدد من عجول ظهورها ذات أنوان داكنة ، ثم إنه كان أيضاً يسكب كتوساً من النبيذ . وينادى روح أنخيس العظيم والشبح الذى عاد طليقاً من أخرون (١٦) . وقام رفاقه —

١٠٠ كل حسب طاقته — بتقديم الهدايا مسرورين ، وأخذوا يكدسونها فوق المذابح ، وينحرون العجول ، وأخذ آخرون بدروهم يعدون المراجل ، وقد مدوها فوق الحشائش ، يوقدون الفحم تحت الأسياخ كى يتم شواء اللحم .

أخيراً أقبل اليوم المنتظر ، وأخذت خيول فايثون (١٧) تهرع مع فجر اليوم التاسع لتجلب معها ضوءاً صافياً . كان اسم أكستيس وشهرته مبعث إعجاب سكان المناطق المجاورة ، وكانت الشواطئ تعج بجماعات مريحة

من البشر ؛ بعضهم جاء ليرى رجال آينياس ، والبعض الآخر جاء مستعداً للترال . وجيء أولاً وقبل كل شيء بالحواجز ، لتوضع أمام العين وسط حلبة السباق : كرامى مقدسة ذات ثلاث أرجل ، وأكاليل من الغار ، والسعف الأخضر ، وأسلحة وملابس ذات لون أرجوانى ، وقطع فضية وذهبية ، رصِدت كجوائز للمتصيرين . ومن فوق منصة متوسطة أنطلق بوق يعلن افتتاح مهرجان الألعاب .

فى المباراة الأولى اشتركت أربع سفن متكافئة ، ذات مجاديف ضخمة ، تم اختيارها من بين سفن الأسطول كله . قاد مينيشيوس ، ومعه طاقم من المحدفين المتحمسين ، بريستيس السريعة (١٨) ، لقد أصبح فيما بعد مينيشيوس الإيطالى ، وسُميت من بعده عشيرة الميميانى (١٩) . قاد جياس (٢٠) خمائرا ، السفينة الضخمة ، ذات الحجم الموهول ، التى تشبه مدينة عاصمة ، والتى كان يدفعها إلى الأمام الشباب الدردانى (٢١) بمجاديف تنتظم فى ثلاثة صفوف . قاد سيرجستوس ، الذى سُميت من بعده عشيرة سيرجى ، الكنتاوروس العظيم (٢٢) . وانطلق كلوانثوس ، الذى منه نشأ فيما بعد اسم العائلة كلونيئوس الرومانية ، فى السفينة سكيلا ذات اللون الأزرق .

هناك بعيداً فى وسط البحر ترقد صخرة فى مواجهة الشواطئ المغطاة بالزبد ، تصطدم بها الأمواج أحياناً أو تغطيها أحياناً أخرى ، وذلك عندما تحجب الرياح الشمالية الغربية النائرة النجوم ، وعندما تهدأ الرياح ، تخيم عليها السكينة ، وتبرز وسط الأمواج الساكنة قممها المستوية ، التى تجذب إليها غربان البحر المغرمة بأشعة الشمس . هناك وضع الأب آينياس غصناً من أغصان السنديان ، هدفاً للبحارة ، بواسطته يميزون بداية طريق العودة ، ويعرفون كيف يدورون أثناء سباقهم الطويل المدى . عندئذ قبل كل منهم المهمة التى أسندت إليه عن طريق الاقتراع . هناك بعيداً ، عند مؤخرة السفينة ، كان القباطنة يزهون بأنفسهم فى أبهة الذهب والملابس الأرجوانية . أما بقية البحارة فقد تَوَجَّهوا رؤوسهم بأغصان شجر الحور ، وكانت أكتافهم

العارية لا معة وقد دهنوها بالزيت . وبعد أن جلسوا على مقاعد التجديف ،
وامنتد سواعدهم نحو المجاديف ، أخذ كل منهم يترقب في شغف إشارة
البدء ، وقد سيطر على القلوب خوف خائب ورغبة جاحجة في الوصول إلى المجد .
وعندما انطلقت صيحة البوق العالية ، تدافع الجميع — على الفور — من
مراكزهم ، وأخذت صرخات الملاحين تشق عنان السماء . وأزبد سطح
الماء عندما كانوا يضربون بأذرع مجاديفهم إلى الخلف . أخذوا يمحرون ١٤٠
عباب الماء في خطوط متوازية ، وأخذت مجاديفهم ومقدمات سفنهم ذات
الثلاثة بروز تشق موجات البحر فتحدث فيها ثغرات — وحتى في سباق العربات
ذات الحصانين لم تكن تنطلق العربات بمثل تلك السرعة المذهلة عندما كانت
في طريقها في الميدان بعد أن تنطلق من معاقلها ! وحتى سائقو العربات
الحرية لم يهزوا العنان بمثل ذلك العنف وهم فوق خيولهم المتدافعة ، أو يميلوا
إلى الأمام ليضربوها بالسياط ! عندئذ كانت الغابة كلها تدوى بتصفيق
الرجال وصيحاتهم وتهليل المشجعين للنوهم ، وكان الشاطئ المقلل يردد
أصداء تلك الضوضاء ، وكانت التلال ، وقد صدمها الصوت ، تردد صدها . ١٥٠

انطلق — أمام الآخرين — جياس ، الذي كان كثيراً ما يتزلق فوق
الأمواج ، وسط تهليل الجماهير . ثم تبعه عن كثب كلوانثوس ، الذي كان
يبتزّه في قوة التجديف ، لكن سفينة البطيئة كانت تغرقه بثقلها . ثم أتى
في أعقابهما ، وعلى مسافة متساوية ، پريستيس والكتناوروس تناضل كل
منهما الأخرى لتكسب المكانة الأولى . كانت پريستيس تسبق تارة ثم تلحق
بها الكتناوروس الضخمة وتسبق تارة أخرى ، وأحياناً كانت الاثنتان
تسيران في خطين متوازيين ومقدمتهما على خط واحد ، تشقان سطح المياه
الملحة بقاعدتيهما الطويلتين . والآن وقد اقترب الجميع من الصخرة ،
وأوشكوا على الوصول إلى نقطة العودة ، صاح جياس ، الذي كان ولا يزال
في المقدمة ، وقد تفوق في السباق حتى متصفه ، منادياً مينويتيس ، ممسك ١٦٠
الدفة ، بصوت عال :

« إلى أين تنجيه بعيداً هكذا ناحية اليمين ، على عكس غايى فَلَ تَسْأَلُكَ ؟
ذلك الطريق ، مقرباً من الشاطئ ، ولتَجْعَلَ حافة المخداف تلمس الصخور
ولتُدْعِ الآخرين يسلكون طريقهم فى المياه العميقة . »

هكذا قال ؛ لكن مينوتيس ، الذى كان يخشى الصخور الصماء ،
انتحى بسفينته جانباً ناحية الجزء الخالى من البحر . « لماذا تنحو بعيداً عن خط
سير السباق ؟ اتجه رأساً ناحية الصخور ، يامينوتيس . » هكذا صاح
جياس وهو يناديه مرة ثانية . آه ! فعندما نظر حوله وجد أن كلوانثوس
يكاد يلحق به ، وأنه يواصل الاقتراب من الهدف . لقد أخذ يلمس طريقه
على يسار جياس من جهة الداخل - بين سفينة جياس والصخور المزججة .
وفجأة تفوق على قائده . وبعد أن مرّ بالهدف وصل إلى المنطقة الآمنة من
البحر . عندئذ ثارت حمم الغضب الحاد فى قلب الشاب ، وقفزت الدموع
على وجنتيه ، وبدون اهتمام بسمعته أو سلامة بحارته ، ألقى بيمينوتيس المتردد
من أعلى مؤخرة السفينة إلى البحر ، وتولى بنفسه القيادة - كمسك للدفة
وربان للسفينة - وأخذ يستحث رجاله بينما كان يوجه السفينة شطر الشاطئ .
لكن يظهر مينوتيس ، وقد صعد من قاع البحر بصعوبة ، عجوزاً كعادته ،
يقطر الماء من ملابسه المبتلة ، يسعى إلى قمة الصخرة ، ليجلس فوق ربوة
جافة . لقد كان مبعث ضحك للطرواديين عندما سقط ثم سبح ، كانوا
يضحكون منه وهو ينفض المياه الملحة من فوق ثوبه .

١٧٠

١٨٠

هنا تفاعل الاثنان الموجودان فى الخلف ، سيرجستوس ومنيسيوس ،
لقد أحسا بأملٍ بسام فى أن يتفوقا على جياس الذى تعطل . أخذ سيرجستوس
بزمam القيادة واقترب من الصخرة ، لكنه لم يستطع أن يمر متفوقاً بكامل حجم
سفينته ، بل بمقدار جزء منها فقط ، وذلك بسبب احتكاك السفينة بريستيس
المنافسة بمقدمتها . وعندئذ تقدم منيسيوس إلى قلب السفينة وسط بحارته ،
ثم استحثهم قائلاً : « والآن ، انكبوا على مجاديفكم على الفور ، يا أصدقاء
هيكثور (٢٣) . يا من اخترتهم رفقاء لى فى ساعات طروادة الأخيرة ،

فلتظهروا الآن تلك القوة . تلك الشجاعة التي أبديتهاوها وسط الرمال
الحياتوية المتحركة ، ووسط البحر الأيوني ، وفي مياه ماليا (٢٤) ، وبين
أمواجها المتسابقة . لم أعدْ - أنا منيشيوس - أطمع الآن في أن أحرز المكان
الأول ، كما أنني لا أناضل حتى من أجل أن أنتصر : لكن ، آه !! دع
التصر ، يا نبتونوس ، هؤلاء الذين قد قررت أن تمنحهم إياه . لكن من العار
أن نعود ونحن متخلفون في المؤخرة . فلتَكُنْ سَبُوءاً ، أيها الرفاق ، هذا
الشوط على الأقل ، ولتَمْنَعُوا ذلك العار . وبذل رجاله أقصى ما في
وسعهم ، فأنحنوا إلى الأمام . كانت مؤخرة السفينة المزركشة بالنحاس تهتز
بفعل ضرباتهم القوية ، كانت أرض القاع تمضي إلى الخلف من تحتهم .
كانت أنفاسهم اللاهثة تهز أطرافهم وشفاههم اليابسة : بينما كان العرق
يتصبب متدفقا فوق جميع أطرافهم . كانت الصدفية المحضنة هي التي جلبت
لهم ذلك المجد الذي كانوا يشتهونه ؛ إذ بينما كان سبرجستون - ممثلاً قلبه
بالحماس - يقود سفينته متعمقاً في منطقة ملاصقة للصخور ، وهو في طريقه
إلى تلك المنطقة الخطرة ، اصطدم التعس بصخور ناثئة . وتطايرت شنرات
من الحجارة ، وهوت المجاديف فتهشمّت على الصخور المدبية ، والتصمقت
مقدمة السفينة حيث اصطدمت ، وهبّ البحارة في صيحة عالية ، وقد أثارهم
جميعاً ما أصابهم من تأخير ، يسحبون رماحهم ذات الأسنة الحديدية
والمزاريق ذات الأطراف المدبية ، ويلتقطون مجاديفهم التي تهشمّت في البركة
لما تية . لكن منيشيوس ، الذي أسعده نجاحه الساحق وأدخل في نفسه البهجة ،
أخذ يتوغل ، بفضل حركة مجاديفه السريعة وبفضل توسلاته إلى الرياح ،
إلى قلب البحر فوق الأمواج المتسابة - مثله في ذلك مثل حمامة ، وكرها
وصغاها الحميلة في كهف صخري ، وقد أفزعّت من مرقدّها . لأنها
توجه في طيراتها نحو الحقول وهي ، بعد أن أفزعّت من وكنها ، ترفرف
بمناحيها فتحدث صوتاً عالياً ، وبعد فترة وجيزة تنساب في هلواء ، نواصل
طريقها السلس دون أن تحرك جناحيها السريعين - هكذا كان منيشيوس ،

وهكذا كانت السفينة بريستيس نفسها تطوى، بسرعة ، مرحلة السباق الأخيرة ، تدفعها إلى الأمام سرعتها المتزايدة في سباقها الطائر . كان منيشيوس يتفوق تاركاً ، في البدء ، خلفه سيرجستوس ، وهو يناضل فوق الصخرة العالية وفي وسط ماء ضحل ، ينادى عبثاً من أجل المعونة ، ويتعلم كيف يواصل السباق بمجاديف محطمة (٢٥) ، بعدئذ أدرك جياس ، وحتى السفينة خمائراً ، فإنها أفسحت له الطريق ، بكتلتها انضخمة ، بعد أن كانت قد فقدت قائد دفنتها .

٢٢٠

والآن بقي أمامه كلو أنثوس فقط ليتفوق عليه ، أخذ يطارده بكل قوته ، باذلاً في ذلك أقصى ما في وسعه . عندئذ ، حقاً ، كانت الأصوات تتضاعف ، كان الجميع يشجعون بصياحهم ذلك الرجل الذي يلاحق منافسه ، وكانت السماء تردد هتافاتهم . لقد اعتقد هؤلاء البحارة أنه من العار ألا يحتفظوا بنصرهم وبالمجد الذي كان في متناول يدهم ، وأن عليهم أن يقدموا حياتهم رخيصة في سبيل المجد . كان النجاح يدفعهم ، وكانوا فعلاً قادرين على تحقيقه ، لأنهم كانوا واثقين في قدرتهم . وحدث أن أصبحت السفن متوازية ، وكادوا يحصلون على الجائزة ، لولا أن كلو أنثوس مد كفيه - مفتوحتين - نحو صفحة البحر ، وأخذ يتلو الصلوات ، مناجياً الآلهة كي تستمع إلى دعواته . « أيتها الآلهة ، يا مَنْ لكم السلطان على البحر ، يا مَنْ تسير سفينتي على صفحة مياهكم ، سوف أقدم في سعادة ، على مذبحكم الواقعة على هذا الشاطئ ، قرباناً - ثوراً أبيض ناصع البياض - وسوف أقذف بأحشائه في المياه الملحة ، وأسكب نبيذاً سائلاً » . هكذا قال ، ومن تحت الأمواج العميقة كانت تنصت إليه كل مجموعة النيريديس (٢٦) ومجموعة الفوركي (٢٧) والعنراء بانوبيا (٢٨) ودفعه الأب پورتونوس (٢٩) بيده القوية ليسير في طريقه المرسوم . وسارت السفينة نحو اليابسة بسرعة تفوق سرعة ربح الجنوب ، وانطلقت أسرع من سهم مجنح ، واستقرت في الميناء العميق .

٢٣٠

٢٤٠

عندئذ أعلن ابن أنخسيس - بعد أن دعى الجميع كما جرت العادة -

عن طريق صيحة المنادى الجمهوريّة ، أن كلو أنثوس هو الفائز بالمكان الأول ، وتوجّ رأسه بإكليل من الغار النضر . ثم بعد ذلك وزع الهدايا على السفن (الثلاث) : ثلاثة عجول - توزّع بالاختيار - وأنبذة وقطعة ضخمة من الفضة يحملونها معهم (٣٠) . أما بالنسبة لقادة السفن أنفسهم فقد أسبغ عليهم تكريماً خاصاً . لقد منح الفائز الأول دثاراً موشى بالذهب ، حافته مطرزة بإطار تسالي (٣١) ، قرمزي اللون ، ذى خطين متعرجين ، دثاراً ٢٥٠ رسمت عليه صورة الصبي الملكي (٣٢) فوق قمة جبل إيدا (٣٣) المورقة ، يطارد الأيائل السريعة بسهامه ، ويُسْهِك قواها أثناء مطاردته لها ، يسيطر عليه الحماس ، ويبدو وكأنه يلهث . ورسم عليه أيضاً حامل صواعق جوبيتر السريع ، وقد رفع الصبي عالياً من جبل إيدا بمخالبه المعقوفة ، بينما مدّ حُرّاسه المسنون أيديهم عبثاً نحو النجوم ، وبينما يرتفع نباح الكلاب الوحشى إلى عنان السماء . أما مَنْ فاز بالمكانة الثانية ، فقد أهداه آنياس درعاً ، منسوجاً من خيوط معدنية ، ذا ثلاثة أربطة من الذهب كان قد انتزعه بنفسه من فوق جسد ديموليوس (٣٤) عندما انتصر عليه بجوار نهر سيمويس (٣٥) ٢٦٠ السريع بالقرب من طروادة الشاحنة - لقد أهدى آنياس ذلك الدثار للبطل ليكون زينة وحماية له أثناء النزال . وبصعوبة بالغة كان الخادمان فيجبيوس وساجاريس يحملانه بشيائنه الثقيلة على أكتافهما المرهقة . ومع ذلك فعندما ارتداء ديموليوس في وقت من الأوقات فإنه طارد في أسرع بالغة الطرواديين الذين كان قد تفرق شملهم . أما الجائزة الثالثة التي قدمها فكانت زوجاً من الأواني النحاسية وأكواباً مزينة ومحلة برسوم بارزة .

بعد أن تسلم الجميع هداياهم . وكانوا يَفْخُورُون بما حصلوا عليه من ثروة . وبينما هم على وشك أن يتفرقوا وقد ربطوا فوق جباههم أشرطة حمراء اللون ، فإذا بيسرجيستوس - بعد أن تخلص بصعوبة بالغة ومهارة فائقة من الصخرة القاسية ، وبعد أن تحطمت المحاديف وتعطل صف واحد من صفوفها - يعود بسفيته التي كان يسخر منها الجميع ولا يخفى بها أحد . ٢٧٠

كانت سفينته مثل حية على الطريق تُفاجأ بتحطم جزء من جسمها من جراء ضغط عجلات برونزية ، أو بضربة قوية من حجر ، حية حطمتها عابر سبيل وتركها نصف ميتة ، تحاول عبثاً أن تهرب مكونة بجسمها ثنيات عريضة ، في جزء من جسمها يتوهج الغضب في عينيها ويرتفع عنقها بفحيح عال ، والجزء الآخر ، وقد أعجزه الجرح ، يعوق الحية ، وهي تناضل مشية ، وتطوى نفسها بنفسها . هكذا أخذت السفينة تتحرك ببطء . ٢٨٠

ومع ذلك فقد نشر سيرجستوس الأشرعة ، ودخل الميناء وهو ينشرها جميعها . ويهدي آينياس سيرجستوس مكافأته التي وعد بها ، وقد سره أن السفينة قد أنقذت وعاد بحارتها سالمين . كما أهديت له جارية ذات مهارة في فنون مينرفا . وهي فلوئي ، الكريتية الأصل ، ومعها توأمان ذكران على صدرها .

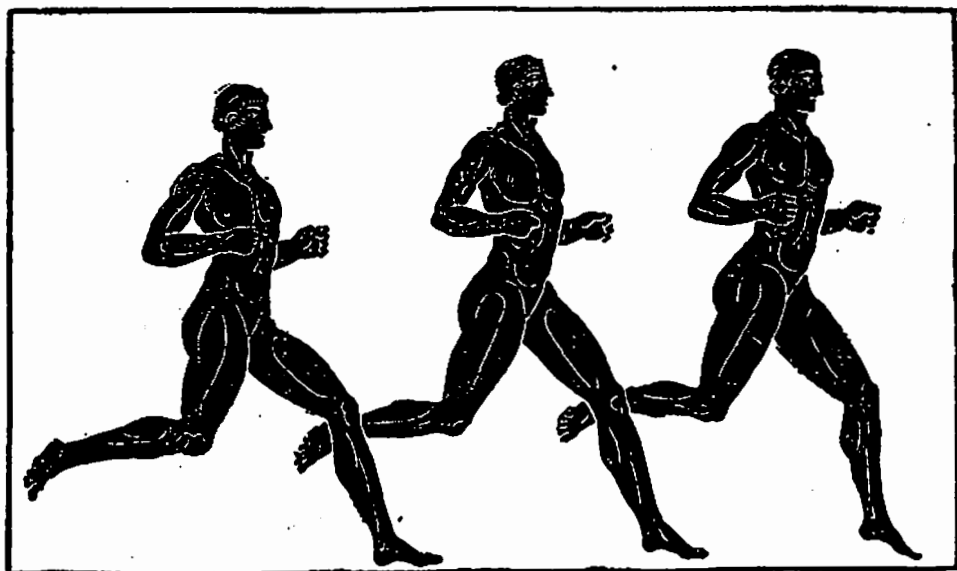
بعد أن انتهى ذلك السباق ، تحرك آينياس الطيب إلى سهل ذي زرع ، تحيط به من كل الجهات تلال متعرجة ، وتنتشر فيه الغابات . في قلب ذلك الوادي كانت توجد مدرجات للجلوس . سار البطل إلى هناك في صحبة الآلاف من الناس ، واتخذ مجلسه على مقعد عال وسط الحشد . هناك ، ٢٩٠

حيث تجمعهم الجمع . رأى أن يقيم مباراة في العَدْو ، وأخذ يستميل الألباب بالمكافآت والجوائز التي وعد بمنحها . تجمع الطرواديون والصقليون من جميع الجهات ، وقد اختلط بعضهم ببعض - في مقدمتها نيسوس وبوريالوس (٣٦) كان بوريالوس مشهوراً بوسامته ونضارة شبابه ، ونيسوس بحبه الرقيق للصبي . بعد ذلك تبعهما ديوريس ، الذائع الصيت ، من سلالة برياموس النيل . ثم ساليوس وبارتون معاً ، أولهما أكارنياني والثاني من دم أركادى ، ولدت في تيجيا (٣٧) ؛ ثم شابان صقليان ، هيليموس وبانونيس ، هما ريبيا الغابات ، وتابعان لأكستيس العجوز ، وكان معهم آخرون ، ٣٠٠

تخفي شهرتهم في طرة الظلام . عندئذ تكلم آينياس وسط جمعهم قائلاً :
فَلتَصغُرُوا إلى كلماتي بقلوب واعية ، ولتنتبهوا إلى مرجين . لن يغادر أحد

هذا الجمع دون أن يتال منى هديته . سوف أمتح كل شخص سَهْمين^{٣٨} جنوسين^(٣٨) ، يلمعان بصلب مصقول ، وبلعاة ذات حدين ، مزخرقة بانفضة ، كى يحملها معه ، وسيحصل الجميع على مثل هذه المكافأة : سيفوز الثلاثة الأوائل بجوائز ، وستُوج رؤوسهم بأكاليل من أغصان الزيتون الأخضر المائل إلى الصفرة . سيحصل الفائز الأول على فرس مزدان بالخلي ، والثاني على جُعْبَة أمازونية (٣٩) مليئة بسهام تراقية^(٤٠) ، تتدلى من حزام ذهبي يوثق بمشبك ذى جوهر لامعة . إلى جانب ذلك ، فلتندع الثالث يرحل قانماً بهذه الخوذة الأرجولية^(٤١) .

بعد أن تفوه بهذه الكلمات ، اتخذ كل مكانه . وما أن سمعوا إشارة البدء حتى اندفعوا فجأة في سباقهم ، يتخطون الحاجز مسرعين مثل سحابة عاصفة ، وهم في نفس الوقت يركزون انتباههم على الهدف النهائي ؛ يسرع



ثلاثة من العدائين أثناء السباق . صورة مأخوذة من آنية فخارية موجودة في المتحف البريطاني .

٣٢٠ نيسوس بعيداً نحو الأمام ، ويندفع متقدماً الجميع بسرعة تفوق الرياح أو الصواعق الممحنة ، ويتبعه ، لكن على مسافة طويلة ، ساليوس ، ويليه على مدى كبير يوريالوس في المرتبة الثالثة . ثم يتبع يوريالوس هيليموس ، ويصبح قريباً منه ، ويا للعجب ! يطير ديوريس ، فيسلكه قدماً بقدم ويضغط على كتفه . ولو لم تكن المرحلة الكبرى من السباق قد انقضت بعد ، لكانت ألامه فرصة سانحة للفوز ، ولأن يتسلل إلى الأمام متقدماً ، وقد ترك خلفه منافسه ، أو تعادل معه . وما أن أوشك معظم السباق على نهايته ، وكانوا على وشك الوصول إلى الهدف ، وهم يلهثون ، حتى سقط نيسوس التعس وسط بركة من دم لزج تصادف أن سال حيناً ذبح العجول ، وكان يبلل الأرض والخضرة . ففي ذلك المكان لم يستطع الشاب المتفوق ، حين كانت تغمره نشوة النصر ، أن يخطو خطوات ثابتة على الأرض التي كان يطؤها ، بل سقط منبطحاً في وسط الطين القذر ودماء الأضاحي . لكنه لم ينس حبيبه يوريالوس على الإطلاق . إذ أنه ما كاد ينهض من الأرض المبتلة حتى ألقي بنفسه في طريق ساليوس ، الذي أخذ يتدحرج بلوره ثم هوى ممدداً فوق الرمال المتجمدة . واندفع يوريالوس إلى الأمام وفاز ، بفضل حيلة صديقه ، بالمكان الأول ، ثم طار مبتهجاً وسط هتاف وتهليل المعجبين . ثم أتى بعده هيليموس ، وأخيراً ديوريس ليفوز بالجائزة الثالثة .

٣٤٠ عندئذ ملأ ساليوس حلبة المسرح الكبير كلها بصياح عال ، وعلت الدهشة وجوه الشيوخ الجالسين في الصف الأول ، وهو يطالب بأن تُرد إليه الجائزة التي سُلِّبت منه عن طريق الخديعة . لكن صيحات الإعجاب والدموع الرقيقة ترجع كفة يوريالوس ، والاستحقاق يصبح أكثر وجوباً عندما يحل في شخص وسم . ويقف ديوريس - الذي يليه في المكانة - بجانبه ، ويطلق صراخاً عالياً ، إذ أنه سوف لا يفوز حتى بالجائزة الثالثة لو أن ساليوس مُنح المركز الأول . عندئذ تكلم الأب آينياس ؛ « إن الجوائز باقية ومضمونة لكم ، أيها الصبية ، ولن يُغير أحد نظام هذه المكافآت ، لكن ، ليكون من

٣٥٠ حتى أن أشفق على سوء حظ صديق تعثر . « بعد أن قال هذا ، أعطى ساليوس قطعة كبيرة من جلد أسد بجابتولى مثقلة بشعر غزير وأظافر من الذهب . عندئذ تحدث نيسوس قائلا : « إن تكن هذه جوائز المهزومين ، وإن كنت تشفق على من تعثروا ، فأى جوائز مناسبة سوف تعطيتها ليسوس ؟ سوف تعطيتها لى ، أنا الذى كنت سوف أحصل على الجائزة الأولى بجدارة لولم يهبط على الحظ التعس كما هبط على ساليوس . « وبينما كان يتحدث أشار إلى وجهه وأطرافه وقد تلطخت بالوحل القذر . وابتسم له الأب الكريم ، وأمر أن يؤتى بدرع ، من صنع ديد مأوون ، كان قد انتزع من مدخل أحد معابد نبتونوس رغم أنف الإغريق (٤٢) ، ثم وهب هذه الهدية الرائعة للشاب النبيل .

بعد أن انتهت مراحل السباق ، ووزعت الهدايا قال آينياس : « والآن ، كل من يشعر بأن لديه شجاعة فى صدره وقوة فى قلبه ، فليترفع ذراعيه ويديه موبطين حتى خلف الرسغ (٤٣) . « بعد أن قال هذه الكلمات ، وضع زوجاً من الهدايا كمكافأة فى هذه المباراة : للمتصر عجل صغير مُقَنَّع بأشرطة ذهبية ، أما للمهزوم فسيف رائع عزاء له . وفى الحال ، وبدون تأخير ، يتقدم داريس بقوة الهائلة ، وينهض وسط همهمة الرجال العالية ، إنه هو الذى كان قد تدرب على منازلة باريس بمفرده ، وهو الذى صرع ، هناك عند الربوة ، حيث يرقد هيكتور العظيم ، البطل بوتيس (٤٤) ابن أميكوس الباربيكى (٤٥) الأصل ، وذلك عندما جاء إلى طروادة ، بهيئته الضخمة ، ليشارك فى الألعاب ، وطرحه صريعاً فوق الرمال الصفراء . هكذا كان داريس ؛ تقدم فى الحال ، يرفع رأسه عالياً مستعداً للترال ، يستعرض كتفيه العريضين ، يمد ذراعيه نحو اليمين ونحو اليسار ، ويبتكئ الهواء بضربات . كان من المقرر أن يوجد منافس له ، لكن أحداً من بين كل ذلك الحشد لم يجد الشجاعة لمواجهته ، أو أن يلبس القفاز فى يديه . لذلك ابتهج ، ظناً منه أن الجميع قد تخلوا عن الجائزة ، ثم وقف عند قدمي

آيناس . عندئذ ، ودون أن يبطل أكثر من ذلك ، قبض على قرن الثور .
بيده اليسرى قائلا : « يا ابن الإله ، إذا لم يكن يجرؤ أحد على أن يثق بنفسه
كى ينازلى ، ما هو الغرض من وقفى ذلك ؟ إلى متى يكون من المناسب
أن تبقى منتظراً ؟ فلما أصدر أمرى بأن أحصل على جائزتك » . عندئذ
صاح كل اللردانيين معلين موافقتهم ، وطالبوا بأن نمنح له الجائزة
الموعودة .

وهنا وبخ أكستيس الوقور أنتلوس (٤٦) ، الذى كان يجلس الى جواره
على الأريكة العشبية الخضراء قائلاً : « أى أنتلوس ، عبثاً كنت فى وقت
من الأوقات أشجع الأبطال . هل ستترك ، وأنت هادىء دكنا ، مثل هذه
الهدايا العظيمة تضيع دون نزال ؟ أين الآن أريكس ، الذى نقدسه ، ذلك
المعلم ذو الشهرة العقيمة ؟ أين شهرتك فى كل ربوع ترينا كريا (٤٧) ،
وأين تلك الغنائم المعلقة فى منزلك ؟ » عند ذلك أجاب أنتلوس : « ليس
حجى للمجد هو الذى فتر ، أو أن طموحى قد ذهب به الخوف ، لكن
الحقيقة هى أن دمي قد أصبح بارداً بفعل الشيخوخة الكثيرة ، وقوى
الجسمانية قد أصابها الوهن وأتى عليها النصف . لو أنى أمتلك الآن ما كنت
أمتلكه من قبل ، ولو أن لى الآن مثل ذلك الشباب الذى يزهو به ذلك الشخص
الأخرق ، لما كنت فى حاجة إلى جائزة أو عجل وسيم ليجعلنى أقدم للزال .
ثم إننى لا أحفل بالهدايا » . بعد أن قال هذا قذف فى الحلبة بقفاز ثقيل الوزن
للاغاية ، كان إريكس المغوار قد اعتاد أن يستخدمه فى النزال (٤٨) ، وقد لفّ
رسمياً بجلد حيوان سميك .

أصيب الأفتدة بالذهول ، فقد كانت ثيران ضخمة ، تلك التى استخدمت
جلودها السبعة فى صنع القفاز ، الذى أصبح أكثر ضراوة لما كان يحمله
من حديد ورصاص . كان داريس نفسه أكثر الجميع ذهولاً ، فقد تراجع
وابعد عن القفاز ، بينما كان الابن العظم لأخنيس يتأمل وزنه الثقيل ويُقلّب

هنا وهناك في لفات الأربطة . عندئذ قال أنتلوس العجوز من أعماقه :
 ٤١٠ « ماذا لو أن شخصاً كان قد شاهد ذلك القفز الذي كان يتساح به هيراكليس نفسه وذلك الصراع المشؤم الذي دار على هذا الشاطئ بعينه ؟ إن هذه الأسلحة حملها أخوك إريكس ذات مرة ، وها هي كما تراها الآن ، ما زالت ملطخة (بالدماء وشظايا الرؤوس) ، واستخدمها في مواجهة ألكيديس (٤٩) العظيم . بهذه الأسلحة أعدت أن أقاتل ، طالما كانت الدماء الفتية تمدني بالقوة ، وقبل أن تنشر الشيوخوخة الرذيلة البياض فوق صدغي . لكن إذا سلمنا بأن داريس الطروادي يرفض أن تكون هذه هي أسلحتنا ، وإذا ما أصر آييناس الطيب على هذا ووافق عليه أكستيس صاحب الفكرة ، فلنستجمل الزال متكافئاً . ولكي أطمئنكم فإنني ألقى بقفازات إريكس ، فلتختصوا ٤٢٠ من مخاوفكم ، ولتخلع أنت قفازك الطروادي . » بعد أن تفوه بهذه الكلمات ، أراح عن كتفيه ثوبه المزدوج ، فأصبحت مفاصله وأطرافه الضخمة عارية ، وظهرت عظامه وعضلاته القوية ووقف عملاً وسط الحلبة .

عندئذ أحضر ابن أنخيس قفازات ذات وزن متساوٍ وأسلحة متكافئة وقام بعناية الوالد يلف يدي كل من الإثنین . وفي الحال أخذ كل منهما مكانه ، وقد شَبَّ على أطراف أصابع قدميه ، وبدون خوف رفع ذراعيه عاليين في الهواء . كان الإثنان يرفعان رأسيهما عالياً ويسحبانهما بعيداً إلى الخلف ، تفادياً للضربات ، إذ أنهما كانا يتضاربان يداً بيد ، ويثيران حمية النضال . ٤٣٠ كان أحدهما يفوق الآخر في سرعة حركة أقدامه وفي ثقته في خبوية الشباب ، أما الآخر فكان قوياً بضخامة أطرافه ، ولكن ركبتيه كانتا تهتزان ببطء وترتعثان ، وكانت أنفاسه اللاهثة تهز أطرافه الضخمة (٥٠) . وعبثاً أخذ كل منهما يكيل للآخر لكمات كثيرة قاسية . وجه كل منهما ضربات متلاحقة نحو الجانب والصدر ، وكانت تحدث أصواتاً عالية . كانت أيديهما تنطلق بسرعة حول الأذن والأصداغ ، ووجنتهما تقرقع تحت وطأة اللكمات القاسية . كان أنتلوس يقف ساكناً في ثبات ودون حركة ، إنما كان يتحاشى

بوثباته الضربات الموجهة نحوه ويرقب حركات منافسة بعين يقظة . أما الآخر فكان مثله مثل مَنْ يهاجم مدينة ذات أسوار شاهقة ، بمعدات حربية متطورة ،
 ٤٤٠ أو يحاصر قلعة جبليّة تحت السلاح ، يجرب مرة هذا المدخل وأخرى ذاك ، يدور حول المكان كله بمهارة ، ويشنّ هجوماً تلو هجوم دون جدوى . لقد نهض أنتلوس على أصابع قدميه وصوّب يمينه لكمة من عل . لكن منافسة لمح الأكمة وهى فى طريقها إلى أسفل فأنحنى لإنحناء جانبية بجسمه الرشيق ليتجنبها ، وضاع مجهود أنتلوس سدى . ودون أن يلمسه عدوه بجسمه الضخم وقع ذلك الرجل القوى بكل كتله على الأرض ، كما تسقط أحياناً على إيمانثوس (٥١) أو على جبل إيدا الضخم شجرة صنوبر مُجَوِّفة وقد أجنّشت من جذورها . وهبّ الطرواديون ورجال صقلية فى اهتمام وارتفعت صيحاتهم حتى عنان السماء ، وكان أكستيس أول من جرى إلى الأمام يساعد فى شفقة صديقه ورفيق عمره على النهوض من فوق الأرض . لكن عزم الرجل لم يكن ولم يتحطم أمله بسبب عثرته ، فعاد إلى القتال وقد جمحت رغبته ، واشتدت ثورته وهياجه ، وزاد الغضب من قوته قوة . وفى ثورته كان يطارد داريس طويلاً فوق الحلبة كلها ، وهو يضاعف من ضرباته ، مرة باليمين وأخرى باليسار ، فلا تلتكئ ولا استرخاء ، فقد كانت اللكمات غزيرة جداً مثل حبات البرد تقع فوق أسطح المنازل أثناء عاصفة ممطرة ، وهكذا استمر البطل يبعث بسيل غزير من الضربات بكلتى يديه ، فيجعل داريس يدور حول نفسه . ٤٥٠

عندئذ لم يعد الأب آينياس يتحمل رؤية ذلك الغضب المتزايد ، أو مشاهدة أنتلوس وهو يفقد صوابه بسبب ثورته ، بل وضع نهاية للززال ، وأنقذ داريس المنهك القوة . وهكذا تحدث ، وهو يهدئ الموقف بكلماته : « أما البائس ، أى غضب شديد هذا الذى سيطر عليك ؟ ألا تشعر أن هذه القوة ليست قوتك وأن الآلهة قد تبدلت ؟ فلتعُدْ إلى السماء . » قال هذه الكلمات ، ثم أنهى القتال بصيحة واحدة . أما داريس فقد قاده رفاقه المخلصون

إلى السفينة وهو يجر ركبتيه الواهنتين ، ويترنح برأسه من ناحية إلى أخرى ،
 ٤٧٠ بينما يصبق من فمه دماً متجمداً كثيفاً ، وأسنانه مغطاة بالدم . بعد أن دعاها
 سلمهما الخوذة والسيف ، أما السعف والثور فقد تركوها لأنتلوس . عندئذ
 قال المتصر — مزهواً بشجاعته وفخوراً بالثور : « يا ابن الربة ، وأنتم أيها
 الطرواديون ، فليتعلموا كم من القوة كنت أملك عندما كانت قوتي الجثمانية
 في أوجها ، ومن أى هلاك أنقذتم داريس حين ناديتموه » . قال هذا ،
 ثم وقف أمام وجه العجل ، بجائزة المعركة ، الذى كان يقف بجانبه ، ثم جذب
 يده اليمنى إلى الوراء ، وبأقصى قوته وجهه فقأه بقسوة بين قرْنَيْ الثور
 بلطمة هائلة ، وبعد ذلك دفع بها إلى عظامه لتحطّم المخ . سقط العجل على
 ٤٨٠ الأرض مترنحاً ، وتعدّد فاقد الحياة . واقترب منه أنتلوس قائلاً هذه الكلمات
 التى كانت تخرج من أعماقه : « إليك أقدم يا إريكس ، هذه الروح ، بديلاً
 أفضل من موت داريس ، والآن ، أما وأنتى قد انتصرت فإننى أترك
 قفازى معترلاً فى » .

بعد ذلك دعا آينياس كل من تصبو نفسه إلى التصويب السريع بالسهم ،
 وأخذ يستعرض الجوائز ثم رفع بيده القوية صارى من سفينة سيريستوس (٥٢)
 وربط حمامة ترفرف موثوقة بحيط يمرّ حول إحدى رجلتيها ، وعلّقها
 أعلى الصارى كهدف لسهامهم . وتجمع الرجال ، يسحبون من خوذة
 ٤٩٠ أوراقاً لتحديد القرعة (٥٣) ويأتى فى المكان الأول وقبل الجميع هيبوكون
 ابن هيرتاكوس وسط التهليل الحار ، ويليه منيسثيوس الذى انتصر فى سباق
 السفن ، منيسثيوس الذى تتوّجه أغصان الزيتون الخضراء . أما الثالث
 فهو يوريتيون ، إنه أخوك بانداروس الذائع الصيت (٥٤) ، الذى — عندما
 عهد إليه منذ زمن بعيد بأن يخرق المعاهدة — كان أول من قذف بسهمه
 بين الآخرين . وأخيراً ، وفى أعماق الخوذة يأتى أكستيس ، الذى تجرّأ
 على أن يساهم بيديه فى أعمال الشباب .

عندئذ شد الجميع أقواسهم بقوة وعزم حتى أصبحت منحنية نحو أجسامهم ،

وسحبوا السهام من جعابهم . كان ابن هيرثا كوس الشاب أول من شد وتر قوسه ليصلقه عبر الفضاء ، يشق الهواء ، ويتجه صوب الهدف . لكن القوس ثبت تماماً في خشب الصاري . وأهتز الصاري ، ورففت الحمامة بجناحيها مذعورة ، ودوى المكان بتهيل مرتفع ، وأتى بعده منيسثيوس البطل . أخذ مكانه وقد شد قوسه ثم صوب إلى أعلى وقدر كز عينه وسهمه في نفس المستوى . لكن ذلك التعس لم يصب الطائر نفسه بل أصاب العقدة وأضعف الرباط النبأى الذى كان يوثقها ، ومن أعلى الصاري — حيث كانت مقيدة — فرت الحمامة طائرة وسط الرياح الجنوبية والسحب الداكنة عندئذ ، وبسرعة خاطفة نادى يوريتيون ، الذى كان ممسكاً بسهمه منذ فترة طويلة في وضع استعداد وكان قوسه مشدوداً — نادى أخاه ليسمع دعاءه ، وصوب سهمه نحو الطائر ، وهى تحاقت طليقة مسرورة في الفضاء فأصابها بينما كانت ترفرف تحت السحب القاعمة . عندئذ سقطت ميتة وقد فاضت روحها وسط نجوم السماء ، ثم هوت وقد أعادت معها السهم الذى أصيبت به . وبقي بعد ذلك أكستيس وحده ، بعد أن فقد الجائزة ، لكنه صوب سهمه عالياً وسط الهواء ، يستعرض مهارته العظيمة ورزق قوسه . وهنا يظهر فجأة أمام عيونهم قائل عظيم قدر له أن يكون فما بعد ذا أهمية بالغة — إذ أن ما يحدث فما بعد من أحداث جسم قد أكد ذلك — وفسر العرافون هذه النبوءة في الأيام التالية وهم في قلق بالغ (٥٥) . إذ ما أن ارتفع السهم يشق طيات السحاب حتى اشتعل بالنيران وقد رسم خطاً من اللهب ، ثم اختفى بعيداً وسط الهواء الرقيق — كما يحدث غالباً حين تنطلق المذنبات متوهجة وقد انسابت بعيداً عن السماء مخترقة السحب تاركة خلفها ذيلًا ملتهباً . وهبّ التريناكريون والتيوكريون ، وقد سيطرت عليهم الدهشة ، يصمكون للآلهة السماوية . ولم ينسب آينياس العظيم النبوءة ، بل احتضن أكستيس المبتهج وأغدق عليه هدايا قيمة ، ثم تفوه بهذه الكلمات : « لتكن من نصيبك هذه الهدايا ، يا سيدى ، إذ أن الملك العظيم للأولييموس إنما قد شاء بهذه الدلائل أن تحظى بتكريم

٥١٠

٥٢٠

٥٣٠

ليس له مثيل . إذ أن هذه الجوائز ستسلمها منى كما لو كنت تسلمها من يد
والدى أنخيس نفسه ؛ إنها إناء مزخرف بالنقوش أهداه ذات مرة كيسيوس
التراقى (٥٦) إلى والدى أنخيس كذكر نيل لشخصه ورمزاً لمحبهه .
بعد أن قال هذا ، أحاط جبهة أكستيس بإكليل أخضر ، وناداه بالفائز
الأول الذى فاق الجميع . ولم يحسده يوريتيون الطيب من أجل ذلك التكرم
الفائق ، بالرغم من أنه هو وحده الذى أسقط الطائر من أعلى السماء . وأتى
بعد ذلك فى ترتيب المستحقين بالجوائز دور منن* قطع الحبل ، ثم ، أخيراً ،
منن* أصاب الصارى بسهمه المحتج .

لكن الأب آينياس ، قبل انتهاء المباراة ، استدعى إليه إبيتيديس الخاص ،
حارس ومراقب يواوس الصغير ، وهمس فى أذنه قائلاً : « لتأهبن وتسلأن
أسكانيوس — إن كان قد أخذ فريقه المكون من الصبية ، ونظم حركات
خيوله — أن يقود فصائله وأن يستعرض نفسه وسلاحه تكريماً لجده . » بعد
ذلك أمر آينياس بنفسه كل الحشد المتدفق أن يغادر ساحة السباق الممتدة ،
ويجعل السهل خالياً أمام المشاهدين . وظهر الصبية أمام ذويهم وهم يسرون ،
فى نظام فوق خيول مطهمة . وبينما كانوا يتحركون ، كان جميع شباب تريناكريا
وطروادة يهللون إعجاباً . كانت رؤوس الجميع متوجهة بإكالييل منمنحة
بدقة ، وكان كل منهم يحمل زوباً من رماح من خشب الزان ذات أسنة
حديدية ، وكان البعض يحملون فوق أكافهم كنانات لامعة ، وحول أعناقهم
سلاسل رقيقة من الذهب المقول تدلى على صدورهم (٥٧) . كانت فصائل
الفرسان تكون من ثلاث مجموعات على رأسها ثلاثة من القادة ، وكانت
مجموعتان — كل منهما مكونة من ست صبية — تتألقان فى صفين منفصلين
تحت إمرة قادة متساوين فى السن . كان يقود أحد صفوف الشباب — بينما تبدو
عليه دلائح السرور — پرياموس الصغير (٥٨) ، الذى كان يحمل اسم جده ،
إنه سليك النبيل ، يابوليتيس ، الذى يرجع إليه الفضل فى زيادة عدد الإيطاليين .

كان يمتطي حصاناً تراقياً أرقط ، تظهر غرة يبيضاء عند مُقَدِّمة كل رجل من أرجله وعلى جبهته التي تعلو رأسه المرفوع . أما القائد الآخر فهو آتيس (٥٩) ، الذي تنحدر منه سلالة الآتين ، كان ذلك الصبي - آتيس - محبوباً من رفيقه يولوس . وأخيراً كان يولوس ، الذي يفوق الجميع وسامة ، يركب حصانه الصيداوى (٦٠) ، الذي قدمته إليه ديلز المليحة دليلاً وتذكيراً لمحبتها . أما بقية الشباب فكانوا يمتطون خيولاً صقلية مهداة من أكستيس العجوز .

٥٧٠

استقبل الدردانيون الصبية الخجولين بالترحاب ، وأحسوا بالبهجة وهم ينظرون إليهم ، ورأوا فيهم ملامح أسلافهم . وبعد أن ركبوا خيولهم في خيلاء وسط الجهور كله وأمام أعين ذويهم ، وبينما هم مستعلون ، أعطى إيتيديس إشارة البدء من بعيد لهم بصيحة وبقرعة من سوطه . عندئذ أخذوا يدورون في صفين متوازيين ، وينقسمون إلى ثلاثة صفوف تسير في خطوط متوازية ، وما أن صلحت إليهم الأوامر حتى استداروا وغيرتوا طريقهم وهم يحملون مزاريقهم استعداداً للترال . بعد ذلك انتظروا في صفوف تسير في اتجاه واحد ، ثم في صفوف تسير في اتجاهات متضادة : على شكل ألوية متحاربة ، يحاصر بعضها البعض الآخر . لقد كانوا يمثلون معركة وهمية مسلحة ، فهم يكشفون ظهورهم فارين مرة ، ويستديرون برماحهم مهاجمين مرة أخرى ، وأخيراً ، وقد عقد الصلح ، فإنهم يسرون فوق خيولهم جنباً إلى جنب . ويقال إنه كان يوجد في سالف الأزمان في قصر اللابرنث (٦١) المقام في أعلى كريت نمر ذو سور مكون من حوائط تبدو مغلقة ، وكانت طرقاته - التي تبلغ الألف عدداً - تسبب حيرة ، لاهداية معها ، حيث كانت إشارات الإرشاد يحيط بها غموض ليس بعده غموض ، بحيث كان من غير الممكن اكتشافها أو تعقب أثرها ، ولكن ذلك لم يعق أبناء الطرواذين عن السير في هذا السباق وهم يخلطون بين الهرب والمناوشات

٥٩٠

في لعبهم ، مثلهم في ذلك مثل الدرافيل ، التي — بينما تسبح في البحار الرطبة —
تقطع الكارباني والبيبي (وهي تلهو بين الأمواج (٦٢) .

كان أسكانيون من أول من كرر هذا الأسلوب في الفروسية والقتال ، وذلك
عندما أحاط ألبالونجا بالأسوار ، ثم علّمه اللاتين الأوائل : ثم علّم أدل
ألبالونجا أطفالهم ذلك الأسلوب نفسه ، مثلما كان يحدث عندما كان أسكانيوس
صبياً يرافقه صبية طروادة . ومنهم أقتبسته روما القوية واحتفظت به كتراث
من تراث الأسلاف . واليوم فإن اللعبة التي يؤديها الصبية تسمى لعبة طروادة ،
كما أن فصيلتهم تدعى بالفصيلة الطروادية . هكذا انتهت الاحتفالات التي أقيمت
تكريماً للوالد الميجل .

في ذلك الوقت كانت ربة القدر قد نكثت بوعدها وأحست نحوهم
بالنفور . فبينما كانوا يؤدون الطقوس في صورة ألعاب متنوعة ، بعثت ابنة
ساتورنوس (٦٣) إريس (٦٤) من السماء نحو الأسطول الطروادي ،
وأخذت تنفث خلفها الرياح كي تنطلق في طريقها ، كانت تدبر أموراً شتى ،
إذ أن غضبها القديم لم يكن ثورته قد هدأت بعد (٦٥) . أسرع إريس
في طريقها بجانب قوس قزح ذي الألوان الألف ، إنطلقت تطوي رحلتها
السريعة ، كعذراء ، دون أن يراها أحد . إنها ترى الجمع المحتشد ، تتفَرَس
الشواطئ ، تلتقي بنظراتها على الموانئ المهجورة والسفن الخالية . لكن
هناك ، على الشواطئ المنعزلة ، كانت النسوة الطرواديات يَبْكِينَ في عزلة
فقيدهن أنخيس ، وأثناء بكائهن كُنَّ يحدقن جميعاً في اليم العميق :
« واأسفاه ! ما زالت هناك مستنقعات كثيرة وبحر واسع يتظرنا ، نحن
المتعبات » . هذه هي صيحتهن الوحيدة التي كن يطلقنها معاً . كُنَّ يَتَقَنَّ
إلى أن تكون هن مدينة ، بعد أن أجهَدتهن أهوال البحر . لذلك فقد
ألقت إريس ، التي لم تكن تجهل ما تدبره من أذى ، بنفسها وسطهن ،
وقد طرحت عن نفسها ساحتها الإلهية وهياتها القدسية ، وتَقَدَّصَت شخصية



اريس رسول الالهة - هيرا
على وجه الخصوص - تلبس
الغيتون القصيرة وخنثا
رجليها مجنحتان ، وتمسك
بعضا الرسول . تجمع شعرها
في عصابة تثلف حول الراس
عدة لفات ثم تتجمع في شفرة
واحدة خلف الراس . صورة
باللون الاحمر على فائز لا يعرف
مكانها الان .

٢٢٠ بى روى (٦٦) ، زوجة دوريكولوس القمارى المسنة ، التى كانت تتمتع
فى وقت ما بأصل عريق وشهرة وفرية (٦٧) . هكنا ألفت بنفسها وسط
أمهات اللردانيين ثم قالت : يا له واحسرتاه ! يا لنا من بائسات ، نحن اللالى
لم يتدفن الموت على يد الآخيين أثناء الحرب التى دارت تحت أسوار وطننا !
ويلك أيها الجنس النعس ، إلى أى هلاك تلتخرك ربة القدر ؟ هذا هو الصيف
السابع يوشك أن يتقضى منذ دمرت طروادة ، ونحن نجوب البحار وجميع
البقاع ، نرقب عددا لا حصر له من النجوم ونتمر بصخور غير مضيافة ،
بينما نحاول أن نلحق بما تسمى إيطاليا ، التى إترواغنا ، عبر البحر الواسع ،

٦٣٠ ونواصل تجوالنا فوق الأمواج . هنا توجد مملكة أخينا لإريكس ويقع مضيقنا
 أكستيس ، فمن يمتعنا من أن نزيل الأسوار ونشيد مدينة لمواطنينا ؟ أيها
 الوطن ، أي آلهة البيئاتيس ، يا مَنْ نَجَوْتُمْ من قبضة العدو دون جدوى ،
 أَلَنْ تَكُنْ هناك مدينة تسمى طروادة ؟ هل سأرى كسانثوس وسيمويس ،
 أنهار هيكتور (٦٨) ؟ هَلَمْ معي ، واحرقن هذه السفن اللعينة . إذ أن
 شيخ كساندرا (٦٩) العرافة بدا لي في منامي ، وقدم إلى مشاعل متوهجة
 وهو يقول : « فَلَئْسَبَحْشُن هنا عن طروادة ، نحن موطن لَكُنْ في هذا
 المكان . لقد حان الوقت كي نُنجز مهمتنا ، ليس هناك دأج للتسويق ،
 وذلك بسبب ظهور هذه الشُّر الضخمة المشثومة . انظُرْ ! هاكُم أربعة
 مذابح لنبتونوس (٧٠) ، إنه الإله نفسه هو الذي يقدم المشاعل ويمنح العزم
 الأكيد . »

٦٤٠

بعد أن تفوَّحت بهذه الكلمات ، كانت هي أول من أمسك في قوة
 بالنار المحرقة ورفعت يدها اليمنى إلى أقصى مدى ثم لَوَّحت بالنار وقذفت
 بها بأقصى قوتها . عندئذ اضطربت قلوب الطرواديات ، وأصاب الارتباك
 عقولهن . وهنا قالت واحدة من بين النساء الكثيرات ، بروجو ، أكبرهن
 سناً والمرية الملكية لأبناء برياموس العديدين : « إن هذه المرأة التي أمامكم
 ليست بروي ، أيتها الأمهات ، إنها ليست زوجة دوريكلوس الروتية (٧١) .
 لاحظن سمات الجمال الإلهي والعينين اللامعيتين ، لاحظن نَحْوَتَها ،
 وإرادتها ، ورنين صوتها ، وخطواتها حين تسير . فمنذ فترة تَرَكْتُ أنا
 نفسي بروي خلفي مريضة متبرمة ، حتى أنها هي الوحيدة التي حُرِّمَتْ
 من الاشتراك في القيام بهذه الطقوس ، ولم تُقدِّم فروض التكریم نحو أنخيس . »
 هكذا تفوَّحت (٧٢) ... لكن الأمهات كُنْ يتطلعن في أول الأمر إلى السفن
 وقد سيطر عليهن الاضطراب وملأ الحقد عيونهن ، وكُنْ في حيرة بين
 آحْسِبْهُن التمس الأرض القريبة منهن والمسلكة التي تناديهن بصوت القلدر ،
 عندما صعدت الإلهة نحو قلب السماء على أجنحة متوازنة وكَوَّنَتْ أثناء فرارها

٦٥٠

٦٦٠ قوس قزح ضخم امتد تحت السحب . عندئذ حقاً ، أذهلتهم الشمس المشوومة واستولى عليهم الخنوع ، فصحن في صوت واحد وانتزعت اللهب من المواقد الداخلية ، بينما نهبت بعض المذابح المقدسة وألقين عليها أوراق الأشجار والأغصان والشعلات . وهاج فولكانوس (٧٣) - كفرس أطلق له العنان - وماج وسط المقاعد والمجاديف وأثاث السفن المصنوع من الخشب الصنوبري .

٦٧٠ وحمل يوميائس الرسول (٧٤) أخبار السفن المحترقة إلى من كانوا حول قبر أنخيس وفي ساحة المسرح ، وعندما التفتت هؤلاء خافهم رأوا بأنفسهم سحب الدخان الداكنة تتصاعد مختلطة بنرات الرماد . وكان أسكانيوس أول من تقدم مندفعاً بحصانه - تماماً كما كان يقود استعراض الخيل في بهجة من قبل - ناحية المعسكر المضطرب . اندفع وهو في غيرة الحماس ، ولم يستطع مذبذبه ، الذين كان قد سيطر الاضطراب على قلوبهم ، أن ينهوا عزمه . « أي جنون غريب هذا ؟ إلى أين تتجهن الآن ؟ إلى أين ؟ أينها المواطنات البائسات ؟ » ثم واصل أسكانيوس حديثه قائلاً : « ويحككن ! إنكن لا تحرقن علواً أو معسكراً أرجولاً معادياً ، بل تأتين على أما لكن . أنظرن ، إنني صديقكن أسكانيوس ! » ثم ألقى عند قدميه بخوذته الخالية ، التي كان يضعها فوق رأسه عندما كان يقوم بتمثيل المعركة الحربية . وفي نفس الوقت أسرع آينياس تتبعه فلول الطاروادين . لكن النسوة تفرقن هنا وهناك في كل مكان على الشاطئ ، يملكن الفزع ، وتسلكن نحو الغابات والكهوف الصخرية أينما وجدت . لقد كرهن ما فعلتهن فكهرهن أيضاً ضوء النهار (٧٥) . وبعد أن ثببن إلى رشدهن ، تعرفن على ذوين ، وخيرجت جونو من صدورهن (٧٦) .

٦٨٠ إن كل ذلك لم يجعل النيران المحترقة تهدىء من قوتها التي لا تائين ، فتجست خشب البلاوط الرطب ظلت النيران حية ، تبعث حاقات من الدخان تتصاعد ببطء ، ولتنهم حرارتها القاسية قواعد السفن ، وتأتي النيران على هياكلها

كلها ، ولم تَبْعُدْ قوى الأبطال ولا كميات المياه التي يقدفون بها قدرةً على السيطرة عليها . عندئذٍ شَقَّ آينياس ثوبه عن أكفاه ، ثم رفع يديه وهو يصيح طالباً العون : « أى جوبيتر ، القادر على كل شيء . إذا لم تكن قد كَرِهْتَ بعد جميع الطرواديين حتى آخر رجل ، وإذا كان عطفك الأزل لا يزال يشمل متاعب البشر ، فَلَئْسَ مَنَحُ الْآنَ ، يا إلهي ، أسفولنا النجاة من الحريق ، ولتَنقِذْ ممتلكات التيوكرين الضئيلة من الهلاك . أما إذا كان هذا ٦٩٠ هو قدرى الذى أستحقه ، فَلتُرْسَلْنِ صاعقة مهلكة تقتل البقية الباقية ، ولتَقْضِيَنا علينا هنا بيمينك . » عندما تقوّه بهذه الكلمات ، تارت على الفور عاصفة هوجاء ، تصحبها أمطار غزيرة ورعد هز مرتفعات الأرض وسهولها ، ومن السماء هطلت أمطار جرافة متدفقة ، وأصبحت السحب داكنة بفعل الأعاصير الجنوبية ، وامتألت السفن بماء كالفيضان ، وابتلّت الأخشاب التي كادت تأثى عليها النيران . وظل الحال على هذا المنوال حتى خمدت النار تماماً ، وأنقذت السفن جميعاً من الدمار ، ماعداً أربعاً منها فُقدت وسط اللهب .

لكن الأب آينياس ، وقد هَزَّتْه اخنعة القاسية ، أصبح صدره حينئذٍ مثقلاً بالهموم الكثيرة ، تارة يُفَضِّلُ طريقاً وتارة يُفَضِّلُ أخرى ، وهو يفكر فيما إذا كان عليه أن يستقر في الأراضي الصقلية متناسياً بذلك الأقدار ، أم يجاهد للوصول إلى السواحل الإيطالية . عندئذٍ نطق ناوتيس العجوز (٧٧) ، الذى وهبته باللاس التريتونية ، وحده دون غيره ، علمتها وجعلته مشهوراً بمعرفته الغزيرة ، وهى التى وهبته المقدرة على تفسير ما ينذر به غضب الآلهة الشديد والإفصاح عما تتطلبه مجريات القدر - نطق ناوتيس بهذه الكلمات مواسياً آينياس : « يا ابن الإلهة ، علينا أن نسير وفقاً لرغبة الأقدار ، حينما ٧١٠ نأخذنا في روحاتها وغدواتها ، ومهما يحدث ، فإن كل قَدَرٍ يمكن قهره بالصبر . إن اكستيس الدردي من أصل إلهي مثلك ، فَلتَتَّخِذْهُ شريكاً لك في مخططاتك ، فهو رفيق طيب الاستعداد . ولتَعَهْدْ إليه برعاية أولئك

الذين كُتِبَ لهم الحياة بعد أن فُتِدَتْ سفينتهم وأولئك الذين سُمُوا ما قُتِمَ به من عمل عظيم وما كُتِبَ عليك من أهوال . وَلَشَخَّهْرُ مَعَكَ الشيوخ الذين حَتَّكَتْهُمْ السُّنُونُ والسيدات اللاتي أَرْهَقَتْهُنَّ رَحْلةُ الْبَحْرِ وكل من يشعر بالضعف أو بالخوف : أما المتعبون فليَتَكَبَّرْهُمْ لهم مدينة بدون أسوار في هذه الأراضي ، وسوف يُسَمَّحَ لهم أن يطلقوا على هذه المدينة اسم «أكستا» .

أضربت كلمات صديقه العجوز نار الحماس في صدره ، لكن قلبه في الحقيقة كانت تمزقه الهموم . وعندما جاء الليل الدامس بعجلته وحجب قبة السماء ، بدا شبح والده أنخيس وهو يتزل من علي ، ثم بدأ فجأة ينطق بهذه الكلمات :

٧٢٠

« ولدي ، يا أعز عندي من الحياة ، عندما كنتُ على قيد الحياة . يا بنيّ ايا مَنْ تطاردك أقدار طروادة . إني أتيت إلى هنا تنفيذاً لأوامر جوبيتر ، الذي أزاح النار عن الأسطول ، وبعث في آخر الأمر برحمته من السموات العلى . فليَتَعَمَلْ بالتصائح الغالية التي قدمها لك الآن ناوتيس العجوز ، فليَتَصَطَّحْ معك إلى إيطاليا صفوة الشباب وأشجعهم قلباً ، إذ أن عليك أن تُخَضِّعَ قوماً خُسْنًا غير متحضرين في إقليم لاتيوم . والآن ، لنَقْتَرِبَ أولاً من مقر الإله ديس في العالم السفلي ، وكنتَ ذهاب إلى أعماق أثيرنوس (٧٨) وتطلب ، يا بني ، هناك مقابلي . إذ أن تارتاروس (٧٩)

٧٣٠

العين لا يظللني بظلاله الكثبية ، بل إنني أظن إليسيوم (٨٠) وسط جمع طيب من الأتقياء . هناك سوف ترشدك سيبولا الطاهرة (٨١) بواسطة دماء غزيرة لأغنام سوداء . عندئذ سوف تعلم كل شيء عن ذريتك ، وتعرف أية مدينة سوف تكون من نصيبك . والآن وداعاً ؛ فإن الليل الرطب يوشك أن يتصف ، وإني أحسن بأنفاس المشرق القاسي يقترب فوق خيوله اللاهثة . »

٧٤٠

بعد أن قال ذلك مرَّ كلخان يتصاعد في الهواء الرقيق . « إلى أين تنطلق بعد ذلك؟ إلى أين تسرع ؟ » ، صاح آينياس « ممن تهرب ؟ ومن يمنعك أن تكون

بين أحضاننا ؟ : قال هذه الكلمات ثم أخذ يقلب رماد النار الخافتة ،
ولجأ إلى لارالبرجامي (٨٢) وإلى المذبح المقدس للربة فستا (٨٣) ذات الشعر
الرمادي حيث قدم وجبة مقدسة ومبخرة زاخرة بالبخور (٨٤) .

وفي الحال جمع رفاقه وفي مقدمتهم أكستيس ، ونقل إليهم أمر جوبيتر ،
وشرح لهم ما أشار به والده العزيز ، وما استقر هو نفسه عليه من رأى .
وبلون أن يتلکأوا في مشاوراتهم ، استجاب أكستيس لأوامره . أخنوا
يحصرون أسماء النسوة المقترح توطيئهن في المدينة ، ويوطنون الأشخاص
الذين لديهم رغبة في الاستيطان : الذين لا تهفؤ نفوسهم إلى العظمة الفائقة .
وبدأ الرجال يجددون مقاعد المحدثين في السفن ، ويستبدلون الأخشاب
التي أتت عليها النيران ، ويصلحون من شأن المجاديف والأشرعة ، كانوا قلة
قليلة ، لكنهم شجعان مستعدون للحرب . وفي أثناء ذلك كان آينياس يخطط
المدينة بالمحرث ويحدد أراضي البناء (٨٥) ، ويأمر بأن تسمى هذه المنطقة
اليوم ، وتلك طروادة . وسر أكستيس الطروادي بمملكته ، وأنشأ بلاطاً ،
واستن قوازين ، ودعا أعضاء مجلس الشيوخ وعرضها عليهم . وبعد ذلك
أقام معبداً لفينيوس الإيدالية على قمة لإريكس المجاورة للنجوم ، وأنشأ أجمة
مقدسة ملحقة بقبر أنخيس وعين هناك كاهناً .

والآن وقد احتفل الناس بجمعهم لمدة تسعة أيام (٨٦) ، وقدمت القرابين
على المذابح ، أخذت التسمات الهائلة تداعب صفحة الماء وريح الجنوب
المتجمعة تهب فتدعوهم مرة ثانية إلى البحر . وارتفع على طول الشواطئ
المتعرجة بكاء شديد ، وتلكأوا ليلاً ونهاراً محتضن كل منهم الآخر . وفي ذلك
الوقت فإن النساء والرجال أنفسهم ، الذين يبدأ لهم من قبل منظر البحر قاسياً
واسمه غير محتمل ، قد أصبحوا راغبين في الخروج وتحمل مشقة الرحلة
حتى نهايتها . لقد واسى آينياس الطبيب هؤلاء الناس بكلمات رقيقة وعهد بهم ،
والدمع يترقرق في عينيه ، إلى قريبه أكستيس . بعد ذلك أمر بأن يج ثلاث
عجول لإريكس ونعجة صغيرة لفيستاتيس (٨٧) ، كما أمر بفك حبال السفن

الواحدة بعد الأخرى . أما هو فقد وقف ، ورأسه مخاطة بأوراق من أغصان الزيتون المشذبة . وقف بعيداً ، فوق مقدمة السفينة ، يمسك بالكأس ، يقذف بالأحشنة في الماء المالح ويسكب النبيذ السائل . ويتبعهم في رحلتهم ربح كانت ترفع . وخرة السفينة إلى أعلى . وفي قوة ومضاء أخذ رفاقه بضربون الماء بمجاديفهم ويندفعون فوق سطح البحر .

لكن فينوس ، وقد هزتها الهموم في تلك الأثناء ، تحدثت إلى نبتونوس وهي تشكو من صميم قلبها قائلة : « إن غضب جيونو العنيف وقابها الحقود يدفعاني ، يا نبتونوس ، إلى أن أهبط إلى أعماق درجات التوسل ، فلا الأيام الطوال ولا أى نوع من التقديس يخفف من حداثها ، ولا سلطان جوبيتر ولا الأقدار تستطيع أن تكسر شوكتها وتهديء من ثورتها . ليس بكاف أنها بمقتها اللعين قد التهمت المدينة الفروجية من وسط الشعوب ، وأذاقت البقية الباقية من طروادة مرّ العقاب ، بل إنها مازالت تتعقب رفات وعظام من أهلكوا . لعالمها هي وحدها التي تعرف أسباب غضبها العنيف هذا — لقد شهدت بنفسك ما أثارته من شغب مفاجيء في الآونة الأخيرة وسط المياه اللبية ، لقد أثارت البحار والسماء حتى كادا أن يختلطا ، معتمدة في ذلك ، دون جلوى ، ٧٩٠

على عواصف أيولوس . لقد تجرأت على القيام بهذا العمل الذي هو من صميم اختصاصك (٨٨) . أنظر ! إنها ، أيضاً ، بعد أن دفعت النساء الطرواديات نحو الشر ، أحرقت السفن في خيث ، وأرغمتهن ، وقد فقدن الأسطول ، على أن يتركن رفاقهن في أرض غير معروفة . أما من بقي منهم ، لاني أتوسل إليك ، فليستسمح لهم مشكوراً أن يبحروا في سلام عبر البحر ، وأن يصلوا إلى نهر التير اللاورنتي (٨٩) . هذا إذا كنت أطلب أمراً مستطاعاً ، وإذا كانت ربة الأقدار قد شاءت أن تمنحهم تلك المدينة (٩٠) .

عندئذ تحدث ابن ساتورنوس ، سيد البحر العميق ، قائلاً : « إنه عين الصواب ، أيتها الكيثرية ، أن تضعي ثقتك في مملكتي حيث كان مولدك (٩١) . وإني لحدير بهذه الثقة أيضاً ، إذ أنني غالباً ما كبحت جماح ثورة البحر ٨٠٠

والسماء، وغضبهما العنيف . ولم أقم بأقل من ذلك على الأرض - وإثني
لأستشهد بكل من كسانثوس وسيمويس ، إذ أن عتايبي كانت موجهة
نحو صديقك آينياس (٩٢) . فعندما طارد أخيليوس الحيوش الطروادية ،
وقطع أنفاسها عند أسوار المدينة ، وساق إلى الموت آلافاً عديدة ، وعندما
زحجرت الأنهار وقد غُصّت بالحثث ولم يعد كسانثوس قادراً على أن يشق
طريقه أو أن يندفع نحو البحر ، عندئذ فإني أنقذت آينياس بواسطة سحابة
مُجوّفة أثناء منازلته لابن بيليوس الصنديد الذى كان يفوقه فى القوة
وفى مساندة الآلهة له ، بالرغم من أنى كنت أتوق إلى أن أقتلع أسوار طروادة ،
من جندورها - تلك الأسوار التى شيدتها بيلى (٩٣) . وما زال يلزمنى
هذا الشعور نفسه حتى الآن . فلتطردى إذن مخاوفك . فى سلام ، كما ترغبن ،
سيصل إلى ميناء أفرينوس . شخص واحد فقط (٩٤) ، سوف تفقدونه
وسوف تبحثون عنه فى أعماق البحر . شخص واحد سوف يُقدّم فداءً
لكثيرين » .

بعد أن هدأ من روع الإلهة بهذه الكلمات ، شدّ الرب خيوله البرية
إلى نير من ذهب ، وأحكم لحام الخيل المزبد ، وأرخى العنان الذى يحسكه
بكلتا يديه ، ثم طار برشاقة فوق سطح الماء فى عربته الداكنة . فأخذت
الأمواج تهبط فى هدوء ، ومياه البحر الممتدة تنكمش فى رقة تحت عربته
الرعدية ، وبدأت السحب العاصفة تختفى من السماء الواسعة . عندئذ كانت
ترافقه صورٌ مختلفة من المرافقين : حيتان ضخمة ، مجموعة بجلاوكوس
المُسْتَنِ (٩٥) ، بالايمون بن إينو (٩٦) ، مجموعة التريونيس السريعة (٩٧) ،
وجميع جيش فوركوس . كما تعلقت به من الناحية اليسرى كل من ثيتيس (٩٨)
وميلتي والعنراء پانوييا ونيسيا وسيبيو وكذلك ثاليا وكيمودوكي (٩٩) .

عندئذ ملأت مشاعر رقيقة قلب الأب آينياس ، الذى كان مفعماً بالقلق ،
وأمر برفع الصواريخ كلها بسرعة ونشر القلاع على أشرعنها . وعلى الفور
بدأ جميع البحارة يعملون : يُشَبِّتون جبال الأشرعة ، ويَحْلَوْنَ معاً الأجزاء

المتفخخة من الأشربة تارة ذات اليسار وأخرى ذات اليمين ، ويربطون معاً ٨٣٠
 ويفكّون قمم الصواري الشاهقة ، ودفعت الرياح المواتية الأسطول في رحلته ،
 بينما كان الرّبّان بالينوروس يتقدم الجميع وهو يقود الأسطول الضخم ،
 أما الآخرون فكانوا ياتّمرون بأمره ويتبعون خط سيره .

كان الابل الرطب قد كاد أن يصل إلى منتصف قبة السماء ، عندما احتل
 البحارة مقاعدهم الخشنة تحت المخاديف ، وقد مدّوا أطرافهم في استرخاء
 وهلواء : عندئذ هبط إله النوم (١٠٠) ، وقد انسل برشاقة هابطاً من بين نجوم
 السماء ، يشقّ الهواء المعتم ، ويشتت الظلام ، قاصداً إياك يا بالينوروس ،
 حاملاً إليك - أيها البريء - أحلاماً حزينة . وفي أعلى مؤخرة السفينة جلس
 الإله في صورة فورباس (١٠١) ، وأخرج هذه الكلمات من بين شفتيه :
 « أي بالينوروس ، يا ابن إياسوس ، إن البحار بنفسها تحمل الأسطول ،
 إنها تنفث رياحاً متوازنة ، ولديك الآن وقت لتستريح . فلتسريح رأسك
 ولتستشّش عينيكَ المتعبتين بعيداً عن مشقة العمل ، ولسوف أتولى
 بنفسى العمل بدلاً منك لفترة قصيرة » . عندئذ أجابه بالينوروس ، وهو
 يرفع عينيه بصعوبة : « أأأمرني أن أتجاهل ما تعنيه ملامح البحر الهادئ
 وأمواجه الساكنة ؟ أأأمرني أن أثق في ذلك المسخ ؟ إذ كيف أعهد بآينياس
 إلى هذه الرياح المخادعة ، أنا الذي كثيراً ما خدعتني السماء الصافية ؟ » ٨٤٠
 ٨٥٠

بعد أن قال هذه الكلمات ، قبض على الدفة بقوة ، ولم يفك قبضته
 أبداً ، وقد صوّب نظيره إلى أعلى نحو النجوم . أنظر ! إن الإله هز على كل من
 صدغيه غصناً يبلله ندى ليلي (١٠٢) ليغطّ في النوم بفعل قوة ستيكس (١٠٣) ،
 ويجعل عينيه الزائفتين تتوقفان عن المقاومة . وما أن كادت غفوة مفاجئة
 تفكّ أطراف بالينوروس حتى انحنى إله النوم فوقه ، وقذف به وسط الأمواج
 المتدفعة بعد أن تحطم وسقط معه جزء من مؤخرة السفينة والدفة ، بينما
 كان هو في ذلك الوقت يستغيث عبثاً برفاقه ، ثم ارتفع الإله نفسه طائراً
 بأجنحته عالياً في الهواء الرقيق . وأسرع الأسطول آمناً ، دون تأخير وانساب ٨٦٠

دون خوف فوق سطح البحر ، اعتماداً على وعود الرب نيتونوس . وأكثر من ذلك فإن الأسطول كان يقترب في ذلك الوقت من صخور سيريتيس (١٠٤) — تلك الصخور التي كانت في وقت من الأوقات مهلكة (١٠٥) ، بيضاء بعظام الكثير من الضحايا ، والتي أصبحت فيما بعد صخوراً تبعث باستمرار صوتاً أجش فوق البحر الواسع . وعندما شعر الربان أن السفينة تسير بلا هدف ، بعد أن فقدت قائد الدفة ، وأنه يتولى قيادتها بنفسه وسط أمواج الليل ، فإنه تنهد كثيراً وأخذ ينوح بشدة ، وقد اهتز قلبه بعنف لمصير صديقه :
 « وا حسرتاه ! يا مَنْ وثقت أكثر مما يجب في هدوء البحر والسماء :
 ٨٧٠ سوف ترقد عارياً — جثة غير مدفونة — يا بالينوروس ، على شاطئ مجهول ».

حواش الكتاب الخامس



- (١) بالينوروس Palinurus ، هو قائد سفينة آينياس .
- (٢) فورتونا Fortuna ، هي إلهة الحظ والنجاح .
- (٣) أريكس Bryx ، هو أخ غير شقيق لآينياس وهو ابن فينوس .
- (٤) أكستيس Acestes ، ملك صقلية ، وهو ابن إله النهر بصقلية ، كريبوسوس ، وفتاة طروادة من أسرهِ عريقة .
- (٥) كان آينياس قد فقد والده في دريبانوم Drepanum ، بجزيرة صقلية .
- (٦) تسمى هذه الرياح زيفوروس Zephyrus ، وهي رياح غربية .
- (٧) مر آينياس في هذه الشواطئ الرملية المتحركة ، التي توجد على الساحل الشمالي من أفريقيا في شرق قرطاجة ، بذكريات غير سارة ؛ إذ أنها تسبب جنوح السفن .
- (٨) المدينة المقصودة هنا هي پتافيوم Patavium ، وهي مدينة بادوا Padua في الوقت الحاضر .
- (٩) الاسم الذي يطلق على الآلهة اللاتينية القديمة هو Penates وهي حارسة مدقاة البيت .
- (١٠) كان الحزن على الموتي يستمر مدة تسعة أيام تبدأ من اليوم التالي للجنازة . وعند نهايتها تقدم ضحية تسمى Movendiale ، أي «الضحية التي تقدم في اليوم التاسع» .
- (١١) كانت هذه القفزات الجلدية تستخدم في ألعاب رياضة الملاكمة .
- (١٢) يقول ليفيوس ، المؤرخ الروماني المعروف ، إن غصنا من سمف النخيل قد أعطى لأحد المنتصرين ، وذلك طبقاً لتقليد إغريق ، في عام ٢٩٣ ق.م. ومنذ ذلك التاريخ أصبح غصن النخيل رمزاً للنصر .

(١٣) الآس : نوع من أنواع النباتات العطرية ، ويعرف أحيانا « بالريحان الشامى » .

(١٤) هيلموس Helymus ، هو أحد أصدقاء آينياس .

(١٥) أوسوني Ausonius ، نسبة إلى قبائل بدائية في إيطاليا . وتعني هنا هذه الصفة : إيطالى ، كما أنها تشير إلى نهر التيبر الإيطالى .

(١٦) أخيرون Acheron ، أحد أنهار العالم السفلى ، هاديس ، والمقصود بالشبح هنا ربما يكون ذلك الثعبان الذى ظهر أثناء الاحتفال .

(١٧) فايثون Phaethon ، إله الشمس الذى يجلب الضوء .

(١٨) بريستيس Pristis ، اسم أحد أنواع السمك ، والمقصود به هنا إحدى سفن السباق .

(١٩) يطلق اللقب ميمموس Memmius ، على قبيلة رومانية . وهناك جايوس ميمموس الذى أهدى إليه اوكرىتيوس قصيدته «عن الطبيعة» .

(٢٠) جياس Gyas ، هو قبطان الحمايرا Chimaera ، وهو هنا اسم إحدى السفن المتسابقة ، نسبة إلى الوحش الذى قتله بيليروفون Bellerophone .

(٢١) درداني Dardanius ، نسبة إلى دردانوس بن زيوس واليكترا وهو سلف الطرواديين الأسطوري ومؤسس مدينة دورانيا Dardania .

(٢٢) سيرجستوس Sergestus ، هو قائد السفينة الكنتاوروس Centaurus إحدى سفن السباق ، ومن اسمه أطلق اللقب سيرجيين Sergi على قبيلة رومانية .

(٢٣) هيكتور Hector ، هو ابن برياموس ملك طروادة .

(٢٤) ماليا Malca ، منطقة جبلية بارزة عند لوكونيا على ساحل سانت أنجلو St. Angelo .

(٢٥) في هذا الموضع يظهر أسلوب مازح يقصد به فرجيليوس التكميم عن يحاول القيام بعمل دون أن تكون لديه الوسائل التى تساعد على القيام به .

(٢٦) النيريديس Nereides . هن عرائس البحر فى البحر المتوسط ، وهن مثل بنات أوكيانوس .

(٢٧) فوركوس Phorcus ، هو ابن نبتونوس ووالد ميدوسا Medusa ، وبقية الجورجونز Gorgones . وبعد موته أصبح أحد آلهة البحر .

(٢٨) بانوبيا Panopia إحدى عرائس البحر .

(٢٩) پورتونوس Portunus ، إله بحر يحمى البشارة فى عودتهم .

(٣٠) يطلق الاسم *Magnum Talentum* على الثالثة الفضى وهو يمدل حوالى ثلاثة آلاف فرنك أى ما يوازى حوالى ٢٤٠ جنبها استراليا .

(٣١) الكلمة المستخدمة هى ميليبويا ، *Meliboea* ، وتعنى أيضا ثاليا .

(٣٢) الصبي الملكى هو جانيميدس *Ganymedes* ، وهو ابن تراوس *Traos* .
تروى الأسطورة أن نسر زيوس قد حمله إلى السماء كي يصبح سائق الآلة .

(٣٣) إيدا ، *Ida* ، جبل بالقرب من طروادة ، وهو المكان الذى شهد محاكمة باريس .

(٣٤) ديموليوس ، *Demoleos* ، هو أحد زعماء الإغريق وقد لقي مصرعه على يد آينياس .

(٣٥) سيمويس ، *Simois* ، نهر بالقرب من طروادة يصب فى نهر سكامندير *Scamander*

(٣٦) نيدوس *Nisus* ، ويوريالوس ، *Euryalus* ، متسايقان طرواديان وقد كسب يوريالوس الجائزة الأولى . كان نيدوس أكبر الإثنين سناً ، بينما كان يوريالوس فى نضرة الشباب .

(٣٧) تيجيا ، *Tegae* ، مدينة فى أركاديا .

(٣٨) نسبة إلى جنوسيا *Gnosia* ، وهى مدينة فى كريت شهيرة برمادة الرياح .

(٣٩) نسبة إلى الأمازون وهن علاقات جنن فى نهاية الحرب الطروادية تحت قيادة ملكهن بيثيسيليا *Penthesilea* ، لمساعدة برياموس ملك طروادة .

(٤٠) كان التراقيون حلفاء للطرواديين .

(٤١) قتل الطرواديين أندروجيوس وزملاءه فى أوائل الحرب الطروادية ، وهم هنا يمتلكون أسلحتهم الأرجولية التى استولوا عليها بعد قتلهم .

(٤٢) من الواضح أن آينياس كان قد استولى على هذا الدرع من بطل إغريقى كان قد أخذه من مدخل معبد نبتونوس أثناء غزوة طروادة . وها هو آينياس يضمه كجائزة .

(٤٣) يقصد هنا أن تكون اليدان ملفوفتين بشئ ما يشبه القفاز ، إستعداداً للملاكمة .

(٤٤) بوتيس *Butes* ، هو ابن أميكوس *Amycus* ، وقد قتل داريوس ، وهو غير بوتيس الذى ذكر من قبل .

(٤٥) باربيكيا *Barbycia* . وكان الباربيكيون ينتمون إلى قبيلة تراقية فى بيثينيا *Bythynia* ، وقد قتل ملكهم على يد بوللكس *Pollux* ، فى مباراة للملاكمة .

(٤٦) أنتلوس *Entellus* ، هو شخص صقل سميت باسمه مدينة إنتلا *Entella*

(٤٧) تسمى صقلية تريناكريا *Trinacria* ، أى الأرض ذات الثلاث قمم بحيرية .

(٤٨) قتل هيراكليس - في هذه المعركة - أريكس . فقد حدث أن فرت عجول جيريونيس Geryones ، من إريثيا ، Erythia ، فقفز في البحر وسبح حتى صقلية حيث أخذه إريكس وضمه إلى قطيعه . وذهب هيراكليس لاستمادته وحدث القتال بينه وبين إريكس .

(٤٩) الكيديس Alcides المقصود هنا هو هيراكليس ، إنه لقب يطلق عليه نسبة إلى جده ألكيوس Alceus .

(٥٠) لم تكن المتاعب بسبب القتال أصلا بل بسبب ضخامة الجسم وثقل وزنه .

(٥١) إريمانثوس Erymanthus ، جيل في أركاديا الغربية وهو مكان صيد الخرافات أو الخنازير الإريمانثية .

(٥٢) سيرستوس Serestus ، قائد سفينة من سفن آينياس .

(٥٣) كانت القرعة تجري بين المتسابقين بأن تلقى مجموعة من الأوراق أو الشفافات ، مكتوب عليها أسماء المتسابقين ، في خوذة . ثم تجري عملية سحب هذه الأوراق أو الشفافات لتحديد ترتيب أدوار المتسابقين .

(٥٤) پانداروس هو ابن ليكاوون Lycaon ، وهو رأى سهام ليكي مشهور في الحرب الطروادية ، ويقال إن أبوللون أعطاه بنفسه السهم (هوميروس ، الإلياذة ، ٢٣ سطر ، ٨٦) ويشبه في ذلك يوريتيون ، لأنه هو الذي فاز في السباق وأصاب الحمامة . وپانداروس هو الذي عهدت إليه طروادة أن يقذف بمسمة ليخرق المعاهدة بين الطرواديين والأغريق .

(٥٥) عندما حدثت الحروب البونية Bella Punica فيما بعد وقامت صقلية بدور هام فيها ، أعلن الحرافون أن ذلك ما هو إلا إتمام للنبوة التي ذكرت هنا .

(٥٦) كيسيوس Cisseus ملك تراقيا ، ووالد هيكونا .

(٥٧) كانت هذه الخلية تابس كزينة عسكرية .

(٥٨) يقال إن پرياموس الصغير هو الذي أسس وسمى باسم والد ، بوليتيس مدينة بوليتوريوم Politorium ، ومن هنا سمى « أصل أو حاوى الإيطاليين » . أما بوليتيس فهو ابن پرياموس الكبير .

(٥٩) أتيس Atys ، مؤسس قبيلة أتيا Atia اللاتينية وإليه تنتسب أتيا أم أغسطس .

(٦٠) نسبة إلى مدينة صيدا Sidon ، في فينيقيا .

- (٦١) قصر اللايرينث ، Labyrinth بناء ديدالوس في كريت ، ويمتاز بفسخامته وأهمته وعدد حجراته الكبير .
- (٦٢) كارباتيوس Carpathius ، تشير هذه الصفة إلى بحر يسمى البحر الكارباتي الذي يقع بين كريت ورودس وقد سمي هكذا نسبة إلى جزيرة كارباتوس ، Carpathus ، وهي سكارينتو ، Scarpanto الحالية .
- (٦٣) ابنة ساتورنوس هي الإلهة جونو .
- (٦٤) إريس Iris ، ابنة ثاوماس Thaumias ، وهي رسول الآلهة ، لكنها كانت تستخدم غالباً بواسطة جونو ، كان طريقها من السماء إلى الأرض على شكل قوس قزح .
- (٦٥) لمرفة سبب غضب جونو راجع ص ٢ ، وحاشية (٣) ص ١١١ .
- (٦٦) بيروي Beroe ، من زوجة دوريكولوس الذي كان ملكاً لتراقيا . وقد أخذ هذا الملك لقب التاري Tamarius نسبة إلى الجبل Tamarus في إيروس .
- (٦٧) بدت إريس في هيئة بيروي لما كان لها من صفات جعلتها محل تقدير جميع الطرواديات .
- (٦٨) نهر كاستانوس ينسب إلى تروس Tros ، جد الطرواديين ، الذي اشتقت من اسمه كلمة طروادة .
- (٦٩) انظر ص ١٥٨ حاشية (٤٥) .
- (٧٠) كانت لنتيونوس ، إله البحر ، مذابح أربعة تقام عليها أربعة مشاعل عند إقامة القلوس .
- (٧١) الروتية Rhoete ، نسبة إلى جبل رويتيوم Rhoeteum الطروادي على مضيق البوسفور . ومعنى استخدام هذه الصفة ؛ طروادي .
- (٧٢) النص هنا ناقص .
- (٧٣) الإشارة هنا إلى النار التي اشتعلت في السفن ، وذلك نسبة إلى فولكانوس Volcanus إله النار .
- (٧٤) لم يكن يوميلوس Eumelus رسولاً للآلهة ، وإنما كان مجرد رجل عجوز صاحب النساء إلى السفن ثم قام بإبلاغ الطرواديين بما رأى .
- (٧٥) هذه كناية عن أن ما فعلته إنما قمن به وهن في غيبة عن الوعي . فلما تيقظن شعرن بالهزل ، وكرهن أنفسهن وما فعلن ، وتمنين أن يخفين الظلام .
- (٧٦) كان ما أرتكبته النسوة الطرواديات هو من تدبير جونو التي كانت تفسر الشر للطرواديين ، والمقصود هنا بلفظ « خرجت جونو من صدورهن » هو أنهن عدن إلى رشدن وتخلصن من تأثير جونو .

(٧٧) ناوتيس Nautes ، هو كاهن يالاس ، حمل البلاديوم من طروادة إلى إيطاليا .

(٧٨) أفيرنوس Avernus وهو ما ينسب إلى بحيرة تحمل هذا الاسم ، موجودة في عالم الموت .

(٧٩) تارتاروس Tartarus ، وتسمى أيضا تارتارا Tartara وهي مأوى الملعونين في العالم السفلي .

(٨٠) إليسيوم Elysium ، وهو موطن الصالحين في العالم السفلي .

(٨١) سيبولا Sibylla ، يقال إنها من كيمي وإنها كانت تبلغ من العمر ٧٠٠ عاما عندما استشارها آينياس (انظر ص ٢٧٨ وما بعده) .

(٨٢) البرجائى نسبة إلى برجاموم عاصمة طروادة ، وتستخدم الصفة لتعني طروادة .
Lar هو الروح التي تحمي المنزل الروماني .

(٨٣) فيستا Vesta ، إلهة الموقد والدفء في المنازل .

(٨٤) كان آينياس في واقع الأمر في منزله ، حيث كان يحتفظ بنار دائمة لمعبد منزله وكذلك الآلهة البناتيس Penates ومن بينها كانت فيستا إلهة الموقد .

(٨٥) يشير فرجيليوس هنا إلى عادة كانت سائدة عند اللاتين والأثروسكيين في إقامة المدن . كانوا يعلقون ثورين في محراث ويحفرون في الأرض خطوطاً تصير بعد ذلك حدود مدينتهم من الخارج وتحدد معالم المدينة من الداخل .

(٨٦) كما كان الحداد والحزن يستمر لمدة تسعة أيام ، فإن السرور والأفراح كانت تستمر أيضا تسعة أيام (انظر ص ٢٦٩ حاشية ١٠) .

(٨٧) تمبستاتيس Tempestates ، هن إلهات الطقس .

(٨٨) توجه فينوس الحديث إلى نبتونوس ، إله البحر ، مبيئة أن ما قامت به چونو كان في مملكة نبتونوس وبناء على ذلك فأى تصرف هناك يكون من اختصاص إله البحر وحده .

(٨٩) يوصف نهر التيبر بأنه اللاورنتي Laureus نسبة إلى مدينة لاورنتوم Laurentum في إقليم لاتيوم Latium .

(٩٠) الأقدار التي ذكرت هنا هي Parcae وهي تطابق إلى حد ما Fortuna إلهة الحظ .

(٩١) كان مولد فينوس - أفروديتي عند الإغريق - في البحر ويقال إنها تكوئت من زبد البحر .

(٩٢) عندما ثار أخيلوس بسبب موت باتروكلوس وقرر العودة للاشتراك في حرب طروادة . كان غريمه اللدود هو آينياس . فلما حطم أخيلئوس درعه كاد أن يفتك به لولا تدخل پوسيدون .

(٩٣) كان نبتونوس حاقداً على الطرواديين لأنهم خدعوه عندما حثوا بالوعد الذي وعده به لأثومدون Laomedon ، بأن يقدموا له جائزة على بنائه مدينة طروادة .

(٩٤) المقصود بالشخص الذى فقد هنا هو بالينوروس ، قائد أسطول آينياس ، وهو أصلاً من لأكوتيا .

(٩٥) جلاوكوس Glaucus ، صياد وغطاس ، بنى السفينة أرجو Argo ، وقد أصبح خالداً بعد أن أكل العشب المقدس ، الذى بذره كرونوس ، وأصبح أحد مخلوقات البحر المقدسة . كان يزور السواحل والجزر مرة كل عام مصحوباً بوحوش بحرية .

(٩٦) بالايون Palaemon ، إله بحرى كان يدعو به البحارة من أجل العودة إلى الموانئ سالمين .

(٩٧) تريون Triton ، هو ابن نبتونوس عرف بأعماله الفنية بواسطة الصدف .

(٩٨) ثيتيس Thetis ، ابنة نيريوس Nereus وأم أخيليوس .

(٩٩) كل هذه أسماء عرائس بحر .

(١٠٠) المقصود هنا هو سومنوس Sumnos ، إله النوم .

(١٠١) فورباس Phonbas ابن پرياموس Periamus ، ووالد إليونيوس Ilioneus

(١٠٢) ليثى Lethe ، نهر النسيان ، ونقطة منه تسبب فقدان الذاكرة .

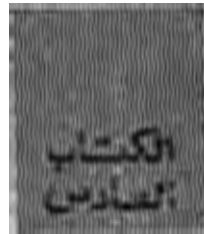
(١٠٣) نهر ستيكس Stryx ، من بيتل بماله يذهب فى نوم عميق أشبه بالوت .

(١٠٤) سيرينيس Sirenes حوريات بحريات يسكن بالقرب من رأس ييلوروس

Pelorus فى صقلية . كن يجلبن الهلاك لكل من يرسو على شواطئهن . وكن يجذبن البحارة إليهن بأغانيهن .

(١٠٥) ظلت هذه الصخور تسبب الهلاك حتى أبطل أوديسيوس مالهها من قوة سحرية فمتدا

رفض أن يتجذب إليهن فإ كان منهن إلا أن أهلكن أنفسهن ، ومن ثم لم يعد يسمع هناك سوى صوت خرير ماء بين الصخور .



أحمد عثمان

كان يقول ذلك وهو يبكي ، وقد أطلق العنان لسفنه ، واقترب أخيراً من شواطئ كوماى اليوية (١) . إنهم يحولون مقدمات السفن تجاه البحر ، وتمسك المراسى السفن بأستانها ، وتصطف القوارب فترزكش الشاطئ بمؤخراتها المستديرة . وتقفز جماعة الشبان إلى الشاطئ المهيبرى (٢) فى حماس ولهفة ، يبحث بعضهم عن شرارة اللهب الكامنة فى أحجار الصوان ، وينقب الآخرون فى الغابات الكثيفة ، مراتع الوحوش الكاسرة ، ويرشدون أصحابهم إلى الأنهار التى اكتشفوها . لكن آينياس التقيّ ينشد القمم حيث يستوى أبوللون على عرشه فى السموات العلى ، وحيث الكهف الضخم لسيبولا (٣) الرهيب ، التى نفخ فيها إله ديلوس (٤) من عقله وروحه ، وكشف لها عن المستقل . وها هم الآن يقتربون من أحراش التريفيه (٥) ومعبدها الذهبى .

١٠

فعندما هرب ديدالوس - كما تروى القصة - من مملكة فينوس ، وتَجَرَّأ - مستعيناً بأجنحته السريعة - على تسليم نفسه للسماء ، وسبح فى الفضاء إلى المنطقة الشمالية الباردة ، فى رحلة غير مألوفة ، وهبط أخيراً برفق فوق قلعة خالكيس (٦) ، وحالما عاد إلى الأرض ، قدم إليك ، يافوبيوس ، أجنحته ، التى تشبه المحاديف ، نلراً ، وأقام لك معبداً ضخماً ، ونقش على الباب منظر وفاة أندروجيوس (٧) وأيضاً أبناء كيكروبس (٨) ، وقد أجزوا على دفع الجزية - يا للهول ! سبعة من أبنائهم سنوياً . ونُقش أيضاً منظر وعاء القدر ، حيث قُدرت فيه مصائر البشر ، وعلى الواجهة المقابلة منظر للأرض الجحوسية (٩) الصاعدة من جوف البحر . وهنا يوجد وصف للحب القاسى نحو الثور ولهايسفاى (١٠) ، التى اقتترت به خلوسة ، وللنسل

٢٠

المختلط : المينوتاوروس ، الثنائي الهيئة ، رمز هواها الفاضح : وهنا تظهر روعة ذلك القصر المشهور ومناحاته المعقدة . غير أن ديد الوس ، وقد أشفق على حب الأميرة أريادنى (١١) العظيم ، كشف بنفسه مناحات القصر ومنعطفاته مرشداً بالخيط أقدام ثيسوس الحائرة . أما أنت ، يا إيكاروس ، فقد كان لك قسط وافر في هذا العمل العظيم — إن كان يسمح الحزن بذلك : فقد حاول والدك مرتين أن يستخدم الذهب في تصوير سقوطك ، وفشلت يدها مرتين أيضاً .

٣٠

مازالوا ينفرسون الصور كلها على التوالي حتى أتى أخاتيس ، الذى كان قد أرسل من قبل ، وفى صحبته كاهنة فويبوس وتريشيا ، ديفوبى ، بنت جلاوكوس ، التى خاطبت الملك قائلة :

« ليست هذه المشاهد ماتطلبه اللحظة الراهنة ! ولعل من الأفضل الآن أن تقدموا قرباناً من سبعة عجول ، من قطع لم يمسه أحد ، ومثل هذا العدد من نعاج مختارة ، تبلغ من العمر عامين ، حسب العادة المتبعة » .

يمثل هذه الكلمات خاطبت الكاهنة آينياس ، فلم يتوان الأبطال ٤٠ فى تلبية أوامرها الإلهية ، ودعت الكاهنة التيوكربين إلى المعابد الشاهقة .

هناك كهف ضخم ، حُفر فى جنب الصخرة اليوبية ، يؤدى إليه مائة حجر عريض ومائة بوابة ، منه تنطلق إجابات سيبولاً ، ذات المائة صوت . وما أن وصلوا إلى أعتاب المعبد حتى صاحت العنراء : « لقد جان الوقت كى تسأل عن مستقبلك ، وبحك ! إنه الإله ، إنه الإله ! » . وبينما كانت تفوه بهذه الكلمات أمام المدخل ، تغيرت ملامحها فجأة ، وتبدل لون وجهها ، ولم تثبت جداول شعرها على وضع بعينه . كان قلبها اللاهث يحقق ، وصلرها يعلو وهبط ، وقدمستها شىء من الخبل ، وبدت للناظرين فى صورة ضخمة ، ولم يعبء صوتها بشرياً ، حيث داخلتها قوة إلهية قريبة : ٥٠

« أتناكأ فى تقديم النذور ، وإقامة الصلاة ، أتناكأ يا آينياس ، يا ابن

طروادة: ١. « ثم مضت تقول . » فالأبواب الضخمة لمعبدا المسحور لن تظل مفتوحة أمامك إلا إلى حين . » هكذا قالت ، ثم عادت إلى الصمت من جديد ، وتسربت إلى عظام الطرواديين الصلبة رعدة ثلجية ، وصبّ مليكهم من أعماق قلبه هذه الدعوات :

« أي فويوس ، يا مَنْ كنت دائماً تنظر إلى مصائب طروادة الثقيل بعين العطف والشفقة ، وكنت المَوْجّه للأسلحة الطروادية وليد باريس ضد ابن أياكوس (١٢) . لقد جُيِّت تحت قيادتك بحاراً عدة تلف أوطاناً عظيمة ، واخترقت مواطن الماسولين بالتوغلة في داخل اليابسة ، وسورتيس (١٣) حقول الكشبان الرملية البارزة إلى خارجها . وها نحن أخيراً قد لحقنا بشواطئ إيطاليا ، التي طالما زأغت من قبضتنا . ألا لَيْتَ « النحس الطروادي » (١٤) يكفّ عن مطاردتنا الآن . وأنتم أيضاً ، أيها الآلهة والإلاهات . يا مَنْ كانت إليوم والمجد الدرداني التليد يسيثان إليكم ، آه لو تسمح بجلالتكم بالصفح عن الجنس البرجامي (١٥) ! وأنت يا أقدس العرافين والعرافات ، يا عالمة بما هوأت ، أنا لا أطلب بغير ما كُتِبَ لنا في قدرنا المسطور ، فلتَسْمَحِي بأن يستقر في لاتيوم التيوكريون وألتهنهم ، التي تجوّلت معهم طويلاً ، ومقلسات طروادة ، التي شرّدتها العواصف كثيراً ، عندئذ سوف أشيد لفويوس وتريقا معبداً من الرخام الصلد ، وأقيم الأعياد تمجيداً لفويوس وأنت أيضاً ينتظرك في مملكتنا معبد ضخم ، إذ أنني سوف أحفظ هنا نبوءاتك وأقدارك الخفية ، التي تعلنينها على بني جلدتي ، وسوف أخصص لك ، ياسيلتي الرحيمة ، رجالاً من خيرة القوم . إنني فقط أضرع إليك أن لاتبوحى بنبوءاتك لأوراق الأشجار خشية أن تلعب بها الرياح الجارفة فتطير في الهواء ، أضرع إليك أن ينطق بها لسانك » . ثم أطبق شفتي وعاد للصمت .

لكن الكاهنة لم نعد قادرة على تحمل سلطان فويوس فأخذت ترغى وتزبد في الغار عماها تستطيع أن تزيح عن صدرها ذلك الإله الجبار . لكن هيهات ، فإن أبولون قد شدد قبضته على فمها المزبد ، وأخضع قلبها الشرس .

وشكّل حياتها بقوة سلطانه . عندئذ انفتحت المائدة باب الضخمة للمعبد من تلقاء نفسها ، وحملت عبر الأثير إجابات الكاهنة :

« يا من اجتزت حتى الآن أخطار البحر الحسيمة ، ما زالت تنتظرك على البر أخطار أشدّ جسامة . سوف يصل الدردانيون إلى ظلمات لاثنين ، دعك من هذه الموم ، لكن لا تدعهم يطرون فرحاً بوصولهم ، إنني أتنبئ حروباً ، حروباً طاحنة ، وأرى نهر النير وقد أربد بفيض من الدماء . وإن ينقصك سيمويس ولاكسانثوس ولا معسكر دوري ، بل سوف يوجد في لايتوم أخيلوس آخر ولدته إلهة ، وأن تتوقف جونو (١٦) عن ملاحقة التيوكريين ، فقد تأصل الحقد في قلبها . وأي أمم بل وأي مدن في إيطاليا ، سوف لا تذهب أنت إليها في محتك ضارحاً متوسلاً ! مرة أخرى سوف يكون فراش عرس أجنبي (١٧) » مصدر شقاء أليم للطرواديين « (١٨) . لكن لا تستسلم للكوارث ، وشق طريقك في جرة متصدياً لها ، بقدر ما تسمح لك به ربة القدر ، وسوف يفتح أمامك طريق الخلاص — من حيث لا تحسب — على يد مدينة إغريقية » .

هذه الألفاظ كانت سيولاً انكومية تنهم من داخل المعبد بأسرارها الغامضة الخفية : كانت ترانيمها تتردد وسط الكهف وهي تاف الحقائق في ثوب من الغموض . هن أبوللون عنانها بشدة ، ونحسها بمهامزه من تحت صلبها ، وعندما هدأت ثورتها ، وتوقفت رعشة فمها المزبد ، سرعان ما عاد آينياس البطل مخاطبها قائلاً :

« أيتها العنراء ، إن ما تنبئين به من أهوال ليس جديداً على ، ولا هو غير متوقع . فلقد تنبأت به كاملاً من قبل . فهو ما زال يعيش معي ، وفي ذهني حتى الآن . لكن لي رجاء واحد . فحيث أن هذه « بوابة الآخرة » ، كما يقولون ، وذلك هو « المستنقع المظلم » ونهر « أخبرون » (١٩) القياض ، فكلم أتمنى أن أذهب إلى والدي العزيز ، وأن أراه وجهاً لوجه . فإله شديني

إلى الطريق ، ولتفتحى أمامى الأبواب المقدسة . إياه قد اختطفته من بين السنة
 ١١٠ النيران ، ومن بين آلاف الأسلحة ، التى كانت تلاحقنا ، وعلى أكتافى هذه
 حملته ، وخرجت به سالماً من بين صفوف الأعداء . إنه رفيقى فى رحلتى عبر
 كل البحار ، تحمّل معى أهوال البحر وتهديدات السماء ، على كبر سنّه
 وضعفه ، فقد عانى فوق ما تتحمله شيخوخته . إنه هو نفسه الذى طلب
 منى اللجوء إليك ، والتضرع لجلالتك ، والتقرب من أعتابك . إننى لأناشدك ،
 ياسيدتى الرحيمة ، أن تشفى على الأب وابنه ، وأنت القديرة على كل شيء ،
 فليس عبثاً أن تتصيّك هيكاتى (٢٠) سيدة على أحراش أفيرنوس (٢١) .
 وإذا كان أورفيوس (٢٢) قد استطاع أن يحضر شبح زوجته من العالم
 ١٢٠ الآخر بفضل قيثارته التراقية ذات الأوتار الشجية ، والأنغام السحرية ، وإذا
 كان پولوكس (٢٣) قادراً على أن يستعيد أخاه ، ويتبادل معه الموت والحياة ،
 ويعبر الطريق إلى الآخرة ، ذهاباً وإياباً ، ولم ذكر نيسيموس (٢٤) العظيم
 وهر كليس (٢٥) ، وإذا كان كل هؤلاء من نسل الآلهة ، فأنا أيضاً من
 سلالة جوبيتر العظيم .

يمثل هذه الكلمات توسل ، وهو يتعلق بالمذابح المقدسة ، فردت عليه
 العرافة قائلة :

« أيها الطروادى ، يا ابن أنخيس ، يا سليل الآلهة ، ما أسهل الهبوط
 إلى أفيرنوس ، فأبواب ديس (٢٦) ، حالكة الظلمات ، مفتوحة على مصراعها
 ليل نهار . لكن أن تعود أدراجك إلى الوراء ، وأن تصعد إلى هواء العالم
 الأرضى من جديد ، هذه هى المشكلة ، وهنا يكمن الخطر . قليلون فقط هم
 الذين استطاعوا ذلك ، وهم من نسل الآلهة . لأنهم هؤلاء الذين أحبههم جوبيتر
 ١٣٠ العادل ، فرفعتهم فضيلتهم الخالدة إلى السماء . فكل ما بينهما (٢٧) تغطيه
 الغابات ، ويحيطه كوكيتوس (٢٨) السارى فى مجراه المظلم : ومع ذلك
 فلو أن مثل هذا الجنون قد مسك ، ولو أن مثل هذه الرغبة قد ملكت عليك
 شغاف قلبك ، فلتعبر بحيرة ستيكس (٢٩) مرتين ، وترى تارتاروس (٣٠)

المظالم مرتين ، وتجد سروراً في الإقدام على مثل هذه المخاطرة الختوية ،
فلتَعْلَمَ ماذا ينبغي عليك عمله أولاً . فهناك ، وراء شجرة كثيفة الظلال ،
يختفي الغصن الذهبي ، بجذعه اللدن وأوراقه . إنه — كما يقولون — مقدس
لدى فليكة العالم الآخر (٢١) ، تغطيه كل الأحرار ، وتحفها الظلمات
في وديان سحيقه . ولم يُمنح أحد قط حق الهبوط إلى العالم السفلي قبل أن يقطف
من الشجرة تلك الثمرة ذات الجذائل الذهبية . لأن بروسربينا الخميعة رأت
أن يُقدّم هذا الغصن لها كهدية خاصة . وعندما يُنتزع هذا الغصن ، يثبت
مكانه غصن آخر مثله تماماً — ذهبي وله ذوابات ذهبية — ومن ثم اقتطف أثر
هذا الغصن بناظريك ، فإن عثرت عليه ، فأقطفه بيديك في رفق ، لأنه سوف
ينشخلع بسهولة ، ويتبعك من تلقاء نفسه ، إذا كانت الأقدار تناديك ، وإلا
فإنك لن تستطيع أن تنزعه من مكانه ، لا بسيفك البتار ، ولا بأي من الخنود
المسلحين . ثم إنك — يا لاهول ! — لا تعرف أن صديقاً لك يرقد الآن جثة
هالمة ، وأنه ، بينما أنت تلتكأ على أعتابنا ، وتستطلع نبؤاتنا ، يلطخ هو بموته
كل أسطولاك . عليك أولاً أن تحمله إلى مقره الأخير ، وأن توارى سرّته
ثم تحضر واثني سوداء اللون ، ولتكن بشائر قربان التكفير الأولى . عندئذ
سوف ترى بعينيك أجراش نهر ستيكس وممالك لم يرها كائن حي . هكذا
قالت ثم أطبقت شفثيها .

وبعينين رحيمين ، ووجه ساهم ، تقدم آنياس إلى الأمام ، وغادر
الكهف ، وهو يتدبّر نفسه العواقب الغامضة ، وبصحبة صديقه المخلص
أخاتيس ، يحسّ بنفس المموم ، ويتناولان في حديثهما مختلف الأمور :
من يكون ذلك الصديق الذي فقد الحياة ؟ ما هي الحثة التي يجب دفعها
والتي تحدث عنها العرافة ؟ وما أن عادا حتى وجدا ميسينوس على الشاطئ
القاحل وقد اختطفه الموت اللعين — ميسينوس بن أيولوس ، الذي لم يتفوق
عليه أحد قط في إثارة حماس الرجال بتغييره النحاسي ، وإشعال نار الحرب
بنغماته . كان رفيق هيكتور العظيم ، ومع هيكتور خاض المعارك . فكان

مرموقاً في استخدامه للتفكير وللحربة على حد سواء . وبعد أن قضى أنخيلوس
الظافر على هيكتور ، انضم ميسنوس إلى صفوف آينياس الدرداني كأشجع
بطل وتحت قيادة بطل لا يقل في بطولته عن القائد السابق . ولكن الآن — ١٧٠
وقد جعل البحر مجلجل بقوقعته المخوفة ، ياله من أحرق (٢٢) ! ، وتحدى



صورة لتغير نحاسي طوله خمسة أقدام ولثلاثة بوصات وجد في مدينة كرفترى (= كبرى ،
في العصر الحديث) ومعروض الآن في الفاتيكان .

الآلهة بنغمات نفيره — فإن تريتون (٢٣) الغيور — إن كان ذلك معقولا —
استلججه بين الصخور ، وأغرقه تحت الأمواج المزبدة . من أجل ذلك كان
الجميع من حوله يواولون ، ويجهشون بالبكاء ، وعلى رأسهم آينياس الوفي .
بعد ذلك بدأوا في تنفيذ أوامر سيولا دون تلكؤ ، ويتسابقون ، وهم يبكون ،
في إقامة مقبرة من خشب الأشجار تشبه المذبح ، ويرتفعون بها إلى عنان
السماء . ثم اندسوا إلى داخل الغابة العتيقة ، مرتع الوحوش الضارية ، حيث ١٨٠
تهادى أشجار الصنوبر ، وتصرخ جنوع البلوط من ضربات المعاول ،
وتنشق أعمدة من أخشاب الدردار الضخمة والسنديان السهل القطع بواسطة
الأسافين ، ويدحرجون أشجار الإاجاص الجبلية الضخمة . كان آينياس
في المقدمة يقوم بهذه الأعمال ، ويبحث رجاله ، ويتسلح معهم بمثل ما كانوا
يتسلحون به . لكنه انفرد بقلبه الحزين ، يفكر في كل ذلك ، بينما كان يحساق
في الغابة المترامية الأطراف ، ويتوسل للسماء بهذه الكلمات :

« والآن ماذا لو ينكشف لنا ذلك الغصن الذهبي ، على شجرته ،
في هذه الغابة الشاسعة ! إذ أن العرافة ما نطقبت إلا بالحقيقة عنك
يا ميسنوس ! » .

١٩٠ ما إن فاه بهذه الكلمات ، حتى جاءت حمامتان ، تحلقان في السماء ،
ثم تحطتان على المروج الخضراء تحت ناظريه . عندهن تعرف البطل العظيم
فيهما الطيور المقدسة لدى أمه ، فتضرع إليهما في فرح :

« كونا مرشدتي ، آه ! إمضيا أمامي في طريقكما الأثري - إن كانت
هناك طريق - ، إلى الأحراش ، حيث يظلل الغصن الذهبي الملىء بالخيرات
الأرض الخصبة . وأنت يا أمي ، أيتها الإلهة ، لا تتخلي عني ، وحظي
ما زال متعراً » .

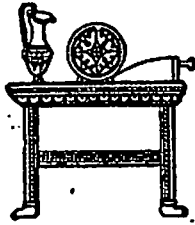
٢٠٠ ما كاد يقول ذلك ، حتى توقف عن السير ، وهو يلاحظ ما تبديان
من إشارات وإلى أين تتجهان . فإذا بهما تلتقطان غذاءهما ، ثم تتقدمان
إلى الأمام في طيرانهما حتى يتمكن من يتابعهما بناظريه من أن يلاحقهما .
وعندما وصلتا إلى مدخل أفيرنوس ، ذى الرائحة الكريهة ، ارتفعتا فجأة ،
ثم انسابتا إلى أسفل عبر الهواء السلس . واختارتا شجرة حطتا عليها جنباً
إلى جنب ، ومن بين فروع هذه الشجرة لمع بريق الذهب . وكما يحدث في الشتاء
القارس في الغابات ، إذ تبرعر أوراق شجر الدابوق الغريب ، وتتناثر
على الأشجار الأخرى ، وتزرکش جذوعها بالزعران الشديد الاصفرار -
هكذا كانت تبدو الأوراق الذهبية فوق شجرة البلوط الوارفة الظلال ،
وهكذا كانت الفروع الذهبية تجلجل بفعل النسيم العليل . وعلى الفور يختطف
٢١٠ آينياس الغصن الذهبي ، ينتزعه انتزاعاً في شغف ، ويحمّاه هدية إلى معبد
العرافة سيولا .

في ذلك الوقت كان التيوكريون على الشاطئ ييكون ميسينوس ، ويقومون
بالشعائر الجنائزية الأخيرة لرفاته ، التي لم يوفّ حقها بعد . ففي البداية أقاموا
كومة عالية من أخشاب الصنوبر الراتينية وشرائح البلوط ، وربطوا بين جوانبها
وسدّوا فجواتها بأوراق داكنة ، ووضعوا أخشاب السرو الجنائزية في المقدمة ،
وتوجّوا الكومة بأسلحة الميت الالامعة . وأخذ بعضهم يعدون مراحل المياه

٢٢٠ الساخنة ، التي تغلى فوق النيران ، يَطْهَرُونَ جسده البارد ، ويدهنونه بالزيت ، ونواحهم لا ينقطع . وبعد أن انتهوا من النواح ، وضعوا جثثهم فوق «سادة» فوقها الدثار القرمزي المعتاد ، وحمل الآخرون النعش الضخم فوق أكتافهم — إنه عمل يثير الحزن — إذ أمسكوا به وهم يديرون وجوههم ، وحسب تقاليد آبائهم ، ألقوا به في الهب . واحتترقت في النيران هدايا مكدسة من اللبان والأطعمة وطاقسات تفيض بزيت الزيتون . ولما خبت جذوة النيران وذابت ألسنتها ، أطفأوا ظمأها بوابل من النبيذ ، وجمع كورنيايوس العظام وأخفاها في قارورة برونزية ، ونثر على رفاقه من حوله ماء زلالاً ثلاث مرات ، وطهرهم برذاذ يقطر من غصن زيتون مُشمر ، وأنشد تراتيل الوداع . لكن آينياس الوني أقام له مقبرة ضخمة عند سفح جبل شاهق ، وتوجها بأسلحة المتوفى الخاصة ومجدافه ونفيره ، ومنذ ذلك الوقت يقال لهذا الجبل « ميسنيوس » ، تخليداً لاسمه على مدى الأجيال .

٢٣٠ بعد أن تمت هذه الأعمال . شرع آينياس على الفور يؤدى فرائض سيولاً . وكان هناك كهف عميق ذو فوهة واسعة كثيفة ، عسير المنال ، يكمن وراء البحيرة المظلمة ، والغابات الكثيفة . لا يستطيع طائر قط أن يقترب منه أو يرفوف فوقه بجناحيه وينجو سالماً . ولهذا سماه الإغريق أفرانوس (أو أورانونوس) ، أى مكان لا طير فيه . إذ أن زفيراً ساماً ينطلق من فوهته الكثيفة وينباعد إلى عنان السماء . (٢٤) عندئذ أعدت الكاهنة أربعة عجول داكنة اللون ، وصبت النبيذ ، على جباهها ، ونزعت ذؤابات شعرها فيما بين القرون ، وألقت بها في النار المقدسة كبشائر . ونادت بصوت مسموع ، هيكائى المهيمنة على السماء والعالم السفلى . وغرز آخرون السكاكين في نحر الذبائح ، وأخذوا يتلَقَّفُونَ الدماء الدافئة في أباريقهم . أما آينياس نفسه فقد ذبح بسيفه شاة ذات فروة سوداء تكريماً لأم الإلهة الرحمة (٢٥) وأختها العظيمة ، وذبح بقرة عاقراً صغيرة لك ، يا بروسرينا . ثم أقام ولانم ليلة تكريماً لروح ستيكس الملكية ، وألقى في النيران ذبائح من النيران

كاملة ، بينما كان يسكب على الأحشاء المتوهجة سيلاً من الزيت . لكن ،
أنظرُ !! قبل بزوغ أشعة الشمس جارت الأرض من تحت الأقدام ،
وماجت قمم الغابات واهترت ، وبدأ نباح الكلاب يدوى في الظلام ،
بينما كانت الإلهة قادمة . وهنا صاحت الكاهنة .



ادوات كانت تستعمل في تقديم الرايين :
سكين ضخم حاد (على اليمين) ، لوحة
مسطحة (في الوسط) وإبريق (على اليسار)
وهي جميعاً موضوعة على مائدة . صورة
منقولة من نقش بارز معروض في متحف
اللوهر .

هيراكليس يقتل الحية:
عملة ضربت في جزيرة
كريت ، معروضة الآن
في المتحف البريطاني .

« بعيداً ، آه فلتكونوا بعيدين ، أيها الأجميون المذنبون ، أتركوا
هذه الأجمة الإلهية تماماً . أما أنت ، فعليك بهذا الطريق ، واستل سيفك
من غمدته ، فما أحوجك الآن ، يا آينياس ، لهذه المُنْتَقَدِ وقلب ثابت » .
٢٦٠ قالت هذا ، ثم اندفعت بجثثهم إلى داخل الكهف ، بينما كان هو يقتني خطاها
دون وجل .

أيتها الآلهة (٣٦) ، يا مَنْ أكرم السلطان على الأرواح ، أيتها الأشباح
الصامته ، وهاوية الجحيم ، وفليجيثون (٣٧) ، المملكة الصامته تحت الليل
العريض ، أتيحوا لي أن أفصح عما سمعت ، وأن أكشف النقاب —
طبقاً لمشيئكم الربانية — عن الأشياء المكنونة في أعماق الأرض وحالك
الظلمات !

٢٧٠ هبطا غير مرئيين ، عبر الظلام ، في ليل موحش ، بين دروب ديس
 الخاوية ومملكته الخالية ، كما لو كانا يسيران في غابة تحت ضوء غير ملموس
 لقمر غير مرئي ، عندما يخفى جوبيتر السماء وراء الظلال ، ويجعل الليل الحالك
 الأشياء غير ذات لون . وأمام الممر مباشرة ، عند المدخل الضيق لأوركوس (٢٨) ،
 يرد « الحزن المفرط » و « الندم المقلق » . هناك تستقر « الأمراض الشاحبة »
 و « الشيخوخة الحزينة » و « الخوف » و « الجوع القارس الدافع للجريمة
 والإثم » و « الحاجة القبيحة » — وكم هو رهيب أن ترى صور هذه الأحوال !!
 — « الموت » و « الشقاء » ثم « النوم » ، شقيق الموت ، « الشهوات



الكنتاوروس ، كما
 تخيله المثاليان
 أريستياس وبابياس
 اللذان عاشا في القرن
 الثاني بعد ميلاد
 المسيح ، تمثال من
 الرخام الاسود وجد
 في مدينة تريفولي
 ومعرض الآن في متحف
 الكابيتولينو بروما .

الآثيمة ، وها هي « الحرب الفناكة » تنام على الأعتاب ، في مواجهتهم
و « ربات الغضب » بأوكارها الحديدية ، و « الفتنة المقاتلة » (٣٩) ،
وقد توجت خصلات شعرها الأفعرانية بمشابك دموية .

٢٨٠

وفي الوسط توجد شجرة دردار عالية ضخمة ، تمتد فروعها العتيقة
المتشابكة حيث تجثم عليها « الأحلام الخوفاء » زرافاتٍ متشبثة بأوراقها .
ولإى بجانب ذلك ، فهناك وحوش ضارية ، متعددة ومتنوعة ، تتخذ مكانها
عند البوابة : الكنتوروس (٤٠) ، وجماعات سكيلا (٤١) ، الثنائية



سكيلا كما تظهر على
آنية فخارية أغريقية
وجسدت في نابلي ،
ويرجع تاريخها إلى
عام ٢٠٠ ق . م .

الصورة ، وبرياربوس (٤٢) ، ذو المائة ذراع ، وحيّة ليرنا (٤٣) ذات
الفحيح الخفيف ، ونخمايرا (٤٤) المسلحة بالأسنة من اللهب ، وجورجونيس (٤٥)
والهاريات (٤٦) وهيكل الشبح الثلاثي البدن (٤٧) . هنا قفز آينياس مذعوراً ،
واستل سيفه ، ورفعته إلى أعلى نحو الأشباح ، وهي في طريقها إليه ، وأولا
أن ذكرته رفيقة دربه ، العليمة بحقيقة الأمور ، أن كل ما يرى ماهو
إلا أرواح نحيلة تسبح ، وأشباح هزيلة ، هوى بسيفه البتار يمزقها — عبثاً —
لرباً لرباً .

٢٩٠

من هنا الطريق الموصل إلى تارتاروس وأمواج أخبرون . هنا تدور
دوامة طينية في هوة سحيقة ، وتقلد برمال كثيفة في نهر كوكيتوس .
هنا يحرس خارون ، المعداوى الخفيف (٤٨) ، تلك المجارى المائية والأنهار ،
وفي هيئة بشعة مخيفة : باحيتته التى وخطها الشيب ، ولم يقربها مشط نط ،
وعينيه اللتين يتطاير منهما الشرر ، وملابسه الرثة ، التى تتدلى معقدة من فوق ٣٠٠
كتفيه . إنه يدفع القارب بنفسه بواسطة العصي ، يسبح بحمولته من الموقى

هرميس يسلم أحد
الموتى إلى خارون
لينقله في قاربه إلى
العالم الآخر : صورة
على آنية فخارية
اتيكية موجودة في
ميونخ ويرجع تاريخها
إلى أوائل القرن الرابع
قبل الميلاد .



فوق قاربه الذى يعلّوه الصدا . إنه الآن شيخ ، لكن شيخوخة الآلهة شباب
نضر وضاء . من هناك يتجمع جمهور كبير ، ويندفع نحو الشاطئ : نساء
ورجال ، أشباح أبطال شجعان فارقوا الحياة ، صبية وعذارى ، شباب
لفظوا أنفاسهم الأخيرة أمام أمم أحياءهم ، جمهور لا حصر له ، يتساقط
كما تساقط أوراق الأشجار في الغابات مع بداية ظهور صقيع الخريف ،
أو كما تهول الطيور نحو الأرض مبتعدة عن اليم العميق عندما يطاردها ٣١٠
برد الشتاء عبر البحار ويدفعها نحو الأراضي المشمسة . إنهم يتهافون عليه ،
ويتوسلون إليه كى يعبر كل منهم أولاً ، رافعين أيديهم في شوق نحو الشاطئ
المقابل . لكن « المعداوى » العبوس يسبح بهؤلاء ويؤجل أولئك ، ويدفع
بآخرين إلى الخلف ، ويبقى بهم على الرمال . ويقرب آينياس وقد أنارته
الدهشة من أمر ذلك الحشد قاتلاً :

« فلنخبرني ، أيتها العنراء ، ماذا يعني هذا الحشد حول هذا النهر ؟
وماذا تريد هذه الأشباح ؟ وماذا يعني أن يُمنع البعض من الاقتراب من هذا
الشاطئ ، وأن يبحر آخرون بمجاديفهم عبر هذه المياه القائمة ؟ »

٣٢٠

أجابته الكاهنة العجوز في إيجاز : « يا ابن أنخيس ، يا سليل الآلهة
ولا ريب ، إنك الآن ترى بحيرات كوكيتوس العميقة ، ومستنقع « ستيكس » .
الذي يخشى الآلهة أن يقسموا بقدميته ثم يحتشون في قسمهم . إن كل هذا
الذي يروعه لك إهو لحشد من المحتاجين (٤٩) الذين لم يُدفنوا بعد موتهم .
وهذا هو خارون ، المعداوى ، وهؤلاء الذين يحملهم قاربه هم أصحاب
القبور من الموتى ، ولا يُسمح لسواهم ممن لم يحظوا بنعمة الدفن ، بالعبور
إلى الشواطئ الرهيبة والبحيرات ذوات الصوت الأجلش قبل أن تستريح
عظامهم تحت الترى . إن أرواحهم تحوم هنا حول الشاطئ مائة عام ،
بعدئذ يُسمح لهم بالدخول وزيارة المستنقعات التي يتحرقون شوقاً لزيارتها . »

٣٣٠



صورة للمسك المعروف
باسم « خميرا »
مرسوم على وجه عملة
فضية سيكيونية يرجع
تاريخها الى القرن
الرابع ق . م .
ومعرضة الآن في
المتحف البريطاني .

المائدة ذات الارجل
الثلاث الخاصة بنبوة
الاله ابوللون كما تظهر
منقوشة على وجه
عملة فضية من
كروتون ، ويرجع
تاريخها الى القرن
السادس ق . م .
ومعرضة الآن في
المتحف البريطاني .

وقف ابن أنخيس ساكناً ، وثاقلت خطاه وهو يقلب أفكاره ،
ويرثي لحال هؤلاء الموتى التعماء ، الذين حرّموا نعمة الدفن : ليوكاسيس
وأورونيس ، قائد أسطول ليكيا (٥٠) ، اللذين كانا يبهران من طروادة
فوق أمواج البحر الثائر فجرفتهما الرياح الحنوية وغاصت السفن بهما
وبرحماهما إلى القاع .

انظر !! هناك يسير بالينوروس ، قائد الدفة ، الذى انزلت من فوق
مؤخرة سفينه ، وهوى بين الأمواج الملاطمة ، بينما كان منذ عهد قريب
يراقب النجوم في مجراها الليبي . ٣٤٠

وعندما تعرف آيتياس بصعوبة على ذلك التعس من خلال الظلال الكثيفة
بادره قائلاً :

« أى بالينوروس ، أى إله اختطفك من بيننا ، وأغرقتك في قاع
البحر ، هلم أخبرني ، فما خدعني أبولاون من قبيل على الإطلاق .
لكن ها هو قد خدعني بهذه النبوءة وحدها فقط ، عندما وعد بأنك سوف
تعبر معنا البحار سالماً إلى شواطئ أوسونيا (٥١) . فهل بهذا ينجز فينا أبولاون
وعده ؟ »

عندئذ أجابه بالينوروس « أيها القائد ، يا ابن أنخيس ، لم تخدعك
نبوءة أبولاون . لا ، لم يغرفني في البحر أى إله قط . فبينما كنت جاثماً على الدفة ،
أقوم بمتابعة خط سيرنا ، تحطمت الدفة مصادفة بقوة شديدة ، فجنبتُها ٣٥٠
معى عندما هويت في الماء . وإني لأقسم بالبحار الثائرة أن كل ما تملكني
من خوف ودلع لم يكن حرصاً على حياتي بقدر ما كان حفاظاً على سلامة
سفيتك ، خشية أن تصف بها الأمواج الملاطمة بعد أن تكون قد فقدت
ربانها وحرمت من دفتها . ولقد صفت في رياح الجنوب العاتية ، وتقاذفتني
طيلة ليال ثلاث وعند فجر اليوم الرابع تبسّنت من خلف موجة عالية
ساحل إيظاليا . وسبحت رويداً رويداً مقرباً من اليابسة ، وكدت أن أصل
إليها في سلام ، لولا أن أناساً تساة اعتقدوا خطأ أنني غيمة (٥٢) فانقضوا ٣٦٠

على بسير وفهم ، وأنا مثقل بثيابي المبللة ، متشبث بيدين معقوفتين في تنوء جبلي
 خشن . بعد ذلك صرّحت من جديد العوبة في يد الأمواج ، ثم قذفت بي الرياح
 أخيراً جسداً هامداً إلى الشاطئ ، والآن إنى استحلفك بنور السموات
 الساطع ، بالآثير ، بأبيك ، بابنتك — أمل المستقبل الصاعد — فاستنقاني
 من هذه الأحوال ، أيها المنتصر على اللوام . فلنؤارني التراب ، فأنت قادر
 على ذلك ، وعلى أن تعود ثانية إلى ميناء فيلدا (٥٢) . أما إن كان هناك وسيلة ،
 أو إن وجدت لك الرية التي أنجيتك سيلاً — فما كنت قادراً في اعتقادي
 على عبور هذه الأنهار الهائلة وأحراش نهر ستيكس دون عناية إلهية — فأتحدّ
 إلى يد العون ، ولتأخذني معك عبر الأمواج ، عساى أبجد الأمان في مشاى
 الأبدى .

٣٧٠

عندما انتهى من كلامه ، بدأت الكاهنة تقول :

« من أين لك ، يا بالينوروس ، مثل هذه الرغبة المروعة ؟ هل سرى
 مياه ستيكس ونهر ربّات العذاب الخيف دون أن يضمّ عظامك قبر ، أو دون
 أن يأتيك من السماء أمر ؟ لا تأمل في أن تردّ قضاء الآلهة بصلاواتك . لكن
 أصيخّ السمع للكلماتي ، علّتها تكون عزاء لك في محنتك لقد قررت السماء
 أن يقيم أهالي كل المدن المحيطة قبراً فخماً لك ، يريحون فيه عظامك ، ويرفعون
 به من شأنك ، ويحجّون إليه كل عام . وسوف يخالد ذلك المكان اسم بالينوروس
 إلى أبد الآبدين » .

٣٨٠

بهذه الكلمات ذابت هموم بالينوروس ، وانقشع الحزن عن قلبه الكبير ،
 وأحس بالسرور لتخلّع اسمه على المنطقة .

من ثمّ فقد انطلقا من جديد ، واقتربا من النهر . فلما رآهما المعدّأوى —
 عن بعد — يقربان من مجرى النهر عبر الأحراش الصامّة ، وينجهان نحو
 الشاطئ ، تقدّم نحوهما ، وانفجر بزجر آنياس وينشهره قائلاً :

« مَنْ تكون أنت ، يا مَنْ تسعى إلى نهرنا ، وأنت متقلّد سيفك ؟
 هيا أجب ، لماذا جئت ؟ ومن أى مكان أتيت ؟ تفّ حيث أنت . فهنا

٣٩٠ عالم الأشباح ، عالم النوم والليل الناعس ، عالم غير مباح فيه لأجساد الأحياء
أن تظاً سفينتي الخاصة بنهر ستيكس . لأنني لم أكن سعيداً على الإطلاق عندما
استقبلتُ هيراكليس في بحيرتي ، ولا عندما استقبلت ثيسوس وبريثوس (٥٤)



ثيسوس وبريثوس في العالم السفلي :

في أقصى الشمال هاديس يجلس على عرشه ، وأمامه تقف بيرسيفوني ، بينما نرى على
يمين الصورة الهة القصب تقوم بشد ولاق بيريثوس بصد أن فعلت ذلك مع ثيسوس
والقته على الأرض في مقدمة الصورة .

صورة مأخوذة من إحدى أواني جنوب إيطاليا ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع ق. م .

أيضاً ، رغم أنهم من نسل الآلهة ولهم قوة لا تُفهر . فلقد وضع هيراكليس
بقوته حارس تارتاروس (٥٥) في الأغلال ، وجذبه - وهو يرتعد - بعيداً
عن عرش الملك نفسه . وحاول ثيسوس وبريثوس اختطاف المالكة من مخدع
ديس (٥٦) . « عندئذ أجابت كاهنة أمفريسوس (٥٧) في إيجاز :

« ليست هناك خدعة من هذه الخدع ، فكفّ عن غضبك . لن تقدم

٤٠٠ أسلحتنا أية إساءة ، فليستَبَحْ إلى الأبد في كهفه حارس البوابة الضخمة ،

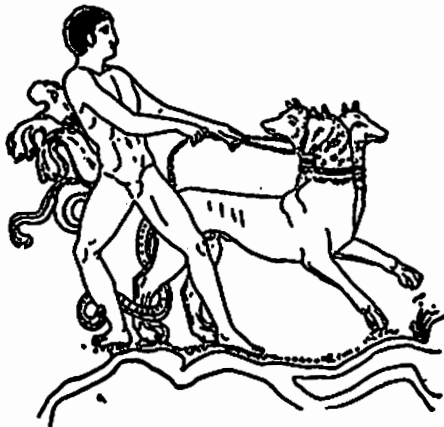
وليسُرَّهَب الأَشباح فاقدة الحياة، ولتَنْبَقْ بروسرينا عفيفة في قَصْر عَمَّهَا (٥٨).
فلقد هبط آينياس الطروادى ، المعروف بتقواه ، والشهود له في استخدام
السلاح ، إلى أعماق إرييوس المظلمة لمقابلة والده . وإن لم تحرك مثل
هذه التقوى فيك ساكناً ، فإن هذا الغصن جدير بأن تتعرف عليه جيداً.



الاله هيراكليس يقاتل المسخ الثلاثى البدن المعروف باسم « جيريون » . صورة منقولة
من احدى الاواني المرسومة باللون الاسود ، وجدت في اثرويا ويرجع تاريخها الى القرن
السادس قبل الميلاد ، ومعروضة الآن في متحف اللوفر .

أبرزت الغصن الذهبى ، الذى كانت تخفيه تحت ملابسها . عندئذ فقط
تخلصت نفسه الثائرة من الغضب ، ولم يتحدث أكثر من ذلك . لكنه — وقد
أدهشته تلك الهدية المروعة ، ذلك الصولحان الخطير ، الذى لم يره منذ أمد بعيد
أدار قاربه الداكن واقترب من الشاطئ . بعد ذلك فَرَّق الأرواح الأخرى ٤١٠
التي كانت تجلس على المقاعد الطويلة، وفكَّ سقالة المركب، وفي نفس الوقت
استقبل في قاربه آينياس الضخم البنية، وتأوّه القارب ذو الألواح المرصوفة
تحت ذلك الحمل الثقيل، وتلقت المياه الراكدة هيكله المشقق. وأخيراً وصلت

هيراكليس أثناء صراعه مع كيريروس
- حارس تارتاروس . صورة مأخوذة
من احدي الاواني المرسومة باللون
الاحمر ، يرجع تاريخها الى القرن
الرابع ق.م. ، ومعرضة الآن في
نابلي .



الكاهنة والبطل سالمين عبر النهر، ونزلا على تربة هلامية مليئة بالحلفاء الداكنة.^٧
هنالك عالم يضجّ بنباح كيريروس المهلول ، ذى الحنجرة الثلاثية ،
العملاق الرابض في كهفه المقابل . فلما رأت الكاهنة أفاعى عنقه نافرة :
ألقت إليه بكعكة معجونة بعسل منوم ومواد مخدرة . فسرعان ما تلتفتها
بفمه الثلاثي لفرط جوعه ، واقترش الأرض متمدداً بجسده الضخم ،
الذى غطى أرض الكهف بأكله . وبعد أن راح في سبات عميق ، أخذ
آينياس طريقه إلى الداخل ، واقتحم بسرعة ضفة نهر لا عودة منه .

٤٢٠

على الفور وصلت أسماعه أصوات بكاء ملو لأطفال عند المدخل
مباشرة ، فقد اختطفتهم يد الموت فجأة ، في يوم أسود (٥٩) ، من على
صلور أمهاتهم ، فحرمهم طعام الحياة اللذيذة ، وألقت بهم في قبر مظلم .
يليهام مباشرة أولئك الذين أعلّموا بتهمة كاذبة ، وفي الواقع لم تُخصص لهم
هذه المنازل دون ضرب القرعة أو إصدار الأحكام ، فإن مينوس ، قاضى
القضاة يمز لإبريق الأقدار ، ويستدعى المجلس الصامت (٦٠) ، ويقف
على سلوك الموتى أثناء حياتهم ، وعلى ما ارتكبوا من آثام . ويجوارهم مباشرة
يتخذ موتى آخرون أماكنهم ، هؤلاء البائسون الذين يشبوا من حياتهم ، فآزحوا
أرواحهم البريئة بأيديهم . كمّ يتمنون لو أنهم الآن يستنشقون هواء العالم
العلوى ، ويحملون القافة والأعباء الشاقة !! لكن الأقدار تمنعهم . فاستنقع

٤٣٠

الكثيب يحيطهم بمياهه الكريهة، ونهر ستيكس الفيّاض يعزلهم بطبقاته التسع.

٤٤٠ وعلى مسافة غير بعيدة من هذا المكان تظهر « السهول الباكية » — فهكذا يسمونها — ممتدة في كل اتجاه . هنا نحني في طرقات منعزلة هؤلاء الذين قضى عليهم حبّ قاس مدمر ، ويندسون وسط أدغال الآس الكثيفة ، لأنهم لم يتخلصوا من آلامهم حتى عن طريق الموت نفسه. هنا يرى آينياس فايدرا (٦١) ، وپروكريس (٦٢) ، وإريفولي الحزينة (٦٣) ، التي ما لبثت تعرض جروحاً أصابها بها ولدها القاسي ، وإفادني (٦٤) ، وپاسيفاي (٦٥) ، وتصاحبهما لاوداميا (٦٦) ، وتلك التي كانت يوماً ما ذكراً يسمى كايينوس (٦٧) ،

لكنها الآن أنثى ، لقد أعادها القدر مرة أخرى إلى صورتها الأولى . وبين هؤلاء النسوة كانت هناك ديدو الفينيقية ، تتجول في الغابة الفسيحة ، ٤٥٠ وجرحها ما زال حياً (٦٨) . وحالما وقف البطل الطروادي بجوارها ، وتعرف عليها وسط الظلام في صورتها الباهتة — كما يحدث في بداية الشهر القمري ، عندما يرى الإنسان ، أو يتصور أنه يرى القمر خلف السحاب — أرسل الدمع مدراراً وهو يتحدث إليها بكلمات تفيض بالحب الرقيق :

« ديدو ، أيتها الشقيّة ، إذن ، فالأنباء صادقة ، أنك قد فارت الحياة ، وأنتك قد وضعت حدّاً لها بحدّ السيف ؟ آه ! أكنّتُ أنا سبب موتك ؟ لأنّني أقسم لك بالنجوم ، وبآلهة السماء ، وبكل ما هو مقدس في أعماق الأرض أننى ، أيتها الملكة ، ما رحلت عن شاطئكم إلا كُرْهاً . فالآلهة ، الذين يدفعوننى ٤٦٠ الآن على المحيىء إلى هذه الظلمات ، وإلى الأماكن المقفرة الوعرة ، وإلى الليل السحيق ، هم الذين أرغموني على ذلك بأوامرهم الخاصة . وما خطر ببالى قط أننى برحلى سوف أسبب لك مثل هذا الشقاء . تريّتى في خطاك ، لا تغيبى عن أنظارنا ، فممن تهربين ؟ لقد شاءت الأقدار أن يكون ما أقوله إليك الآن هو آخر كلمات أقولها لك . »

هذه الكلمات حاول آينياس أن يهدئ من روحها الثائرة ونظراتها الخبيقة ، وهو يترف الدمع . أما هي فقد أشاحت بوجهها عنه ، ونكست

٤٧٠ عَيْنُهَا عَلَى الْأَرْضِ ، وَلَمْ تَتَغَيَّرْ مَلَامَحُ وَجْهِهَا ، عِنْدَمَا بَدَأَ حَدِيثُهَا ، وَكَأَنَّهَا قُدَّتْ مِنْ صَخْرَةٍ صَلْبَةٍ أَوْ مِنْ رِخَامٍ مَارَبِيَسُوسَ (٦٩) . وَأَخِيرًا انْطَلَقَتْ . تَجْرِي نَافِرَةً ، وَانْدَسَتْ فِي الْأَحْرَاشِ الْمَظْلَمَةِ مِنْ جَدِيدٍ ، حَيْثُ يَوْجَدُ سِيخَايُوسُ ، زَوْجُهَا الْقَدِيمُ ، الَّذِي يَجْرَعُ مَعَهَا كَثُوسَ الْهَمُومِ ، وَيَبَادِلُهَا الْغَرَامَ . لَكِنْ آيْنِيَّاسُ ، وَقَدْ هَزَّهَ مَصِيرُهَا التَّعَسُّ ، لِاحْقَاقِ فِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ ، وَهُوَ يَنْدِرِفُ الدَّمْعَ ، وَيَحْسُ بِالْإِشْفَاقِ .

٤٨٠ مِنْ هُنَاكَ انْطَلَقَا مِنْ جَدِيدٍ ، يَشْقَانِ طَرِيقَهُمَا الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَسْلُكَاهُ . عِنْدَئِذٍ وَصَلَا إِلَى سَهْلٍ نَائِيَةٍ ، حَيْثُ يَقُطُنُ فِي عِزْلَةٍ ذُووُ الشَّهْرَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ هُنَا قَابِلُهُمَا تِيدْيُوسُ وَبَارْتِيْفُوبَايُوسُ ، ذَائِعُ الصَّيْتِ فِي الْحَرْبِ ، وَشَبِيحُ شَاخِبِ لَأْدِرَاسْتُوسَ (٧٠) . هُنَا أَيْضًا كَانَ أَبْنَاءُ طَرَوَادَةِ ، الَّذِينَ بَكَاهُمْ ذُووَهُمْ بِكَاءٍ مَرًّا ، حِينَ سَقَطُوا فِي الْمِيدَانِ ، وَالَّذِينَ شَاهَدَهُمْ آيْنِيَّاسُ جَمِيعًا فِي وَصْفِ طَوِيلٍ وَهُوَ يَنْوَحُ : جَلَاوُكُوسُ وَمِيدُونُ وَثِيرْسِيلُوخُوسُ (٧١) ، أَبْنَاءُ أَتْنِينُورِ الثَّلَاثَةِ ، وَبُولِيْفُوتِيْسَ (٧٢) ، كَاهِنُ كِيرِيْسَ ، وَإِيدَايُوسُ ، الَّذِي كَانَ مَا زَالَ مُمْسِكًا بِعَجَلَتِهِ الْحَرِيْبَةِ وَأَسْلِحَتِهِ (٧٣) . أَرْوَاحُ مُحْتَشِدَةٍ تَحِيْطُ بِهِ يَمِينًا وَيَسَارًا ، لَا تَكْفِيهِمْ نَظْرَةً وَاحِدَةً عَلَيْهِ ، يَسْرَتُهُمْ أَنْ يَظْلُوهَا هَكَذَا يَتَلَكَّأُونَ مِنْ حَوْلِهِ ، لَا يَفَارِقُونَ خَطَاهُ ، يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَسْبَابِ حَيْثِهِ . أَمَّا قَادَةُ الْأَغْرِيْقِ وَأَفْرَادُ قِيَالِقِ أَجَاغْمَنُونِ ، فَعِنْدَمَا شَاهَدُوا الْبَطْلَ بِأَسْلِحَتِهِ اللَّامِعَةِ وَسَطَ الظَّلَامِ ، انْتَابَتْهُمْ رَعْشَةٌ خَوْفٍ شَدِيدَةٍ ، فَوَلَّى بَعْضُهُمُ الْأَدْبَارَ ، كَمَا كَانُوا يَفْرَوْنَ مِنْ قَبْلِ نَحْوِ سَفْنِهِمْ (٧٤) ، بَيْنَمَا أَطْلَقَ الْآخَرُونَ صَرَخَاتٍ مَكْرُومَةٍ ، إِذْ عِنْدَمَا بَدَأُوا فِي الصَّرَاحِ فَلَمَّ صَوْتًا لَمْ يَخْرُجْ مِنْ أَفْوَاهِهِمُ الْفَاغِرَةَ .

هَنَا أَيْضًا رَأَى آيْنِيَّاسُ دِيْفُوبُوسَ بَنَ بَرِيَامُوسَ ، وَقَدْ تَمَزَّقَ جَسَدُهُ كُلَّهُ تَمَامًا ، وَشَوْهُ وَجْهَهُ بِوَحْشِيَّةٍ ، قَطَعَتْ كُلَّتَا يَدَيْهِ ، انْتَزَعَتْ أُذُنَاهُ بَعِيدًا عَنْ وَجَنَتَيْهِ الْمَهْشَمَتَيْنِ ، وَقَدْ أَصِيبَ بِجَرَحٍ خَطِيرٍ فِي أَنْفِهِ . وَبِصُعُوبَةٍ تَعْرِفُ آيْنِيَّاسُ عَلَى ذَلِكَ الْهَيْكَلِ الْمُرْتَعَشِ ، بَيْنَمَا كَانَ يَحَاوِلُ أَنْ يَنْقِي بِجُرُوحِهِ الْقَاسِيَةِ ، ثُمَّ بَادَرَهُ مَخَاطِبًا إِيَّاهُ بِأَسْلُوبِ الْأَلْفَةِ الْمُعَادَةِ :

« أَيُّ دِيْفُوبُوسَ ، أَيُّهَا الْمُحَارِبُ الْقَدِيرُ ، يَا سَلِيلَ أُسْرَةِ تِيوُكِرِ الْعَرِيقَةِ :

مَنْ ذَا الَّذِي ذَبَرَ ذَلِكَ الانتقام الوحشي منك ؟ مَنْ سُمِّحَ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ
 بِكَ هَكَذَا ؟ لَقَدْ جَاءَتْنِي الْأَنْبَاءُ أَنَّ الْإِغْيَاءَ قَدْ أَصَابَكَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْآخِرَةِ (٧٥) ،
 بَعْدَ الْمَذْبَحَةِ الْهَائِلَةِ ، الَّتِي أَقَمْتَهَا لِلْبَلَّاسِجِينَ (٧٦) ، فَسَقَطَتْ فَوْقَ
 أَكْرَامِ قَتْلَاهُمْ الْمُجْنَدِينَ . وَأَقَمْتُ أَنَا بِنَفْسِي لَكَ قَبْرًا خَاوِيًا عَلَى سَاحِلِ
 رَوَيْتِيَوْمَ (٧٧) ، وَنَاجَيْتِ رَوْحَكَ بِصَوْتِ جَهْوَرِي مَرَّاتٍ ثَلَاثَ . وَمَا زَالَ
 اسْمُكَ وَسِلَاحُكَ يَحْمِيَانِ تِلْكَ الْبَقْعَةَ . أَمَا أَنْتَ ، فَإِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُرَاكَ ،
 يَا صَدِيقِي ، وَلَا أَنْ أَوَارِيكَ التُّرَابَ فِي وَطَنِ آبَائِنَا الَّذِي رَحَلَتْ عَنْهُ .

- عِنْدَئِذٍ أَجَابَهُ ابْنُ بَرِيَامُوسَ قَائِلًا : « إِنَّكَ ، يَا صَدِيقِي ، مَا قَصَّرْتَ
 فِي شَيْءٍ ، لَقَدْ أَدَيْتَ الْوَاجِبَ نَحْوَ دِيْفُوبُوسَ ، وَنَحْوَ شَيْخِ الْمَتَوَفَى . لَكِنِ
 ٥١٠ أَقْدَارِي وَالْجُرْعَةُ الشَّنْعَاءُ الَّتِي قَامَتْ بِهَا الْأَسْبَرُطِيَّةُ (٧٨) هِيَ الَّتِي أَوْقَعَتْ بِي
 فِي هَذِهِ الْأَهْوَالِ ، وَهِيَ كُلُّ مَا تَرَكْتَهُ لِي خَلْفَهَا مِنْ ذِكْرِيَّاتٍ . إِذْ أَنْتَ تَعْرِفُ
 كَيْفَ قَضَيْنَا اللَّيْلَةَ الْآخِرَةَ فِي أَفْرَاحٍ زَائِفَةٍ ، لِأَبَدٍ أَنْتَ تَذْكُرُ ذَلِكَ جَيِّدًا ،
 عِنْدَمَا أَتَى الْحِصَانُ الْمَشْتُومُ يَقْفُزُ فَوْقَ الْأَسْوَارِ الْبَرَجَامِيَّةِ الشَّاهِقَةِ ، يَحْمِلُ
 فِي بَطْنِهِ رِجَالًا مَدْجَجِينَ بِالسَّلَاحِ (٧٩) . لَقَدْ اصْطَنَعْتُ مُوَكِّبًا رَاقِصًا ،
 وَقَادَتِ النِّسَاءُ الْقُرُوجِيَّاتِ فِي حَفَلَاتٍ مَاجِنَةٍ تَكَرِّمًا لِبَاكِخُوسَ (٨٠) .
 حَمَلْتُ بِنَفْسِهَا شَعْلَةً ضَخْمَةً وَسَطَ النِّسَاءِ ، وَدَعَتِ الْإِغْرِيقَ إِلَيْهَا مِنَ الْقَلْعَةِ
 الشَّاهِقَةِ . كُنْتُ أَنَا حِينَئِذٍ فِي حِجْرَةِ نَوْمِي الْمَشْتُومَةِ ، تَتَقَلَّبُني الْحُمُومُ ، وَيَغَالِبُنِي
 ٥٢٠ النَّوْمُ ، كُنْتُ أَغْطِي فِي سَبَاتٍ عَمِيقٍ ، وَيَسْتَوِلِي عَلَيَّ نَوْمٌ هَادِيٌّ لَذِيذٌ أَشْبَهُ
 بِالْمَوْتِ . فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ نَقَلْتُ تِلْكَ الزَّوْجَةَ ، الَّتِي لَا مِثِيلَ لَهَا (٨١) ، كُلَّ
 أَسْلِحَتِي مِنَ الْمَنْتَزِلِ ، وَسَحَبْتُ سِيْنِي الْمَخَالِصَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي ، ثُمَّ اسْتَدْعَيْتُ
 مِينِيلَاوُوسَ إِلَى دَاخِلِ الْقَصْرِ ، وَفَتَحْتُ الْبَوَابَةَ عَلَى مَصْرَاعِهَا . لَمَّا بَلَاشَكَ
 أَرَادْتُ أَنْ تَقْدِمَنِي بِذَلِكَ هَدِيَّةً لِحُبُوبِهَا ، لَتَمَحُوَ آثَارَ جِرَامِهَا فِي الْمَاضِي .
 وَلِمَاذَا أَطِيلُ عَلَيْكَ ؟ لَقَدْ انْدَفَعُوا إِلَى دَاخِلِ حِجْرَتِي ، وَبَرَفَقْتُهُمْ ابْنُ أَبِيلُوسَ (٨٢)
 ٥٣٠ الْمَحْرُضَ عَلَى الْجَرَائِمِ . أَيْنِهَا الْآلِهَةُ ، لَيْتَ مَا وَقَعَ بِطُرُودِهِ يَصِيبُ الْإِغْرِيقَ
 - إِنْ كُنْتُ أَدْعُوكُمْ لِلْإِنْتِقَامِ بِفِمْ طَاهِرٍ - . لَكِنِ هَلُمَّ أَنْتَ بِدُورِكَ ،

وقصر على ، أى أقدار أنت بك إلى هنا ، وأنت مازلت على قيد الحياة ؟
هل قذفت بك أمواج البحر ؟ أم بأمر الآلهة جئت ؟ وأى حظ هذا الذى
يقتلك ويضنيك ، فتأتى منازل لا شمس فيها ، وتترل بقاعاً تسكنها القوضى ؟

فى أثناء حديثهما كانت أورورا (٨٣) قد تخطت فى مجراها الأثرى
منتصف السماء ، وانقضى الوقت المصرح لهما فيه بمثل هذا الحديث . لكن
سيبولا ، رفيقته ، حذرتة قائلة له فى إيجاز : « ها هو الليل يهبط ، يا آينياس
وما زلنا نضيع الساعات فى البكاء . ها نحن قد وصلنا إلى مفرق الطرق ،
فطريق اثنين ، الذى يمر بمدينة ديس العظيم ، هو طريقنا الذى يوصلنا ٥٤٠
إلى إلوسيوم (٨٤) ، أما طريق الشمال فإنه يوصل الأشرار بعذاب النار ،
ويقذف بهم إلى تارتاروس (٨٥) » . ويجب ديفوبوس قائلاً :

« لا تغضبى ، أيتها الكاهنة العظيمة ، سأرحل عنكما ، وسأعود
إلى مستقرى ، سأعود إلى الظلمات . أما أنت ، يا آينياس ، فقدم ، تقدم ،
يا مجد أمتنا ، واستنعم بحظ أسعد من حظى » . وما أن انتهى من حديثه ،
حتى عاد أدراجه إلى الورا .

نظر آينياس فجأة إلى الخلف ، فرأى أسفل الصخرة إلى اليسار مدينة
شاسعة ، تحوطها أسوار ثلاثة شاهقة ، ويطوقها فليجيثون التارتارى (٨٦) .
٥٥٠ ذلك النهر السريع الذى يدور بأواجه الثائرة ، ويلحرج صخره المزججة -
عليها بوابة عالية ، ذات أعمدة صخرية شديدة الصلابه ، ليس فى مقدور
أية قوة بشرية قط ، أو حتى أية قوة علوية ، أن تطيح بها . ثم هناك برج
حديث ، يقف ليناطح السحاب . وهناك تجلس تيسيفونى (٨٧) ، تتدثر
بثوب يقطر دماً ، لا تنام الليل ولا النهار ، حارسة للمدخل . هناك يسمع
أنين من بعيد ، وتلوى قرععات مخيفة ، تحتلظ بصليل السيوف ورنين القيود
٥٦٠ المعدنية المشلودة . توقف آينياس مشلوهاً ، وقد استولى عليه الخوف ،
وتساءل :

« أخبرني أيها العنراء ، أى نوع من الجرائم اقترفوه ؟ وأى جزاء يلقونه الآن ؟ أى أنين هذا الذى يصم أذنى ؟ » . عندئذ بدأت الكاهنة تقول :

- « أيها القائد التيوكرى الأشهر ، حرام على الأقدام الطاهرة أن تدوس ، هذه البقعة الفاجرة ، لكن هيكأتى نفسها ، عندما عهدت إلى بأحراش أفرنوس ، عاصتني كيف ينزل الآلهة العقاب بالآثمين ، وطافت بي كل أرجاء مملكها . هذا هو رادامانثوس الجنوسى (٨٨) ، يحكم فى مملكته بقسوة متناهية ، يقتصر من المذنبين ، الذين شغلته الدنيا ، فأهملوا خطاياهم ، ولم يتطهروا منها ، حتى واتتهم المنية . وعلى الفور تطارد المذنبين تيسيفونى المتتمة ، تغتفهم ، وقد تسلحت بالسوط ، وفى يسراها تتلوى الثعابين ٥٧٠ الرهيبية وتمتد نحوهم . وها هى تنادى أخواتها الرهيبات ، ربات الانتقام . وأخيراً تفتح الأبواب القلمية مدوية بصرير عقبها . أترى بعينيك أى حارس يربض على الأبواب ؟ وأية صورة له ، ذلك الذى يحافظ على الأعتاب ؟ وفى الداخل تقبع هيدرا ، الحية الرقطاء ، ذات الرؤوس الخمسين ، فإغرة أفواهما ، ثم تارتاوس نفسه ، وهو يهبط إلى أسفل ضعف ما يرتفع جبل الأوليمبوس إلى أعلى . هنالك هوى فى الأعماق السحيقة أبناء الأرض القدامى ، « التينانيس » (٨٩) ، بعد أن صعقتهم الصاعقة . وهنالك أيضاً ، فى الهوة ٥٨٠ العميقة ، أرى ولدى أليوبوس (٩٠) ، بينيتيهما الضخمين ، فقد حاولا الصعود إلى السماء ، وارتقاء عرش جوبيتر ، فرجمهما بصاعقته . وهناك أيضاً ما زال سالونيوس (٩١) يدفع ثمن غروره ، بعدما استهزأ بصاعقة جوبيتر ورعد الأوليمبوس ، بل ركب الصلف رأسه ، فمشى بين الأغريق فى عربة يقودها أربعة خيول ، طاف بها مدينة إليس (٩٢) فى مواكب نصر ، ممسكاً بشعلة يلوّح بها فى الأفق ، ويدعى الألوهية لنفسه . ياله من مجنون !! ذلك الذى يعتقد أن رنين البرونز تحت أقدام خيوله يضارع صوت الرعد ، أو أن شعلته الهزيلة تضاهى صاعقة زيوس ! . لكن سيد ٥٩٠

الكون ، القادر على كل شيء ، يقذف بقذائفه من بين السحب الكثيفة -
 إنها ليست مجرد مشاعل ، صُنعت من الأخشاب ، ينبعث منها الدخان -
 فهوت به إلى هاوية الجحيم غاضبة . وهنا أيضاً يرقد تيتوس (٩٢) ،
 رضيع الأرض - أم كل شيء - ، الذي يغطي جسمه تسعة أفدنة بأكملها ،
 والنسر الضخم بمنقاره المعقوف ينهش كبده وأحشاءه ، ويغوص في أعماق
 صدره باحثاً هناك عن قوت ومأوى ، ولا راحة من هذا العذاب لأحشائه ،
 التي كلما فضجت بُدلت بغيرها . ثم إنني لم أتحدث بعد عن اللابيثيين (٩٤) ،
 وإكسيون (٩٥) ، وبريثوس ، وعن الصخرة السوداء التي تتزلق من على
 نحوهم ، تهددهم ، وكأنها على وشك أن تسقط عليهم في الحال ، وعن الأسرة
 العالية البهية ذات الأعمدة الذهبية ، وعن الموائد الممدودة أمام أعينهم ،
 ترفها الملكي ، بينما لإلهات الغضب لهم بالمرصاد : للموائد حافظات ،
 ولأيديهم مانعات ، يقذفنهم بأسته النيران ، التي تشوى وجوههم ،
 ويزجر نهم بصرخاتهن المرعدة . هنا يقيم في عذاب الجحيم من هجر
 أخاه شقيق كبده ، أو من نهر أباه ، أو خذل محتاجاً أو خدع تابعاً .
 هنا في عذاب الجحيم يقيم من كثروا الذهب ، وضنوا به على الآخرين ،
 وهم هنا يمثلون الأغلبية . وهنا الزانون والزانيات ، ينصب عليهم العذاب ،
 والذين أشعلوا نار الفتنة ، وخاضوا حروباً غير مقدسة ، والذين نحثوا
 بأيمانهم ، سجناء ينتظرون العقاب . لا تسألني أي عقاب ينتظرون ؟ على أية
 صورة ؟ وأى حظ تعس أودى هؤلاء القوم ؟ بعضهم يرفع صخرة
 شماء إلى أعلى (٩٦) ، وآخرون معلقون بعجلات تدور (٩٧) ، وثيسوس الشقي ،
 الجالس والذي سوف يظل جالساً إلى الأبد (٩٨) ، وفليجياس (٩٩) ، أشقاهم
 جميعاً ، الذي ينصح الجميع ، وصوته الجهورى يدوى في الظلام : « انتصخوا ،
 تعلموا كيف تحققون العدالة ولا تستهزئوا بالآلهة » هاك رجل باع وطنه
 من أجل الذهب ، ووضعها في قبضة طاغية ، وآخر شرع القوانين برشوة
 وأغراها بالرشوة أيضاً ، .. وثالث ، باللهول ، تزوج ابنته ، فانتهك

٦٠٠

٦١٠

٦٢٠

حرمة الزواج . كلهم ارتكبوا الموبقات ، وحصلوا على المهلكات :
وأنتى لى أن أسرد ذنوبهم ، أو أصف لك هول عذابهم ! فلو كان لى مائة
لسان ومائة فم وصوت من حديد ما استطعت إلى ذلك سبيلاً » .

وما أن انتهت كاهنة أبوللون العجوز من حديثها ، حتى بادرت
آينياس قائلة : « هيا بنا الآن ، لتعاود المسير ، ولنتم المهمة التى بدأناها .
هيا بنا نسرع الخطى ، لئنى أتبين الاستحكامات التى صُبت فى أتون
الكوكلوبس (١٠٠) ، يتقدمها دهليز يعلوه قبو ، حيث ستقدم هدايانا ،
التي أمرنا بتقديمها » .

هكذا قالت ، ثم تقدما سوياً جنباً إلى جنب فى خطوات سريعة عبر
طرقات مظلمة ، حتى تعديا خطوط المنطقة الوسطى ، واقتربا من الأبواب ،
فدخل آينياس ، بعد أن تطهر بماء قراح مقدس ، وغرس الغصن عند مدخل
الدهليز .

بعد أن أتمما هذا العمل ، وأقاما هذه الشعائر تكريماً للإلهة ، وصلاً أخيراً
إلى « السهول السعيدة » ، إلى مروج الأحراش المباركة ، الخضراء ،
بهية الطلعة ، مهد الفرحة ، إلى ساحات يلفتها هواء أرحب ، وشذى أطيب ،
نورها ربانى ساطع ، فلها شمس خاصة ليست ككل الشمس ، ونجوم
فريدة ليست كباقي النجوم . بعض النازلين يمارسون هواياتهم الرياضية ،
فيمرنون أعضاء أجسادهم على بسط سندسيه ، وآخرون يتسابقون أو يتصارعون
على الرمال الصفراء ، وآخرون يدقون بأقدامهم ، يرقصون ويغنون ، وبينهم
الكاهن التراقى (١٠١) بثوبه الفضفاض يصاحبه بأنغامه ، ويطربهم بأوتاره السبع ،
حين يداعبها بأصابعه مرة ، وبريشته العاجية مرات . هنا تقيم سلالة تيوكر ،
أجمل بنى الإنسان على مر الزمان ، ثلثة من الأولين الأبطال العظام ، الذين
وُكِّلوا فى أيام أرغد ، إيلوس ، وأستراكوس ، ودردانوس ، مؤسس
طروادة . وقف آينياس مندهشاً عندما رأى على البعد الأسلحة والعجلات

الحربية خالية من أصحابها ، والرماح تقف ومغرسه في الأرض ، والخيول الطليقة ترعى في جميع أنحاء السهل . مَنْ كان السلاح والعجلة الحربية تسرّه في الدنيا ، فله هنا منهما ما يشاء ، وَمَنْ كان يهوى تسريح الخيل ، فله ما هوى . ورأى أيضاً آخرين - بالعجب - صُنّت لهم الموائد وأقيمت الولائم على المروج الخضراء ، عليها ما لذ وطاب ، يتلذذون بالطعام ، ويتساقون بالغناء - أغنيات بايانية (١٠٢) - تحت تكعيبات نبات الغار ، حيث ينبع نهر إريدانوس (١٠٣) ، فيأضاً يخترق الغابة .

هنا مقر الشهداء ، الذين قضوا نحبهم في الميدان دفاعاً عن الأوطان ، والكهنة ، الذين أمضوا حياتهم كلها طاهرين ، والشعراء المثقفين ، الذين تغنّوا بأشعار لا تقل من قدر أبوللون ، والذين اخترعوا فنوناً جمعت الحياة جميلة ، وقاموا بخدمات خاتمت ذكراهم بئس الآخرين ، لقد زُيّنت جباه هؤلاء جميعاً بأكاليل ناصعة البياض .

تقدمت سيبولاً نحو هذا الجمع وتحدثت إليهم ، وعلى رأسهم الشاعر موسايوس (١٠٤) - فهو يقف في وسط هذه الجموع الغفيرة شامخاً ، يعلو برأسه وكتفيه بينهم - قائلة :

«خبريني ، أيتها الأرواح المباركة ، ولا سيما أنت ، يا أنضل الشعراء ، في أي ركن يقيم أنخيسس؟ وبأي منزل نزل ؟ ... لقد جئنا هنا من أجابه ، واخترقنا الصعاب عبر بحار رييوس لكي نراه » .

ردّ عليها البطل في إيجاز قائلاً : « ليس لأحد منا مسكنه الخاص ، فنحن في دنيا الظلال ، وعالم الأشباح . الشواطئ الناعمة وساداتنا ، والمروج الخضراء والأرض الفيحاء والمراعي جداولها الرقراقة - كلّها مخادعنا . لكن ما دامت هذه رغبتكما ، فسأتقاه هذه المضبة ، وسوف أدلكما الآن على طريق ميسور » . هكذا قال ، وعلى الفور بدأ بخطو أمامهما ، يريهما الحقول المزهرة ، وبعد ذلك تركوا قمة الجبل .

كان أنخيسيس الوالد يقف وسط السهول الخضراء ، يتأمل ما يدور
أمامه : الأرواح السجينة ، التي كُتِبَ عليها أن تصعد للحياة الدنيا ، أرواح
أبنائه الأعمى أمامه في شريط يحكى قصة شعبهم من أولها حتى آخرها ،
ويصف أقدارهم المأسورة وحظوظهم المقدورة ، طباعهم وسلوكهم ،
أفعالهم وأبجادهم . وعندما رأى آينياس قادماً نحوه فوق الحشائش الخضراء ،
مدّ كلتا يديه في شغف ، وانهمرت الدموع على وجنتيه ، وانطلقت
هذه الكلمات من بين شفتيه :

« أى بنى ، أخيراً أتيت . هل استطاع برك - المتوقع - بأبيك أن يقهر
الطريق الصعب ؟ هل لى أن ألح وجهك ، وتسمع أذنى صوتك ، أحدثك
وتحدثنى ؟ هكذا فى الواقع كنت أقضى الوقت مع نفسى ، أحسب الساعات ،
فلم تخدعنى أفكارى . أى أوطان أجتزت ، يا بنى ، وأى بحار عبرت ،
وكيف وصلت إلى ، وعلى كم من الأهوال تغلبت ؟ لقد كان قلبى مهموماً
خشية أن تلحق بك مملكة ليبيا أى أذى . »

وردّ عليه آينياس : « يا أبنى ، دفعنى إلى هنا طيفك الحزين ، الذى
طالما عاودنى ، لكى أطأ هذه الأعتاب . إن أسطولنا يقف الآن فى البحر
التيرانى . أعطنى يدك أعانقها ، يا أبنى ، اعطينها ، ولا تهرب من أحضانى . »
تكلم آينياس والدمع ينهمر من مآقية ، فيبال وجنتيه ، ومدّ ذراعيه محاولاً
أن يطوق بهما عتق والده ثلاث مرات ، لكن الشبح ، الذى كان يعتقد
آينياس أنه قد أمسك به ، أفلت من بين يديه ثلاث مرات ، خفيفاً مثل
الرياح ، سريعاً مثل النوم .

وبعيداً بعيداً ، هنالك فيما وراء الوادى ، يرى آينياس فى أحد الجوانب
غابة تلفتها أدغال غناء ، ونهر ليثى يحفّ المنازل البهيجة ، وتما تهبط
أسراب النحل فى أعداد صغيرة لا تحصى على الزهور المخملية الألوان ،
وعلى وريقات السوسن الناصعة البياض ، وسط المراعى ، فى يوم من أيام

٧١٠ الصيف ، صافى السماء ، فيها هنا ، حول النهر ، على شطآنه ، تحتشد شعوب ، وتوافد أمم ، لا تُعدّ ، تُسمع همساتهم ، فردد الوادئ صداها ، وكأنها طنين النحل . وتتأب آنياس الدهشة لما قد رأى ، فيسأل عما لا يَعْلَم . ماذا يكون هذا النهر ؟ ولم تندفع هذه الحشود الغفيرة على شاطئيه ؟ فيجيبه والده أنخيس :

« هذه أرواح قدّر لها أن تلبس أجساداً جديدة أعدت لها من قبل ، فهي تغترف من مياه نهر ليثي (١٠٥) التى تغرق الإنسان فى نسيان كامل . وكم تُقَتُّ لوصف هؤلاء لك ، وعرضهم عليك ، سلاتى ، أحفادى ، لكى تكون بهجتك معى أرّحب ، باستكشاف إيطاليا » . وهنا تساءل آنياس :

٧٢٠ « يا أبى ، هل تُبعث الروح ، وتعود ثانية إلى الحياة الدنيا ، وتلبس قيودها من جديد ، بعد أن سكنت الآخرة ؟ ولم هذا الشوق الغامض نحو الحياة الدنيا ؟ فأجاب أنخيس :

٧٣٠ « سوف أحيطك بكل شيء علماً ، ولن أبقيك فى مثل هذا التشوق . ثم بدأ يشرح له فى كل شيء ، واحداً بعد آخر . « قبل كل شيء ، فإن حياة ذاتية تغذى السماء والأرض والبحار والقمر والشمس ، وإن روحاً قد امتزجت بأوصالها جميعاً ، تحكم كل أجزائها ، ومنها نشأت سلالة الإنسان والحيوان والطير والمخلوقات الضخمة ، التى تنمو تحت سطح البحر المتألق . ولهذا النطفة منبت إلهى ، ولهذا البكرة قوة نارية ، ما دامت لم تقيدها أجساد آتمة أو تخمدتها أوصال آدميين مألهم الموت . من هنا تُدخل هذه البنور مشاعر الخوف والرغبة ، الألم واللذة ، ولكن لا تستطيع أبصارهم أن تنفذ عبر الأثير ، إذ أن قيودها تعوقها وتحجزها داخل سجونها المظلمة . وحتى عندما يخفى آخر شعاع للحياة ، لا يكون الجسد قد انحأص من كل أدرانه بعد ، ولا تكون كل القيود قد تركته طليقاً . ويا للأسف ! فحيث أن الأجساد

قد تشربت هذه الأدران لمدة طويلة جداً ، فعلى أصحابها الآن أن يدفعوا الثمن . وهاهم يُجْزَوْنَ ما قدّموا من حياة طويلة آثمة . بعضهم تعلّق أجسادهم في وجه الرياح اللافحة ، وآخرون تطهّر أوزارهم في بحر لا قرار له ، أو يُصْهِرُ خُبْنُ أجسادهم بالنار . إن الأشباح ، كل على حدة ، تكابد حظها من العقاب ، وبعد ذلك تُرسل إلى ساحات إلأولسيوم الفسيحة ، فينزل بعضها السهول السعيدة ، حتى تستطيع الأيام الطويلة ، بعد دورة كاملة للزمن ، أن تتزع هذا الرجز العفن ، ولا تترك إلّا الشعور الأثيري الطاهر ، والشعلة الروحية الخالصة . كل هذه الأرواح ، عندما تدور عجلة الزمان بألف من الأعوام ، يناديها مناد من السماء إلى نهر لبني ، في صف طويل . وبعد أن ترشف من مياهه ، تمنى ماضيها ، وتوق إلى العودة في الأجساد من جديد . »

بعد هذا الحديث ، قاد أنخيس ابنه وسيولاً معاً وسط الجحوش المحتشدة ، ثم اعتلى هضبة عالية حيث يستطيعون رؤية جميع الأرواح ، والتعرف على ملائحتها أثناء قدومها نحوهم .

« هلم الآن ، فسوف أحدثك عن المجد الذي سوف يتابع السلالة الدردانية ، وعن النظرية التي سوف ينتظرها شعب إيطاليا ، إنها نفوس لامعة ، وسوف تراث اسمنا ، وسأخبرك بما كُتِبَ عليك في قدرك المسطور . ذلك الشاب ، هل تراه ؟ ذلك المحارب الذي يتكئ على رمح لا رأس له ، إنه يحتل أقرب الأماكن نحو الضوء ، سوف يكون أول الصاعدين إلى الحياة الدنيوية ، وسوف تجرى في عروقه دماء إيطالية . سوف يكون آخر أبنائك ، سوف يحمل اسم سيلفيوس ، وهو اسم ألباني (١٠٦) . سوف تنجيه زوجتك لا فينيا ، عندما تكون قد بلغت من الكبر عتياً . وسوف تتولاه بالرعاية ملكاً وأباً للملوك . فمنه وبه سوف تظل أسلاتنا الميادة على « ألبا ونجا » .

وسوف يأتي من بعده بروكاس ، مفخرة بني طروادة ، وكابيس ، ونوميتور وذلك الذي سيحمل اسمك من جديد ، ويذكّر الناس بك ، سيلفيوس

٧٧٠ آينياس (١٠٧) بارز هو أيضاً مثلك في التقوى وحمل السلاح — ذلك إن تربح على العرش في ألبالونجا فعلاً . يظهرون قوة ، وأية قوة ! إنهم شباب ، وأى شباب ! كم من إكليل سوف ينسجه المواطنون من أوراق السنديان (١٠٨) ويضعونه فوق جباههم ! وكم من مدينة سوف يؤسسون ، فمدينة « نوميثوم » و « جاببي » و « فيديناي » و « قلاع كولالاتيا الجبلية » و « بومبيا » و « كاستروم إينوؤس » و « بولا » و « كورا » سوف تكون كلها أسماء لمدن عظيمة تقام في مناطق ليست لها أسماء الآن (١٠٩) . وإن رومولوس بن مارس أيضاً ، الذى وضعته أمه ، « إليا » ، من نسل أساراكوس (١١٠) سوف ينضم إلى صحبة جده . أترى كيف تترين الخوذة المزودة رأسه ؟ فهذا الشرف الخاص ميزه والده مارس نفسه قبل أن يصبح (رومولوس) واحداً من أهل الدنيا . اسمع يا بني ! لسوف تملأ روما — تلك المدينة المشهورة — الأرض بامبراطوريتها والسماء بقوتها . كم هى فخورة بأبنائها ، وكأنها أم الآلهة (١١١) ، فوق جبل بيريكونتوس ، تركب عربتها ، التى تزينها الأبراج ، عبر مدن فروجيا ، تمشى مزهوة بالآلهة من الأبناء ، وتخضع مائة من أحفادها ، أرباب السماء . والآن وجه ناظريك هذه الناحية لترى هذه الأمة ، إنها الأمة الرومانية ، أمتك . ها هو قيصر (١١٢) ، وكل سلالة يولوس التى سترعرع تحت هذه السماء الواسعة . ٧٨٠

وها هو الرجل البطل ، الذى طالما سمعت عنه ، إنه أوغسطس ، قيصر ابن المؤلة ، الذى سوف يعيد العصر الذهبى إلى سهول لانيوم وحقولها ، ومجدد أيام ساتورنوس (١١٣) ، ولسوف تتخطى امبراطوريته حدود الحاراماتين (١١٤) والهنود ، ممتدة إلى ما وراء النجوم وما بعد الشمس ، حيث يوجد أطلس (١١٥) ، رافع السموات — بنجومها الثلاث — على أكتافه . إنه البطل ، الذى ما أن جاء التنذير من النبؤات بمقدمه حتى ارتعدت ممالك بحر قزوين وزلزلت الأرض حول بحيرة مايوتيس (١١٦) واضطرب النيل بمجاربه (طياته) السبع . ولا أخال حفيد ألكيوس نفسه بجاب هذه ٨٠٠

البقاع ، بالرغم من أنه أردى الغزال ذا الحوافر البرونزية قتيلًا ، وأسكت غابات إديماتشوس ، وجعل حية ليرنا الرقطاء ترتعد خوفاً لرؤية قوسه (١١٧). ولا أخال باكمخوس كذلك حجاب هذه البقاع ، باكمخوس القاهر ، الذى قاد عربته ، التى تجرها الفئور بخيوط من نبات الكروم ، من قمة نوسا الشاذقة (١١٨). أمازلنا نحن نتردد فى نشر فضائلنا بعظيم أفعالنا ؟ أمازلنا نشعر برعشة الحواف من أن نطأ بأقدامنا أرض أوسونيا ؟ . يا إلهى ! من ذا الذى يقف بعيداً ، يقدم القرابين ، وقد توجته أكاليل الزيتون ؟ إننى أعرفه ، بخصلات شعره ، ولحيته التى وخطها الشيب . إنه ملك روما ، الذى سوف يدعم المدينة بقوانينه ، أرسلته العناية الإلهية من مسقط رأسه ، كوريس ، الأرض القاحلة ، إلى هذه الامبراطورية العظيمة (١١٩) . وسأبقى من بعده تولاوس (١٢٠) ، الذى سوف يشعل الحرب من جديد ، ويقاق السلام فى وطنه ، ويأهب الجيوش حماساً بعد أن يكون الجنود قد نسوا حلاوة الانتصار . من بعده يأتى على الفور أنكوس (١٢١) ، أكثر الملوك فخراً بحب العامة له . وهل تود رؤية الملوك التاركوينيين (١٢٢) والروح المتخترسة لبروتوس المتقمم (١٢٣) ، بعد استعادته للسلطة (الفاسكيس) (١٢٤) ؟ حالما يتولى السلطة القنصلية ، ويقبض بيده على البلطة التى لا ترحم ، فإنه سوف يعدم ولديه . بعد أن يشعل حرباً جديدة — ويقدمهما قرباناً على مذبح الحرية العزيزة . يا إله من أب شتى ! لكن الأجيال سوف تخلده ، فقد غلبته وطنيته ، وتغلّبت فيه العزة والكرامة على عاطفة الأبوة . وانظر ، هنالك بعيداً ، إلى القنصلين ، دكيوس (١٢٥) وولده ، وإلى أبناء دروسوس (١٢٦) ، وتوركواتوس ، يباطنه القاسية (١٢٧) وكاميللوس ، عائداً بألويته (١٢٨) . أما هاتان الروحان اللتان تراهما متأتقن بأساحتهم المشابهة ، فتعيشان سوياً فى وثام وانسجام ، مادامتا روحين . لكن واحسرتاه ! ... ما إن تنطلقا إلى عالم الحياة ، حتى تتلاقيا فى ميدان الوغى ، فى حروب أهلية (١٢٩) ، ويالها من معارك فتاكة ، يسيل فيها الدم أنهاراً . ها هو الأب يهبط من فوق جبل الألب ، وقلعة مونويكوس (١٣٠)

٨١٠

٨٢٠

في الغرب ، فيتصدى له زوج ابنته بجوش جرارة من الشرق . أما أنتم ، يا أبنائي ، لا تتأخروا إشغال مثل هذه الحروب ، ولا تلقوا في أتونها بقوة أمتكم الجبارة . وأنت يا وادى ، كُنْ أول العافين ، فأنت سليل الآلهة ، ألق بالسلاح من يدك ، فأنت من سلالي . واسوف يسوق هذا البطل الأشهر (١٣١) عربته الحربية إلى تل الكايتوليوم الشاهق ، بعد أن يكون قد أحرز النصر على كورنثة ، وأطفا ظمأ سيفه بدماء الآخين . سوف يسحق أرجوس وموكيتاي — مدينة أجامنون — ، ويقهر وريث أخيليوس المغوار نفسه (١٣٢) ، منتقماً لأجداده الطراوديين ولعبد ميرفا الذي دنته الآخيون (١٣٣) . ومن ذا الذي يمكنه إغفال ذكرك ، يا كاتو (١٣٤) ٨٤٠

العظيم ، أو أنت يا كوستوس (١٣٥) ؟ ومن ذا الذي يستطيع أن يتناسى أسرة جراكوس (١٣٦) ، أو وكليد سكيديو — صاعقتي الحرب — اللذين على يديهما أفل نجم ليبيا (١٣٧) ؟ وفابريكيوس (١٣٨) العظيم ، رغم فقره ، وسيراتوس (١٣٩) ، الذي يبذر الحبوب وراء المحراث ؟ وإلى أين ستحملونني يا أبناء أسرة فاييوس ؟ فإني متعب (١٤٠) ، يكفي ذكر فاييوس ماكسيموس ، إنه أنت ، يا من استطعت بمفردك أن تنقذ وطننا بتمهلك .

قد ينحت الآخرون — بمهارة أكثر تفوقاً — تماثيل من البرونز ، يجرى في عروقها الدم ، إلى أو من بذلك حقاً ، وقد يشككون من الرخام وجوهاً تنبض ملامحها بالحياة ، وفي ساحات القضاء قد يصوغون عبارات الدفاع ببراعة أكثر ، وقد تصف أقدامهم أفلاك السماء ومداراتها ، وقد يلمنون بمطالع النجوم ، أما أنت ، أيها الروماني ، فرسالتك هي أن تحكم شعوب الدنيا بسلطانك ، وبراعتك ، هي أن تنشر أسس السلام ، وتعفو عن المغلوبين ، وتلحر المتغطرسين ؟ ٨٥٠

هكذا كان يتحدث أنخيس إلى مستمعيه المبهورين ، ثم واصل حديثه إلى ابنه قائلا :

عملة رومانية ضربت في عهد بولبيوس
كورنيليوس لتتولوس ماركلليغوس في عام ٤٢
ق.م. على اليسار الوجه الأول للعملة
ويحمل صورة جد الملك ، وعلى اليمين
الوجه الآخر للعملة ويحمل صورة الملك وهو
يصعد درجات السلم في طريقه الى معبد
جوبيتر . هذه العملة مروضة الآن في المتحف
البريطاني .



« أنظر كيف يسير ماركيللوس (١٤١) مزهواً بأسلابه العظيمة وغناؤه ،
يتناول على كل الناس بانصراته ! ... لسوف يقوم هذا الرجل البنيان
الروماني بعد أن تكون أركانه قد اهتزت من وطأة النحر ، فسوف يلحرق
فرسان قرطاجة ، ويقضى على تمرّد الغالين ، ويعلق غناؤه من الأسلحة
أمام أبيه كويرينوس (١٤٢) . »

٨٦٠ في هذه الأثناء رأى آنياس ، في صحبة هذا البطل ، شاباً صغيراً
قوى البنية ، لامع السلاح ، لكنه مقطب الحزين ، مظطىء الرأس .

« ومن يكون ، يا أبتي ، هذا الذي يصحب ذلك البطل ؟ هل هو
ابنه ؟ أم هو حفيد من أحفاده ؟ ولم يهمس الناس من حوله ؟ وأى وقار
في شخصه ! لكن الليل الحزين يحوم فوق رأسه فينشر حوله غلالة من الكآبة . »
وبكلمات تلوب حزناً ، وتقطر دمعاً ، ردّ عليه أنخيس :

٨٧٠ « يا بني ، لا تسأل عن مصاب قومك القادح . سوف ترسل الأقدار
هذا الفتى إلى وجه الأرض ، لكنه لن يظل هناك إلا قليلاً . »

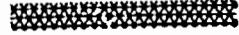
أيتها الآلهة ، لو أن هذا الفتى — هديتكم الثمينة لأمتنا — يمتدح طول
العمر ، لأصبح بنو الرومان أقوى مما هم عليه . كم من دمة ستنهمر
من المآقي ، وكم من آهة ستلوى في ساحة مارس ، عبر المدينة العظيمة ،
تودع ذلك البطل . ولسوف تنعى أمواجك ، أيها التيار ، هذا الميت ،
وهي ترى قبره الجديد ! ولن يصعد أى فتى قط من فتيان بني طروادة
بآمال أبجاده إلى مثل هذه النروة ، ولن تفخر أرض رومولوس بفتى

من فتيانها مثل فخرها به . والمفتاه على تقواه ! واحسرتاه على أمانته المعهودة !
 وأسفاه عليه ، فهو في التزال لا تُقهر له يد ، يصول ويجول ، ولا يسلم
 من ضرباته فرد ، سواء كان راجلاً أم ممتطياً صهوة جواده ، يالك من فتي
 شقي ؟ هل لك أن تردّ القضاء والقدر ! ستكون أنت ماركيللوس (١٤٣).
 أعطني زهور السوسن بملء اليدين ، دَعْنِي أنثر الزهور القرمزية عليه ،
 ولأقدّم لروح حفيدي أكواماً من الهدايا والقرايين ، فهذا على الأقل
 كل ما أستطيعه (١٤٤) .

هكذا طافوا بكل أنحاء البقعة ، وجابوا سهولها الواسعة ، وتأمعنوا النظر
 في كل شيء . لقد قاد أنخيس ابنه ، وطوّف به كل ربوع العالم الآخر .
 ثم رفع من روحه المعنوية ، مبشراً إتياءه بأجماد المستقبل ، محذراً من حروب قادمة ،
 عليه أن يخوض غمارها ، وعلمه ما ينبغي له أن يعلم عن شعوب لاورنم (١٤٥)
 ومدينة لاتينوس (١٤٦) ، وكيف يتحمل أو يتجنب كل مشقة .

هناك بايان « للنوم » ، أحدهما يقال له أنه من القرون ، منه تخرج
 الظلال الحقيقية بسهولة . أما الآخر فخطيه طبقة لامعة من العاج ، لكن
 الأحلام الزائفة ترسل منه إلى السماء أشباحها . بهذه الكلمات اصطحب
 أنخيس ابنه وسيولاً ، مرافقاً لهما ، حتى أخرجهما من ذلك الباب العاجي ،
 فتابع آيناس مسيرته إلى سفنه ، وعاد من جديد إلى رفاقه . ثم اتجه بحذاء
 الساحل إلى كايتا (١٤٧) ، وألقت مقدمات السفن مراسيها ، والتصقت
 مؤخراتها بالشاطئ .

حواشى الكتاب السادس



(١) كوماى Cumae ، أقدم مستعمرة إغريقية على ساحل كبايا فى إيطاليا ، أسسها مهاجرون من جزيرة يوبويا Euboea ، ومن هنا جاء اسمها كوماى اليوبية .
(٢) الهسبيرى Hesperius ، أى الغربى ، ومن ثم الإيطالى ؛ لأن إيطاليا تقع فى الغرب بالنسبة لبلاد الإغريق .

(٣) سيولا Sibylla ، اسم لكثير من العرافات فى العالم القديم . أشهرهن عرافة كوماى التى كانت تطلق الوشى من أبوللون مباشرة .

(٤) إله ديلوس هو أبوللون ، لأنه ولد فى هذه الجزيرة وتركزت عبادته فيها .
(٥) التريقية Trivia ، لقب من ألقاب ديانا Diana بوصفها إلهة العالم السفلى التى ينسب إليها الشاعر هنا نفس المهمة التى تقوم بها هيكاتى .

(٦) خالكيس Chalcis ، المدينة الرئيسية فى جزيرة يوبويا .

(٧) أندروجيوس Androgeos ، ابن مينوس من باسيفاي ، قتله الآثينيون بعد فوزه فى جميع مسابقات الألعاب . لذلك أعلن مينوس الحرب على أثينا .

(٨) أبناء كيكروبس Cecrops ، هم الآثينيون ، إذ أن كيكروبس كان ملكا أسطوريا من ملوك أثينا .

(٩) الجنوسية Gnosis ، أى الكريتية ، لأن جنوسوس Gnosis هو الاسم القديم لكريت .

(١٠) باساي Pasiphae ، هى زوجة مينوس Minos ملك كريت ، عشقت الثور وأنجبت منه سلالة مختلطة «الجنو تورويس» ويعرف بالثنائى الهيبة ، لأنه يجمع بين هيئة الإنسان

والثور . غضب الملك على ديدالوس لأنه ساعد باسيفاي في ممارستها لهذا المشق خلسة ، فطار ديدالوس من كريت هرباً منه إلى إيطاليا بأجنحة من الشمع . وذابت أجنحة إبنه إيكاروس بفعل حرارة الشمس فسقط في البحر الذي أصبح يسمى منذ ذلك الحين بالبحر الإيكارى .

(١١) عشقت أريادنى Ariadne بنت مينوس البطل ثيسبوس الآتيئى الذى جاء إلى كريت ليخلص بنى وطنه من الجزية السنوية الرهيبة التى فرضها عليهم مينوس ، واستطاع ثيسبوس بالفعل أن يحقق غرضه بمساعدة أريادنى .

(١٢) إبن أياكوس Aeacus ، المقصود به هنا هو أخيلئوس . وأياكوس هو ملك أيجينا Aegina المشهور بمدالته ووالد بيليوس Pelcus ، والأخير هو والد أخيلئوس .

(١٣) الماسولئين Massyli ، هم أفراد قبيلة في نوميديا ، وسورتئس Syrtis هى كئبان رملية في شئال أفريقيا .

(١٤) «النحس الطروادى» Troiana Fortuna ، نسبة إلى أن طروادة حوصرت طيلة عشر سنوات ، وخسرت ملوكها وأبطالها وئرأءها ، لأنها دمرت وأحرقت تماماً على يد الإغريق .

(١٥) إليوم Ilium ودرانيا هى أسماء أخرى لطروادة ، أما برجاما Pergama فهى قلعتها . من هنا جاءت الصفة برجامى Pergameus وتعنى الطروادى أيضاً .

(١٦) جونو عند الرومان هى هيرا عند الإغريق ، فهى الصورة الأنثوية لرب الأرباب جوبيتر وراعية النساء وحارسة الأنوثة . تقام لها الأعياد كربة الولادة Natalis والأمومة Matronalia (راجع حاشية (٣) ص ١١١) .

(١٧) هذا البيت (٩٤) من الأبيات الناقصة الموجودة في الأينيدة والتي لم تتح الفرصة لفرجيائوس كي يكملها بسبب موة المفاجئى .

(١٨) العروس الأجنبية التى دمرت طروادة هى هيلئا . أما العروس التى سوف تتسبب في شقاء الطروادئين في إيطاليا فهى لافئنيا Lavinia بنت لائئوس ، والمدينة الإغريقية التى سوف تساعد آبيئاس هى فالائئيوم Phallantium ، عاصمة الملك إئاندر Evadner .

(١٩) الأخيرون Acheron اسم لأنهار عديدة كان يعتقد القدماء أن لها صلة بالعالم السفلى .

(٢٠) هيكاتى Hecate ، إسم لديانا Diana ، كإلهة للعالم السفلى .

(٢١) أئيرنوس Avernus ، هى بحيرة قرب كوماى تسمى الآن Lago d'Averno لاجودائرنو ، كان يعتقد أنها مدخل العالم السفلى . وهى بحيرة بركانية كان يتصاعد منها بخار

سام يقتل الطيور ، ومحاطة بغابة مقدسة لدى هيكاني - بيجوار هذه الغابة كان يوجد كهف الكاهنة سيبولا .

(٢٢) أورفيوس Orpheus ، شاعر أسطوري عاش قبل هوميروس في تراقيا . أهداه أبوللون قيثارة ، وعلمته ربات الفنون Musai العزف عليها ، فأطرب بها الزخوش الضارية والأشجار والأحجار . لما ماتت زوجة أورفيوس ، هبط إلى العالم السفلي واستطاع أن يستعيدها بفضل أنغام قيثارته الشجية ، بشرط أن لا ينظر إليها مطلقاً قبل خروجه من نطاق العالم السفلي . لكنه لم يستطع أن يصبر فظهر إلى الخلف ليرأها ويطمئن على خروجها معه ، وبذلك يكون قد نقض العهد . عندئذ أعادت الآلهة زوجته مرة أخرى إلى العالم السفلي .

(٢٣) كان كاستور Castor آدمياً ، أما أخوه بولوكس Pollux فكان خالداً ، ولما مات الأول حصل الأخير على تصريح من جوبيتر بأن يتناوب الشقيقتان الموت والحياة معاً .

(٢٤) نزل ثيسبيوس مع بير يثوس إلى العالم السفلي لاختطاف بروسرينا فهلك الأخير وسجن الأول حتى أنقذه هيراكليس .

(٢٥) نزل هيراكليس إلى العالم السفلي لكي يحضر الكلب كيربيروس Cereberus حارس تارتاروس : كان ذلك العمل الثاني عشر والأخير من «الأعمال الإثني عشر» المشهورة التي فرضها يوريسثيوس Eurystheus ملك أرجوس (أو موكتاي) على البطل هيراكليس .

(٢٦) ديس Dis ، هو اسم من أسماء بلوتو Pluto إله العالم السفلي .

(٢٧) أي ما بين عالم الدنيا وعالم الآخرة .

(٢٨) كوكيتوس Cocytus ، نهر في الجحيم .

(٢٩) ستيكس Styx ، نهر آخر من أنهار الجحيم .

(٣٠) تارتاروس Tartarus ، العالم السفلي ، أو الجحيم .

(٣١) هي بروسرينا Proserpina ، أو بيرسيفوني Persephone ، ابنة زبوس - (عند الإغريق) - من ديميتر . يذكرها هوميروس على أنها زوجة هاديس وسيدة العالم الآخر ، وتحكم الأرواح مع زوجها .

(٣٢) تمحى ميسينوس ذات مرة تريتون في العزف على الآلة الموسيقية التي كان يستخدمها تريتون نفسه وهي «القوقمة المحجوة» ، فانتقم منه تريتون بعد ذلك (راجع الحاشية التالية) .

(٣٣) تريتون Triton ، هو ابن بوسيدون إله البحر الإغريق - ويقابله نبتونوس عند الرومان . يسكن تريتون قاع البحر ويركب الخيل (؟) . كان معروفاً بقوقمته المحجوة التي تصدر أصواتاً تهدئ أمواج البحر .

(٢٥) «ربيات الرحمة» Eumenides ، هو لقب يطلق مجازاً ، لأن القدماء كانوا يكرهون ذكر اسمهن الحقيقي وهو «ربيات الانتقام» Furiae ، كن بنات الأرض Gaia أو الليل Nox ، ويقمين في حاوية الجحيم .

(٢٦) ابتداء من بيت ٢٦٤ إلى ٢٦٧ يترك الشاعر تسلسل الرواية ويتفرع لأفلة العالم السفلي والتجور كي تسمع له بالمبور إلى العالم السفلي وأن تيسر له وصف ما يرى .

(٢٧) فليجيثون Phlegethon ، نهر من أنهار الجحيم .

(٢٨) أوركوس Orcus ، إله العالم السفلي أو القبر .

(٢٩) الحزن المفرط Luctus ؛ الندم المقلق Ultrices Curae ؛ الأمراض الشاحبة

Pallentes Morbi ؛ الشيخوخة الحزينة tristis senectus ؛ الخوف Metus ؛ الجوع

القارس الدافع للجريمة والإثم Malesuada Fames ؛ الحاجة الفبيحة turpis Egestas ؛

الموت Letum ؛ الشتاء Labos ، النوم شقيق الموت Consanguineus Leti Sopor ؛

الشموات الأثيمة Gaudia mala mentis ؛ الحرب الفتاكة belli ferum mortis ؛ ربات

النفس (أو الانتقام) Eumenides ؛ الفتنة القائلة Discordia demens .

(٤٠) الكنتوروس Centaurus ، حيوان أسطوري ضخم ، نصفه الأعلى إنسان والأسفل

حصان .

(٤١) سكيلا Scylla ، وحش أسطوري يعيش في الماء ، نصفه الأعلى امرأة والنصف

الأسفل سمكة . تمسك سكيلا بالحجارة وتبتلعهم إن اقتربوا من كهفها ؛ تقتل عند مضائق

ميسينا Messina وتواجهها على الشاطئ الآخر خاربيديس Charybdis .

(٤٢) برياريوس Briarius ، ابن أورانوس (السماء) وجايا (الأرض) ، وهو واحد

من المعلقة .

(٤٣) ليرنا Lerna ، منطقة حول أرجوس في بلاد الإغريق . حولها مستنقع كبير له

شجرة دائمة ، حيث قتل البطل هيراكليس الحية هيدرا Hydra ونفس سيفه في سها ؛ هو عمل

من الأعمال الإثني عشر ، (راجع حاشية رقم (١١٧) ص ٣٢٣) .

(٤٤) خايرا Chimaera ، وحش أسطوري ضخم ، له رأس أسد وجسم جدى وذيل

ثعبان وينفث النيران .

(٤٥) جورجونيس Gorgones ، اسم لثلاث عذارى مخيفات ، خصلات شعرهن على

شكل أفاعي ، هن أجنحة ومخالب وأنياب حادة . أشهرهن هي ميدوسا Medusa ، التي كانت

أصلاً فتاة ساحرة الجمال ، أنجب منها بوسيدون إبناً ، فحولتها الإلهة أثينا - غريمة بوسيدون - إلى مسخ : فتاة شمر رأسها أفاعى دائمة الحركة ، وكل من نظر إليها صار في الحال حجيراً .

(٤٦) الهاريات Harpiac ، طيور أسطورية جارحة ، لها وجوه نسائية ومخالب نمر .

(٤٧) المقصود هنا هو جيريون Geryon ، الوحش الأسطوري ثلاث الجسد ، الذي كان يعيش في إسبانيا ، والذي قتل هيراكليس وسأبه قطعانه بعد أن سبج إلى هناك في قارب الشمس الذهبي . كان ذلك عملاً آخر من «الأعمال الإثني عشر» (راجع حاشية رقم ٢٥، ٤٣) .

(٤٨) خارون Charon ، في الأساطير الإغريقية ، هو المدموي الذي ينقل الموتي عبر نهرستيكس . ورغم أنه لم يرد عند هوميروس ، إلا أنه ذكر في ملهامة الضفادع لأريستوفانيس . ما زال خارون موجوداً في القولكلور اليوناني تحت اسم خاروس Charos أو خارونتاس Charontas الذي هو أقرب إلى «ملك الموت» منه - إلى «المدموي» .

(٤٩) يقال إن خارون كان يتقاضى أوبل Obol أجراً من كل ميت يريد أن يعبر نهر ستيكس . لذلك اعتاد الإغريق وضع قطعة من النقود في فم كل ميت . ولقد ظل اليونان في العصور الحديثة - وحتى عهد قريب جداً - يفعلون ذلك . أما المحتاجون فهم الذين لا يملكون هذه القطعة من النقود .

(٥٠) ليوكاسبيس Leucaspis ، أحد رفاق آينياس ، وكذلك أورو نتيس Orontes .

(٥١) أوسونيا Ausonia ، منطقة في جنوب إيطاليا .

(٥٢) يقصد فرجيليوس هنا أن هؤلاء القوم اعتقدوا خطأ أن بالينوروس هذا إنما هو ملاح فقد سفينته ، وربما يحمل نقوداً في خزامه - كما كانت عادة الملاحين بعد غرق سفنهم . وبذلك كان بالينوروس - في اعتقادهم - «كثر من البحر» ؛ إن صح هذا التعبير .

(٥٣) فلييا Velia ، مدينة على ساحل لوكانيا Lucania في إيطاليا .

(٥٤) عن نزول هيراكليس ونزول ثيسوس وبيريثوس إلى العالم السفلي راجع حواشي رقم ٢٥ ، ٢٤ .

(٥٥) حارس تارتاروس هو الكلب كيربيروس (راجع حاشية رقم ٢٥) .

(٥٦) راجع حواشي ٢٦ ، ٣١ ، ٢٤ .

(٥٧) أمفريسوس Amphrysus ، كان أصلاً نهراً في إتيام فيثوتيس Phthiotis . بالقرب منه عاش الإله أبوللون كراع للأغنام عندما نفي من السماء . وبالتالي فإن كاهنة أمفريسوس أو كاهنة الأمفريسى هي كاهنة الإله أبوللون .

(٥٨) أى ديس (أو بلوتو) . راجع حاشية رقم ٥٦ . أما إريبوس Erebus فهو اسم من الأسماء المتعددة التى كانت تطلق على العالم السفلى .

(٥٩) وضع الرومان أيام النحس فى تقويمهم تحت اسم «الأيام السوداء dies atri

(٦٠) أى مجلس الموتى . من الملاحظ أن الشاعر عندما يصف عالم الآخرة فإنه يسلب الأشياء حياتها وقوتها . فالتناس أماننا أشباح حزيلة ، لاهياة قتها ، قفلت من اليدين ؛ والسهام لا رموس لها ؛ والنور موجود غير مرئى ؛ والأصوات تنبعث لكنها غير مسوعة ؛ والندروب خالية ، والممالك خاوية ، والظلام يسود البقاع .

(٦١) فايدرا Phaedra ، هى زوجة ثيسوس . أحبت ابن زوجها - هيبولوتوس Hippolytus لكنه لم يبادلها حباً بحب ، فكانت نهايتها الانتحار تخلصاً من ذلك الحب الآثم .

(٦٢) پروكريس Procris ، زوجة كيفالوس Cephalus . كانت تنار على زوجها حتى الجنون ، فأخذت تراقبه خلسة . لكنه قتلها دون أن يدري أثناء متابعتها له عندما كان يقوم برحلة للصيد .

(٦٣) إريفول Eriphyle ، الزوجة التى حرضت زوجها أمفياراوس Amphiarus على الالتحاق بحملة «السبعة ضد طيبة» . فلما مات زوجها فى الحرب قتلها ابنها ألكمايون Alcmaeon .

(٦٤) إفادنى Evadne ، زوجة كابانيوس Capaneus ، الذى قتل فى طيبة ، فألقت إفادنى بنفسها فى الكومة المعدة لحرق جسده قبل دفنها .

(٦٥) عن باسيفاي وعشقها للثور راجع حاشية رقم ١٠ .

(٦٦) لاموداميا Ladamia ، زوجة پروتيسيلائوس Protesilaus ، التى استطاعت أن تحصل على تصريح بخروج زوجها من عالم الموتى لمدة ثلاث ساعات فقط لكي تعود معه ميتة .

(٦٧) كان كاينيس Caeneus أصلاً فتاة مسخها بوسيدون شاباً .

(٦٨) عن كيفية انتحار ديدو راجع ص ص ٢٢٤، ٢٢٥ ، وحاشية (٦٩) ص ٢٣٤ .

(٦٩) ماربيسوس Marpesus ، هو جبل فى جزيرة پاروس Paros ، اشتهر بروعة رخامه .

(٧٠) كان تيديروس Tydeus وبارثينوبايوس Parthenopaeus من بين القادة السبعة ، الذين اشتركوا فى حملة «السبعة ضد طيبة» تحت قيادة البطل أدرستوس ملك أرجوس .

(٧١) جلاوكوس Glaucus وميدون Medon وثيرسيلوخوس Thersilochus ، هم من بين أبطال طروادة . هذه القائمة مأخوذة عن الكتاب السابع من إلياذة هوميروس .

(٧٢) بولوفويتيس Polyphoetes ، كاهن كيريس Ceres (إلهة الزراعة والحبوب وخاصة القمح) ، وهو طروادى . ليس معروفاً بالضبط لماذا يعتبره فرجيليوس كاهناً لهذه الإلهة .

(٧٣) راجع الكتاب الأول من الملحمة .

(٧٤) كثيراً ما كان الإغريق أثناء حصارهم لطروادة يفرون نحو الشاطئ ويلجأون إلى سفنهم ليهتفوا من هجمات الجيوش الطروادية .

(٧٥) ديفريوس Deiphobus ، هو أحد أبناء برباموس . أما الآيلة الأخيرة - أى الآيلة المشتومة - فالمقصود بها هنا هو ليلة سقوط طروادة في يد الإغريق .

(٧٦) البلاسجيون Pelasgi ، قوم استقروا فيما قبل التاريخ بالمنطقة شمال بحر إيجه أطلقوا الاسم - في كثير من التعمير على اليونانيين (في كريت على وجه خاص) .

(٧٧) رويتيوم Rhoeteum ، هو نتوء جبل يقع على شاطئ طروادة .

(٧٨) أى هيلينا ، وتلقب بالاسبرطية نسبة إلى زوجها الذى كان ملكاً لاسبرطة .

(٧٩) يتحدث فرجيليوس هنا عن حصان طروادة الخشبي وكأنه مخلوق حى يتلهف على تدمير طروادة . فيما يتعلق بخدعة حصان طروادة راجع الكتاب الثانى ص ١٢٠ .

(٨٠) باكخوس Bacchus ، أو ديونوسوس ، هو ابن زيوس ، وهو إله الخمر والكروم والإخصاب وراعى المسرح (.

(٨١) لاحظ السخرية الواضحة والتهمك المرير في الصفة التى يخلعها فرجيليوس - على لسان ديفريوس - على هيلينا : امرأة لا مثيل لها egregia .

(٨٢) ابن أيلولس Aeolides ؛ المقصود به هنا أوديسيوس ، مع أن أوديسيوس - كما هو معروف - هو ابن لا إرتيس Laertes . لكن فرجيليوس ينسب أوديسيوس هنا إلى سيسيفوس Sisuyhus ليؤكد أن هناك تشابه شديد بينهما . فكل منهما محرض على الجرائم ولا يقوم بارتكاب أى جريمة ، وكل منهما يمثل العبقرية التى أسوء استعمالها والدناء الذى لم يستطع أحد قط أن يتغلب عليه .

(٨٣) أورورا Aurora ، هى إلهة الفجر ، ومن ثم فهى تعلق عن قدوم الصباح .

(٨٤) إيلوسيرم Ilysium ، جنة الفردوس أو مقر المباركين والسعداء المخطوطين في عالم الآخرة .

(٨٥) تارتاروس هنا يعنى الجحيم أو هاوية الجحيم (راجع أيضا حاشية رقم ٣٠) .

(٨٦) نسبة إلى تارتاروس .

(٨٧) تيسيفونى Tisiphone وأليكتو Alecto وميجابرا Megaera ربات الرحمة أو ربات الغضب الثلاث (قارن حاشية رقم ٣٥) .

(٨٨) رادا منثوس Rhadamanthus الجنوسى (أى الكرى) ، هو شقيق الملك مينوس ، الذى أصبح مثله بعد الموت حكما أو قاضيا فى العالم السفلى .

(٨٩) التيتانيس Titanes ، هم أبناء وبنات أورانوس (السماء) وجايا (الأرض) . هم ست بنات وستة أبناء خلعوا أباهم عن العرش ونصبوا مكانه كرونوس Cronos ، الذى طرده زيوس فيما بعد وخل محله .

(٩٠) ولدا أليوس Alocus هما أوتوس Otus وإفياليس Ephialtes ، من الهائلة . حاولا الصعود إلى السماء ، والوصول إلى عرش زيوس والاستيلاء عليه ، وذلك بوضع مجموعة من الحبال الواحد فوق الآخر .

(٩١) سالمونيوس Salmoneus ، هو الذى أسس مدينة سالمونى Salmone ، إدعى الألوهية ، وزعم أنه قرين زيوس ، وطالب بأن يقدم الناس له القرابين ، فزجه زيوس بصاعقة قتلت عليه .

(٩٢) كبرى مدن منطقة إليس Elis . فى غرب شبه جزيرة البلوبونيس .

(٩٣) تيتيوس Tityos ، حاول أن يفتصب ليتو ، والدة أبولون ، فأزاده الإله تغليا ، ثم قذف به إلى هاوية الجحيم حيث يغطى جسمه مساحة تسعة أقدانه ويتغذى نسر على كبده وأحشائه التى تشجده باستمرار .

(٩٤) اللابيثيون Lapithae ، هم أهل تساليا . بينما كانوا يحتفلون بزواج مليكهم بيريثوس من هيبوداميا فإن الكتوروى - وهم المدعرون فى الحقل - حاولوا اختطاف العروس وبعض النساء الأخريات . عندئذ نشبت معركة حامية هزم أثناءها الكتوروى .

(٩٥) حاول إكسيون Ixion أن يطارح چورنو - زوجة چوبيتر - الغرام : فما كان من چوبيتر إلا أن خلق من «السحب» صورة مماثلة . أنجب إكسيون من تلك الصورة سلالة الكتوروى ، لكنه عوقب فى النهاية بأن ربط فى عجلة ظلت تدور حول نفسها إلى الأبد .

(٩٦) تشير فكرة الصخرة ومن يرفعها إلى أعلى فتهبط مرة أخرى إلى أسطورة سيسيفوس Sisyphus ، الملك الخادع ، الذى عوقب فى الآخرة بأن ظل أبدا يرفع صخرة رخامية إلى أعلى الجبل فتهبط به ثانية إلى أسفل ثم يرفعها مرة أخرى ... وهكذا .

(٩٧) إشارة إلى العذاب الذى لحق بإكسيون (راجع حاشية رقم ٩٥) .

(٩٨) يتناقض هذا البيت مع ما جاء فى بيت رقم ١٢٢ (راجع ص ٢٨٢) . فهنا يجعل فرجيليوس ثيسوس يعانى من العذاب بأن يجلس إلى الأبد ولا يقوم أبداً . لكن ربما يكون ثيسوس المذكور هنا هو شخص آخر خلافاً لثيسوس المعروف لنا .

(٩٩) فليجاس Phlegas ، هو والد إكسيون (راجع حاشية رقم ٩٥) ووالد كورونيس Coronis التى اغتصبها الإله أبوللون فأحرق فليجاس معبد الإله ، فأراداه الأخير بسهامه قتيلا .

(١٠٠) الكوكلوبيس Cyclopes ، هم جماعة من المهاقة ، لكل منهم عين واحدة كبيرة فى مقدمة رأسه ؛ يعيشون فى جزيرة صقلية (راجع الكتاب الثالث من الملحمة) وهم عمال إله الصناعة ولكانوس Vulcanus (= هيفايستوس عند الإغريق) يعملون فى «مسبك» القائم على جبل أيتنا .

(١٠١) أوريوس Orpheus (راجع حاشية رقم ٢٢) .

(١٠٢) الأغاني البايانية Paean ، هى أغاني كورالية . صاحبها أحياناً الرقصات ، اشتقت اسمها من بايون Paean ، أحد ألقاب أبوللون . وربما كانت أغاني للتعبير عن الشكر للإله أبوللون ، لكنها فيما بعد صارت تنشأ تكريماً لآلهة آخرين . وانتشرت هذه الأغاني فى اسبرطة بالذات .

(١٠٣) نهر إريدانوس Eridanus هو نهر البر فى شمال إيطاليا .

(١٠٤) موسايوس Musaeus هو شخصية نصف أسطورية ، يقال إنه من أقدم الشعراء الإغريق .

(١٠٥) نهر ليثى Lethe ، نهر فى العالم السفلى ، تشرب منه الأرواح فتنسى ماضيها ، وذلك كي يتسنى لها الصعود ثانية إلى عالم الدنيا فى صورة جديدة .

(١٠٦) نسبة إلى ألبا لونجا Alba Longa .

(١٠٧) تزوج آينياس من لافينيا Lavinia بنت لاتينوس ملك لاتيوم فأنجب منها سيلفيوس Silvius ، الذى يقال أيضاً إنه أول ملك على ألبا لونجا . لكن البعض يعتبره بن أسكانيوس ، وبالتالي حفيد آينياس . ولدينا قائمة بأسماء خمسة عشر ملكاً توالوا على عرش ألبا لونجا ، وهم كما

يل : آينياس ، أسكانيوس ، سيلفيوس ، آينياس سيلفيوس ... وثامنهم كابيس Capys ...
والرابع عشر هو بروكاس Procas ، الذي كان شقيقاً لنوميتور Numitor وهو الملك
الخامس عشر وفي نفس الوقت والد ريا سيلفيا Rhea Silvia أم رمولوس وريموس .

(١٠٨) كان مثل هذا الإكليل أو التاج المدني Corona Civica يمنح لمن أنقذ مواطناً
رومانياً أثناء الحرب . وجدير بالذكر أن هذا الإكليل منح بصفة مستمرة للإمبراطور
أوغسطس .

(١٠٩) كل هذه كانت مدناً لاتينية تقع حول روما : نومتوم Nomentum تقع على
بعد أربعة عشر ميلاً إلى الشمال الشرقى ؛ جابىي Gabii تقع في الشرق ؛ فيديناي Fidenae
خسة أميال إلى الشمال الشرقى ؛ كوللاتيا على الضفة اليمنى لنهر أنيو Anio (أحد فروع نهر
التيبر) ، بوميتي Pometii وكورا Cora تقعان في منطقة الفولسكي Volsci . أما كاستروم
إينزوس (ومعناه حصن إينزوس) Castrum Inui فهي تقع إلى الجنوب على الساحل ،
بينما لا نعرف شيئاً عن بولا Bola .

(١١٠) إليا Ilia ، اسم آخر لرياسيلفيا ، راجع حاشية رقم ١٠٧ .

(١١١) تقابل كوبيل Cybele ريا Rhea زوجة كرونوس Cronos وأم جوبيتر ،
لذلك لُقبت باسم أم الآلهة Mater Deum أو الأم الكبرى Magna Mater . نشأت
عبادتها في آسيا الصغرى وخاصة على جبل بيريكونتوس Berecynthus ومن هناك انتشرت
عبادتها في كل أنحاء بلاد الإغريق .

(١١٢) ترجع أسرة يوليا Iulia بنسبها إلى يولوس Iulus ابن آينياس . وقصر
المذكور هنا هو الدكتاتور جايوس يوليوس قيصر الذي ولد عام ١٠٢ ق.م. وقتل عام ٤٤ ق.م.
ثم أله بعد موته وحمل اسمه من بعده أوغسطس إبنه بالتبني ، لذلك يسمى أوغسطس إبن المؤله .
بعد ذلك صار «قيصر» لقباً يحمله كل الأباطرة الرومان .

(١١٣) ساتورنوس ، راجع حاشية رقم (١٠) ص ١١٢ .

(١١٤) الجارامانتيون Garamantes ، هم أفراد قبيلة كانت تسكن في أقصى منطقة
معروفة آنذاك في أفريقيا جنوباً ، وصلها الرومان عام ١٩ ق.م. في عصر الإمبراطور
أوغسطس .

(١١٥) أطلس Atlas ، أحد العمالقة الذين حاربوا كبير الآلهة فحكم عليه الأخير

بأن يرفع السموات على رأسه ويديه . يقال إن بيرسيوس البطل الذى امتلك ميدوسا (قارن حاشية رقم ٤٥) مسخه وجعله على هيئة جبل أصبح يعرف بجبل أطلس الواقع فى شمال غرب أفريقيا .

(١١٦) بحيرة مايوتيس Maeotis ، المقصود بها هو بحر آزوف الواقع على الحدود بين أوروبا وآسيا شمال البحر الأسود .

(١١٧) هنا يذكر فرجيليوس ثلاثة من «الاثني عشر عملاً» التى قام بها حفيد ألكيوس - هيراكليس - : القضاء على الغزال ذى الحوافر البرونزية ، قتل الخنزير البرى على إريمانثوس ، والقضاء على الحية هيدرا فى منطقة ليريا . راجع حواشى رقم ٢٥ ، ٤٣ ، ٤٧ ،

(١١٨) معنيء باكخوس إلى بلاد الإغريق فوق عربة تجرها نموعمل قدوم الخفصارة والنصر ، كما أن «الفضيلة البطولية» تتمثل فى شخصية كل من باكخوس وهيراكليس ، لذلك فإن الشاعر يشبه أوغسطس بهاتين الشخصيتين .

(١١٩) المقصود هنا هو نوما پومبيليوس Numa Pompilius ، أحد مواطنى قرية كوريس Cures فى الريف السابينى . اعتبره الرومان مؤسس نظمهم الدينية والدستورية .

(١٢٠) توللوس هوستيليوس Tullus Hostilius ، ثالث ملوك روما ، الذى دمر غريمها ألبالونجا .

(١٢١) أنكوس مارتىوس Ancus Martius ، رابع ملوك روما الذى قهر اللاتين .

(١٢٢) تاركوينوس Tarquinius ، هو خامس ملوك روما ، وتلاه سيرقيوس توليوس Servius Tullius ، ثم الملك السابع تاركوينيوس سوبربوس Tarquinius Superbus أى المتعطرس ، وهو المقصود هنا بعبارة الروح المتعطرة .

(١٢٣) بروتوس Brutus ، هو الذى طرد تاركوينيوس المتعطرس عام ٥١٠ ق.م. واستعاد للشعب حق انتخاب حكامه . كان هو نفسه أول قنصل بالانتخاب ، فلما اشترك ولده فى مؤامرة لإعادة التاركوينيين مرة أخرى أمر بروتوس بإعدامها .

(١٢٤) الفاسكيس fasces ، عبارة عن حزمة من العصي يتوسطها بلطة ، يحملها إثني عشر ضابطاً يتقدمون الملك . تشير العصي إلى حق الملك فى الجلد ، والبلطة إلى حقه فى الإعدام - أصبحت الفاسكيس تتقدم القنصل فى ميدان الحرب إبان العصر الجمهورى .

(١٢٥) پوبليوس دكيوس موس Poblus Decius Mus ، كان قنصلاً وكان ولده قنصلاً أيضاً ، استشهد الإثنان فى الحرب دفاعاً عن الوطن : الأول عام ٤٣٠ ، والثانى ٢٩٥ ق.م.

(١٢٦) ماركوس ليفيوس دروسوس ساليئاتور Marcus Livius Drusus Salinator هو القائد الروماني الذي هزم هاسدروبال (أخا هانيبال) على ضفاف نهر ميتا وروس Metaurus عام ٢٠٧ ق.م. والفرض من ذكر دروسوس هنا هو الشاء على ليثيا دروسيللا Livia Drusilla زوجة أوغسطس .

(١٢٧) لقب تيتوس مانليوس إمپريوسوس Titus Manlius Imperiosus بلقب توركوأتوس Torquatus ، إذ أنه -بعدما قتل أحد الغالين ضخم الجثة (عام ٣٦١ ق.م.) - انتزع منه السلسلة torques التي كان يضعها حول عنقه ووضعها هو . وعندما كان قنصلا عام ٣٤٠ ق.م. أعدم ابنه الذي اشتبك في حرب مع الأعداء مخالفاً أوامره .

(١٢٨) استول الغاليون تحت قيادة برينوس Brennus عام ٣٩٠ ق.م. على مدينة روما وأشعلوا فيها النيران ، لكن ماركوس فوريوس كاميللوس Marcus Furius Camillus استطاع طرد الغالين من روما والهنس بها من جديد .

(١٢٩) المقصود بهاتين الروحين هو : قيصر وبومبيوس ، الأول هو زوج جوليا ابنة الآخر . قامت بينهما حروب أهلية انتهت عام ٤٨ ق.م. بقتل بومبيوس .

(١٣٠) مونويكوس Monoecus ، لقب من ألقاب هيراكليس ، وقلة مونويكوس هي منطقة مرتفعة في ليجوريا Liguria ، مقدمة لدى هيراكليس ، تعرف اليوم باسم موناكو Monaco .

(١٣١) هو لوكيوس موميوس الأخي Lucius Mummius Achaicus ، ولقب بالأخي لأنه دمر كورنثا - المدينة الأخية - عام ١٤٦ ق.م.

(١٣٢) هو بيرسيوس Perseus ، آخر ملوك مقدونيا ، الذي إدعى أنه من نسل أنجيليوسن بطل أبطال الإغريق .

(١٣٣) دنه أياي ليلة سقوط طروادة عندما انتزع كاساندرأ .

(١٣٤) هو ماركوس بوركيوس كاتو Marcus Porcius Cato ، الملقب بالرتيب Cens- هو عدو قرطاجة اللدود الذي كان دائماً يناهى بتدميرها .

(١٣٥) هو سرفيوس كورنيليوس كوسوس Servius Cornelius Cossus ، الذي قتل ملك مدينة فيبي Veii وحصل على جائزة spolia opima التي كانت تمنح دائماً لأي قائد يستطيع أن يقتل قائد الأعداء (راجع حاشية رقم ١٤١) .

(١٣٦) أشهر أسرة جراكوس هما الأخوان جراكوس : الأول تيبيريوس سميرونوس جراكوس Tiberius Sempronius Gracchus الذي حاول القيام ببعض الإصلاحات فقتل عام ١٣٣ ق.م. والثاني هو جايوس Gaius الذي حاول نفس الشيء فلاقى نفس المصير عام ١٢١ ق.م. لكن ربما لا يحفل ثرجيليوس بهذين المصلحين قدر اهتمامه بتيبيريوس جراكوس الأكبر Maior ، الذي كان قتيلا مرتين - عام ٢١٥ ، ٢١٢ ق.م. - إبان الحرب البونية الثانية .

(١٣٧) بوبليوس كورنيليوس سكيبيو أفريكانوس الأكبر Publius Cornelius Scipio Africanus Maior هو الذي هزم هانيبال في معركة زاما Zama عام ٢٠٢ ق.م. ؛ كما أن ابنه بالتبني - سكيبيو أفريكانوس الأصغر هو الذي دمر قرطاج عام ١٤٦ ق.م.

(١٣٨) جايوس فابريكيوس لوسينيوس Gaius Fabricius Luscinus ، كان قتيلا عام ٢٨٢ و ٢٧٨ ق.م. إبان الحرب ضد بيرهوس Pyrrhus . اشتهر ببساطة حياته ، ورفضه للرشوة التي قدمها إليه بيرهوس .

(١٣٩) هو جايوس أتيوليوس ريجولوس سيرانوس Gaius Atilius Regulus Serranus كان قتيلا عام ٢٥٧ ق.م. ، هزم القرطاجيين . يمثل هو وفابريكيوس (راجع الحاشية السابقة) طرازاً قديماً من القادة الرومانيين الذين كانوا يتركون الخراف ليقودوا الجيوش ثم يعودون بعد الانتصار إلى الخرافهم .

(١٤٠) يقصد ثرجيليوس هنا - وقد حاله طول قائمة الأبطال في أسرة فاييوس - أن يبين أنه سيكتفى بذكر واحد منهم فقط ، هو كويتوس فاييوس ماكسيموس Quintus Fabius Maximus المعروف بلقب Cunctator (المتلكئ أو المتباطئ) ؛ إذ أنه فضل أن يشن ضد قرطاجنة حرب إنهالك واستنزاف على الاشتراك في معركة واحدة فاصلة ، وكان له بعد ذلك النصر .

(١٤١) ماركوس كلوديوس ماركيللوس Marcus Claudius Marcellus ، عين قتيلا خمس مرات - أثناء المرة الأولى - عام ٢٢٢ ق.م. - قتل ماركيللوس برينو مارتوس Britomartus ملك الغالين ، وبذلك حصل على جائزة spolia optima (راجع حاشية رقم ١٣٥). تلك الجائزة التي لم يتلها طوال التاريخ الروماني سوى ثلاث: رومولوس وكوسوس وماركيللوس.

(١٤٢) كويرينوس Quirinus ، اسم رومولوس بعد تأليهه .

(١٤٣) هو ماركيللوس إبن أوكثافيا Octavia أخت أوغسطس ، تبناه الأخير عام ٢٥ ق.م. وزوجة من ابنته الوحيدة جوليا Julia . ويبدو واضحاً أنه كان يعده ليكون

خليفته لولا أن اختطفه الموت عام ٢٣ ق.م. عن عشرين عاماً ونحزن عليه أوغسطس جزئاً شديداً .
(١٤٤) يقال إن ثرجيليوس أضاف هذه المهرية بعد موت ماركيللوس .

(١٤٥) لاورنتوم *Laurentum* ، مدينة على ساحل لاتيوم .

(١٤٦) لاتينوس *Latinus* ، ملك لاتيوم الذي تزوجت ابنته لافينيا من آينياس .

(١٤٧) كايئا *Caiera* ، مدينة في منطقة لاتيوم وتقع على الساحل وتسمى الآن جايتا

Gaeta .

فهرس الصور

الصفحة

٢٣	..	..	..	..	..	فرجيليوس بين كليو وملبوميني
٩٥	..	..	..	..	..	أينياس يحمل انخيسيس ويقود أسكانيوس
٩٧	..	..	..	..	..	مشهد من بناء قرطاجة
٩٨	..	..	..	..	..	رأس حصان على وجه عملة فضية
١٠٢	..	..	..	..	..	عملة كتب عليها « دولة القبرصيين »
١٠٧	..	..	..	..	..	قادة الاغريق للرسم كريستيان هاین
١٢١	..	..	..	..	..	الالهة مينيرفا تصنع انموذجا للحصان
١٢٧	..	..	..	..	..	ديوميديس يحمل البلاديوم (وجه عملة)
١٣١	..	..	..	..	..	الاغريق يهبطون من الحصان
١٣٦	..	..	..	..	..	كاسندرا في محراب الالهة بالاس
١٤٢	..	..	..	..	..	برياموس يقتل في محراب جويتر
١٤٧	..	..	..	..	..	كريوسا تحاول استبقاء اينياس
١٤٨	..	..	..	..	..	أسكانيوس يتظهر بالمياه المقدسة
١٤٩	..	..	..	..	..	أينياس على وجه عملتين ، مقدنية ورومانية
١٥٣	..	..	..	..	..	أينياس يحمل والده للرسم جلبرت بايز
١٩١	..	..	..	..	..	سفينة اوديسيوس للرسم باتن ويلسون
٢٢٧	..	..	..	..	..	ديدو في فراش الموت للرسم ج . ب . تيبولو
٢٤٧	..	..	..	..	..	ثلاثة من العدائين (آنية فخارية)
٢٥٧	..	..	..	..	..	اريس رسول الالهة (فازه)
٢٨٤	..	..	..	..	..	نقير نحاسي
٢٨٧	..	..	..	..	..	هيراكليس يقتل الحية
٢٨٧	..	..	..	..	..	أدوات تستخدم في تقديم القرابين
٢٨٨	..	..	..	..	..	الكنتاورس للمثالين أريستياس وبايباس
٢٨٩	..	..	..	..	..	سكيلا (آنية فخارية)
٢٩٠	..	..	..	..	..	هرميس يسلم أحد الموتى الى خارون
٢٩١	..	..	..	..	..	حميرا على وجه عملة فضية سيكيونية
٢٩١	..	..	..	..	..	المائدة الخاصة بنبوة أبوللو
٢٩٤	..	..	..	..	..	ثيسيوس وبيرثوس في العالم السفلي
٢٩٥	..	..	..	..	..	الاله هيراكليس يقاتل جيريون
٢٩٦	..	..	..	..	..	هيراكليس أثناء صراعه مع كيربيروس
٣١١	..	..	..	..	..	عملة رومانية من عهد يوليوس ماركلينوس

الإشراف اللغوي : حسام عبد العزيز

الإشراف الفني : حسن كامل

التصميم الأساسي للغلاف : أسامة العبد

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوعة

لكي نفهم فرجيليوس ونتذوق أعماله لا يكفي أن نعرف تمام المعرفة أنه كان فنانا عظيما فقط، بل من الضروري أيضا أن نكون على دراية حقيقية بالعلاقة التي قامت بينه وبين عصره، ذلك العصر الذي يمثل في الحقيقة نقطة من نقط التحول المهمة في تاريخ البشرية جمعاء، فلم يكن فرجيليوس رائدا لمجموعة من الأدباء البارزين الذين بلغت اللغة اللاتينية على أيديهم ذروة مراحل ازدهارها فحسب، بل كان أيضا يجمع في أعماق ذاته بصورة فريدة وإلى حد منقطع النظير بين كل من العناصر الذاتية والعناصر الثقافية التي تكونت منها الحضارة اللاتينية؛ فقد كان فرجيليوس أعظم من قاموا بتوضيح أهداف عصره والتعبير عن مثله العليا في سبيل تحقيق الرقي والسيادة للجنس البشري كان يتأمل عالم الماضي وعالم المستقبل في آن واحد وفي أثناء وقفته بين هذين العالمين، فإنه قد عبر تعبيرا صادقا عن ماضى أمته وأبناء جنسه.